دروس في المناهج والاتجاهات التفسيرية للقرآن

محمد علي الرضائي الإصفهاني
تعريب: قاسم البيضاني



بسم الله الرحمن الرحيم




٥٠
مكتب التخطيط
وتقنية التعليم



دروسٌ في المناهج
والإتجاهات التفسيرية للقرآن

محمد علي الرّضائي الإصفهاني

تعريب: قاسم البيضاني



مركز المصطفى العالمي للترجمة والنشر
التابعة لجامعة المصطفى العالمية

رضایی اصفهانی، محمد علی، ۱۳۴۱ ـ
دروس في المناهج والإتجاهات التفسيرية للقرآن (منطق تفسير القرآن)/المؤلف محمدعلي الرّضائي ألاصفهاني؛ تعريب قاسم البيضاني؛ [جامعة المصطفیﷺ العالمية، مكتب التخطيط وتقنية التعليم]. ـ قم: جامعة المصطفیﷺ العالمية، ۱۴۳۱ق. = ۱۳۸۹ش.
۳۳۴ص. ـ (مكتب التخطيط وتقنية التعليم؛ ۵۰)
ISBN: 978-964 - 7741 - 87 - 1 ۴۵۰۰۰ ریال
فهرست‌نویسی بر اساس اطلاعات فیپا.
عنوان اصلی: روشها و گرایشهای تفسیری قرآن.
عربی.
کتاب‌نامه: ص. [۳۲۹] ـ ۳۳۴؛ همچنین به صورت زیرنویس.
۱. تفسیر ـ فن. الف. بیضانی، قاسم ،مترجم. ب. جامعة المصطفیﷺ العالمية. ج. جامعة المصطفیﷺ العالمية. دفتر برنامه‌ریزی و فن‌آوری آموزشی. د. عنوان. هـ. عنوان: منطق تفسير القرآن. و. عنوان: روشها و گرایشهای تفسیری قرآن.
۹۰۴۳ر ۶ر / ۵ / ۹۱ BP ۲۹۷ / ۱۷۱

دروسٌ في المناهج والإتجاهات التفسيرية للقرآن
مؤلف: محمدعلي الرّضائي الإصفهاني
تعريب: قاسم البيضاني

الطبعة الثانية: ۱۴۳۱ق / ۱۳۸۹ش
النّاشر: مركز المصطفیﷺ العالمي للترجمة والنشر
معتمد الطباعة: نعمت‌الله يزداني
المطبعة: زلال كوثر ● السّعر: ۴۵۰۰۰ ريال ● عدد الطّبع: ۲۰۰۰

التوزيع:
● قم، استدارة الشهداء، شارع الحجتيه، معرض مركز المصطفیﷺ العالمي للترجمة والنشر.
هاتف ـ فكس: ۷۷۴۹۸۷۵ ۰۲۵۱
● قم، شارع محمد الامين، تقاطع سالارية، معرض مركز المصطفیﷺ العالمي للترجمة والنشر.
هاتف ـ فكس: ۰۲۵۱۲۱۳۳۱۴۶ ـ ۰۲۵۱۲۱۳۳۱۰۶
www.miup.ir,www.eshop.miup.ir
E-mail: admin@miup.ir,Root@miup.ir

كلمة الناشر

ان انتعاش المراكز التعليمية رهن نظام تعليمي دقيق ثابت ومجرب، تشكل البرامج التعليمية والمناهج الدراسية والاساتذة عموده الفقري.

ان فاعلية البرامج التعليمية تكمن في تجاوبها مع متطلبات العصر وتوافر الامكانات ومؤهلات الطلاب ، كما ان تقويم المناهج الدراسية يعتمد ـ الى حد كبير ـ على طرحها لآخر المنجزات العلمية بأحدث الأساليب المتّبعة في التربية والتعليم .هذه المراكز بحاجة ماسّة الى التّقويم الدّائم واعادة النظر في مناهجها الدراسية بأرقى الاساليب وفق آخر ما وصلت اليه التقنيات العلمية ، بغية الحفاظ على مستوى نشاطها العلمي.

ان حوزات العلوم الدينية التي تقع على عاتقها مهمة اعداد علماء الدين ونشر المبادئ الاسلامية غير مستثناة من هذه القاعدة ، باعتبارها من مؤسسات التعليم الديني.

ومن حسن الحظ فان الحوزات العلمية وببركة الثورة الاسلامية العظيمة بقيادة الامام الخميني الراحل (قدس سره) أخذت منذ سنوات عدة التفكير جديا في اصلاح نظامها التعليمي وتجديد النظر في مناهجها الدراسية.

وانطلاقا من الشعور بالمسؤولية قامت جامعة المصطفى ﷺ العالمية ـ التي تمثل جزءا من هذه المجموعة وتضطلع بمهمة تعليم الطلاب غير الايرانيين ـ قبل غيرها من سائر المؤسسات بانشاء معاونية شؤون التعليم لهذا الغرض.

هذه المعاونية مع تثمينها للجهود المضنية التى بذلها العلماء فى سبيل التجاوب مع هذه الحاجة واقتطاف ثمار نتاجاتهم العلمية ، بذلت الوسع لتنظيم مناهج دراسية وفق برامج مستوحاة من الاساليب التعليمية المعتمدة علىٰ آخر المنجزات العلمية .

والكتاب الذى بين يديک (دروس في المناهج والاتجاهات التفسيرية للقرآن) يمثل احد النماذج المختارة من هذه الكتب وهو يعنىٰ بالبحث عن علوم البلاغة. ويعد هذا الكتاب خطوة راسخة فى هذا الطريق وجهدا يستحق التقدير بذله حجة الاسلام والمسلمين الدكتور **محمدعلى الرضائي الاصفهاني**، وترجمه الى العربية الاخ الفاضل **قاسم البيضاني**، فشكرا متواصلا له لجميع الذين ساهموا فى إنجاز هذا العمل.

وفى الختام لابد من القول بان اى عمل لايكاد يخلو فى بداياته من زلات وهفوات ولذا فاننا نتطلع الىٰ اصحاب العلم والفضيلة ان لايضنوا علينا بارائهم الصائبة فهذا التطلع هو مهماز شروعنا ومبعث أملنا بمستقبل زاهر.

مركز المصطفى ﷺ العالمي للترجمة والنشر

الفهرس

المدخل

طرق تدريس الكتاب

الحمدُ لله كثيراً على ما أولانا من التوفيق للمسير في رحاب القرآن وأهل البيت عليهم السلام.

وبعد، القرآن الكريم كتاب لهُ عدة وجوه ومعانٍ وبطون، يستطيع كل شخص ان يتزود منه بمقدار طاقته وبما يملك من العلم والمصادر؛ ومن هُنا ظهرت للمفسرين ـ بعد التأمل والتفكير في القرآن خلال ألف وأربعمائة سنة ـ تفاسير وبحوث متعددة تناولته من مختلف الجوانب، مستخدمين أساليب ومناهج متنوعة، وقد نشروا نتائج بحوثهم حول القرآن في كتب التفسير؛ وإنَّ فهم هذهِ التفاسير والاستفادة منها مرهون بمعرفة مناهجهم في التفسير، وكذلك فان ايجاد تفاسير منهجيَّة مُفيدة وكاملة لا تكون ميسّرة إلا في ظل معرفة هذهِ المناهج.

طريقة هذا الكتاب

يعتمد منهج هذا الكتاب على تصنيف وتحليل المناهج العمليّة في تفسير القرآن واتجاهات المفسرين لكي يتّضح منطق التفسير، وقد دُوِّن بطريقة مُناسبة للتدريس بحيث تحمل الطلاب على استخدام الطريقة المنهجيّة وتحثهم على التأمل والتفكير.

اهداف هذا الكتاب

١. تبيين منطق تفسير القرآن عن طريق تحليل المناهج والاتجاهات التفسيريّة المستخدمة حتى الآن في مجال التفسير.

ملاحظة: منطق التفسير عبارة عن المناهج والمعايير المستخدمة في التفسير والّتي تمنع بمراعاتها أخطاء المفسرين.

٢. مُناقشة صحة وفائدة هذهِ المناهج والاتجاهات بشكل قوالب دراسيَّة تعليميَّة.

٣. ترتيب هذهِ المناهج والاتجاهات علىٰ شكل قوالب دراسية وتعليمية.

خصائص الكتاب

١. تعريف الاصطلاحات المذكورة في كل درس، مثل: المناهج، الاتجاهات، المدارس، المذاهب و... التفسيرية في درس مستقل بحيث يطّلع القارئ على آراء مختلفة في هذا المجال، وبعد ذلك قمنا بتعريف هذه الاصطلاحات تعريفاً دقيقاً وتعيين حدودها. ولابدّ من الاشارة إلى أنّ هذه المباحث هي مباحث جديدة في القرآن والتفسير؛ ولهذا فإن تعريف هذه الاصطلاحات لازال غامضاً، وزواياه غير منقّحة. وقد سعينا في الدرس الأوّل إلى ترتيب هذه الاصطلاحات ومنع الخلط فيما بينها.

٢. فصل المناهج التفسيرية الّتي تقوم على اساس المصادر والمنابع المستخدمة، عن الاتجاهات وألوان التفسير الّتي تعتمد على تخصص وذوق وعقائد المفسِّرين.

٣. عرض المسائل على شكل دروس تعليمية منظَّمة مفهومه، تُعين الأستاذ على التدريس والاختبار، وتساعد الطالب على الفهم والاستفادة.

٤. يشتمل كل درس عادةً على اثني عشر عنواناً:

الاهداف التعليمية، العناوين الثانوية للدرس، المقدّمة، الاصطلاحات، لمحة تاريخيَّة، الآراء، الأدلة، نماذج عمليّة، خلاصة الدرس، الأسئلة، البحوث الجديدة، مصادر للمزيد من المعلومات.

وهذا الأَسلوب في تدوين الكتب الدراسية جاء على أَساس آخر ما وصل إليه علم النفس التربوي وتكنولوجيا التعليم، ومن الاساليب النادرة طبقاً لرأي بعض الأساتذة الأكفّاء.

٥. أُخضعَ هذا الكتاب للتجربة عدة مرات، ودُرِّس في عدة دورات في قسم التفسير في الحوزة العلمية بقم، فالمركز العالمي للعلوم الاسلاميّة، وبعض مراكز الجامعات، وقد نُقِّح خلال هذه الفترة فهو إِذن مَتْن مجرّب.

٦. نُظِّم هذا الكتاب على شكل وحدتين دراسيتين في الاسبوع وعلى الطالب اجتياز درس «المباني والقواعد التفسيريَّة» كمقدّمة للدخول فيه.

بعض النقاط المفيدة في التدريس

١. على ضوء الأَهداف التعليمية الّتي جاءت في الدرس الأوّل، فإن المطالب الرئيسية تقع على عاتق الأستاذ، أمّا الجزئيات فيتكفل بها الطالب.

٢. طُرحت تحقيقات وبحوث جديدة في كل درس، يتولىٰ بحثها الطلاب. وفي الدرس الثاني تُلقىٰ هذهِ البحوث في الصف من قِبَلِهم بحيث تأخذ ثلث زمن الدرس.

٣. وردت أمثلة كثيرة في ضمن كل درس، يمكن أَن تكون أَساساً للتمرين في كل منهج من مناهج التفسير.

٤. يقوم الاستاذ في كل جلسة باحضار الكتب التفسيرية المتعلقة بتلك المناهج والاتجاهات؛ ليتعرف عليها الطلاب (وخاصة في مجال اتجاهات التفسير) وبالاستفادة من المصادر المذكورة في آخر كل درس يمكن الاطلاع على مصادر إضافية.

٥. بما أن الاتجاهات التفسيرية قابلة للاتساع بمرور الزمن، فعلى الاستاذ أن يبيُن للطلاب اتجاهات أُخرىٰ (خصوصاً تحت مجموعة الاتجاهات الكلامية) وبالاستفادة من الدرس الأَوّل، أو أن يقوم بتكليف الطلاب بدراستها وطرحها في الدرس.

٦. لا يعتبر منهج التفسير بالرأي منهجاً صحيحاً ومعتبراً، وسوف نتناوله في آخر المناهج التفسيرية ـ كما هو الحال في الكتب الأُخرى، وإن كان من الأَفضل أَن يقوم الاستاذ بطرح هذا المنهج بعد الفصل التمهيدي وقبل بحث المناهج الأُخرى؛ لأَنّ هذا الاصطلاح (التفسير بالرأي) ومصاديقه سوف يتكرّر ان كثيراً خلال بحث المناهج الأُخرىٰ. ولذلك فلابُدّ من معرفته والاطلاع عليه.

٧. ملحقات هذا الكتاب للمطالعة فقط، وإذا سمح الوقت وكان هناك استعداد عند المُتلقِّين، فيمكن أن يطرح حينئذ في الدرس.

٨. الافضل تقسيم درجة هذا الدرس إلى ثلاثة أقسام، ربع الدرجة إلى إلقاء البحث في الصف، والربع الآخر إلى التحقيق، والباقي للامتحان التحريري.

٩. الامتحان في هذا الدرس يمكن أن يكون على صورتين:

ألف) انتخاب أحد الأسئلة المطروحة في آخر كل درس.

ب) اختيار إحدى السور القرآنية الصغيرة من أحد التفاسير، نظير الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل للشيخ مكارم الشيرازي، واستنساخها في الورقة الامتحانية؛ ليقوم الطالب بتعيين المناهج والاتجاهات التفسيرية المستخدمة.

١٠. عند قيام الاستاذ بتوضيح المطالب الأساسية وعرض الآراء المختلفة، يحث الطالب على التفكير والتأمل ونقد هذه الآراء، ثم يخرج بنتيجة بعد إضافة بعض المطالب.

وبعبارة أُخرى إنّ هذا الكتاب ليس لزيادة محفوظات الطالب فقط، بل هو يعلمه طريقة التفكير الانتقادي ويعطيه القدرة على تشخيص المناهج الصحيحة من الخاطئة ويعلمه الطريقة المنهجِّية في التفسير.

شُكر وتقدير

اتقدم بالشكر الجزيل إلى كل الاساتذة الّذين أعانونا على إنجاز هذا الأثر القرآني، وأَخصُّ منهم آية الله الشيخ معرفة «دامت بركاته»، وحجة الإسلام والمسلمين عزالدِّين رضا نژاد مدير مكتب التخطيط و تدوين المناهج الدراسية في المركز العالمي للدراسات الإسلامية.

نسأل الله العليّ القدير أن يكون هذا الأثر مورداً لقبوله تعالى وقبول النبي الأكرمﷺ والأئمةعليهم‌السلام، وخطوة على طريق تقدّم التفسير المنهجي في العصر الحاضر.

كما لا يفوتني تقديم الشكر إلى الأساتذة والمحققين في العلوم القرآنية لما قدموه من العون في سبيل إتمام هذا الأَثر القرآني بانتقاداتهم البنّاءة.

الحمدلله رب العالمين

قم المقدسة

محمد على الرضائي الاصفهاني

١
مناهج واتجاهات تفسير القرآن

الاهداف التعليميَّة

١.معرفة الاصطلاحات الأساسية في بحث الاتجاهات التفسيرية ومدىٰ الاختلاف فيما بينها؛
٢. الاطلاع على أَهمية بحث المناهج والاتجاهات التفسيرية وتأثيرها في التفسير؛
٣. الاطلاع على تاريخ المناهج والاتجاهات التفسيرية؛
٤. الاطلاع على عوامل نشأة المناهج والاتجاهات التفسيرية.

المقدمة

يشتمل علم التفسير ـ الذي يُعدّ من أهم العلوم الإسلاميّة ـ علىٰ ثلاثة اشياء، شأنه في ذلك شأن العلوم الأُخرى، وهي:

أ) موضوع علم التفسير، وهو القرآن الكريم نفسه.

ب) هدف علم التفسير، وهو فهم وتوضيح مفاهيم ومقاصد القرآن.

ج) منهج التفسير، وهو كيفيّة كشف معاني ومقاصد آيات القرآن.

يحظىٰ استخدام المنهج في كل علم بأهمية خاصة؛ لان تعلُّم المنهج الصحيح والاستفادة منه يوصل الإنسان إلى هدف العلم. في حين يُفضي عدم الاستفادة من المنهج الصحيح، أو الخطأ فيه إلى الابتعاد عن هذا الهدف.

إنّ استخدام «منهج التفسير» بالنسبة إلى القرآن بلغ من الأهمية حدّاً. بحيث عُدَّ

استخدام بعض المناهج ممنوعاً وحراماً شرعاً، وقد أكدّت الأحاديث على أهمية هذا الأمر، بحيث إذا قام شخص بتفسير القرآن بطريقة خاطئة «كالتفسير بالرأي» فإنّه يعتبر مخطئاً وإن حصل على نتائج صحيحة.[١]

وبعبارة أُخرىٰ: إن تعيين المنهج التفسيري الصحيح لهُ موضوعية[٢] في هذه المسألة، وإن معرفة المناهج والاتجاهات التفسيرية يُعتبر لازماً لكل مُفسِّر.

إن إلقاء نظرة على تاريخ التفسير والمفسرين يحكي هذه الحقيقة وهي إن المفسرين الذين يمتلكون منهجاً خاصاً في التفسير كانوا أكثر توفيقاً من الآخرين، وتركوا آثاراً قيِّمة مثل التبيان، مجمع البيان، الميزان و... وقد اخذ هذا الكتاب علىٰ عاتقه هـذه المسألة المهمة، وهي التعريف بمناهج التفسير واتجاهاته ومناقشتها.

نرجو من الله العلي العظيم أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن يحظىٰ بعناية مفسري القرآن العظام أعني النبيﷺ وأهل البيتؑ، ويصبح مقدّمة نافعة في التفسير.

الاصطلاحات

المصطلحات الأساسية في باب (مناهج واتجاهات تفسير القرآن) عبارة عن:

ألف) المنهج: وهو الاستفادة من الوسائل والمصادر الخاصة في تفسير القرآن والّتي يمكن من خلالها تبيين معنىٰ ومقصود الآية والحصول على نتائج مشخَّصة.

وبعبارة أُخرى: إن كيفية كشف واستخراج معاني ومقاصد آيات القرآن الكريم هو ما يطلق عليه «منهج التفسير».

ب) التفسير: هو الكشف عن الإبهام في الجُمل والكلمات القرآنية، وتوضيح مقاصدها وأهدافها.

وبعبارة أُخرىٰ: إن المقصود من التفسير هو تبيين المُراد الاستعمالي لآيات القرآن، وتوضيح المُراد الجدّي علىٰ أَساس قواعد اللغة العربية والأُصول العقلائية للمحاورة.[٣]

١. عن النبيﷺ: «من قال في القرآن برأيه وأصاب فقد اخطأ». سنن الترمذي، ج ٤، كتاب تفسير القرآن، ح ٢٩٦١؛ الميزان، ج ٣، ص ٧٥

٢. أنظر: مبحث منهج التفسير بالرأي في هذا الكتاب.

٣. عادةً ما يأتي تعريف التفسير في مباني المناهج التفسيرية. وقد جاء هنا خلاصة كلام الراغب

←

ج) الاتجاه: المقصود من «الاتجاه» هنا هو تأثير الاعتقادات الدينية، الكلامية، الاتجاهات العصرية وأساليب كتابة التفسير، والّتي تتكوّن على أَساس عقائد واحتياجات وذوق وتخصص المفسِّر.

ومن أَهم الاختلافات بين المنهج والاتجاه هي:

١. يعتمد بحث المناهج على أَساس كيفية كشف المعنىٰ ومقصود الآية.

٢. يتشكَّل بحث المناهج على أساس المصادر والادوات التفسيرية (مثل استخدام العقل والروايات).

٣. أكثر ما يطرح في بحث «الاتجاهات» هو شخص المُفسِّر؛ أَي اعتقادات وأذواق واتجاهات شخص المُفسِّر والّتي تعطي التفسير وجهة محدَّدة، وتطبعهُ بطابع خاص.

٤. تُطرح في بحث «الاتجاهات» مسألة متن التفسير، بأي اسلوب كُتب؟ وما هي أكثر المطالب الّتي يتضمَّنها من مسائل كلاميّة، أو أدبية، أو غيرها.

ملاحظة

أستُخدمت تعابير كثيرة في مسألة المناهج والاتجاهات مثل: المناهج، المذاهب، المدارس، الاتجاهات، الألوان، الأساليب. وسوف نقوم بتعريف هذه الاصطلاحات ونبين الفروق فيما بينها والآراء حولها في بحث تقسيمات المناهج والاتجاهات.

نبذة تاريخية عن مناهج واتجاهات التفسير

ألف) النشوء والتطور

بدأ علم التفسير منذ صدر الإسلام، وكان مصدره الوحي الإلهي الذي عرَّف الرسولﷺ كمفسِّرٍ للقرآن.[1] وكان الرسولﷺ يعتمد على القرآن نفسه في التفسير، ومن هنا نشأت طريقة تفسير القرآن بالقرآن.[2] وقد تصدىٰ أهل البيتعليهم السلام والصحابة

← الاصفهاني صاحب المفردات؛ تاج العروس؛ قاموس القرآن؛ العلّامة الطباطبائي، الميزان، ج ١، ص ٤؛ السيوطي، الاتقان، ج ٢، ص ١٩٢؛ الطبرسي، مجمع البيان، ج ١، ص ١٣، وقد ذُكرت آراؤهم في كتاب در آمدى بر تفسير علمى قرآن، ص ٣٥ ـ ٣٩.

١. ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ النحل، ٤٤

٢. راجع: بحث منهج تفسير القرآن بالقرآن في هذا الكتاب.

لتفسير القرآن على ضوء المنهج السابق مع الاستفادة من المنهج الروائي، أي الاستناد إلى الروايات الصادرة عن الرسولﷺ في تفسير آيات القرآن.[1]

وهناك مجموعة أُخرىٰ تورطت بتفسير وتأويل القرآن طبقاً لميولها وبدون رعاية الضوابط والقرائن، ومن هنا نشأ التفسير بالرأي. وقد تصدّت الأحاديث الصادرة عن الرسولﷺ وأهل البيتﷺ لهذا النوع من التفسير ومنعتهُ بشدة.[2] ثم ظهرت مناهج وأساليب أُخرىٰ بين المسلمين ـ بشكل تدريجي ـ في القرن الثاني الهجري فما بعده، نتيجة ترجمة آثار وكتب اليونان وايران ونفوذ افكارهم وعلومهم.

وقد تكوَّنت الاتجاهات التفسيريِّة الكلامية بسبب ظهور المباحث الكلامية والفلسفية،[3] فكانت كل فرقة من فرق المسلمين كالاشاعرة والمعتزلة و... تفسِّر القرآن طبقاً لآرائها وعقائدها. وفي نفس هذا الاتجاه كانت الاختلافات الدينية قد بدأت في القرن الأوّل الهجري مصحوبة بالاختلافات الفقهية والّتي تركت تأثيرها على تفسير الآيات الفقهية في القرآن.

وفي القرن الثالث فما بعده، بدأت تظهر أساليب جديدة في التفسير على يد العرفاء والمتصوفة. مما ادىٰ إلى تطوَّر المنهج الإشاري في التفسير. اما محدّثو السنة والشيعة فقد اكتفوا بنقل الروايات مُحدثين بذلك المنهجوالاتجاه الروائي في التفسير والذي ظهرَ في المرحلة الأُولىٰ ـ في القرن الثالث والرابع الهجري ـ على شكل تفاسير مثل: تفسير العياشيّ، والقميّ، والطبرسي. وفي المرحلة الثانية ـ من القرن العاشر حتى القرن الحادي عشر ـ الدر المنثور والبرهان، ونور الثقلين. وخلال هذهِ الفترة؛ أي بعد المرحلة الأُولىٰ من ظهور التفاسير الروائية بدأت تظهر التفاسير الفقهية باسلوب موضوعي وعلى شكل آيات الأحكام. وبعد أَن أخذت بعض التفاسير شكلها الطبيعي مثل أحكام القرآن للجصّاص الحنفي (المتوفّى ٣٧٠هـ) واحكام القرآن المنسوب إلى الشافعي (المتوفّى ٢٠٤هـ) استمرت كتابة هذا النوع من التفاسير فيما بعد مثل أحكام القرآن للراوندي (المتوفّى ٥٧٣هـ). ثم ظهرت في القرن الخامس والسادس الهجري

---

١. راجع: بحث منهج التفسير الروائي في هذا الكتاب.
٢. أُنظر: بحث منهج التفسير بالرأي في هذا الكتاب.
٣. أُنظر: الميزان، ج ١، ص ٥.

التفاسير الجامعة الاجتهادية مثل: التبيان، ومجمع البيان؛ وذلك بالاستفادة من العقل والاجتهاد ومراعاة جميع الجوانب في التفسير، ولا تزال هذه الطريقة متداولة حتى الآن. وقد بادر بعض الفلاسفة إلى كتابة التفسير أيضاً. كما ظهرت وتطورت في القرن الأخير اساليب ومناهج جديدة في التفسير مثل طريقة التفسير العلمي والاتجاه الاجتماعي.[١]

ب) الكتابة في مجال المناهج والاتجاهات

يعتبر كتاب طبقات المفسرين من أقدم الكتب في هذا المجال، حيث تَناول فيه المؤلف ترجمة حياة المفسرين وآثارهم. ورغم انه لم يتطرق إلى بحث المناهج والاتجاهات التفسيرية لكنّه مفيد في هذا المجال، باعتباره أقدم مصدر في هذا المجال. ثم يأتي بعد ذلك كتاب مذاهب التفسير الإسلامي للمستشرق المشهور «جولد زيهر»، وقد ترجمه إلى اللغة العربية «عبد الحليم النجّار»، ويعتبر كتاب التفسير والمفسرون للدكتور الذهبي من أهمّ مصادر هذا البحث، رغم أنه تناول بحث الاتجاهات أكثر من مناهج التفسير.

ومن الكتب الأُخرى المدَّونة في هذا المجال الكتاب القيِّم: التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب لآية الله معرفة، حيث أورد فيه مطالب متنوعة في مجال الاتجاهات الأدبية، والإجتماعية، والعلمية و... وذلك تحت عنوان «الأَلوان» التفسيريَّة.

وأخيراً كتاب مبانى وروشهاى تفسير قرآن ـ بالفارسية ـ للاستاذ عميد الزنجاني، والذي اشتمل على مسائل في موضوع المناهج التفسيريَّة وان لم يتناول بحث الاتجاهات بما فيه الكفاية.

وهناك بعض الكتب الّتي تناولت هذا الموضوع من زاوية خاصة، مثل: اتجاهات التفسير في مصر في العصر الحديث للدكتور عفَّة محمد الشرقاوي، و الطبرسي ومجمع البيان للدكتور حسن كريميان، و روشهاى علّامه طباطبائى‌ؒ در الميزان ـ بالفارسية ـ للاستاذ علي الأوسي، و التفسير العلمي للقرآن في الميزان للدكتور أحمد عمر أبو حجر، و درآمدى بر تفسير علمى قرآن ـ بالفارسية ـ لكاتب السطور، حيث تناولنا فيه بعض المباحث التي تتعلق بمنهج التفسير العلمي والمعايير المستخدمة فيه، وهناك كتب أُخرى في المناهج التفسيريَّة لكلٍّ من الشيخ محمد عَبدَه، ورشيد رضا، والفخر الرازي، والزمخشري.[٢]

---

١. لقد ذكرنا بعض المصادر الّتي تتعلق بكل منهج تفسيري في آخر كل درس.
٢. لقد ذكرنا بعض المصادر الّتي تتعلق بكل منهج تفسيري في آخر كل درس.

أسباب نشوء الاتجاهات والمناهج التفسيرية

من خلال هذه المقدمة التاريخيّة، واستقراء تاريخ التفاسير والمفسرين يمكن اعتبار العوامل الآتية مؤثرة في نشوء وتطور بعض هذه المناهج والاتجاهات:

الف) طبيعة القرآن

نزل القرآن الكريم بمسائل متنوعة خلال ثلاث وعشرين‌سنة مشتملاً على مجموعة من الآيات المرتبطُ بعضها مع البعض الآخر؛ أي أن بعض الآيات يفسِّر ويوضِّح الآيات الأُخرىٰ فلا يكون التفسير كاملاً وصحيحاً ما لم تؤخذ بنظر الأعتبار الآيات والقرائن الأُخرىٰ «الناسخ، الخاص، المقيّد».[1] ومن ثمَّ فان فهم وتفسير الآيات والكلمات القرآنية يقتضي مراجعة الآيات الأُخرىٰ ـ شأن أي كتاب آخر يُراد فهمه ـ ومن هنا ظهر هذا المنهج في التفسير (تفسير القرآن بالقرآن) وقد استخدم الرسولﷺ وأهل البيتعليهم السلام هذه الطريقة في التفسير وأرشدونا إلى استخدامها.

ب) الأمر القرآني

لقد جاء في الذكر الحكيم أنّ النبي الأكرمﷺ هو المبَيِّن والمفسِّر للقرآن؛[2] أي أن كلام واعمال النبيﷺ فيما يتعلق بالآيات يعتبر تفسيراً للقرآن وحجة على الناس، ويمكن أن يكون أساس فهم الآيات والعمل بها. إنّ هذا الأمر القرآني هو السبب في نشوء المنهج والطريقة الروائية في النفسير: أي أنّ المسلمين أخذوا يعتنون كثيراً بالروايات الصادرة عن الرسولﷺ وأهل البيتعليهم السلام من بعده وجمعوها في كتب الروايات التفسيرية واستخدموها في فهم وتفسير القرآن.

ج) اعتقادات وآراء المفسرين (نشوء المذاهب والمدارس)

ظهرت بعد وفاة النبيﷺ الفرق والمذاهب المختلفة كالشيعة والسنة، ومن بين أهل السنة ظهرت المذاهب الفقهية (الحنفية، الحنبلية، المالكية والشافعية) ونشأت المدارس الكلاميّة المشهورة كالمعتزلة والأشعريّة، إضافة إلى ظهور فرق أُخرى كالمتصوفة مثلاً

---

١. أُنظر: بحث منهج تفسير القرآن بالقرآن في هذا الكتاب.

٢. ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ النحل، ٤٤

وقد امتد الاختلاف إلى ساحة القرآن وتفسيره وقد سعت كل فرقة ومذهب إلى تفسير آيات القرآن بما يُثبت عقائدها وآراءها، وقامت بتأويل الآيات المخالفة وابعاد الطرف الآخر بنفس هذه الطريقة.[١] نرى ذلك في تفسير الآيات المرتبطة ببحث الجبر والتفويض في مذهب الاشاعرة والمعتزلة (مثال ذلك التفسير الكلامي في التفسير الكبير للفخر الرازي، وتفسير أبن كثير، وتفسير البيضاوي).

د) الاعتماد على الرأي والعقائد الشخصيَّة

اتجه بعض الأَفراد إلى تفسير القرآن طبقاً لآرائهم الشخصيَّة وأهوائهم النفسيَّة، أو من أَجل الدفاع عن مذهب معين دون الأخذ بنظر الاعتبار بالقرائن النقلِّية والعقلِّية. وقد سُمّي هذا النوع من التفسير بـ «التفسير بالرأي» حيث إتّخذ طابعاً منهجياً بصورة تدريجيَّة، وقد شدّدت الروايات على ذمّه والنهي عن الخوض فيه.[٢]

هـ) نفوذ افكار وعلوم غير المسلمين إلى الساحة الإسلامية

بدأت حركة الترجمة لكتب اليونان وإيران في القرن الثانيالهجري وذلك في مجال العلوم العقليّة والتجريبيّة؛ مما سبب نمو العلوم الطبيَّة ونشوء الفلسفة بين المسلمين.[٣] وقد امتدَّت جذور الاتجاه الفلسفي في تفسير آيات القرآن. ويمكن أن نجد نماذج من تأثير العلوم التجريبيَّة في كتب ابن سينا. ثم تبدّل هذا الأسلوب إلى حركة قويَّة[٤] وظهرت تفاسير جديدة اعتماداً على ذلك، مثل الجواهر في تفسير القرآن الكريم للطنطاوي.

و) اختلاف المصادر وأدوات التفسير

أحد العوامل المؤثرة في نشوء وتطور طرق التفسير هو استفادة المفسرين من مصادر وادوات مختلفة في تفسير القرآن. فبعض المفسرين استفاد من العقل أكثر من غيره واتجه إلى المنهج العقلي والاجتهادي في تفسير القرآن في حين أكثر بعضهم من

---

١. نبّه العلّامة الطباطبائي إلى هذا العامل في تفسير الميزان، ج ١، ص ٥، ٦، واطلق على هذه الطريقة «التطبيق».

٢. أُنظر: بحث «منهج التفسير بالرأي» في هذا الكتاب.

٣. لقد أشار العلّامة الطباطبائي إلى هذه المسألة في تفسير الميزان، ج ١، ص ٥، ٦، واطلق عليه (التطبيق) وكذلك الاستاذ عميد الزنجاني ذكر هذه المسألة في مبانى وروشهاى تفسير قرآن، ص ١٧٥.

٤. أُنظر: بحث منهج التفسير العلمي والاتجاه الفلسفي في هذا الكتاب.

الروايات في التفسير واتجه إلى المنهج والطريقة الروائية مثل تفسير نور الثقلين و الدر المنثور، بينما نجد هناك من استخدم العلوم التجريبيّة في تفسير القرآن واتجه إلى طريقة ومنهج التفسير العلمي، مثل الجواهر للطنطاوي، وهناك من اختار المنهج الإشاري والاتجاه العرفاني والصوفي في التفسير؛ لأنهم إستفادوا من المكاشفات العرفانيّة في التفسير، مثل تفسير كشف الاسرار للميبدي.

إن الاستفادة من هذه المصادر والادوات يعطي نتائج خاصة في التفسير، وقد أدّت إلى ظهور وتطور المناهج والاتجاهات التفسيريَّة.

ز) الاتجاهات العصرية للمفسرين

أحد العوامل المؤثرة في نشوء الاتجاهات التفسيريّة هو الرغبة والحاجة والضرورة الزمانية للمفسر. فمثلاً قد يعيش أَحد المفسرين في بلد تخيّم عليه أجواء الحرب مع إسرائيل فيتخذ تفسيره طابعاً حماسياً وجهادياً، أو قد يعيش في بلد تكون الحاجة فيه ضرورية للمسائل المعنوية والأَخلاقيَّة والتربويَّة؛ وحينئذٍ تصبغ هذه المسائل تفسيره بلونٍ خاص. وقد يتجه المفسِّر إلى الاتجاه الإجتماعي من أجل حل المشكلات الاجتماعيَّة والتربويَّة (مثل تفسير في ظلال القرآن لسيد قطب وتفسير نمونه ـ الأمثل ـ لآية الله مكارم الشيرازي).

ح) تخصُّص المفسِّر ورغبتهُ في علم من العلوم

احد العوامل المؤثرة في ميل المفسر إلى اسلوب من اساليب التفسير هو تخصّص المفسر ورغبتهُ في علم من العلوم، فقد يكتب أحد المفسّرين تفسيراً أدبيَّاً بسبب تخصصه في العلوم الأَدبيَّة (مثل الكشّاف للزمخشري). وربّما يكون تخصصهُ في الكلام فيترك تفسيراً كلامياً (مثل التفسير الكبير للفخر الرازي) وقد يكون المفسّر مولعاً بالعلوم التجريبيّة فيكون تفسيرهُ ذا طابع تجريبي (مثل الجواهر للطنطاوي).

ط) اسلوب الكتابة

قد يرغب بعض المفسرين باختيار اسلوب خاص في كتابة تفسيره فتتعدد التفاسير تبعاً لذلك، فهناك التفسير الترتيبي، والموضوعي، والمزجي، والمختصر، والمفصّل، والجامع، وغير الجامع. فجميع هذه الطرق تتعلق باسلوب الكتابة وطبيعة ذوق المفسِّر.

مُلاحظة

هذه أهم العوامل المؤثرة في نشوء المناهج والاتجاهات التفسيرية. وربّما يمكن ادغام بعضها مع البعض الآخر، أوقد توجد عوامل واسباب أُخرىٰ. فما ذكرناه هو خلاصة هذه المباحث، ويقع التفصيل علىٰ عاتق المحققين.

تقسيم المناهج والاتجاهات التفسيرية

لقد قُسِّمت المناهج والاتجاهات التفسيرية تقسيمات متعددة من جهات مـ ختلفة، وسوف نقوم باختيار التقسيم المناسب ثم نشير إلى الآراء الأُخرى في هذا اا جال.

١. تقسيم المناهج

يمكن تقسيم مناهج تفسير القرآن إلى قسمين رئيسيين وأقسام فرعية أُخرىٰ علىٰ أَساس كيفيّة استخراج معاني ومقاصد القرآن وكذلك المصدر المستخدمِ في التفسير.

ألف) المناهج التفسيريّة الناقصة

١. منهج تفسير القرآن بالقرآن.

٢. منهج التفسير الروائي (التفسير على أساس السنّة).

٣. منهج التفسير العلمي (باستخدام العلوم التجريبيّة في فهم القرآن).

٤. منهج التفسير الإشاري (العرفاني، الصوفي، الباطني، الرمزي، الشهودي).

٥. منهج التفسير العقلي والاجتهادي.

٦. منهج التفسير بالرأي (المنهج الممنوع في تفسير القرآن).

ب) المنهج الكامل في التفسير

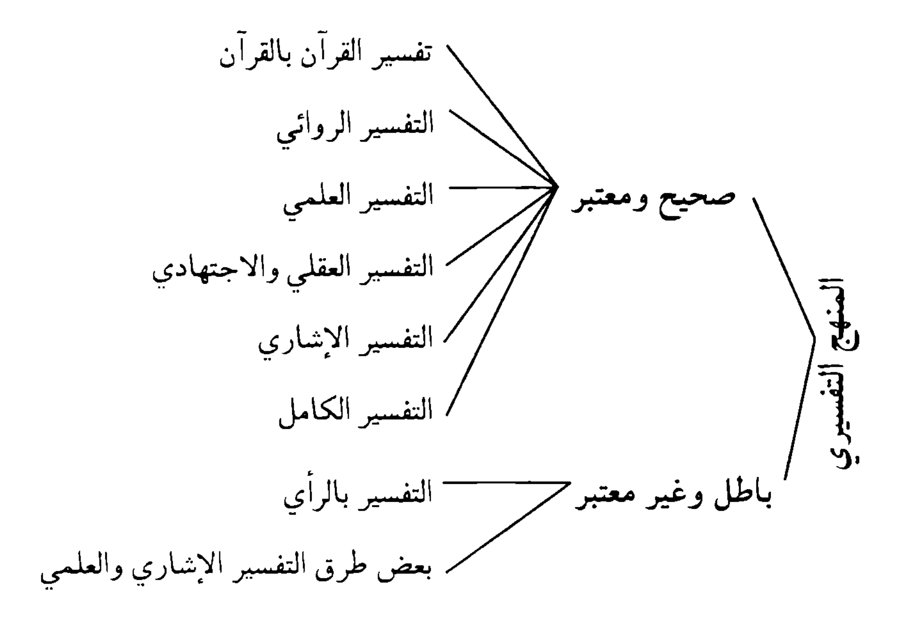
المقصود بذلك هو المنهج الذي يستفيد من جميع هذهِ الطرق (المناهج المذكورة سابقاً) لكي يتبيَّن مقصود الآيات بصورة كاملة من جميع الجوانب.

إن التفسير الصحيح والمعتبر هو الذي يستفيد من جميع هذه المناهج (الخمسة) في مكانها المناسب. وقد لا يكون هناك استخدام لبعض المناهج في بعض الآيات فمثلاً قد لا توجد رواية في تفسير بعض الآيات أو لا توجد إشارة علميَّة (العلوم التجريبية)

في بعض الآيات. فإذن المنهج الكامل المستخدم في مورد تلك المجموعة من الآيات هو الذي يمكن أن يستفيد ـ قدر الامكان ـ من المناهج المناسبة والمتعددة، ومن الطبيعي ان عدد المناهج المستخدمة يرتبط بالآية وإمكانية الاستفادة من المناهج الصحيحة في هذا المجال.

ملاحظة

إنّ التفسير بالرأي لا يعتبر تفسيراً صحيحاً ومعتبراً؛ وفي الحقيقة لا يعتبر تفسيراً للقرآن (سيأتي بيانه في بحث التفسير بالرأي). فذكره بين أنواع المناهج التفسيرية هو من أجل رَدِّهُ والتنبيه على خطره؛ أي أننا إذا تعرّضنا للمناهج التفسيرية بصورة عامّة (أعم من كونها صحيحة أو خاطئة)، فحينئذ سيدخل التفسير بالرأي في نطاقها، وهناك تقسيم آخر على أساس اعتبار وعدم اعتبار هذهِ المناهج وهو عبارة عن:



وسوف نقوم بدراسة وبحث كل من هذه المناهج وأقسامها الفرعية وكيفية اعتبارها فيما بعد.

٢. تقسيم الاتجاهات التفسيرية

يمكن تقسيم الاتجاهات التفسيرية إلى أقسام فرعية على أساس الاعتقادات، والأفكار، والاتجاهات العصريّة، وطريقة الترتيب، والذوق والتخصص العلمي للمفسرين، وإليك البيان:

ألف) المذاهب التفسيرية

فسَّرَ أصحاب المذاهب الإسلامية آيات القرآن على أساس العقائد الّتي يؤمنون بها فربما يختار المفسِّر في تفسيره أحد المذاهب، أو يتخذ طريقة خاصة. فمثلاً اعتنى مفسرو الشيعة ـ طبقاً لإرشادات أئمتهم ـ بظاهر وباطن القرآن والآيات المتعلقة بأهل البيت، فقد راعوا عصمة الأنبياء في تفسيرهم لآيات القرآن و...

ومن هنا نشأ اسلوب خاص في التفسير. كما لجأت الفرقة الإسماعيلية إلى التفسير الباطني والرمزي، أما الخوارج فلهم اسلوبهم الخاص في التفسير. وعلى هذا فقد اتخذ كل منهما مذهباً خاصاً في التفسير، ويمكن أن نلحق تفاسير الصوفية بالمذاهب التفسيرية كذلك.

ب) المدارس التفسيرية (الاتجاهات الكلامية)

أقدمَ بعض أصحاب المدارس الكلامية كالمعتزلة والأشاعرة ومتكلمي الشيعة على تفسير القرآن على أساس ميولهم الفكرية، فمثلاً كتب الزمخشري تفسيره الكشّاف باسلوب كلامي.

ج) الأَلوان التفسيرية

ذهب المفسرون الذين لهم تخصص أو اهتمام بعلم من العلوم إلى كتابة تفاسيرهم على أساس ذلك التخصّص أو الاهتمام؛ فأكثروا من طرح المباحث الّتي تخصصوا بها. ومن هنا ظهرت اتجاهات وألوان تفسيرية متعددة منها: اللون الأدبي، الفقهي، الاجتماعي، العرفاني، الأخلاقي، التاريخي و...

د) الاتجاهات العصرية في التفسير

قد يذهب بعض المفسرين إلى أحد الاتجاهات في التفسير نتيجة للظروف المحيطة به ونتيجة لعامل الاحتياج والضرورة، فربما تكون المسائل المعنوية والتربوية والأخلاقية

من أهم المسائل في عصر المفسِّر؛ فيتوجه إلى الآيات الاخلاقية والمعنوية في تفسيره بصورة أكثر من غيرها (كما هو الحال في تفسير في ظلال القرآن و...).

وربما تكون عناية المفسر بالأُمور الجهادية والسياسيِّة ومناهضة الاستبداد فتحدو به هذه العناية إلى التركيز على الآيات المتعلقة بهذا الموضوع أكثر من غيرها (مثل تفسير المبين لمحمد جواد مغنية).

وقد يكون هَمّ المفسِّر هو الوحدة الإسلامية والتقريب بين المذاهب، فيأخذ تفسيره مثل هذا الطابع.

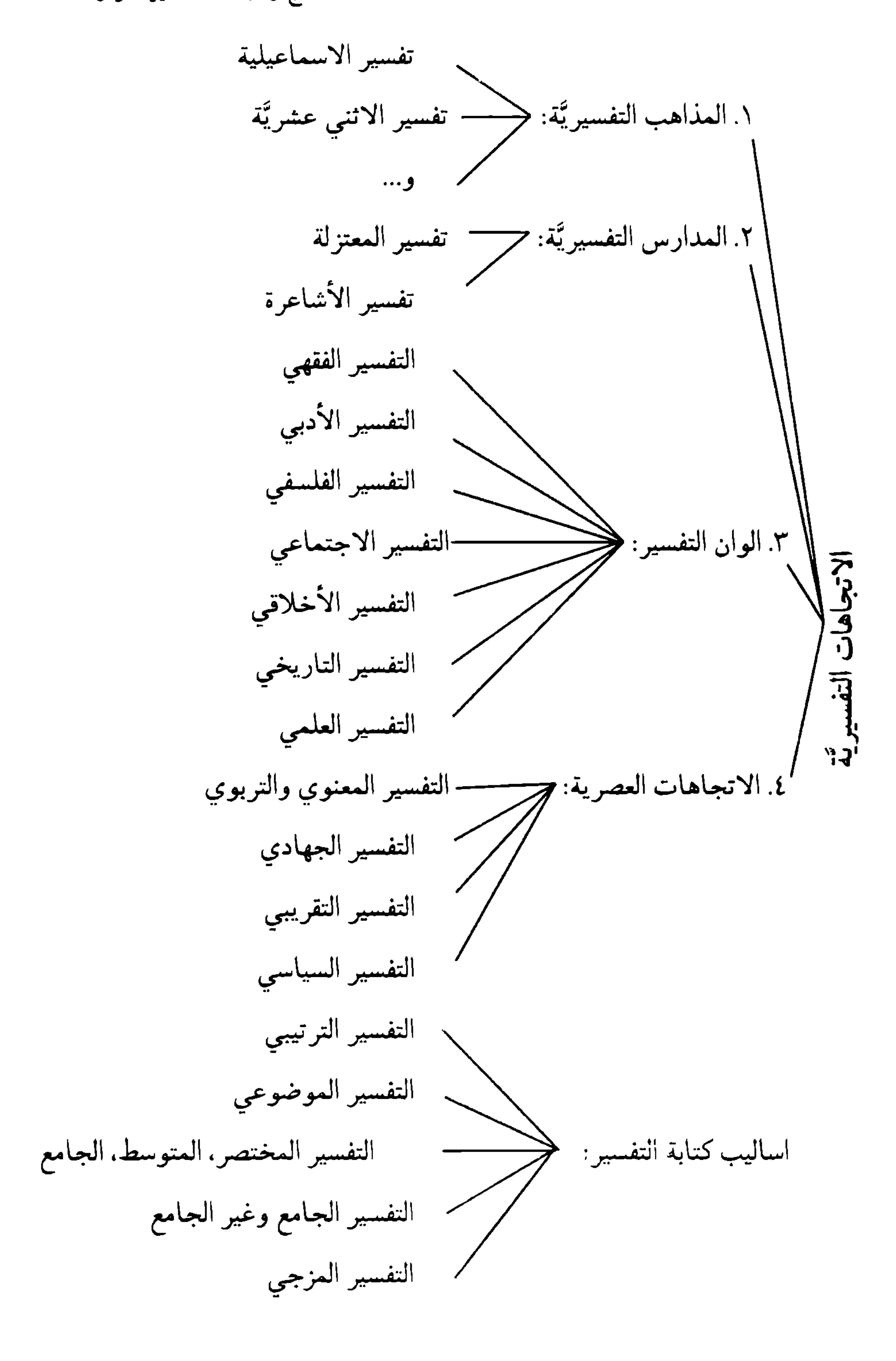
ملاحظة حول طرق كتابة التفسير

يختلف اسلوب الكتابة عند المفسرين؛ فهي تتفاوت على أساس الذوق ومراعاة حال المخاطب.

فقد يكون التفسير ترتيبيّاً؛ أي تفسير القرآن آية آية ومن أوّله إلىٰ آخره، كما هو الحال في تفسير (الميزان، والأمثل، ومجمع البيان). أو قد يكون موضوعيّاً فيختار المفسِّر أحد المواضيع ويجمع كل ما يتعلق به في جميع الآيات والسور ثم يخرج بنتيجة معيّنة مثل (تفسير پيام قرآن، لآية الله مكارم الشيرازي؛ ومنشور جاويد لآية الله السبحاني و...).

وربّما يُكتَب التفسير بصورة مختصرة أو متوسطة أو مفصلة؛ أي من حيث الحجم والكميَّة كما هو الحال في التفاسير الأصفىٰ و المصفّى و الصافي للمرحوم الفيض الكاشاني، وكذلك التفاسير الوجيز و الجوهر الثمين و صفوة التفاسير للمرحوم عبد الله شبّر، وأيضاً التفاسير الثلاثة للمرحوم الطبرسي وهي: جوامع الجامع و مجمع البيان و الكاف الشاف، فالأَول مختصر والثاني متوسط والثالث مفصّل. وربما يأتي التفسير على شكل متن وشرح فتكون الآية متناً والتفسير شرحاً للآية، وقد يختلط التفسير بالآيات بصورة مزجيَّة مثل تفسير شُبَّر ونفحات الرحمن للنهاوندي.

وفي بعض الأحيان يكون التفسير شاملاً لجميع آيات القرآن مثل مجمع البيان، وأُخرىٰ ناقصاً ومُشتملاً علىٰ سورة واحدة أو عدد من السور، أو حتى مجموعة من السور مثل تفسير أحكام القرآن للراوندي الذي يشتمل على الآيات الفقهية فقط وتفسير آلاء الرحمن للبلاغي وهو تفسير ناقصٌ. ثم إنّهُ قد يكون التفسير جامعاً (علوم قرآن، لغة، أدب، أقوال وروايات) وقد يكون مختصاً بفن من الفنون مثل (التفاسير الروائية أو الأدبيَّة).


الاتجاهات التفسيريّة
١. المذاهب التفسيريّة:
تفسير الاسماعيلية
تفسير الاثني عشريّة
و...
٢. المدارس التفسيريّة:
تفسير المعتزلة
تفسير الأشاعرة
٣. الوان التفسير:
التفسير الفقهي
التفسير الأدبي
التفسير الفلسفي
التفسير الاجتماعي
التفسير الأخلاقي
التفسير التاريخي
التفسير العلمي
٤. الاتجاهات العصرية:
التفسير المعنوي والتربوي
التفسير الجهادي
التفسير التقريبي
التفسير السياسي
اساليب كتابة التفسير:
التفسير الترتيبي
التفسير الموضوعي
التفسير المختصر، المتوسط، الجامع
التفسير الجامع وغير الجامع
التفسير المزجي

الملاحظة (١): قد توجد هُناك تقسيمات أُخرى أيضاً، وربّما تتداخل هذه المصطلحات بعضها مع البعض الآخر، أو قد يكون هُناك خلط بين المناهج والاتجاهات، ولكننا نرىٰ ان ما ذكرناهُ هو الأصح. وسوف نستمر في بيان الآراء الأُخرىٰ في هذا المجال ثم نقوم بمناقشتها بعد ذلك.

الملاحظة (٢): قد تعتبر بعض طرق التفسير جزءاً من مناهج التفسير من جانب ومن الاتجاهات من جانب آخر. فالتفسير العلمي مثلاً قد يكون من المناهج فيما إذا استخدمت العلوم في فهم القرآن وأعطت نتائج مشخَّصة وجديدة، وأُخذت كمصدر في التفسير. اما إذا اقتُصِر على مجرد نقل مسائل العلوم التجريبية في التفسير (كالجواهر للطنطاوي) فهنا يلحق هذا النوع من التفسير بالاتجاهات وليس بالمناهج. وهذه المسألة تصدق على التفسير الإشاري (العرفاني والباطني) أيضاً كما سيأتي في البحوث الآتية بصورة واضحة.

الملاحظة (٣): ان هذه المناهج والاتجاهات يكمِّل بعضها بعضاً، فلا يعني القبول بأحدها نفي الآخر. نعم؛ هناك منع من بعض المناهج كالتفسير بالرأي وبعض الطرق الفرعية للمنهج الإشاري والعلمي كما سيأتي فيما بعد.

٣. آراء المتخصصين في تقسيم المناهج والاتجاهات

تعتبر هذه المباحث من العلوم الجديدة في مجال تفسير القرآن، وهي في حالة نمو وتطور، وفي كل سنة تُحرّر مقالات وتُدوَّن كتب عديدة في هذا المجال، وتطرح آراء جديدة. فلا مانع من وجود بعض النواقص في تقسيم المتخصصين في هذا المجال، باعتبارهم أصحاب الخطوة الأولى في هذا المجال، ونحن نشير هنا إلى أهم وأشهر هذه التقسيمات:

الف) تقسيم جولدزيهر[1]

تناول هذا المستشرق التفسير بالمأثور أوّلاً، ثم التفسير بالرأي.وذكر الروايات الواردة في مذمته. وبعد ذلك قسّمَ التفسير على ضوء العقائد؛ فذكر طريقة المعتزلة في التفسير

١. Ignaz Goldziher (١٨٥٠ـ١٩٢١م) مستشرق يهودي مَجريّ، دَرسَ في بودابست، وبرلين، والازهر في مصر. (أُنظر: عبد الرحمن بدوي، فرهنگ كامل خاورشناسان، ص ٣٣٦، ترجمة: شكر الله خاكرند).

ونماذج من كلامهم، وفي فصل آخر تناول طريقة الصوفية في التفسير والمنهج الإشاري وتأثرهم بـ(فيلون)، ثم ذكر تفسير إخوان الصفا والإسماعيلية الباطنية. وفي فصل آخر قسّم التفسير على ضوء الفرق الدينية. فذكر تفسير الشيعة، الخوارج، الغُلاة و... وأخيراً ذكر التفاسير الجديدة في العالَم الإسلامي: منهج سيد أمير علي في الهند بعنوان المعتزلة الجُدد، ومنهج سيد جمال الدين الأفغاني والحركة الجديدة في مصر ومنهج محمد عبده صاحب المنار.[١]

المناقشة

المستشرق المذكور هو أحد المبدعين لهذا البحث وهو أول من خطا الخطوات الأولى في هذا البحث ومع هذا فإنّ كتابه لا يخلو من إشكال؛ فليس هناك نظام منطقي حاكم على هذه المباحث، ولم يتناول بحث المناهج (مثل منهج التفسير بالمأثور) والاتجاهات بصورة كاملة، بالإضافة إلى أنّه لم يتعرض إلى بعض المناهج.

ب) تقسيم الدكتور الذهبي

بعد ان تناول التطور التأريخي للتفسير من عصر النبيﷺ فما بعده، قام الذهبي بتقسيم التفسير إلى فرعين رئيسيين، وهما:

١. التفسير بالمأثور (الروائي).

٢. التفسير بالرأي.

ثم قسّم التفسير بالرأي إلى فرعين أيضاً: ممدوح (التفسير العقلي) ومذموم.[٢] ثم اعتبر التفسير بالرأي المذموم هو تفسير الفرق والمذاهب وهي:

١. تفسير المعتزلة.

٢. تفسير الشيعة (الاثني عشرية).

٣. تفسير الشيعة (الإسماعيلية).

٤. تفسير الشيعة (الزيدية).

---

١. جولدزيهر، مذاهب التفسير الإسلامي، ترجمة: الدكتور عبد الحليم النجّار

٢. التفسير والمفسرون، ج ١، ص ٢٥٥ ـ ٢٨٤

٥. تفسير البابيّة والبهائية.

٦. تفسير الخوارج.

٧. تفسير الصوفية (التفسير الإشاري).

٨. تفسير الفلاسفة.

٩. تفسير الفقهاء.

١٠. التفسير العلمي (العلوم والفلسفة).

١١. الاساليب التفسيرية في العصر الجديد (مثل التفسير العلمي، التفسير المذهبي، التفسير الإلحادي، التفسير الاجتماعي و...).[١]

مناقشة

يبدو ان تقسيم الدكتور الذهبي لا يمتع بنظام منطقي؛ لأنّه يستخدم التفسير النقلي (المأثور) في مقابل التفسير العقلي والاجتهادي، بالاضافة إلى ان تقسيم التفسير بالرأي إلى ممدوح ومذموم غير صحيح، وسيأتي بيان ذلك في بحث منهج التفسير بالرأي والمنهج العقلي في التفسير، كما أنّه خلط في تقسيمه المذكور بين المذاهب التفسيرية والمدارس؛ لأن فرق الشيعة تقع في قبال فرق أهل السنة وليس في مقابل الفرق الكلامية (مثل المعتزلة)، إلّا إذا كان المقصود بالشيعة هم متكلمو الشيعة.

ج) تقسيم آية الله معرفة

قَسّم سماحة الشيخ معرفة التفسير إلى فرعين:

أ) التفسير بالمأثور ويشمل:

١. تفسير القرآن بالقرآن.

٢. تفسير القرآن بالسنّة.

٣. تفسير القرآن بأقوال الصحابة.

٤. تفسير القرآن بأقوال التابعين.

---

١. المصدر السابق، ج ١، ص ٢، ٣

ب) التفسير الاجتهادي (أي على أساس النظر والإستدلال العقلي):

ثم ذكر ان هذه الطريقة التفسيرية (الاجتهادي) تقسّم على أساس القدرة العلميّة وأنواع العلوم الّتي يمتلكها المفسرون إلى ألوان مختلفة:

١. اللون المذهبي.

٢. اللون الكلامي.

٣. اللون الصوفي العرفاني (الباطني).[١]

٤. اللون الفلسفي.

٥. اللون اللغوي والأدبي.

٦. التفسير الفقهي (آيات الأحكام).

٧. التفاسير الجامعة.[٢]

٨. التفسير العلمي.

٩. التفسير الاجتماعي.

المناقشة

يعتبر هذا التقسيم أفضل من تقسيم الدكتور الذهبي بكثير، ولكنه اعتبر طُرق التفسير العلمي والعرفاني (الإشاري) من الألوان التفسيرية في حين يمكن ان نعدّها من المناهج ومن الألوان أيضاً كما أشرنا إلى ذلك سابقاً، وسوف يأتي بحثها بصورة مفصّلة، كما أنّه فإنّه وضع التفسير المذهبي ضمن الألوان التفسيرية،[٣] وفي مكانٍ آخر اعتبره جزءاً من الألوان الكلامية.[٤]

د) تقسيم الاستاذ عميد الزنجاني

قام الاستاذ الزنجاني بتقسيم المناهج إلى عدة أقسام:

١. المنهج النقلي في التفسير أو التفسير بالمأثور.

---

١ التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب، ج ٢، ص ١٨ ـ ٢٧

٢ نفس المصدر، ج ٢، ص ٣٩٤ وما بعدها

٣. المصدر السابق، ص ١٨

٤ المصدر السابق، ص ٣٥٣

٢. منهج التفسير بالرأي.

٣. منهج التفسير الاجتهادي أو العقلي.

٤. منهج التفسير الإشاري.

٥. منهج التفسير الرمزي (والشهودي).

٦. منهج تفسير القرآن بالقرآن.

٧. منهج التفسير الجامع (على أساس الكتاب والسنة، والإجماع والعقل).

٨. منهج تفسير الهرمنيوطيقا.

المناقشة

يعتبر الأستاذ الزنجاني من المتقدمين في طرح هذهِ المباحث (المناهج التفسيرية)، وقد أضيف أخيراً بحث منهج تفسير الهرمنيوطيقا إلى الكتاب في طبعته الجديدة وهو ما يستحق التقدير ولكن هناك عدة نقاط في هذا التفسير تدعو للتأمل في هذا التقسيم:

١. اعتبر مناهج التفسير الإشاري، والرمزي، والشهودي؛ ثلاثة مناهج مستقلة[1] بعضها عن البعض الآخر، بينما هي أنواع لمنهج واحد، كما سيأتي بيانه في بحث منهج التفسير الإشاري.

٢. يعتبر «التفسير بالمأثور» أعم من التفسير الروائي وتفسير القرآن بالقرآن في حين نجده استخدم هذا الاصطلاح في معنى خاص؛ أي التفسير الروائي.

٣. لم يتناول بحث الاتجاهات التفسيريَّة الّا بصورة مقتضبة خلال الـ...

٤. لم يتناول «منهج التفسير العلمي» بصورة مستقلة ومناسبة الّا بصوره هامشيه وناقصة، بالإضافة إلى اعتباره هذا المنهج جزءاً من التفسير بالرأي.

هـ) تقسيم محمد علي الصغير

قسَّم الصغير مناهج تفسير القرآن إلى ما يلي:

أوّلاً: النوع الشائع الذي يكون مورد قبول المحققين والذي عادةً ما يتضمّن المنهج

---

١. ذكر المنهج الإشاري والرمزي في الفهرس وأضاف إليهما المنهج الشهودي في متن الكتاب.

الأَثري اللغوي، المعجمي، الأَدبي.

ثانياً: القسم الحادث مما لا منع منه والذي يشمل: التفسير الاحتجاجي، الكلامي، الفلسفي، العرفاني، والعلمي.

ثالثاً: التفسير المنهي عنه كالتفسير الرمزي للصوفية والباطنيَّة والتفسير بالرأي.[1]

و) تقسيم خالد بن عثمان السبت:

قسَّم السبت مناهج التفسير بهذه الطريقة:

١. تفسير القرآن بالقرآن.

٢. تفسير القرآن بالسنّة.

٣. تفسير القرآن بأقوال الصحابة.

٤. تفسير القرآن بأقوال التابعين.

٥. تفسير القرآن باللغة.

٦. تفسير القرآن بالرأي.[2]

المناقشة

لم يذكر بعض المناهج التفسيرية، إضافةً إلى وجود الخلط بين المناهج والاتجاهات.

ز) تقسيم الشيخ خالد عبد الرحمن العك

بعد أن ذكر أنَّ أفضل مناهج التفسير هو تفسير القرآن بالقرآن، قام بتقسيم مناهج التفسير بالنحو التالي:

١. التفسير النقلي (التفسير بالمأثور):
- ١. تفسير القرآن بالقرآن.
- ٢. تفسير القرآن بروايات النبيﷺ.
- ٣. تفسير القرآن بأقوال الصحابة.
- ٤. تفسير القرآن بأقوال التابعين.

١. محمد حسين علي الصغير، دراسات قرآنية، المبادئ العامة لتفسير القرآن الكريم، ص ٧٧

٢. خالد بن عثمان السبت، قواعد التفسير، ج ٢، ص ١٠٤ وما بعدها

٢. التفسير اللغوي.

٣. التفسير العقلي والاجتهادي.

٤. التفسير الإشاري:
- ١. التفسير بالاشارات الخفيَّة (تفسير الصوفية الذي يقوم على أساس الكشف والشهود).
- ٢. التفسير بالإشارات الجليَّة (تفسير الآيات العلميَّة للقرآن).

٥. الاتجاهات المنحرفة في التفسير:
- ١. المنهج الكلامي ـ الفلسفي.
- ٢. المنهج الفلسفي ـ الصوفي.
- ٣. منهج الغلاة المتعصبين.
- ٤. منهج التفسير السياسي للقرآن.
- ٥. منهج المتطرفين في التفسير العلمي.
- ٦. تفسير مدّعي التجديد.
- ٧. التفسير بالروايات الإسرائيلية.[1]

المناقشة

خلط بين الاتجاهات والمناهج، ووضع التفسير اللغوي إلى جانب التفسير العقلي، واعتبر التفسير العلمي جزءاً من التفسير الإشاري (إلى جانب التفسير الصوفي والعرفاني) وأورد بعض الألوان التفسيرية بعنوان الاتجاهات العصريَّة.

---

١. خالد عبد الرحمن العك، اصول التفسير وقواعده، ص ٧٧ ـ ٢٦١

الخلاصة

يمكن الخروج من هذا الدرس بالنتائج التالية:

١. يحظىٰ منهج تفسير القرآن بأهميَّة خاصّة؛ فالإحاطة بهذا البحث يجعل المفسِّر قوياً في التفسير وان كان هذا العلم مازال في طور النمو والتحول.

٢. تتعلق مناهج التفسير بالمصادر والأدوات وكيفيَّة استخراج معاني ومقاصد الآيات، اما الاتجاهات التفسيرية فتتعلق بذوق وعقائد وعلوم المفسر واسلوب الكتابة.

٣. بدأت بعض المناهج بالظهور في عهد الرسولﷺ، وقد ظهرت وتطورت اساليب ومناهج جديدة في القرن الثاني الهجري نتيجة لعوامل مختلفة.

٤. العوامل المؤثرة في نشوء وتنوع المناهج والاتجاهات التفسيرية عبارة عن: طبيعة القرآن، الأمر القرآني باتباع النبيﷺ باعتباره مفسِّراً للقرآن، اعتقاد المفسرين، الآراء الشخصيَّة، نفوذ افكار غير المسلمين في الأوساط الإسلامية، اختلاف المصادر والوسائل،الاتجاهات العصرية، تخصص المفسِّر في علوم خاصة، أسلوب الكتابة عند المفسرين.

٥. تقسَّم المناهج التفسيرية إلى طريقتين: ناقصة وكاملة؛ والمناهج الناقصة ستة أقسام: القرآن بالقرآن، الروائي، العلمي، الإشاري، العقلي، الاجتهادي، والتفسير بالرأي. وعلىٰ رأي آخر تقسّم إلى طريقتين: معتبرة وغير معتبرة.

٦. قُسِّمت الاتجاهات التفسيرية على النحو التالي:

المذاهب التفسيرية الّتي تتكوَّن على أساس اعتقادات المفسّر المذهبيّة.

المدارس التفسيرية الّتي تتكوَّن على أساس أراء المفسر الكلامية.

الأساليب التفسيريَّة الّتي تقوم على أساس تخصص المفسر في علم من العلوم، الاتجاهات العصرية.

٧. أساليب كتابة التفسير متنوعة (ترتيبي، موضوعي، و...).

٨. لقد قمنا ببيان ونقد آراء المتخصصين في هذا المجال حول تقسيم المناهج ومن جملتهم: جولد زيهر، الدكتور الذهبي، آية الله معرفة، الأستاذ عميد الزنجاني.

الاسئلة

١. بيِّن أهمية مناهج تفسير القرآن.

٢. عرف كلاً من المنهج والاتجاه والاختلاف بينهما.

٣. متى بدأت المناهج والاتجاهات بالظهور؛ بيِّن ذلك؟

٤. ما هو دور اعتقادات المفسرين في ظهور الاتجاهات التفسيرية؟

٥. اذكر خمسة عوامل مؤثرة في ظهور الاتجاهات والمناهج مع ذكر مثال لكل عامل من العوامل.

٦. عدّد المناهج التفسيرية الكاملة والناقصة وميِّز بين المعتبر وغير المعتبر.

٧. عدّد انواع الاتجاهات مع ذكر مثال لكل منها.

٨. ما هو الفرق بين المذاهب والمدارس التفسيريَّة؟

٩. ما هو الفرق بين الأساليب التفسيريَّة والاتجاهات العصرية للمفسرين؟ وضح ذلك مع ذكر مثال؟

١٠. ما هي أساليب كتابة التفسير؟ اذكر ذلك مع الامثلة؟

١١. هل إن القبول بأحد المناهج أو الاتجاهات يمنع من الأخذ بمناهج أُخرى؟ لماذا؟

١٢. اذكر التقسيم الذي ذكره الذهبي مع النقد.

١٣. اذكر التقسيم الذي ذكره عميد زنجاني مع النقد.

بحوث جديدة

يمكن للمحققين اختيار الموضوعات التالية بعنوان موضوع تحقيقي، وكتابة مقالة في هذا الشأن.

١. بيان التعريفات المختلفة من قبل المتخصصين في شأن المنهج والاتجاه مع النقد.

٢. تأثير علوم اليونان وايران في نشوء المناهج والاتجاهات مع ذكر نماذج تأريخية ملموسة ومناقشتها.

٣. بحث وتحقيق دور الفلاسفة، المعتزلة، الأشاعرة. والمتصوفة، في نشوء الاتجاهات التفسيرية. واثبت ذلك مع ذكر نماذج تأريخية.

٤. مناقشة ونقد آراء الاستاذ عميد زنجاني في أسباب نشوء مناهج التفسير في كتابه مبانى وروشهاى تفسير قرآن.

٥. دراسة في طرق كتابة التفاسير وتقلباتها على مدى التأريخ مع بيان أقسام أُخرى لم تُذكر في الكتاب.

٦. القيام بتحقيق ميدانيّ حول عدد تفاسير الشيعة بمختلف المناهج والإتجاهات (علىٰ أساس كتاب طبقات المفسرين للدكتور عقيقى بخشايشى) وارسم ذلك بمخطط بياني.

٧. القيام بتحقيق حول المذاهب والمدارس التفسيرية.

٨. استعراض التقسيمات حول المناهج واتجاهات التفسير في الكتب الأُخرىٰ مع النقد.

للمزيد من المطالعة تراجع المصادر التالية

ذكرنا في آخر الكتاب قائمة ودليلاً بالكتب الّتي تتعلق بالمناهج وألوان التفسير. أمّا المصادر التالية فهي متيسرة ومفيدة في هذا المجال:

١. طبقات المفسرين، جلال الدين السيوطي (م ٩١١هـ).

٢. مذاهب التفسير الإسلامي، جولدزيهر وترجمة عبد الحليم النجّار.

٣. التفسير والمفسرون، الدكتور الذهبي في ثلاث مجلدات.

٤. التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب، آية الله معرفة، وهو في مجلدين.

٥. مبانى وروشهاى تفسير قرآن، الاستاذ عميد الزنجاني.

٦. در آمدى بر تفسير علمى قرآن، الدكتور محمد علي رضائي الأصفهاني.

٧. أُصول التفسير وقواعده، الشيخ خالد عبد الرحمن العك.

٨. مناهج التفسير، الدكتور مصطفى الصاوي الجويني المصري.

٩. اتجاهات التفسير في مصر في العصر الحديث، الدكتور محمد عفّة الشرقاوي.

١٠. قواعد التفسير، خالد بن عثمان السبت، في مجلدين.

١١. روشهاى تفسير قرآنى، الدكتور سيد رضا مؤدب.

١٢. روشهاى وگرايشهاى تفسيرى، حسين علوى مهر.



منهج تفسير القرآن بالقرآن ١

الاهداف التعليميّة

الأهداف الأساسيَّة: ١) الاطلاع على طريقة تفسير القرآن بالقرآن وجذورها التأريخية؛ ٢) الاطلاع على الأقسام الفرعية لتفسير القرآن بالقرآن واستعمالها.

الأهداف الثانوية: ١) الاطلاع على آراء وأدلة الموافقين والمخالفين لهذهِ الطريقة ونقدها؛ ٢) الاطلاع على المنهج التفسيري للعلّامة الطباطبائي في الميزان.

المقدمة

تعتبر طريقة تفسير القرآن بالقرآن من أقدم الطرق في تفسير القرآن، وهي أحد أقسام المنهج النقلي؛ لأن الأخير ينقسم إلى قسمين: تفسير القرآن بالقرآن وتفسير القرآن بالرواية.

وقد استحسن جميع المفسرين والمتخصصين ـ الّا ما شذّ ـ هذه الطريقة في التفسير، واستفادوا منها في الكثير من الموارد، بل إن بعضهم اعتبرها من أفضل الطرق في التفسير. وتظهر أهمية هذا المنهج إذا علمنا بأن التفسير الموضوعي غير ممكن بدون الاستفادة من تفسير القرآن بالقرآن، وكذلك لا يمكن الاستغناء عنه في التفسير الترتيبي؛ لان هذا يعني صرف النظر عن القرائن النقلية والوقوع في التفسير بالرأي.[1]

ومن هنا فلابدّ لمن يريد التفسير أن يتعرف على هذا المنهج بصورة جيدة وان

---

١. سوف يأتي بيان هذه المسألة بصورة كاملة ومستدلة في بحث التفسير بالرأي.

يتمرَّن عليه ويمارسه حتى يمكن أن يُصبح مفسِّراً جيداً. وسوف نتناول بالبحث والتحليل هذا المنهج في هذا الدرس مع ذكر بعض الأمثلة.

الاصطلاحات

أ) التفسير.

ب) المنهج.

ملاحظة: وضّحنا هذين الاصطلاحين سابقاً.

ج) القرآن بالقرآن الباء في «تفسير القرآن بالقرآن» إمّا باء الاستعانة أو السببية؛[1] أي توضيح آيات القرآن بواسطة آيات أُخرى وبيان مقصودها. وبعبارة أُخرى: تكون آيات القرآن بمثابة المصدر لتفسير آيات أُخرى. وقد عرّف بعض المتخصصين في هذا المجال تفسير القرآن بالقرآن بانّه: «مقابلة الآية بالآية وجعلها شاهداً لبعضها على الآخر ليستدل على هذه بهذه لمعرفة مراد الله تعالى من القرآن الكريم».[2]

أمّا حقيقة هذا المنهج وأقسامه وأنواعه فسوف نقوم بدراستها ضمن عرض آراء بعض العلماء وبيان التعريف النهائي لهذا المنهج.

نبذة تأريخية عن تفسير القرآن بالقرآن

يعتبر تفسير القرآن بالقرآن من أقدم طرق التفسير، ويرجع استخدامه إلى زمن الرسول ﷺ وقد استخدمه الأئمة عليهم السلام وبعض الصحابة والتابعين.

وفيما يلي بعض الأمثلة على ذلك:

١. سُئل الرسول ﷺ عن معنى «الظلم» في الآية الكريمة ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾،[3] فأجاب ﷺ وبالاستناد إلى الآية ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[4] بانّ المقصود بالظلم في الآية الأولى هو الشرك المذكور في الآيةالثانية.[5]

---

١. طبقاً لرأي الاستاذ عميد الزنجاني؛ فإن الباء هي باء الاستعانة مبانى و روشهاى تفسير قرآن ص ٢٨٨، ولكن يظهر أنّ معنىٰ السببيّة صحيح أيضاً، وإن كان لا يوجد فرق كبير بين الرأيين هنا.

٢. هدى أبو طبرة، المنهج الأثري، ص ٦٥ ٣. الأنعام، ٨٢ ٤. لقمان، ١٣

٥. صحيح البخاري؛ كتاب تفسير القرآن؛ تفسير ابن كثير، ج ٤، ص ٤٤٤؛ بصائر الدرجات، الصفّار، ص ١٩٥

يتبيّن من خلال هذا الحديث والأحاديث المشابهة أن الرسول ﷺ استخدم هذا المنهج في التفسير، وانّه قام بتعليم اتباعه عملياً على استخدامه.

٢. استنتج الإمام علي ؑ من خلال الآيتين ﴿وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ﴾[١] و ﴿وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾[٢] بأن أقل مدة للحمل هي ستة أشهر.[٣] فاذاكانت مدّة الرضاع سنتين ومدّة الحمل والرضاع معاً ثلاثين شهراً، ووضعنا الآيتين جنباً إلى جنب، فتكون النتيجة واضحة وهي أن أقل مدة للحمل ستة أشهر، وهذا نوع من تفسير القرآن بالقرآن.

٣. بيَّنَ الإمام الباقر ؑ المقصود من الآية ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَوٰةِ﴾[٤] في مسألة القصر لصلاة المسافر، وذلك استناداً إلى الآية ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾[٥] وأثبت وجوب القصر عن هذا الطريق.[٦]

٤. ذكر الدكتور الذهبي أنّ الصحابة كانوا يستخدمون هذه الطريقة في التفسير وذكر مثالاً في هذا المورد عن ابن عباس.[٧]

٥. ذكر المرحوم الطبرسي نماذج من تفسير القرآن بالقرآن عند التابعين في تفسير مجمع البيان.[٨]

وقد استخدم مفسّرو الشيعة هذا المنهج بعد ذلك مع ظهور تفاسير مثل التبيان ومجمع البيان، وكذلك مفسرو أهل السنة بحيث أن بعضهم كتب: «فان قال قائل: فما أحسن طرق التفسير؟ فالجواب: إنّ أحسن طرق التفسير في ذلك أن يُفسّر القرآن بالقرآن، فما أُجمل في مكان فإنّهُ قد فُسِّر في موضع آخر، وما أُختصر في مكان فقد بُسّط في موضع آخر».[٩]

وقد ذكر العلّامة المجلسي جميع الآيات الّتي تتعلق بموضوع معيّن في بداية كل

١. لقمان، ١٤ ٢. الاحقاف، ١٥
٣. تفسير الصافي، ج ٥، ص ١٤، (سورة الأحقاف، ١٥، ١٦)؛ تفسير القرآن الكريم، ابن كثير، ج ٢، ص ٤٤٥، نقلاً عن الصحابة. ٤. النساء، ١٠١
٥. البقرة، ١٥٨
٦. وسائل الشيعة، ج ٥، ص ٥٣٨، (الباب ٢٢ من أبواب صلاة المسافر، ح ٢)
٧. التفسير والمفسرون، ج ١، ص ٤١
٨. أُنظر: مجمع البيان، ج ١، ص ٤٧٨، سورة الغاشية، ١.
٩. ابن تيميّة، مقدمة في أصول التفسير، ص ٩٣

فصل، وهذا يعني انّه استفاد من الطريقة الموضوعية في تفسير القرآن بالقرآن. وقد حظي هذا المنهج باهتمام واسع خاصةً عند المفسرين في القرن الأخير، بحيث اتخذه بعض المفسرين منهجاً رئيسياً لهم كما يتضح ذلك في تفسير الميزان للعلّامة الطباطبائي، وتفسير الفرقان للدكتور محمد الصادقي الطهراني، و التفسير القرآني للقرآن لعبد الكريم الخطيب، و آلاء الرحمن للبلاغي.

ويعتقد العلّامة الطباطبائي أن القرآن بيان لكل شيء، فمن غير الممكن أن لا يكون مبيّناً لنفسه، فلابُدّ إذن من الرجوع إلى آيات القرآن نفسها والتدبر فيها، وتشخيص مصاديقها وتفسير القرآن بالقرآن.

ويعتقد أيضاً أن هذا المنهج هو الذي اتخذهُ النبيﷺ وأهل البيتعليهم السلام في تفسير القرآن، وقاموا بتعليمه، ووصلنا عن طريق رواياتهم.[1]

وقد استخدمت بعض الكتب الّتي تناولت طرق التفسير هذا المنهج، وبيّنته، وأوصت به، ومنهم آية الله معرفة، والاستاذ عميد الزنجاني، وعبد الرحمن العك.[2]

الأدلة

أدلة الموافقين على تفسير القرآن بالقرآن

يمكن الاستدلال على جواز ولزوم هذا التفسير، بالقرآن والسنة والسيرة، وسوف نذكر هنا أهم هذه الأدلة:

أ) آيات القرآن

١. قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾.[3] استدل العلّامة الطباطبائي بهذه الآية على تفسير القرآن بالقرآن فقال: وحاشا أن يكون القرآن تبياناً لكل شيء ولا يكون تبياناً لنفسه.[4]

---

١. أُنظر: تفسير الميزان، ج ١، ص ١٤، ١٥، (نقل بالمضمون من مقدمة تفسير الميزان وسوف نذكر كلامه مفصلاً في بحث الآراء حول تفسير القرآن بالقرآن).

٢. أُنظر: التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب، ج ٢؛ مبانى وروشهاى تفسير قرآن، ص ٢٧٨؛ أُصول التفسير وقواعده، ص ٧٩.

٣. النحل، ٨٩

٤. الميزان، ج ١، ص ١٤

٢. قال الله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾.[١] كتب العلّامة عند استدلاله بهذهِ الآية قائلاً: كيف يكون القرآن هدى وبينة وفرقاناً ونوراً مبيناً للناس في جميع ما يحتاجون إليه ولا يكفيهم في احتياجهم إليه وهو أشدُّ الاحتياج.[٢]

٣. قال الله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا﴾.[٣]

بيّن العلّامة الطباطبائي بعض المطالب عند تفسير هذهِ الآية، يمكن تلخيصها بما يلي:

أوّلاً: إن القرآن يمكن فهمه من قبل الأفراد العاديين.

ثانياً: إنّ القرآن يفسِّر بعضه بعضاً؛[٤] لأنّ الله سبحانه وتعالى دعا الناس إلى التدبر في آيات القرآن لكي يتضح عدم وجود الاختلاف فيه بضمّ الآيات بعضها إلى البعض الآخر.

٤. قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ مِنْهُ ءَايَـٰتٌ مُّحْكَمَـٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَـٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَـٰبِهَـٰتٌ﴾.[٥] فقد قسمت هذهِ الآية آيات القرآن إلى مجموعتين: محكمات ومتشابهات، وأصل كلمة «المحكم» من (الإحكام) بمعنى «المنع»، ولهذا يقال للمواضيع الثابتة القوية محكمة؛ لأنها تمنع عن نفسها عوامل الزوال. كما أن كل قول واضح وصريح لا يعتريه أي خلاف يقال له «قولُ مُحكَم»،[٦] وعليه فإن الآيات المحكمة هي الآيات ذات المفاهيم الواضحة والّتي لا مجال للخلاف والجدل حولها. أمّاالآيات المتشابهة فهي الآيات ذات المعنى المعقّد، أوْ ذات المعانيالمتعددة، والتي لا يتضح معناها المقصود إلّا في ضوء الآيات المحكمة. وقد أطلق على الآيات المحكمة «أُمّ» أي هي الأصل والمرجع للآيات الأُخرى. وبعبارة أُخرى: لا بُدّ من إرجاع الآيات المتشابهة إلى المحكمات لكي يتضح معناها.[٧] وهذهِ الطريقة هي أحد انواع تفسير القرآن بالقرآن وهي مورد تأييد القرآن نفسه.[٨]

٥. قال تعالى ﴿فَإِذَا قَرَأْنَـٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ۝ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾.[٩] إن بيان القرآن قد

---

١. النساء، ١٧٤ ٢. الميزان، ج ١، ص ١٤ ٣. النساء، ٨٢
٤. الميزان، ج ٥، ص ٢٠ ٥. آل عمران، ٧
٦. تفسير نمونه (الأمثل)، ج ٢، ص ٣٢٠ـ٣٢٩ ٧. المصدر السابق
٨ سوف يتم بحث انواع تفسير القرآن بالقرآن ومنها ارجاع المتشابه إلى المحكم في البحوث الآتية.
٩. القيامة، ١٨، ١٩

يكون بواسطة نفس الآيات أو عن طريق النبي ﷺ.

وهنا ورد البيان بصورة مطلقة، أي نحن نتكفل ببيان وتوضيح القرآن.

٦. ان تكرار الآيات يستلزم هذهِ الطريقة في التفسير؛ لانّه لكي نفهم بعض الآيات لابد من مراجعة الآيات المشابهة، فقد جاء ذكر قصة موسى عليه السلام وفرعون في سورة الأعراف: ١٠٥ ـ ١٣٦، طه: ٩ ـ ٩٨، الشعراء: ١٠ ـ ٦٧ وسورة النمل، ولا يمكن تفسير هذهِ الآيات ورفع الإبهام عنها مالم يتم مراجعة جميع هذهِ الآيات بنفس الوقت وإلّا فإنّه قد يؤدي إلى وقوع المفسِّر في أخطاء.

المناقشة

تدل هذه الآيات على جواز ومطلوبية تفسير القرآن بالقرآن في الجملة، ولابدّ من الإشارة هنا إلى نقطتين:

أوّلاً: إن كون القرآن مبيِّناً لكل شيء يرتبط بهداية البشر ومنها آياته أيضاً.

نلاحظ عليه، إنّ بيان القرآن في بعض الأحيان لا يتجاوز الكلياتكما هو الحال في عدد ركعات الصلاة؛ فلم يأتِ توضيح ذلك في ظاهر القرآن، وفي هذهِ الموارد لابد من مراجعة بيان النبي ﷺ وأهل البيت عليهم السلام.

ثانياً: إنّ كون القرآن نوراً، يعني أنّه في حد ذاته واضح وموضِّح. ولكن المخاطبين يختلفون في قدراتهم العلميّة؛ فهناك العربي وغير العربي، ولكي نفهم القرآن نحتاج إلى اللغة، والأحاديث و... وهذا لا يعني احتياج القرآن إلى الغير بل احتياج المفسّر والمخاطب إلى تفسير القرآن.

ب) السُنة

يمكن الاستدلال بالسنّة على مطلوبيّة تفسير القرآن بالقرآن من جهتين:

أوّلاً: السنّة العملية لرسول ﷺ وأهل بيته، حيث استخدموا هذهِ الطريقة عملياً.[١]

ثانياً: الأحاديث الخاصة الّتي أشارت إلى هذا الأمر، ومن أهمها:

١. قال أمير المؤمنين عليه السلام: «كتاب الله... ينطق بعضه ببعض ويشهد بعضه على بعض».[٢]

---

١. سوف نذكر بعض الأمثلة في الفقرة الثالثة من هذا الفصل، وسوف يأتي بيانه في المباحث الآتية أيضاً.

٢. نهج البلاغة، خ ١٣٣

فقوله‌ﷺ ان بعض آيات القرآن ينطق بعضها ببعض يمكن أن يُشير إلى هذا المنهج في التفسير حيث يقوم المفسِّر باستنطاق بعض الآيات بواسطة آيات أُخرى، وروي عن الإمام علي‌ﷺ حديث آخر قال فيه: «ذلك القرآن فاستنطقوه».[١]

٢. وقال‌ﷺ: «ان كتاب الله ليُصدِّق بعضه بعضاً، ولا يكذِّب بعضه بعضاً».[٢] تصديق القرآن بعضه بعضاً يعني عدم وجود الاختلاف فيه، وإن معاني آيات القرآن تؤيد بعضها بعضاً. وهذا الحديث يشير إلى نوع من أنواع التفسير الموضوعي للقرآن.

٣. «القرآن يفسِّر بعضه بعضاً» فهذه الجملة تشير بصراحة إلى تفسير القرآن بالقرآن، أما من حيث السند فغير واضح؛ لأَن هناك من رواه عن ابن عباس تلميذ الإمام علي‌ﷺ،[٣] وهناك من نقله بصورة حديث مضمر.[٤]

٤. وفي حديث آخر عن الإمام علي‌ﷺ قال: «لا تنثره نثر الرمل»؛[٥] هذهِ الرواية تشير إلى أن القرآن وحدة متصلة كاملة ولا يجب أن يؤخذ بصورة أجزاء متفرقة، وبعبارة أُخرى: إنّه لا يمكن افتراض آية في القرآن مفصولة عن سائر الآيات وتفسيرها على هذا الأَساس.

المناقشة

بعض الأحاديث تدل بصراحة على تفسير القرآن بالقرآن وإن كانت تعاني من الإشكال السندي. والبعض الآخر يُشير إلى تفسير القرآن بالقرآن والتفسير الموضوعي ويمكن اعتباره مؤيداً لهذهِ الطريقة في التفسير.

ج) بناء العقلاء

من أجل فهم أي كتاب لابد من مراعاة القرائن الموجودة فيه، فإذا جاء ذكر أحد المطالب بصورة مطلقة وعامة، وفي مكان آخر بصورة مقيَّدة وخاصة، فلابد من النظر

١. المصدر السابق، خ ١٨
٢. بحار الأنوار، ج ٩، ص ١٢٧؛ وهناك حديث مشابه لهُ «أن الكتاب يصدق بعضه بعضاً» نهج البلاغة، خ ١٥٨
٣. السيوطي، الدر المنثور، ج ٢، ص ٦؛ الفيض الكاشاني، مقدمة التفسير؛ الدكتور بي‌آزار الشيرازي، قرآن ناطق، ج ٢، ص ٢٦٦
٤. الحديث المضمر هو الحديث الذي يُروىٰ عن المعصوم بدون ذكر اسمه.
٥. مجمع البيان، ج ٦، ص ٩٤، تفسير الآية ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾

إلى الكلام بصورة كلِّية باعتباره مجموعة كاملة، وهذهِ هي طريقة العقلاء في فهم أي كتاب.

والقرآن الكريم غير مستثنىً من هذهِ القاعدة، وهذا هو نفس الشيء الذي يعرف باسم تفسير القرآن بالقرآن، يعني الاستفادة من بعض الآيات كقرائن لفهم وتفسير آيات أُخرى، والشارع المقدس لم يمنع من هذه الطريقة العقلائية، بل قام بتأييدها طبقاً للأحاديث السابقة.

وعندما نراجع طريقة الصحابة والتابعين ومفسري القرآن على طول التاريخ نرى انهم استخدموا هذهِ الطريقة، أي الإستفادة من بعض الآيات في فهم آيات أُخرى، ومن خلال استمرار طريقتهم هذهِ نستدل على جواز هذا المنهج وعدم وجود منع من الشارع.[1]

أدلة المخالفين لتفسير القرآن بالقرآن

بالرغم من أنّه لم تأت مخالفة صريحة لهذا المنهج، ولكن هناك بعض الأحاديث والمباني الإخبارية الّتي قد توهم بوجود مثل هذهِ المخالفة، وسوف نقوم هنا ببحث ونقد مثل هذه الأحاديث والمباني.

أ) أحاديث ضرب القرآن

١. عن علي بن إبراهيم عن أبيه عن النضر بن سويد عن القاسم بن سليمان، عن أبي عبد الله ﷺ قال: قال أبي: «ما ضرب رجل القرآن بعضه ببعض الّا كفر».[2]

٢. روىٰ السيوطي ـ من مفسري أهل السُنة ـ فقال:

«إن رسول الله ﷺ خرج على قوم يتراجعون في القرآن وهو مغضب فقال: بهذا ضلّت الأمم قبلكم باختلافهم على انبيائهم وضرب الكتاب بعضه ببعض. قال: وإنّ القرآن لم ينزل ليكذّب بعضه بعضاً، ولكن نزل يصدق بعضه بعضاً فما عرفتم منه فاعملوا وما تشابه عليكم فآمنوا به».[3]

١. يُذكَر هذا الموضوع تحت عنوان «سيرة المتُشرّعة».
٢. الكافي، ج ٢، ص ٦٣٢؛ بحار الأنوار، ج ٨٩، ص ٣٩؛ وقد جاء شبيه هذا الحديث في معاني الأخبار للشيخ الصدوق، ص ١٩٠
٣. الميزان، ج ٣، ص ٩٠؛ مبانى و روشهاى تفسير قرآن، ص ٣٧٣، ٣٧٤

المناقشة

يمكن المناقشة في هذا الحديث من حيث السند والدلالة:

أ) من حيث السند: الرواية الأُولى مخدوشة سنداً، فرغم ان جميع رجال السند ثقات ولكن القاسم بن سليمان لم يرد فيه مدح ولا ذم فالرواية إذن غير معتبرة.

ب) من حيث الدلالة: ان هذهِ الروايات لا تدل صراحةً على منع تفسير القرآن بالقرآن، وهناك احتمالات متعددة في معنى هذهِ الروايات منها:

١. يعتقد العلّامة الطباطبائي: «أنّ الروايات كماترى تعد ضرب القرآن بعضه ببعض مقابلاً لتصديق بعض القرآن بعضاً وهو الخلط بين الآيات من حيث مقامات معانيها والإخلال بترتيب مقاصدها كأخذ المحكم متشابهاً والمتشابه محكماً ونحو ذلك».[١]

٢. يعتقد الفيض الكاشاني أنّ المقصود من روايات «ضرب القرآن» قد يكون تأويل المتشابهات على بعض المعاني (على أساس هوى النفس وامثال ذلك).[٢]

٣ قال المرحوم الصدوق: سألت استاذي ابن الوليد عن معنى هذا الحديث «ضرب القرآن» فقال: هو أن تجيب الرجل في تفسير آية بتفسير آية أُخرى.[٣]

٤. كتب الاستاذ عميد الزنجاني حول هذهِ الروايات فقال: (يمكن أن توجيه هذهِ الروايات بان المراد «من ضرب القرآن بعضه ببعض» هو مقارنة الآيات وارجاع آية بآيات أخرىٰ بقصد إبراز الاختلاف والتضاد بين الآيات وإيجاد الفتنة في دين الله).[٤]

واعتبر الجملة «لم ينزل ليكذب بعضه بعضاً» مؤيدةً للمعنىالذي ذهب إليه. بالإضافة إلى ذلك فإنّ الرواية اعتبرت هؤلاء كفاراً، ومن الواضح أنه ليس المقصود بذلك الخطأ في التفسير؛ لان الخطأ في التفسير لا يسبّب كفر أحد، بل المقصود به عمل يستلزم إنكار آيات القرآن وتكذيبها.[٥]

٥. احتمل العلّامة المجلسي بأن يكون المراد من هذهِ الروايات «ضرب القرآن»، هو: المعنىٰ الظاهر بتقدير الاستخفاف وارتكاب التجوّز في الكفر.[٦]

---

١. الميزان، ج ٣، ص ٨٥ ٢. الوافي، ج ٥، ص ٢٧٤ ٣. بحار الأنوار، ج ٨٩، ص ٣٩

٤. مبانى و روشهاى تفسير قرآن، ص ٣٧٦ ٥. المصدر السابق

٦. مرآة العقول، ج ١٢، ص ٥٢٢

ملاحظة

بالرغم من أنّ المعنى الرابع يتفق مع ظاهر الحديث أكثر من غيره، ولكن لا يمكن نفي الاحتمال الأوّل والثاني.

فحتى لو قبلنا بأحد هذهِ الاحتمالات، فإنه بمنأى عن مسألة تفسير القرآن بالقرآن، وإذا ترددنا في معنى الحديث فستظل هذهِ الأحاديث مبهمة وغير قابلة للاستدلال.

ب) عدم حجيّة ظواهر القرآن عند الاخباريين

يتوقف تفسير القرآن على بعض المسلَّمات ومنها حجيّة ظواهر القرآن، حيث يمكن للمفسِّر أن يستدل بظواهره. وقد أنكر بعض الأخباريين [١] هذهِ الحجيَّة. ورغم ان هذهِ المسألة قد أُشبعت بحثاً في علم الأُصول وأُخذت في التفسير كأصل مُسلّم به، ولكننا نجد أنفسنا مضطرين لأن نشير هنا إلى أدلة الطرفين بصورة موجزة:

أوّلاً: استدل علماء الأُصول على حجيَّة ظواهر القرآن بما يلي:

إن طريقة العقلاء في فهم الأقوال والكتابات وتعيين مقصود المتكلِّم هو أن يتبّعوا ويستدّلوا بظاهر الكلام، ولم يمنع الشارع المقدس من هذهِ الطريقة، ولم يخترع طريقة أُخرى، [٢] فتكون هذهِ الطريقة في فهم وتفسير القرآن حجّة.

ثانياً: تمسَّك كثير من الأخباريين بعدم حجيَّة ظواهر القرآن، ورأوْا أنّه لا يمكن الاحتجاج بهذهِ الظواهر دون الأَخذ بنظر الإعتبار بروايات المعصومين(ع)، واستدلوا على ذلك بما يلي:

---

١. الاخبارية هم اصحاب الحديث حيثَ يُطلق عليهم عند الشيعة لقب «الإخباري» وهم يتبعون ظواهر الأخبار ويبطلون الاجتهاد. مؤسس هذا المذهب هو الملّا محمد أمين بن محمد الاسترآبادي (ت ١٠٣٣هق) وله كتاب مشهور باسم الفوائد المدنيّة، انكر فيه الاجتهاد وقال: انه من الصعوبة استخراج أحكام الدين من القرآن؛ لأن القرآن يحتوي على الناسخ والمنسوخ و... فلابد من مراجعة الأخبار الصادرة عن أهل البيت(ع). وفي قبال هذه المجموعة هناك جماعة الأصوليين الذين يعتقدون بان الاجتهاد واجب كفائي وإنه يمكن استنباط الأحكام الفرعية من الكتاب، والسنة، والإجماع، والعقل. راجع: الدكتور محمد جواد مشكور، فرهنگ فرق اسلامى، ص ٤٠، ٤١.

٢. كفاية الأُصول، مبحث حجية الظواهر (حجية ظاهر الكتاب)، ج ٣، ص ٤٠٥

١. إنّ فهم القرآن مختص بأهلهِ، وهم المخاطبون الحقيقيون (يعني النبيﷺ وأهل البيت) كما ورد في بعض الروايات.[١]

٢. ان القرآن يحتوي على مضامين عالية وعميقة لا يفهمها الّا الراسخون في العلم، ولا تنالها الافكار العاديّة للناس.[٢]

٣. إن القرآن الكريم يشتمل على آيات متشابهة وهو ما يؤدي إلى المنع عن اتباع ظواهر الكتاب.

٤. ان لدينا علم إجمالي بتخصيص أو تقييد بعض الآيات، أو أن لها معنى مجازياً، وهذا العلم الإجمالي يمنع من التمسك بظواهر الكتاب.

٥. ان روايات التفسير بالرأي تمنع من الأخذ بظواهر الكتاب.

المناقشة

أجاب علماء الأُصول بصورة مفصلة عن هذهِ الإشكالات، ونحن نشير هنا إلى بعضها فقط ويمكن للقارئ الكريم ان يرجع إلى المصادر الأصلية.[٣]

١. المقصود باختصاص فهم القرآن بأهل البيت، وأنهم هم المخاطبون الحقيقيون هو الفهم الكامل للقرآن أعم من المحكم والمتشابه و... والمنع من الاستقلال بالفتوى دون

---

١. هناك روايات متعددة في هذا المضمون منها:
عن الصادقؑ قال: «يا أبا حنيفة تعرف كتاب الله حق معرفته وتعرف الناسخ والمنسوخ؟ فقال: نعم، قالؑ: يا أبا حنيفة لقد ادعيت علماً، ويلك ما جعل الله ذلك الّا عند أهل الكتاب الذين أنزله عليهم».
عن الباقرؑ: «ويحك يا قتادة إنما يعرف القرآن من خوطب به».
عن الباقرؑ: «ما يستطيع أحد ان يدعي ان عنده جميع القرآن كله ظاهره وباطنه غير الأوصياء».
تفسير الصافي، ج ١، ص ٢٠، ٢٢، مقدمة التفسير. وهذهِ الأنواع من الأحاديث تنظر إلى جميع علوم القرآن (أعم من الظاهر والباطن والتأويل و...) وقد جاءت في مقابل بعض الأشخاص المخالفين الذين يعتبرون أنفسهم فقهاء ويفتون بآرائهم دون الأخذ بنظر الأعتبار بأحاديث أهل البيتؑ. فقد قيل الحديث الأوّل في شأن «قتادة» فقيه أهل البصرة والثاني في «أبي حنيفة» فقيه أهل العراق. (للاطلاع أكثر أُنظر: مجلة بينات، العدد ٢٢، ٢٣، ص ٢٢٦، المقالة [رواية «انما يعرف القرآن...»].
٢. كفاية الأُصول، البحث السابق؛ الانصاري، فرائد الأُصول، ج ١، ص ١٤٠ وما بعدها
٣. المصدر السابق، وراجع: آية الله الخوئي، مصباح الأُصول؛ الإمام الخميني، تهذيب الأُصول، مبحث حجية ظواهر الكتاب؛ آية الله الخوئي. البيان في تفسير القرآن، مبحث حجية ظواهر القرآن.

مراجعة الروايات الصادرة عن أهل البيت، واما بعد مُراجعة القرائن النقليّة (روايات أهل البيت‰)، أو بعد البحث وعدم العثور على روايات معتبرة، فلا يوجد مانع من الأخذ بظواهر القرآن. إضافة إلى ذلك فان الروايات نفسها قد أرجعتنا إلى القرآن والاستدلال به.

٢. لا يوجد تعارض بين وجود مضامين عالية وصعبة الفهم في القرآن، والرجوع إلى الظواهر الواضحة والاستدلال بها.

٣. إنّ ظواهر القرآن ليست من المتشابهات، أي أنّ المقصود من المتشابهات هُنا هو الآيات المجملة، ولكن ظواهر القرآن ليست مجملة ولا متشابهة.[١]

٤. إنّ الأخذ بالظواهر وتفسير القرآن يكون بعد مراجعة المخصِّصات والمقيِّدات والروايات الأُخرى وعندها ينحل العلم الإجمالي ويرتفع حينئذٍ المانع من الأخذ بالظواهر.

٥. إنّ روايات التفسير بالرأي تعني تفسير القرآن بدون مراجعة القرائن العقلية والنقلية؛ أمّا الأخذ بالظواهر وتفسير القرآن بها بعد مراجعة القرائن العقلية والنقلية (أعم من الآيات والروايات المعتبرة) فلا يُعد جزءاً من التفسير بالرأي،[٢] بل إنّ بعض علماء الأُصول قالوا إن حمل ألفاظ القرآن على ظاهرها لا يُعتبر تَفسيراً؛ لإنّ التفسير هو كشف الستار، وظواهر القرآن لاستار عليها. والمقصود من التفسير بالرأي هو الاعتبار الظنيّ غير المعتبر مثل حمل اللفظ على خلاف ظاهره على أساس الترجيح الشخصي.[٣]

فالنتيجة إن أدلة الإخباريين على منع حجيَّة ظواهر القرآن مخدوشة، وان أدلة علماء الأُصول في هذا المورد تامَّة ومقبولة.

الخلاصة والنتيجة

يستفاد من مجموع أدلة الموافقين على تفسير القرآن بالقرآن أنّ هذا المنهج التفسيري معتبر ومورد تأييد القرآن والنبي‌ﷺ وأهل البيت‰ كما أن أدلة المخالفين مخدوشة ومردودة.

---

١. كفاية الأُصول، نفس البحث السابق

٢. نوقشت روايات التفسير بالرأي في مبحث التفسير بالرأي بصورة مفصلة.

٣. كفاية الأُصول، مبحث حجية الظواهر، حجية ظاهر الكتاب؛ فرائد الأُصول، ج ١، ص ١٤٢، ذكر نفس المضمون

الخلاصة

يمكن إجمال حصيلة ما تقدّم من المباحث في النقاط التالية:

١. ان أهمية تفسير القرآن بالقرآن تكمن في الاستفادة من الآيات والاستعانة بها في تفسير آيات أُخرى من القرآن، وهذا الأمر يعتبر ضرورياً في كل من التفسير الموضوعي والترتيبي لكي يتبيّن مقصود الآيات بشكل واضح.

٢. بدأ هذا المنهج منذُ عهد الرسولﷺ، وهناك نماذج متعددة في روايات أهل البيت:، وقد استفاد الصحابة والتابعون من هذا المنهج أيضاً.

٣. كُتبت تفاسير متعددة على أساس تفسير القرآن بالقرآن على امتداد التأريخ منها تفسير الميزان، بل إن بعضهم اعتبره من أفضل المناهج في التفسير.

٤. استدل الموافقون على هذا المنهج بالآيات والروايات وبناء العقلاء واثبتوا جواز ومطلوبية هذهِ الطريقة في التفسير.

٥. استدل القائلون بتفسير القرآن بالقرآن بمضامين بعض الآيات مثل القرآن تبيان، القرآن نور، لزوم التدبر في القرآن، كون الآيات المحكمة هي الأصل والأساس، تكرار الآيات.

٦. استدل القائلون بهذا المنهج بروايات متعددة بعضها مخدوش من حيث السند، وبعضها لا يدل على المطلب، ولكن هذهِ الروايات تؤيد هذهِ الطريقة في الجملة.

٧. كان بناء العقلاء والسيرة العقلائية على امتداد التأريخ، هو في الاستفادة من منهج تفسير القرآن بالقرآن ولم يأت من الشارع منع من استخدام هذهِ الطريقة.

٨. تعاني أحاديث «ضرب القرآن» من إشكالات في السند، إضافة إلى انها لا تدل على منع هذهِ الطريقة في التفسير من ناحية الدلالة؛ لانها تحتمل معاني متعددة.

٩. ظاهر القرآن حجة فلا يوجد إشكال على تفسير القرآن بالقرآن من هذهِ الناحية. بالإضافة إلى عدم تماميَّة أدلة الإخباريين على حجيّة ظاهر القرآن.

٣
منهج تفسير القرآن بالقرآن ٢

الآراء حول تفسير القرآن بالقرآن

١. رأي العلّامة الطباطبائي

قال العلّامة الطباطبائي في مقدمة تفسيره الميزان (بعد إيراد بعض المطالب في تفسير القرآن): «... وذلك على أحد وجهين أحدهما: أن نبحث بحثاً علمياً أو فلسفياً أو غير ذلك عن مسألة من المسائل الّتي تتعرض لها الآية حتى نقف على الحق في المسألة، ثم نأتي بالآية ونحملها عليه، وهذهِ طريقة يرتضيها البحث النظري، غير أن القرآن لا يرتضيها كما عرفت.

وثانيهما: أن نفسر القرآن بالقرآن ونستوضح معنى الآية من نظيراتها بالتدبر المندوب إليه في نفس القرآن، ونشخّص المصاديق ونتعرفها بالخواص الّتي تعطيها الآيات».[1]

ثم استدل ببعض الآيات مثل ﴿تِبْيَـٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ لتأييد هذا المنهج، فالقرآن بيان لكل شيء فكيف لا يكون بياناً لنفسه.[2]

٢. رأي آية الله معرفة

بعد أن ذكر الشيخ محمد هادي معرفة أنّ أتقن مصدر لتبيين القرآن هو القرآن نفسه؛

---

١. الميزان، ج ١، ص ١١، المقدمة

٢. سبق أن ذكرنا هذا الكلام في بحث أدلة الموافقين لتفسير القرآن بالقرآن.

قسّم تفسير القرآن بالقرآن إلى قسمين:

الأوّل: ما أُبهم في موضع وبُيِّن في موضع آخر، فيكون أحدهما متناسباً مع الآخر تناسباً معنوياً، أو لفظياً، ثم ضرب مثلاً بالآيات المتعلقة بليلة القدر، وقال إنّه يستفاد من مجموع الآيات أنّ القرآن الكريم نزل في ليلة مُباركة وهي ليلة القدر من شهر رمضان.

الثاني: النوع الثاني من تفسير القرآن بالقرآن هو أنّ الآية ليس لها ارتباط بموضع الإبهام في الآية الأُخرىٰ لا لفظياً ولا معنوياً، ولكن يمكن أنْ تكون شاهداً لرفع ذلك الإبهام. ثم ضرب مثالاً لذلك بآية السرقة ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا﴾[1] فقد استدل الإمام الجوادؑ بالآية ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ﴾[2] لتعيين موضع قطع اليد، وأنّه من موضع الأشاجع (مفصل أُصول الأصابع)؛ لأنَّ مواضع السجود لله تعالى وأنَّ الشيء الذي يكون لله، فلا موضع للقطع فيه.[3]

٣. رأي الأُستاذ عميد الزنجاني

كتب الزنجاني بشأن تفسير القرآن بالقرآن:

«من التفاسير الجديدة المتداولة في العصر الحاضر هو تفسير القرآن بالقرآن، واستخراج معاني الآيات بمعونة آيات مشابهة أُخرى تتفق في نفس المحتوى والموضوع أو قريب منه».[4]

٤. رأي ابن تيمية (٦٦١ ـ ٧٢٨هـ)

لقد سبق نقل كلامه حول تفسير القرآن بالقرآن؛ حيث اعتبر هذهِ الطريقة من أفضل وأصح الطرق، وقال: «فما أُجْمِلَ في مكان فإنّهُ قد فُسِّر في موضع آخر، وما اختُصِر في مكان فقد بُسِط في موضع آخر».[5]

---

١. المائدة، ٣٨ ٢. الجن، ١٨

٣. تفسير العياشي، ج ١، ص ٣١٩، ٣٢٠؛ التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب، ج ٢، ص ٢٢ـ٢٥

٤. مباني وروشهاى تفسيرى قرآن، ص ٢٢٨

٥. ابن تيميّة، مقدمة في أُصول التفسير، ص ٩٣

٥. رأي الشيخ خالد عبد الرحمن العك[1]

ذكر أن أفضل طريقة في التفسير هي تفسير القرآن بالقرآن، وقال:

«أجمع العلماء على ان من أراد تفسير القرآن الكريم، طلبَهُ أوّلاً من القرآن نفسه، فما أُجمل منه في مكان فقد فُسِّر في موضع آخر. وما اختُصر منه في مكان فقد بُسط في موضع آخر منه، فلزم أن يَنظر في القرآن نظرة فاحص مدقق ويجمع الآيات في موضع واحد ثم يقارن بعضها ببعضها الآخر».[2]

المناقشة

لابد من الالتفات هنا إلى عدة نقاط:

أ) إنّ الاشخاص الذين أبدوا رأيهم حول تفسير القرآن بالقرآن، أو اعطوا تعريفاً لهُ، عادةً ما يشيرون إلى أنواع خاصة من هذا المنهج التفسيري، فقد أشار العلّامة الطباطبائي والأُستاذ عميد الزنجاني مثلاً إلى نوعين من الاستفادة من الآيات المُشابهة، وآية الله معرفة أشار إلى نوعين أيضاً.

وتعرّض ابن تيمية نوع آخر وهو بيان المجمل والمبيّن والمختصر والمفصل. اما الشيخ عبد الرحمن العك فقد اشار إلى التفسير الموضوعي للقرآن بالقرآن. وسيأتي في البحوث الآتية أن أنواع تفسير القرآن بالقرآن كثيرة ومتعددة وتشمل جميع هذهِ الموارد وموارد أُخرى أيضاً.

ب) لقد أيّد جميع الأشخاص الذين أبدوا رأيهم، هذا النوعَ من التفسير ولم نجد مَن ردّ هذا المنهج في التفسير بصورة كلية ومباشرة، بل أن الشيخ عبد الرحمن العك ادّعى الإجماع على أفضلية هذهِ الطريقة في التفسير. نعم يُستفاد من ظاهر كلام الإخباريين وبعض الأحاديث مخالفة هذا المنهج كما بيّنا ذلك في الأدلّة، وقد أُجيبوا بأجوبة مناسبة.

ج) يُستفاد من مجموع كلام العلماء في هذا المجال أن تفسير القرآن بالقرآن هو عبارة عن «تبيين معاني آيات القرآن وتعيين المقصود والمراد الجدّيّ منها بالاستعانة

---

١. مدرِّس في «ادارة الافتاء العام» بدمشق.

٢. أصول التفسير وقواعده، ص ٧٩

بآيات أُخرى. وبعبارة أُخرى: جعل القرآن مصدراً لتفسير الآيات».

وهناك طبعاً أنواع وطرق فرعية لهذا المنهج سوف نبيِّنها فيما بعد.

مكانة السُنّة في تفسير القرآن بالقرآن

يوجد هناك رأيان رئيسيان في مكانة السنة ومنزلة أحاديث النبي ﷺ وأهل البيت عليهم السلام في التفسير وهما:

أوّلاً: وجوب الاستفادة من الأحاديث في تفسير القرآن بالقرآن:

يستفاد هذا الأمر من كلام آية الله الخوئي في البيان عندما تناول بحث التفسير بالرأي، حيث قال في هذا الصدد:

«ويحتمل ان معنى التفسير بالرأي؛ الاستقلال في الفتوى من غير مراجعة الأئمة عليهم السلام مع أنهم قرناء الكتاب في وجوب التمسك، ولزوم الانتهاء اليهم عليهم السلام[1]: فإذا عمل الإنسان بالعموم أو الإطلاق الوارد في الكتاب ولم يأخذ التخصيص أو التقييد الوارد عن الأئمة عليهم السلام، كان هذا من التفسير بالرأي»،[2] وكتب الاستاذ عميد الزنجاني بخصوص هذا الرأي:

«صحيح أن القرآن واضح ومبيِّن لنفسه، ولكن الروايات الصحيحة يمكن أن تقوم بتوضيح بعض الآيات أيضاً، وكذلك يمكن الاستفادة منها في شرح آيات الأحكام والقصص وبعض الأُمور الّتي جاءت في القرآن بصورة مختصرة... فلا يوجد تنافٍ في كون معاني القرآن واضحة ولزوم الاستفادة من السنَّة في فهم بعض حقائق القرآن؛ فالقرآن رغم كونه واضحاً ومستغنياً عن الغير في بيانه للمقاصد والمفاهيم، لكن تفصيل بعض الأُمور وتوضيح معارف الآيات يقع على عاتق السنّة وبيان الرسول ﷺ. وقد عُرِّف النبي ﷺ بأنّه المُبيِّن والمعلم للقرآن بصورة صريحة».[3]

ثانياً: عدم احتياج القرآن للغير وإبعاد الأحاديث عن ساحة التفسير: يستفاد هذا الأمر من كلام العلّامة الطباطبائي، فقد اعتبر تفسير القرآن بالقرآن أحد المناهج

١. أي انهم ذكروا مقترنين في حديث الثقلين، ولابدّ من التمسك بهما معاً.
٢. البيان في تفسير القرآن، ص ٢٦٩
٣. أنظر: مبانى و روشهاى تفسير قرآن، ص ٢٨٩.

المقبولة في التفسير، وانّه منهج أهل البيت عليهم السلام وذلك في مقدمة تفسيره الميزان، وقال (بعد أن ذكر مطالب مُفصّلة حول روايات التفسير بالرأي في الآية (٧ ـ ٩) من سورة آل عمران):

«والمحصّل أنّ المنهيّ عنه إنّما هو الاستقلال في تفسير القرآن وإعتماد المفسِّر على نفسه من غير رجوع إلى غيره، ولازمه وجوب الاستمداد من الغير بالرجوع إليه، وهذا الغير لا محالة إمّا هو الكتاب أو السنّة، وكونه هي السنّة ينافي القرآن، ونفس السنة الآمرة بالرجوع إليه وعرض الأخبار عليه، فلا يبقى للرجوع إليه والاستمداد منه في تفسير القرآن الّا نفس القرآن».[1]

وهذا رأي الاستاذ عميد الزنجاني أيضاً، حيث قال:

«أساس هذهِ الطريقة التفسيرية (القرآن بالقرآن) هو استغناءالقرآن عن الغير، فأصحاب هذا الرأي يدّعون أنّ كل نوع من الإبهام والإجمال الابتدائي بالنسبة إلى بعض الآيات يرجع إلى عدم الالتفات إلى الآيات المُشابهة؛ وإنّ هذا الأبهام يزول بالتدبر بالآيات الّتي يكون موضوعها موافق أو قريب من الآيات المذكورة. ومن هنا، فاننا لا نحتاج إلى السنة والروايات في تفسير وفهم مقاصد القرآن ويستطيع كل مفسر ـ وبكل حرية ـ ان يستخرج مقاصد كل آية بالتدبر فيها وفي الآيات المُشابهة لها بدون ان يقيِّد نفسه بأي شيء عدا القرآن».[2] ثُمَّ استدلَّ على ذلك ببعض الأدلة مثل كون القرآن «تبياناً»، و «نوراً» و«غير قابل للتحريف»، ثم نبّه إلى أنَّ الروايات قد تعرضت إلى التحريف عن طريق الوضّاعين وتجار الحديث. وإنّ الروايات الموضوعة هي أضعاف الروايات الصحيحة، ولذلك فإنّ هذا النوع من الروايات قد فقد اعتباره وليس له أي صلاحية لتفسير القرآن.[3]

ثم ذكر الزنجاني صاحبَ تفسير الهداية والعرفان في تفسير القرآن بالقرآن[4] كمثال على الرأي المتشدِّد في استخدام هذا المنهج.

١. الميزان، ج ٣، ص ٨٩، سورة آل عمران، ٧ـ٩، من (بحث روائي آخر)
٢. مبانى و روشهاى تفسير قرآن، ص ٢٨٧، ٢٨٨
٣. المصدر السابق، ص ٢٨٩ (بتلخيص)
٤. المصدر السابق، ص ٢٨٩ (بتلخيص)

المناقشة

وهنا لابد من الإشارة إلى عدة نقاط في خصوص هاتين الرؤيتين:

أ) لقد عرّف القرآن نفسه بانّه نور وتبيان؛ بمعنىٰ أنّه واضح بنفسه، أما المخاطبين فهم يختلفون في فهمه، فهناك مطالب غامضة على بعض الناس وهم بحاجة إلى اللغة، شأن النزول والأحاديث، حتى يمكن تفسير القرآن بصورة جيدة. فالاستفادة اذن من اللغة والأحاديث وغيرها في التفسير لا تعني ان القرآن يحتاج إلى الغير، واستغناء القرآن عن الغير لا يتنافىٰ مع هذا الأمر.

ب) قال الله تعالى في سورة النحل: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾.[1]

وهذهِ الآية هي خطاب للنبيﷺ حيث عرَّفتهُ بانّه المبيِّن للقرآن، وقد كتب العلّامة الطباطبائي في تفسير هذهِ الآية: «وفي الآية دلالة على حجية قول النبيﷺ في بيان الآيات القرآنية... ويلحق به بيان أهل بيتهعليهم السلام؛ لحديث الثقلين المتواتر وغيره. واما سائر الأُمّة من الصحابة أو التابعين أو العلماء فلا حجيّة لبيانهم لعدم شمول الآية وعدم [وجود] نص معتمد عليه يعطي حجيّة بيانهم على الإطلاق... هذا كلّه في نفس بيانهم المتلقى بالمشافهة، وأمّا الخبر الحاكي له فما كان منه بياناً متواتراً أو محفوفاً بقرينة قطعيَّة وما يلحق به فهو حجة لكونه بيانهم و...»،[2] وعلى هذا فان أحاديث النبيﷺ وأهل البيتعليهم السلام تكون حجة ومفسّرة للقرآن في الجملة.

ج) أمّا بالنسبة إلى مسألة الأحاديث المعتبرة وغير المعتبرة في التفسير فسوف يأتي بيانها بصورة مفصّلة في بحث التفسير الروائي، وسيتضح أن الأحاديث الموضوعة والضعيفة خارجة عن نطاق البحث، فالإشكالات الواردة على الأحاديث، لا تعني رفع اليد كلياً عن دور السنة في تفسير القرآن؛ لإن هناك الكثير من الأحاديث الصحيحة والمتواترة، إضافة إلى اعتبار قسم من الأحاديث لاقترانها ببعض القرائن أو انسجامها مع القرآن.

د) اتضح مما سبق انّه لا يمكن الأخذ بالظهور الابتدائي لكلام العلّامة في ذيل الآية

---

١. النحل، ٤٤

٢. الميزان، ج ١٢، ص ٢٦١، ٢٦٢

السابقة من سورة آل عمران، ولا يعني كلامه إبعاد الأحاديث والقرائن النقلية بصورة كلية عن ساحة التفسير؛ لأنه قيّد هذا الكلام ووضّح المراد منه في الآية ٤٤ من سورة النحل.[١]

النتيجة

وعلى هذا الأساس فانّه لا يوجد مانع من الاستفادة من الأحاديث المعتبرة في التفسير عن النبيﷺ وأهل البيتﷺ، بل إنّ المنهج المتكامل في تفسير القرآن بالقرآن يكمن في الاستفادة من القرائن الموجودة في الأحاديث أيضاً.

أنواع تفسير القرآن بالقرآن

الطرق الفرعية لمنهج تفسير القرآن بالقرآن

يعتبر «تفسير القرآن بالقرآن» منهجاً كلياً يتضمّن تحته مصاديق وطرقاً فرعية متعددة يستفيد منها المفسرون في التفسير، وان معرفة هذهِ الطرق تساعد المفسر على تقديم تفسير جامع لآيات القرآن الكريم، وسوف نشير هنا إلى أهم هذهِ الأنواع وأكثرها شيوعاً، مع الأمثلة.

أ) إرجاع المتشابهات إلى المحكمات

تنقسم آيات القرآن إلى آيات محكمة ومتشابهة كما أوضحنا ذلك في بحث الأدلة على تفسير القرآن بالقرآن، وكما هو واضح في الآية السابعة من سورة آل عمران. وتعتبر الآيات المُحكَمة هي الأساس والمرجع للآيات القرآنية ولابد من إرجاع الآيات المتشابهة إليها لكي يتضح معناها، أو يتعيَّن أحد احتمالاتها.

مثال: توجد بعض الآيات في القرآن يدل ظاهرها على التجسيم؛ مثل الآيات الّتي

---

١. يمكن أن يقال بأن مقصود العلّامة في ذيل الآية السابعة من سورة آل عمران أنّ القرآن لا يحتاج إلى السنة ويمكن تفسيره بصورة مستقلة وان ظاهره حجة، أي أن الرجوع إلى السنة جائز وغير واجب، وكلامه في الآية ٤٤ من سورة النحل عن حجيّة قول النبيﷺ وأهل بيتهﷺ، فلا يوجد تنافي بين الاثنين. ولكن هذا التوجيه غير تام أيضاً، فإذا أثبتنا حجية السنة واعتبار الأحاديث من القرائن في التفسير، فلا يمكن غض النظر عن تلك القرائن ونقول بعد ذلك ان القرآن لا يحتاج إليها.

تصف الله سبحانه وتعالى بأنّه «سميع» و «بصير»[١] والآية الشريفة ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾،[٢] ولابد من إرجاع مثل هذهِ الآيات إلى الآيات المحكمة مثل الآية: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾.[٣]

حيث يتضح معناها في ضوء هذهِ الآيات، فعندما نقارن الآيات المذكورة مع الآيات المحكمة، فسوف يتبيّن أنّ المقصود باليد هنا ليست هي اليد الجسمانية بل هي شيء آخر كالقدرة مثلاً. وعلى هذا يمكن تفسير معنى الآية ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ بمعنىٰ قدرة الله.

ب) الجمع بين الآيات المطلقة والمقيّدة

جاءت بعض الآيات بصورة مطلقة بدون قيد في حين ذُكرت آيات أُخرىٰ مقيدة ببعض القيود؛[٤] فتفسير الآيات المطلقة بدون النظر في الآيات المقيّدة غير صحيح ولا يكشف عن المراد الجدّي للمتكلم. وبعبارة أُخرى إن الآيات المقيدة مفسرة للآيات المطلقة، فمثلاً جاء ذكر الصلاة في بعض الآيات بصورة مطلقة ﴿أَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾،[٥] في حين قُيدّ هذا الإطلاق بزمان خاص في آيات أُخرى كما في الآية: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ﴾.[٦]

وكذلك جاءت حرمة الدم بصورة مطلقة في الآية ١٧٣ من سورة البقرة في حين ذكرت الحرمة بصورة مقيَّدة (دماً مسفوحاً) في الآية ١٤٥ من سورة الانعام.

ج) الجمع بين العام والخاص

جاءت ألفاظ بعض الآيات على جهة العموم والشمول لأفراد كثيرين، وذلك باستعمال بعض ألفاظ العموم، مثل كُل، في حين خصَّصَت آيات أُخرى هذا العموم وبما أن تفسير القرآن هو تعيين المراد الإلهي وتوضيح الآية بصورة كاملة، فإنّ هذا لا يحصل الّا

١. الشورى، ١١ ٢. الفتح، ١٠ ٣. الشورى، ١١

٤. في معنىٰ المطلق والمقيد، العام والخاص، الاداة وشرائطها تراجع الكتب الأُصولية التالية: آخوند الخراساني، الكفاية؛ شيخ الأنصاري، الرسائل؛ الشهيد الصدر، حلقات و...

٥. البقرة، ٤٣، ٨٣، ١١٠؛ النساء، ٧٧ و...

٦. الاسراء، ٧٨، وهناك قيد آخر في الآية ١١٤ من سورة هود.

بوضع الخاص بجانب العام. وبعبارة أُخرى ان الآيات الخاصّة تفسِّر وتبيِّن العموم في الآيات الأُخرى، فمثلاً جاء ذكر الزواج بصورة مطلقة في الآية ﴿فَانكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾[١] واستثنيت موارد خاصة في الآية الكريمة ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُۥ كَانَ فَـٰحِشَةً وَمَقْتًا وَسَآءَ سَبِيلاً ۝ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَـٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَ...﴾.[٢] ففي الآيات الأُولى وردت الرخصة في الزواج من جميع النساء، أمّا في الآيات الأُخرى فقد استثنىٰ الأم والأخت وزوجة الأب و... وخُصِّصَ العموم عن هذا الطريق ثم خُصِّصَ العموم الثاني (المنع من زواج زوجة الأب) مرة أُخرى، وهناك أمثلة كثيرة للتخصيص في آيات القرآن.

د) توضيح الآيات المجملة بواسطة الآيات المبيّنة

وردت بعض الآيات في القرآن الكريم بصورة مختصرة، فيما جاء بيان هذا الموضوع بصورة مفصّلة في مكان آخر. فالمجموعة الثانية من الآيات تُفسِّر الآيات الأُولى.

وقد لا يُفهم المعنى والمراد من الآيات المجملة دون الرجوع إلى الآيات المبيِّنة، وحينئذٍ لا يكون التفسير صحيحاً.

المثال الأوّل: أشار القرآن الكريم إلى مسألة اكل لحوم الحيوانات بقوله: ﴿أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَـٰمِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾[٣] وقال في آية أُخرى ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَ...﴾.[٤] ففي الآية الأُولى جاء تحريم لحوم بعض الحيوانات بصورة مجملة، وأنّه سوف يأتي تحريم بعض انواع اللحوم في المستقبل؛ وقد بُينت هذهِ الموارد في الآية الأُخرى؛ فهنا تكون الآية الثانية مفسِّرة للآية الأُولىٰ.

المثال الثاني: وردت ثلاثة تعابير في شأن ليلة القدر في القرآن الكريم وهي:

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَـٰرَكَةٍ﴾.[٥]

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾.[٦]

﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾.[٧]

---

١. النساء، ٣ ٢. النساء، ٢٢، ٢٣ ٣. المائدة، ١
٤. المائدة، ٣ـ٥ ٥. الدخان، ٣ ٦ القدر، ١
٧. البقرة، ١٨٥

وعند وضع الآيات الثلاثة معاً نستنتج ان القرآن نزل في ليلة مباركة في شهر رمضان. ومثل هذا التفسير الكامل لا يحصل بقراءة الآيات بصورة منفصلة، بل لابد من ضمّ بعض الآيات إلى بعضها الآخر.

هـ) تعيين مصداق الآية بواسطة الآيات الأُخرى

قد يأتي في بعض الآيات بيان بعض المطالب بصورة كلية خالياً من ذكر المصاديق، في حين تذكر هذهِ المصاديق في آيات أُخرى، وعند جمع الآيات ومراجعتها ومقابلة بعضها ببعض تتضح مصاديق الآيات الأُولىٰ.

مثال: نقرأ في سورة الحمد: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۞ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾.[1]

وفي آية أُخرىٰ ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُولَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّينَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾.[2] فقد جاء ذكر مصاديق الذين أنعم الله عليهم، وهم الأنبياء والصديقون والشهداء والصالحون في هذهِ الآية، وآتضحت مصاديق الذين أنعم الله عليهم، والذين جاء ذكرهم في الآية الأُولى بصورة كلية.

و) الاستفادة من سياق الآيات

السياق عبارة عن: «نوع خاص للألفاظ أو العبارات أو الكلام يظهر على أثر اقترانه مع كلمات وجمل أُخرى».[3]

ويُعدّ اتصال الكلام وارتباطه واعتماد قرينة السياق على فهم كلام الأفراد من الأصول العقلائية المعتمدة في جميع اللغات. فالمفسرون يعتمدون على هذهِ القرينة أيضاً في فهم آيات القرآن ويعتبرونها قرينة ظنيّة.

والسياق له عدة اقسام: فربما يكون السياق سياق كلمات، أو سياق جمل، أو سياق آيات، وسنوضح ذلك بأمثلة:

المثال الأول: كلمة الدين في الآية ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ تعني الجزاء، ويعرف هذا من

١. الحمد، ٦، ٧ ٢. النساء، ٦٩
٣. روش شناسى تفسير قرآن، مجموعة من الكُتّاب، ص ١١٩

خلال إضافة «مالك» إلى «الدين»، أي استفدنا ذلك من سياق الكلمات، في حين جاء لفظ «الدين» في آيات أُخرى بمعنى الشريعة؛[١] لأن هذا المعنى هو مقتضىٰ سياق تلك الآيات.

المثال الثاني: قال تعالى: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ۝ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ۝ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِى فِى ٱلْبُطُونِ ۝ كَغَلْىِ ٱلْحَمِيمِ ۝ خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ۝ ثُمَّ صُبُّوا۟ فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ﴾.[٢]

وقد جاء في نهاية هذهِ الآيات ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ﴾.[٣]

فإذا أخذنا بظاهر هذهِ الآية دون الالتفات إلى سياق الآيات المتقدمة لفُهِم منه أن الله سبحانه وتعالى يخاطب شخصاً محترماً وعزيزاً، أما إذا أخذنا بنظر الاعتبار الآيات المتقدمة فسوف يتبين أن هذا الشخص (الذي اعتبر عزيزاً كريماً في الآية) ما هو إلّا ذليل وحقير.[٤]

المثال الثالث: قال تعالى: ﴿لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾.[٥] وللمفسرين رأيان في هذهِ الآية:

اعتبر بعض المفسرين ان معنىٰ اللهو في هذهِ الآية هو المرأة والولد وهي إشارة إلى نفي عقائد المسيحيين الذين يعتقدون ان لله زوجةً وولداً.

والمجموعة الأُخرى ذهبت إلى ان معنى اللهو هو التسلي، أو الأهداف غير المعقولة. وعلى هذا يكون معنىٰ الآية ان هدف الخالق ليس هو التسلي.

وقد تمسّك أصحاب الرأي الثاني بالسياق لرد الرأي الأوّل؛ لان ارتباط الآيات أعلاه سينقطع بالآيات السابقة إضافةً إلى أن كلمة «اللهو» إذا جاءت بعد كلمة «اللعب» فتعني التسلي وليس المرأة والولد.[٦]

وقد استفاد العلّامة الطباطبائي من هذهِ الطريقة كثيراً في تفسير القرآن بالقرآن واستدل بمفهوم السياق في كثير من الموارد في تفسير الميزان.

---

١. ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَ دِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ...﴾ التوبة، ٣٣
٢. الدخان، ٤٣ـ٤٨ ٣. الدخان، ٤٩
٤. أُنظر: تفسير القرآن الكريم للرحمن: ج ١، ص ٢٢، نقلاً عن: ابن القيم، بدائع الفوائد.
٥. الأنبياء، ١٧ ٦. أُنظر: تفسير نمونه (الأمثل)، ج ١٣، ص ٣٧٠، ٣٧١ (الهامش).

ز) الالتفات إلى الآيات المشابهة (من حيث اللفظ أو المحتوى)

القرآن الكريم كتاب هداية وتربية؛ فقد يطرح الموضوع الواحد في عدة سور وتتناول كل سورة من السور جانباً من جوانب هذا الموضوع بصورة قد تتشابه فيها الموضوعات بعضها مع البعض الآخر. فعلى المفسِّر أن يلتفت إلى الموضوعات المُتشابهة في التفسير، وأن يضع الآيات بعضها مع البعض الآخر حتى يتضح معناها. فقد تأخذ هذهِ الطريقة في الواقع اسم التفسير الموضوعي كما فعل ذلك آية الله مكارم الشيرازي في كتاب پيام قرآن وآية الله السبحاني في كتاب منشور جاويد، أو قد تأخذ طابع التفسير الترتيبي فيما إذا قام المفسر بجمع آيات الموضوع الواحد في موارد مختلفة من التفسير، كما استخدم العلّامة الطباطبائي هذهِ الطريقة في تفسير الميزان.

المثال الأوّل: قام العلّامة الطباطبائي في الآية (٢٩) من سورة البقرة بدراسة المباحث المتعلقة بإعجاز القرآن والآيات الّتي جاءت حوله. وأورد بحثاً قرآنياً حول كلمات الله والإمامة و... في الآية (١٢٤) من سورة البقرة.

المثال الثاني: طريقة تفسير القرآن بالقرآن لها ثمرات عمليّة كثيرة في تفسير القصص القرآني، فقد ذكرت قصة آدم‌ؑ وإبليس في الآيات (٢٠ـ ٣٨) من سورة البقرة والآيات (١١ ـ ٢٥) من سورة الاعراف وكذلك وردت‌قصة موسى‌ؑ وإبليس في الآيات (١٠٣ ـ ١٥٥) من سورة الأعراف، والآيات (٩ ـ ٩٨) من سورة طه، والآية (١٠) من سورة الشعراء، فما بعد. فقد تناولت كل من هذهِ السور أحد المواضيع بصورة مختلفة ومن أبعاد وزوايا متعددة، فنضطر حينئذٍ لمراجعة جميع هذهِ السور للحصول على تفسيرها.

ك) رفع الاختلاف الظاهري بين الآيات المختلفة

بعض آيات القرآن تبدو متعارضة فيما بينها، ولكن هذا التعارض سرعان ما يختفي بعد التأمل والتدقيق ومراجعة تفاسيرها. فعلى المفسِّر مراجعة هذا النوع من الآيات وجمعها وتفسير أحدها بالأُخرىٰ؛ لكي يرتفع التعارض الظاهري بينها.

مثال: ذكرَ القرآن الكريم مسألة تعرّض الكافرين للسؤال يوم القيامة فقال:

﴿وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾[١] وقد جاء في مورد آخر ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾[٢] فالظاهر من الآيات التعارض فيما بينها، ولكن بعد التأمل فيها نفهم ان يوم القيامة له مواقف متعددة يتعرض الإنسان في بعضها إلى السؤال دون البعض الآخر، أو انّه لا يُسأَل سؤالاً تحقيقياً وانما يسأُل من أجل التوبيخ فقط؛ لان الأُمور يوم القيامة ستكون واضحة.

وهذه المجموعة من الآيات تُشير إلى هاتين المسألتين فلا يوجد تنافٍ بينهما.[٣]

ل) تحديد معاني الاصطلاحات القرآنية بالاستعانة بالآيات الأُخرى

توجد في القرآن الكريم اصطلاحات خاصة خارجة عن معناها اللغوي، فلا يمكن تفسيرها وترجمتها بمراجعة كتب اللغة، بل يجب مراجعة الآيات الأُخرى ومعرفة لغة القرآن.

الامثلة مصطلح «الجن»: المعنى اللغوي هو «المستور، المخفي» وفي اصطلاح القرآن هي موجودات عاقلة لا ترى بالعين.

«الكافر»: بمعنى الساتر اما في اصطلاح القرآن فتطلق على الشخص الذي ينكر وجود الله، أو يوم القيامة أو... وقد تأتي بمعنىً عدم الشكر.

«الآية»: تعني: العلّامة، اما في القرآن فقد تأتي بمعنى الآية القرآنية أو المعجزة (لم يذكر لفظ المعجزة في القرآن بمعناه الاصطلاحي).

وهناك اصطلاحات أُخرى مثل الصلاة، الزكاة، الجهاد، و... يفهم معناها الاصطلاحي بالتدبر في آيات القرآن.

م) تعيين أحد احتمالات معنى الآية بالآيات الأُخرى

قد توجد احتمالات متعددة في معنى الآية فيتقوى أحد الاحتمالات من خلال مراجعة آيات أُخرى، أي أنَّ هذهِ الآيات تبين وتفسر آيات أُخرى.[٤]

١. القصص، ٧٨؛ ومُشابه هذهِ الآية في الرحمن، ٣٩ ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ﴾.
٢. الحجر، ٩٢؛ ومشابه تلك الآية: التكاثر، ٨؛ الصافات، ٢٤
٣. تفسير نمونه: ج ١٦، ص ١٦١، (وجّه بعض المفسرين هذهِ الآيات توجيهات أُخرى)
٤. في الحقيقة يتشابه هذا البحث بصورة كبيرة مع بحث رد المتشابهات إلى المحكمات ولكن يبدو ان نسبة هذهِ الطريقة مع طريقة المحكم والمتشابه هي نسبة العموم والخصوص من وجه.

مثال: قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾.[١]

فالخليفة قد يراد به «نائب وخليفة الله سبحانه» والمراد به كل أفراد البشر، أو أن آدمﷺ هو خليفة نوع من الموجودات الأرضية كانت موجودة قبله. وقد رجّح العلّامة الطباطبائي المعنى الأوّل بالاستعانة بالآيات (٦٩) من الأعراف، والآية (١٤) من يونس، والآية (٦٣) من النحل.[٢] لأنّه من خلال الآيات (جعلكم ـ جعلناكم) أُعطى جميع أفراد البشر صفة الخلافة.

ن) جمع الآيات الناسخة والمنسوخة

لقد جاءت بعض الآيات لتبيّن بعض الأحكام ثم أنزلت آيات أُخرى (على أساس المصلحة والشرائط الجديدة) ونسخت الآيات السابقة وشرّعت أحكاماً جديدة. وثمّة اختلاف بين المتخصصين في علوم القرآن في عدد الآيات المنسوخة بين آية إلى ثلاثمائة آية.[٣]

وعلى المفسر حين يشرع في تفسير الآية أن يأخذ بنظر الاعتبار الآيات الناسخة والمنسوخة، والّا فسوف يكون تفسيره تفسيراً ناقصاً.

مثال: ورد الأمر في سورة المجادلة بان على المؤمنين أن يتصدقوا في حالة وجود كلام خصوصي لهم مع النبيﷺ، ولم يعمل بهذا الحكم إلّا الإمام عليﷺ، وقد نسخ هذا الحكم في الآيات الأُخرى،[٤] وعلى هذا فبيان الحكم الأوّل بدون ذكر الناسخ في الآية الأُخرىٰ يكون تفسيراً ناقصاً.

أما إذا جاء بيان الحكمين معاً فسوف تكون هذه الطريقة تفسيراً للقرآن بالقرآن.

ورغم أن هذا العمل يبدو سهلاً وبسيطاً ولكنه لا يطّرد في جميع الآيات الناسخة والمنسوخة.

---

١. البقرة، ٣٠ ٢. الميزان، ج ١، ص ١١٧

٣. أنظر: آية الله السيد الخوئي، كتاب البيان، بحث النسخ.

٤. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۝ أَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ﴾ المجادلة، ١٢، ١٣

ملاحظة

وهناك بعض الأنواع والأساليب الفرعية الأُخرى لهذهِ الطريقة، وهي عبارة عن:

١. توضيح كلمة بآية أُخرى.[١]

٢. بيان القصص القرآنية.

٣. توضيح الآيات المختصرة بواسطة الآيات المفصّلة كما جاء ذلك في نفس هذا الموضوع.

٤. التفسير الموضوعي للقرآن.

٥ . تعيين مراد آية بآية أُخرى.[٢]

وقد أوضحنا ذلك كلّه خلال ذكرنا للأنواع والطرق الفرعيَّة لتفسير القرآن بالقرآن؛ لأنها تقبل الادغام بعضها ببعض. وقد توجد أنواع أُخرى من تفسير القرآن بالقرآن، أو يمكن تقسيم الأنواع السابقة إلى عدة أقسام فرعية.

التعريف ببعض تفاسير القرآن بالقرآن

من أهم الكتب الّتي استخدمت هذهِ الطريقة بكثرة هي:

١. الميزان في تفسير القرآن للعلّامة الطباطبائي (١٣٢١ ـ ١٤٠٢هـ).

٢. الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن للدكتور محمد الصادقي الطهراني (معاصر).

٣. آلاء الرحمن في تفسير القرآن، للشيخ محمد جواد البلاغي (م ١٣٥٢هـ) بلغ هذا التفسير إلى الآية (٥٧) من سورة النساء.

٤. التفسير القرآني للقرآن لعبد الكريم الخطيب (ألفه عام ١٣٨٦هـ).

٥ . تفسير أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآنلمحمد أمين بن محمد مختار (١٣٠٥ ـ ١٣٩٣هـ).

---

١. قيل أن الشيخ الطوسي ﷺ استفاد من بعض هذهِ الأنواع في التبيان. أُنظر: التبيان: ج ٢، ص ٤٧، ٥٨.
٢. المصدر السابق

الخلاصة

توصلنا في هذا الدرس إلى النتائج التالية:

١. إنّ طريقة التفسير في نظر العلّامة الطباطبائي على صورتين: طريقة التحميل وطريقة تفسير القرآن بالقرآن.

٢. ينقسم هذا المنهج في نظر الأستاذ معرفة إلى نوعين:وجود الارتباط الظاهري بين الآيات، وعدم وجود الارتباط الظاهري بين الآيات.

٣. أشار كُلّ العلماء في هذا المجال إلى نوع خاص من تفسير القرآن بالقرآن وقد ايَّدوا هذا المنهج في التفسير.

٤. منهج تفسير القرآن عبارة عن تبيين معاني آيات القرآن وتعيين المراد الجدّي منها بواسطة الآيات الأُخرى.

٥. هناك رأيان في مورد الاستفادة من الأحاديث في تفسيرالقرآن بالقرآن؛ فهناك من قال بوجوب الاستفادة منها في التفسير، وأنّ عدم استخدام القرائن النقلية في التفسير يُعتبر نوعاً من أنواع التفسير بالرأي.

٦. وهناك من قال بعدم حاجة تفسير القرآن بالقرآن إلى الأحاديث، بل أنّ الأحاديث لا تصلح أن تكون أداةً للتفسير.

٧. وقد أُجيب عن الرأي الثاني بانّه ليس هناك تعارض بين كون القرآن واضحاً وبيِّناً مع حجية الأحاديث والاستفادة منها في التفسير، بل أن الرسول ﷺ وطبقاً للآية (٤٤) من سورة النحل، يُعتبر هو المبُيِّن للقرآن، وكذلك أحاديث أهل البيت عليهم السلام على أساس حديث الثقلين.

٨. استنتجنا من خلال الجمع بين رأي العلّامة في الآية (٧) من سورة آل عمران وكلامه في الآية (٤٤) من سورة النحل أنّه يذهب إلى الرأي الأوّل.

٩. ان أكثر أنواع تفسير القرآن بالقرآن شيوعاً هي:

ارجاع المتشابهات إلى المحكمات، حمل الآيات المطلقة على المقيّدة، والعامة على الخاصة، توضيح الآيات المجملة بالمبيّنة والمفصّلة، تعيين مصداق الآية بواسطة الآيات الأُخرى، الاستفادة من السياق في التفسير، الالتفات إلى الآيات المتُشابهة،

الالتفات إلى الآيات المخالفة ورفع الاختلاف الظاهري بينهما، تحديد معاني الاصطلاحات القرآنية بالآيات الأُخرى، ترجيح أحد الاحتمالات بواسطة آيات أُخرى، الجمع بين الآيات الناسخة والمنسوخة.

١٠. ذكرنا بعض تفاسير القرآن بالقرآن ومن أهمها تفسير الميزان الذي استفاد كثيراً من هذه الأنواع.

الاسئلة

١. متى بدأ تفسير القرآن بالقرآن؟ اذكر مثالاً على ذلك.

٢. كيف تدل الآية ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ على لزوم تفسير القرآن بالقرآن؟

٣. كيف تدل الآية ﴿مِنْهُ ءَايَـٰتٌ مُّحْكَمَـٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَـٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَـٰبِهَـٰتٌ﴾ على تفسير القرآن بالقرآن؟ مع ذكر مثال.

٤. ناقش رواية «القرآن يفسر بعضه بعضاً» من خلال السند والدلالة.

٥. ناقش رواية «ضرب القرآن» من حيث السند والدلالة وهل تعارض تفسير القرآن بالقرآن؟

٦. ما هي علاقة تفسير القرآن بالقرآن مع حجية ظواهر القرآن؟ وضح ذلك.

٧. بيّن دليل حجيّة ظواهر القرآن.

٨. ما هي انواع تفسير القرآن بالقرآن على رأي العلّامة معرفة؟

٩. عرِّف تفسير القرآن بالقرآن مع ذكر مثال.

١٠. اذكر الرأيين في مكانة السنة في تفسير القرآن بالقرآن وبيِّن رأي العلّامة الطباطبائي في هذا المجال.

١١. بيّن طريقة المطلق والمقيد والعام والخاص في تفسير القرآن مع ذكر مثال.

١٢. وضِّح طريقة تعيين المصداق في تفسير القرآن بالقرآن مع ذكر مثال.

١٣. عرِّف السياق واذكر مكانته في تفسير القرآن.

١٤. ما هي علاقة التفسير الموضوعي مع تفسير القرآن بالقرآن؟ مع ذكر مثال.

١٥. كيف يمكن رفع التعارض الظاهري للآيات بواسطة تفسير القرآن بالقرآن؟ مع ذكر مثال.

١٦. ما هي علاقة بحث الناسخ والمنسوخ مع تفسير القرآن بالقرآن؟
١٧. اذكر ثلاثة من تفاسير القرآن بالقرآن على الأقل مع ذكر اسم المؤلف.

بحوث جديدة

١. اذكر الأحاديث التي قالها النبيﷺ وأهل البيتعليهم السلام في تفسير القرآن بالقرآن وصنّفها حسب الانواع.
٢. اذكر موارد تفسير القرآن بالقرآن في آثار الصحابة والتابعين وصنّفها حسب الانواع.
٣. ناقش الروايات التي استدل بها الموافقون على تفسير القرآن بالقرآن من حيث السند والدلالة.
٤. ناقش روايات «من خوطب به» من حيث السند والدلالة.
٥. ماهي آثار حجيّة وعدم حجيّة ظواهر القرآن؟ ناقش ذلك.
٦. قارن بين رأي الاخباريين والأُصوليين بالنسبة إلى القرآن في كتبهم مع النقد.
٧. اذكر مصاديق تفسير القرآن بالقرآن التي استفاد منها صاحب تفسير مجمع البيان والتبيان.
٨. اذكر رأي العلّامة الطباطبائي بالنسبة إلى منهج تفسير القرآن بالقرآن في تفسير الميزان بصورة كاملة مع التحليل.
٩. ناقش منهج العلّامة في تفسير الميزان مع التحليل.
١٠. استخرج موارد أُخرى من انواع تفسير القرآن بالقرآن لم تذكر في هذا الكتاب.
١١. اكتب تفسيراً موضوعياً تحت عنوان «عصا آدم» الواردة في كل من السور التالية: الاعراف، طه، الشعراء و....
١٢. اكتب تحقيقاً حول أحد تفاسير القرآن بالقرآن مع نقد وتحليل المنهج المستخدم.

مصادر للمطالعة

١. تفسير الميزان، العلّامة الطباطبائي، ج ١، المقدمة؛ ج ٣ الآية السابعة من سورة آل عمران.
٢. التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب، آية الله معرفة، ج ٢.
٣. الفوائد المدنيّة، الأمين الاسترآبادي.
٤. تفسير الصافي، ج ١، المقدمة.
٥. الطباطبائي ومنهجه في تفسير الميزان، علي الأوسي.
٦. تفسير القرآن بالقرآن عند العلّامة الطباطبائي، خضير جعفر.

٤
منهج التفسير الروائي للقرآن ١

الاهداف التعليميّة

الهدف الأساسي: الاطلاع علىٰ استخدام الروايات في التفسير.

الأهداف الثانويّة: ١) الاطلاع علىٰ الآراء حول مكانة الروايات في التفسير؛ ٢) معرفة اقسام الروايات ومدىٰ تأثيرها في التفسير.

المقدّمة

يُعدّ منهج التفسير الروائي من أقدم المناهج التفسيريَّة وأكثرها شيوعاً. وهو أحد أقسام «التفسير بالمأثور»[1] و «التفسير النقلي». وللتفسير الروائي مكانة خاصة بين المناهج التفسيريَّة، وكان دائماً محط اهتمام المُفسرين.

وقد اتخذ في بعض الأحيان اتجاهاً متطرفاً حيث أنّ بعض المفسرين لم يرتضِ إلّا هذا المنهج في التفسير ورفض بقيّة المناهج. وفي الواقع هناك اتجاهات مُخالفة لهذهِ الطريقة ومُعتدلة في استخدام هذا النهج.

وسوف نقوم هُنا ببحث آراء المتخصصين في هذا المجال بالنسبة إلى التفسير الروائي والاتجاهات الإفراطيَّة والتفريطيَّة فيه، ودور وحدود أقسام الأحاديث في

---

١. التفسير بالمأثور يشمل: تفسير القرآن بالقرآن، تفسير القرآن بالسنَّة، تفسير القرآن بأقوال الصحابة والتابعين. فالمراد من التفسير الروائي عند الإطلاق هو القسم الثاني أنظر: التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب: ج ٢، ص ٢١ وما بعدها.

تفسير القرآن، لكي يرتفع الإبهام في هذا المجال ويمكننا الاستفادة من أحاديث النبيﷺ وأهل البيتعليهم السلام في تفسير القرآن بصورة أكثر وضوحاً.

الاصطلاحات

هُناك ثلاثة اصطلاحات أساسيَّة في هذا البحث:

أ) المنهج.

ب) التفسير.[1]

ج: الروائي:

الرواية في الأصل تعني «النقل والحمل»، ورواية الحديث بمعنىٰ نقل وتحمّل الحديث.[2] وقد قسّم العلماء التفسير بالمأثور (التفسير النقلي) إلى أربعة أقسام:

الأوّل: تفسير القرآن بالقرآن.

الثاني: تفسير القرآن بالسُنَّة.

الثالث: تفسير القرآن بأقوال الصحابة.

الرابع: تفسير القرآن بأقوال التابعين.[3]

ولكن المقصود من التفسير الروائي هو تفسير القرآن بالسُنة.. والسنّة هي «قول وفعل وتقرير» المعصوم (النبيﷺ والأئمةعليهم السلام)، أيّ انّهُ قد يصدر عن المعصوم كلامٌ في تفسير آية، وقد يقوم بعمل (كالصلاة) يكون تفسيراً للآيات المتعلقة بالصلاة، وقد يكون تقريراً من المعصوم وذلك فيما إذا صدر عن شخص كلامُ أو عمل عملاً طبقاً لبعض الآيات في حضور الإمام وأقرّه علىٰ ذلك، أيّ أنّ المعصوم يؤيِّد هذا الكلام أو الفعل بسكوته عن ذلك الفعل أو القول.

الخلاصة والنتيجة

المقصود من منهج التفسير الروائي هُنا هو استفادة المفسِّر من سُنَّة النبيﷺ وأهل البيتعليهم السلام (والّتي تشمل قولهم وفعلهم وتقريرهم) لتوضيح معاني آيات القرآن

---

١. مرّ تعريف المنهج والتفسير في الدرس الثاني.

٢. مصباح اللغة، مادة «روىٰ»؛ التحقيق في كلمات القرآن الكريم: ج ٤، ص ٨، مادة «رأىٰ»

٣. أُنظر: التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب، ج ٢، ص ٢١ وما بعدها.

ومقاصدها. وهذا المنهج يحقق نتائج وآثارا خاصة أيضاً.

ملاحظة: رغم انّهُ يمكن الاستفادة من روايات الصحابة والتابعين في تفسير القرآن في موارد خاصة، وأنّ الكثير من أقوالهم في التفسير يُعتبر مفيداً ونافعاً ولكن هُناك اختلاف بين علماء المسلمين في حجيّة سنتهم ومساحة اعتبار رواياتهم.

نبذة تاريخيَّة

يمكن تقسيم الأدوار التاريخية للتفسير الروائي إلى عدة أدوار:

أ) عصر النبيﷺ

نشأ التفسير الروائي مُقارناً للوحي: لأن النبيﷺ هو أوّل مُفسِّر ومُبيِّن للقرآن، وقد جاء الأمر الإلهي بهذا الخصوص في قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾.[١]

الحق أن سنَّة النبيﷺ وبيانهُ ترجع في جذورها إلى الوحي أيضاً، كما قال الرسولﷺ: «ألا وإني أُوتيت القرآن ومثله معه».[٢] فقد كان الصحابة يرجعون إلى النبيﷺ في تفسير القرآن ويأخذون منهُ معانيه. روي عن ابن مسعود انّهُ قال: «كان الرجل منّا إذا تعلَّم عشر آيات لم يجاوزهُنَّ حتى يعرف معانيهنَّ والعمل بهنَّ».[٣]

وربما كان أصحاب النبيﷺ يسألونه حتى أنّهم كانوا يحبّون أن يجيء الاعرابي فيسألهُ حتى يسمعوا.[٤]

وقد يكون عملهﷺ تفسيراً للقرآن، كما روي عنهُﷺ انّه قال بشأن الصلاة: «صلّوا كما رأيتموني أُصلّي»،[٥] وروي عنهُ انّهُ قال: «خذوا عني مناسككم».[٦] وفي هذهِ الصورة تكون أفعال النبيﷺ تفسيراً لجزئيات الصلاة والحج.

روي عن الإمام الصادقؑ أنّهُ قال: «إن الله أنزل علىٰ رسوله الصلاة ولم يُسَمِّ لهم

١. النحل، ٤٤ ٢. السيوطي، الاتقان، ج ٤، ص ١٧٤

٣. تفسير الطبري، ج ١، ص ٢٧، ٢٨، ٣٠

٤. الاسكافي، المعيار والموازنة، ص ٣٠٤؛ آية الله معرفة، التفسير والمفسرون، ج ١، ص ١٧٥

٥. البحار الانوار، ج ٨٥، ص ٢٧٩

٦. لم نجد هذهِ الرواية بلفضها ولكن جاء مضمونها في البحار، ج ٢٨، ص ٩٥؛ ج ٣٧، ص ١١٥.

ثلاثا ولا أربعاً، حتى كان رسول الله ﷺ هو الذي فسَّر لهـم ذلك».[١] نـعم؛ لقـد بـيَّن الرسول ﷺ المسائل الّتي ذُكرت بصورة كليَّة في القرآن الكريم مثل (الصلاة، الصوم، الحج و...)، وكـذلك وضّـح مـوارد تـخصيص العـمومات وتـقييد المـطلقات، وبـيَّن الاصطلاحات الجديدة في القرآن، ولغة القرآن والناسخ والمنسوخ. وجميع هذهِ الأُمور كانت تفسيراً للقرآن وصلتنا بواسطة الروايات والسُـنَّة ولا تـزال مـوجودة كـمصادر للتفسير الروائي.[٢]

ب) عصر أهل البيت عليهم السلام

استمرت طريقة التفسير الروائي إلى عصر الأئمة عليهم السلام. وكان الإمام عـلي عليه السلام ـ تـلميذ الرسول ﷺ في التفسير ـ[٣] يسمع ما يقوله النبي ﷺ في تبيين آيات القرآن ويقوم بنقله وروايته، وقد اتبع أهل البيت عليهم السلام هذا المنهج أيضاً، فكـانوا يـنقلون الأحـاديث للناس عن النبي ﷺ والإمام علي عليه السلام ويستدّلون بها، وقد وصل عدد الروايات المروية عنهم عليهم السلام إلى بضعة آلاف.[٤]

وقد تصدّى أهل البيت عليهم السلام لتفسير القـرآن لاطـلاعهم عـلى العـلوم الالهـيَّة؛ ولذا اعتُبرت سنتهم (قولهم وفعلهم وتقريرهم) من مصادر التـفسير وجـزءاً مـن التـفسير الروائي؛ وفي هذا الإطار سأل رجل الإمام الرضا عليه السلام فقال: «انك لتفسِّر من كتاب الله ما لم يُسمع، فقال عليه السلام: علينا نزل قبل الناس ولنا فُسِّر قبل ان يُفسّرُ في الناس، فنحنُ نعرف حلاله وناسخه ومنسوخه و...»[٥] وقال في حديث آخر: «فانما على الناس ان يـقرؤا القرآن كما أُنزل، فإذا احتاجوا إلى تفسيره فالاهتداء بنا وإلينا».[٦]

---

١. الكافي، ج ١، ص ٢٨٦؛ العياشي، ج ١، ص ٢٤٩ـ٢٥١؛ الحاكم الحسكاني، ج ١، ص ١٤٩؛ آية الله معرفة، التفسير والمفسرون، ج ١، ص ١٨١

٢. للاطلاع على أحاديث النـبي ﷺ فـي التـفسير راجـع: الاتـقان، ج ٤، ص ١٨٠، ٢١٤ـ٢٥٧؛ التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب، ج ١، ص ١٨١ـ١٩٩.

٣. اعترف الذهبي بهذا الأمر في التفسير والمفسرون، ج ١، ص ٨٩.

٤. نقل آيةالله معرفة في التفسير والمفسرون، ج ١، ص ١٨١ عن نجل السيد هاشم البحراني أنّهُ قام بجمع ما أُسند إلى النبي ﷺ من التفسير المروي عن طريق أهل البيت عليهم السلام فبلغ لحد الآن أربعة آلاف حديث.

٥. نور الثقلين، ج ٤، ص ٥٩٥، ح ١٩

٦. تفسير فرات الكوفي، ص ٢٥٨، ح ٣٥١

وعلى هذا، قام أهل البيت‌عليهم السلام بتبيين مسائل متنوعة في مجال تفصيل الأُمور الكليّة الّتي وردت في القرآن وآيات الأحكام، المخصِّصات، المقيِّدات، اللّغات، الناسخ والمنسوخ والاصطلاحات الجديدة في القرآن، وكذلك تبيين باطن الآيات وتأويلها ومصاديقها.

ج) عصر الصحابة والتابعين

حظيت الروايات التفسيريّة للنبي‌صلى الله عليه وآله وأهل البيت‌عليهم السلام باهتمام الصحابة والتابعين، حتى أنّ بعض الصحابة الكبار أَمثال ابن عباس وابن مسعود كانوا لا يروْن انفسهم مستغنين عن الإمام علي‌عليه السلام، والاستفادة من علمه. وإنّ كثيراً من أحاديث التفسير لابن عباس تلقّاها عن الإمام علي‌عليه السلام.[١]

وفي الحقيقة أن الصحابة والتابعين قاموا بتفسير القرآن أيضاً، وقد وصلتنا روايات كثيرة عن ابن عباس وغيره.[٢]

يُذكر أن الروايات التفسيريَّة في هذهِ الفترة جُمعت بصورة تدريجيَّة باسم «كتب التفسير الروائي المشهورة».

د) عصر جمع وتأليف الروايات التفسيريّة

أوّل تدوين في هذه المجموعة عند الشيعة هو الكتاب المنسوب إلى الإمام علي‌عليه السلام والذي ورد على شكل رواية مفصّلة في بداية تفسير النعماني.[٣]

وهناك كتاب آخر، هو مصحف علي بن أبي طالب، الذي جاء فيه بالاضافة إلى الآيات القرآنية: تأويل القرآن والتفسير وأسباب النزول، وإن كان هذا الكتاب ليس في متناول أيدينا الآن.[٤]

ثم التفسير المنسوب إلى الإمام الباقر‌عليه السلام (٥٧ ـ ١١٤هـ) المنقول عن طريق أبي

١. قال ابن عباس: «جل ما تعلمت من التفسير من علي بن أبي‌طالب»؛ بحار الأنوار، ج ٨٩، ١٠٥، ١٠٦.
٢. أُنظر: الذهبي وآية الله معرفة، التفسير والمفسرون، (مبحث ابن عباس).
٣. قد تذكر هذه الرسالة بعنوان رسالة المحكم والمتشابه وتُنسب إلى السيد المرتضى وقد رويت في بحار الأنوار، المجلدات المختصة بالقرآن. أُنظر: السيد حسن الصدر، تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام، ص ٣١٨.
٤. أُنظر: المجلسي، بحار الأنوار، ج ٨٩، ص ٤٠؛ محمد هادي معرفة، التمهيد في علوم القرآن، ج ١، ص ٢٩٢؛ السيد محمد علي إيازي، سير تطور تفاسير شيعة، ص ٢٨.

الجارود،[١] والتفسير المنسوب إلى الإمام الصادقؑ (٨٣ ـ ١٤٨هـ) والذي جاء متفرقاً في كتاب حقائق التفسير القرآني،[٢] ثم تفسير علي بن إبراهيم القمّي (ت ٣٠٧هـ)، وفرات الكوفي (كان حياً في سنة ٣٠٧هـ)، وتفسير العيّاشي (المتوفّى بعد عام ٣٢٠هـ) وتفسير النعماني (المتوفى بعد عام ٣٢٤هـ)، والتفسير المنسوب إلى الإمام الحسن العسكري (٢٣٢ ـ ٢٦٠هـ).

وقد جمعت الروايات الفقهية عن النبيﷺ وأهل البيتؑ والّتي تعتبر نوعاً من أنواع تفسير آيات الأحكام في مجاميع روائية مثل: الكافي، ومن لا يحضره الفقيه، والتهذيب، والاستبصار؛ كما دُوّن في هذ الوقت تفسير جامع البيان في تفسير القرآن لابن جرير الطبري (المتوفىٰ ٣١٠هـ)، وكذلك الصحاح الستّة لأهل السنة.

ثم واجهت حركة تدوين التفاسير ركوداً نسبياً من القرن الخامس إلى التاسع الهجري؛ فيما برزت التفاسير العقلية والاجتهادية.

أما في القرن العاشر الهجري وحتى القرن الثاني عشر ومع ظهور الحركة الاخبارية فقد دُونت تفاسير روائية كثيرة مثل: البرهان في تفسير القرآن للسيد هاشم الحسيني البحراني (المتوفى ١١٠٧هـ)، وتفسير نور الثقلين للحويزي (المتوفى ١١١٢هـ)، وفي هذا الوقت أيضاً دونت المجاميع الحديثية مثل: وسائل الشيعة، والوافي، وبحار الأنوار؛ والّتي يعتبر الكثير من رواياتها تفسيراً للقرآن.

أما عند أهل السنة فقد دُوّن في ذلك الوقت تفسير الدر المنثور لجلال الدين السيوطي (المتوفى ٩١١هـ).

والآن وفي عصر كتابة التفاسير الجديدة، برز الاهتمام بالروايات التفسيرية والّتي عادة ما تُبحث خلال التفسير أو بصورة منفصلة؛ كما فعل العلّامة الطباطبائي حيث يذكر البحث الروائي بعد كل مجموعة من الآيات.

ملاحظة: لم تسلم الروايات التفسيرية في عصر الجمع والتدوين من ظاهرة الوضع، ووجود الاسرائيليات وتسلّل بعض الروايات الضعيفة؛ وهذا ما يستوجب الحذر والدقة عند الاستفادة من روايات الطبري وأمثاله.

---

١. ابن النديم، الفهرست، ص ٣٦

٢. سير تطور تفاسير شيعه، ٣٩

الآراء حول مكانة الروايات في التفسير

يمكن تقسيم آراء العلماء حول مكانة وحدود الاستفادة من الروايات في التفسير إلى ثلاثة آراء:

الأوّل: استقلال القرآن وعدم احتياجه إلى الأحاديث في التفسير.

وهذا الرأي يمكن ان يطرح بعدة أشكال:

ألف. أن نقول إنّ القرآن نزل بلسان عربي مبين ومفهوم، وإنّ العقل يكفي لفهم القرآن ولا نحتاج إلى الأحاديث في التفسير.[1]

المناقشة

أوّلاً: هذا الرأي يتعارض مع ما جاء في القرآن الكريم كالآية (٤٤) من سورة النحل، وكذا حديث الثقلين، والذي يدّل على حجيّة الأخذ بأحاديث النبيﷺ وأهل البيتؑ في التفسير.[2]

ثانياً: غفل أصحاب هذا الرأي عن أنّ تفسير القرآن لم يأتِ لتوضيح معاني الألفاظ فقط، بل هو يتضمن قضايا كليّة تحتاج إلى بيان كالصلاة، والصوم، والزكاة، والحج، و... وقد تكفلت الأحاديث بذلك.

ثالثاً: إن تفسير القرآن بدون مراجعة أحاديث النبيﷺ وأهل البيتؑ والّتي تعتبر قرائن نقلية في التفسير يُعد من التفسير في الرأي[3] كما صرّح بذلك بعض العلماء.[4]

ملاحظة: يمكن أن يقال أن الجذور التأريخية لهذا الرأي ترجع إلى شعار «حسبنا كتاب الله» الذي رُفع في عصر النبيﷺ والذي أصرّ على فصل القرآن عن أهل البيتؑ، أيّ أنّ هذا الرأي قبل أن يكون رأياً علمياً هو رأي سياسي. فمع كل هذه الأُمور لا يمكن القبول بهذا الرأي.

ب) رأي العلامة الطباطبائيؒ: بحث العلامة الطباطبائي روايات التفسير بالرأي

---

١. در آمدى بر تفسير علمى قرآن، ص ١٠٣

٢. سوف نبحث هذه المسألة في المبحث التالي تحت عنوان «حجيّة السنّة في تفسير القرآن» بصورة مفصّلة.

٣. سيأتي تفصيل هذه المسألة في بحث (منهج التفسير بالرأي).

٤. آية الله الخوئي، البيان، ص ٢٦٩

بصورة مفصّلة في الآية السابعة من سورة آل عمران، وفي ختام البحث قال: «والمُحصّل: أنّ المنهيّ عنه إنما هو الاستقلال في تفسير القرآن واعتماد المفسِّر على نفسه من غير رجوع إلى غيره، ولازمه وجوب الاستمداد من الغير بالرجوع إليه، وهذا الغير لا محالة امّا هو الكتاب أو السنَّة، وكونه هي السنّة ينافي القرآن ونفس السنّة الآمرة بالرجوع إليه وعرض الأخبار عليه، فلا يبقى للرجوع إليه والاستمداد منه في تفسير القرآن إلّا نفس القرآن».[١]

والذي يظهر من كلام العلّامة أنّ التفسير الاستقلالي ليس صحيحاً؛ لأنّه تفسير بالرأي، وتفسير القرآن بالسنة غير صحيح أيضاً؛ لأنّه يتنافىٰ مع القرآن ونفس السّنة، فإذن لا يبقى طريق إلّا بالرجوع إلى القرآن نفسه بالتفسير وهو ما يسمّىٰ «تفسير القرآن بالقرآن».[٢]

المناقشة

رغم أنّ ظاهر كلام العلّامة هنا يدل على عدم احتياج التفسير للروايات، بل عدم جواز ذلك، ولكن عندما نلاحظ كلامه الوارد في الآية (٤٤) من سورة النحل نجد أنّه يعتبر بيان النبيﷺ والأئمةعليهم السلام حجة في تفسير القرآن.[٣] فظاهر كلامه في الآية السابعة لا يكشف عن مقصوده بصورة مطلقة، وقد ذكر أحد تلامذته البارزين تفسيراً بالنسبة إلى استقلال القرآن، يعتبر توضيحاً جيداً لكلام العلامة وهو:

أوّلاً: إن الثقلين لا يمكن ان يفترق أحدهما عن الآخر، بل هما متلازمان ويشكّلان حجة إلٰهية واحدة، غاية ما هنالك أنّ أحدهما يُعتبر أصلاً والآخر فرعاً لذلك الأصل، أو متناً والآخر شرحاً لذلك المتن؛ فالقرآن والعترة لا يفترقان كما أنّه ليس أحدهما في عرض الآخر، فرسالة الدين النهائية ترتبط بالقرآن والسنّة.

ثانياً: إن القرآن الكريم لا يحتاج إلى الغير في سنده ولا في ظواهره ولا في رسم الخطوط الكلّية للدين، وهو مستقل حدوثاً وبقاءً، فهو الثقل الأكبر بالنسبة إلى الأحاديث التابعة إلى القرآن حدوثاً وبقاءً؛ لإنّ المراد من الاستقلال هو الاستقلال

١. الميزان، ج ٣، ص ٨٩
٢. بُحث كلام العلّامة من زاويتين مختلفتين في بحث منهج التفسير بالرأي، ومنهج تفسير القرآن بالقرآن، وقد لوحظ كلامه هنا من زاوية أخرى.
٣. الميزان، ج ١٢، ص ٢٦٠

النسبي وليس الاستقلال النفسي. ومن هنا فان الاعتماد على الأُصول العقلائية في فهم معاني وألفاظ القرآن لا ينافي استقلاله في الحجيّة والدلالة.

ثالثاً: ارتباط الروايات بالقرآن من حيث اعتبار السند (سواءً كان ذلك في السنّة القطعية أو غير القطعية)، وأيضاً من ناحية حجية المتن (في خصوص السنّة غير القطعية). أما بعد تأمين أصل اعتبار السنّة بواسطة القرآن، فسوف تكون حجة مستقلة غير منحصرة، شأنها شأن القرآن.[1] «فالقرآن مستقل في جميع شؤونه وغير مرتبط بالغير، ولكن لأنّ الدين يرتبط بالقرآن وسُنة المعصومين عليهم السلام في عرض رسالته النهائية، ومن هذا الجانب فإن القرآن والسنّة لا يمكن أن يفترقا في بيان مفاهيم الدين في الاعتقاد والعمل، بمعنى أنّ القرآن يتكفل بتبيين الخطوط الكلّية للدين، وتتعهد السنّة ببيان التفصيلات وجزئيات الأحكام».[2]

الثاني: عدم جواز تفسير القرآن إلّا بالروايات:

على أساس هذه الرؤية المتطرفة المنسوبة إلى الأخباريين فإنّه لا يجوز تفسير القرآن الا في ضوء الروايات، ومن هنا اكتفت بعض التفاسير كالبرهان ونور الثقلين بجمع الروايات فقط.

وقد استدل أصحاب هذا الرأي بالأدلة التالية:

أ) إن ظواهر القرآن ليست حجة، وكل تفسير يعتمد على الظواهر والدلائل العقلية والاجتهادية يعتبر من التفسير بالرأي، الذي وردت حرمته والنهي عنه بشدة في الروايات. وعلى هذا الأساس لا يجوز تفسير القرآن إلّا بالأحاديث الواردة عن النبي صلى الله عليه وآله وأهل البيت عليهم السلام.

ب) الروايات الّتي تدل على أن فهم القرآن مختص بمخاطبيه، يعني أهل البيت عليهم السلام، كالحديث الوارد عن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال لقتادة فقيه أهل البصرة: «.. بلغني انك تُفسِّر القرآن. قال لهُ قتادة: نعم. ثم ذكر الإمام بعض المسائل إلى أنّ قال: يا قتادة إنْ كنت إنّما فسّرت القرآن من تلقاء نفسك، فقد هلكت وأهلكت، وإن كنت اخذتهُ من الرجال فقد هلكت وأهلكت. ويحك يا قتادة إنّما يعرف القرآن من خوطب به».[3]

---

١. آية الله الجوادي الآملي، تفسير تسنيم، ج ١، ص ١٥٥ ٢. المصدر السابق، ج ١، ص ١٥٤

٣. الفيض الكاشاني، تفسير الصافي، ج ١، ص ٢٠

ج) عجز عقل البشر عن الإحاطة بتفسير القرآن؛ لقد جاء في بعض الأحاديث إنّ عقل الانسان عاجز في هذا المجال،[١] فقد نُقل عن النبيﷺ انّه قال: «انّه ليس شيء بأبعد من تفسير القرآن»،[٢] وقال الإمام الصادقؑ لجابر: «ان للقرآن بطناً وللبطن بطن، (ثم قال): يا جابر وليس شيء أبعد من عقول الرجال منه».[٣]

د) ذكر بعض العلماء أدلة أُخرى على هذا الرأي مثل:

ـ لا يجوز الاعتماد على الظن في تفسير القرآن، وكل تفسير لا يعتمد على الرواية فانّه لا يكون إلّا ظناً.[٤]

ـ إنَّ النبيﷺ هو المُبيّن للقرآن، وإنَّ آيات القرآن ليست بذلك الوضوح حتى لا نحتاج إلى تفسير النبيﷺ.[٥]

وحيث أنّ هذين الدليلين ليس لهما علاقة كبيرة بموضوع البحث (عدم جواز تفسير القرآن الا بالروايات) فسوف نغض النظر عن الاجابة عليهما.

المناقشة

إنّ علم الأُصول هو الذي يتكفل ببحث حجية ظواهر القرآن وأدلتها؛ ومن هنا قام الأُصوليون بنقد أدلة الأخباريين،[٦] واتّضح عند ذكر الأدلة في بحث تفسير القرآن بالقرآن، أنّ ظواهر القرآن حجة، وأنّه لا يوجد مانع من تفسيرها والعمل بها (بعد البحث عن القرائن العقلية والنقلية)، ولا يُعدّ ذلك من التفسير بالرأي.[٧]

أمّا بالنسبة إلى روايات «من خواطب به»، فقد أُجيب عنها: بأنّ هذا النوع من الروايات يشير إلى الفهم الكامل للقرآن ومراتبه العالية (الذي يعمّ)، الظاهر والباطن) وهو مختصّ بأهل البيتؑ، أما المراتب الدنيا فلا تختص بالمعصوم.[٨]

وأمّا بالنسبة إلى دور العقل والروايات الناهية عن استخدامه، فقد جاء بيانه في منهج

---

١. مباني وروشهاى تفسير قرآن، ص ٢٠١ـ٢٠٣ ٢. مرآة الانوار، ص ١٧
٣. الميزان، ج ٣، ص ٩٠ ٤. عميد الزنجاني، مبانى و روشهاى تفسير قرآن، ص ١٩٤
٥. المصدر السابق، ص ١٩٧
٦. أُنظر: الآخوند الخراساني، كفاية الأُصول، مبحث حجية الظواهر؛ الشيخ الأنصاري، فرائد الأصول، مبحث حجية الظواهر.
٧. أُنظر: روش تفسير قرآن به قرآن (مبحث عدم حجيّة ظواهر القرآن في نظر الأخباريين).
٨. أُنظر: البيان، ص ٢٦٧، ٢٦٨.

التفسير العقلي، وإنّ المقصود بها هو أنّ فهم تمام مراتب الآيات (الظاهر والباطن) ليس في متناول الجميع؛ أي أنّ المقصود هو نفي العلم بمجموع القرآن بالنسبة إلى جميع الأفراد، وبعبارة أُخرى: لا يمكن لأي شخص أن يُدرك كل المعاني للظاهر والباطن (أيّ نفي الكليّة وليس سلب الكلّي)، أمّا بالنسبة إلى أهل البيت عليهم السلام والراسخين في العلم فيمكنهم أن يدركوا جميع العلوم والمعارف.

وفي الحقيقة إن هذا النوع من الأحاديث جاء في مقابل (حسبنا كتاب الله) والذي ينفي تفسير القرآن بدون مراجعة القرائن النقلية (روايات النبي صلى الله عليه وآله وأهل البيت عليهم السلام) وليس المقصود من هذه الروايات حصر التفسير بالأخبار.

الثالث: اتخاذ الروايات وسيلة وقرينة لتفسير آيات القرآن:

وعلى أساس هذا الرأي المعتدل فإن أحاديث النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام تعتبر قرائن لتفسير الآيات، وأدوات لتوضيح معاني ومقاصد الآيات، ولها استخدامات متنوعة في التفسير، كما هو الحال بالنسبة إلى القرائن العقلية وآيات القرآن. فقد تأتي هذه الروايات لبيان شأن النزول، أو لتوضيح مصداق ومفهوم الآية، وقد تأتي لبيان تأويل وباطن الآية، أو قد تكون شرحاً لبعض الجزئيات في آيات الأحكام، ومن هنا يصبح تفسير القرآن بدون الأخذ بالقرائن النقلية غير صحيح؛ لأنّه يكون من باب الأخذ بالعام قبل البحث عن المُخَصِّص أو المُطلق قبل مراجعة المقيِّد.

والدليل الآخر علىٰ هذا الرأي هو أن أحاديث النبي صلى الله عليه وآله وأهل البيت عليهم السلام تعتبر حجة في التفسير،[١] وبالتالي تُعَد قرينة على فهم وتفسير آيات القرآن، وإن تفسير القرآن بدون مراجعة هذه القرائن يعتبر نوعاً من التفسير بالرأي.[٢]

النتيجة

بطلان الرأي الأوّل «استقلال القرآن عن الأحاديث»، وكذلك بطلان الرأي المتطرف «عدم جواز تفسير القرآن إلّا بالروايات»، وأن الرأي المختار هو الرأي الثالث، الذي يستند إلى دليل محكم. ومن مجموع ما ذُكر توصلنا إلى أنّ أحاديث أهل البيت عليهم السلام لا يمكن أن تفترق عن القرآن، ولكن يجب أن لا تكون في عرض القرآن؛ لإنّ القرآن هو الأصل في تقييم الروايات، وهي (أي الروايات) فرع ذلك الأصل، ولابُدَّ أن يُترك كل

١. سوف تأتي أدلة حجيّة الأحاديث في تفسير القرآن.
٢. سوف يأتي توضيح ذلك في بحث التفسير بالرأي.

حديث يخالف القرآن. اما الأحاديث والروايات الّتي تشتمل على شرائط الحجيّة فيمكن أن تكون شارحة ومفسِّرة للقرآن فيما إذا لم تكن مخالفة لهُ.

ومن هنا يتضّح أنّ الأحاديث تكون حجة في طول القرآن وأنها تشكِّل مع القرآن حجة واحدة لعرض الرسالة النهائية للدين.

وفي الختام يمكن أن يقال ان سنّة النبيﷺ وأهل البيتؑ تعتبر مصدراً لتفسير القرآن من جهة، ومن جهة أُخرىٰ تكون قرينة ووسيلة للتفسير ولا يوجد تنافي بين الاثنين.

حجيّة «السنّة» في التفسير

يقع بحث المسائل المتعلقة بحجية «السنّة» في ثلاثة أقسام:

أ) حجية سنّة النبيﷺ في تفسير القرآن

جاء أصل حجيّة سنّة النبيﷺ في التفسير انطلاقاً من تأييد القرآن الكريم لهذا الأصل، حيث قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾،[١] ويتجلّىٰ من خلال هذه الآية أن القرآن نُزِّل على النبيﷺ لكي يبيّنه للناس، فإذا لم يكن بيان النبيﷺ معتبراً، وواجب الاتّباع، فان هذه المسألة حينئذٍ تصبح لغواً وعلى هذا فإن كلام النبيﷺ وبيانه وتفسيره يعتبر حجّة بالنسبة إلى آيات القرآن، وهذا ما صرّح به كبار المفسّرين عند تناولهم الآية المذكورة.[٢]

ومن جانب آخر فإنّ النبيﷺ قام بتفسير القرآن قولاً وعملاً، بل إنّه أمر المسلمين باتّباعه في جزئيات أحكام الصلاة والحج و...، وهذا ما فعله الصحابة أيضاً. وهذه السيرة العملية لازالت مستمرة حتى زماننا الحاضر.

ومن الواضح أن السُنّة تشمل: قول وفعل وتقرير المعصوم، ولكن شروط ومدى حجيّة كل منها لها بحوث خاصة سوف نشير إليها في الأبحاث الآتية.

ب) حجيّة سنّة أهل البيتؑ في التفسير

تعتبر روايات أهل البيتؑ ضمن شروط خاصة حجّة في التفسير ومصدراً له، كما هو الحال بالنسبة إلى الروايات التفسيرية للنبيﷺ، أي ان بيانهم امتداد لبيان النبيﷺ

---

١. النحل، ٤٤
٢. أُنظر: الميزان، ج ١٢، ص ٢٦١ وتفاسير أُخرىٰ.

كما أشارت إليه الآية (٤٤) من سورة النحل، وهناك أدلة كثيرة نشير إلى بعضها[1]:

أوّلاً: حديث الثقلين الذي روي عن النبيﷺ بصورة متواترةعن طريق السنّة والشيعة حيث قال: «إني تاركٌ فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي، ما ان تمسكتم بهما لن تضلوا أبداً حتى يردا عليّ الحوض».[2]

ففي هذا الحديث جعل التمسك بهما معاً شرطاً لعدم ضلال المسلمين، فإذا لم يتمسّكوا بهما أو تمسّكوا بأحدهما فمصيرهم الضلال حينئذ.

ولهذا فإن أهل البيتعليهم السلام هم حجة إلى جانب القرآن، وهذه الحجيّة ليست إلّا حجيّة سنّتهم (قولهم، وفعلهم، وتقريرهم)، ورواياتهم التفسيرية تعتبر جزءاً من سنّتهم، فهي حجة ومعتبرة ولابد من التمسك بها.

ثانياً: روي في أحاديث متعددة عن أهل البيتعليهم السلام أنهم قالوا: «.. فإنّا إذا حدّثنا قلنا قال الله عزوجل وقال رسول اللهﷺ».[3]

ومن الواضح أن أهل البيتعليهم السلام هم عدول وثقات وروايتهم عن النبيﷺ معتبرة، فأحاديثهم في التفسير وغير التفسير هي أقوال النبيﷺ، وصلتنا عن طريقهم.[4]

ثالثاً: هناك أدلة أُخرىٰ تدل على ملازمة الإمام عليعليه السلام والأئمة من بعده للقرآن،[5] وقد رويت عن طريق الشيعة والسنّة، وسوف نغض النظر عنها هنا طلباً للاختصار.[6]

---

١. يمكن الاستفادة من دليل عصمة الأئمة عليهم السلام في هذا المجال، ونحن نشير هُنا إلى أدلة تكون محل اتفاق الفريقين.

٢. روي هذا الحديث بألفاظ مختلفة وأسانيد متنوعة في كتب متعددة للسنّة عن عدد من الصحابة والتابعين مثل زيد بن أرقم، وزيد بن ثابت، وأبي سعيد الخدري، وحذيفة، وأبي هريرة. أُنظر: صحيح الترمذي، ج ٢، ص ٣٠٨؛ فضائل الخمسة، ج ٢، ص ٥٢ ـ ٦٠؛ الغدير؛ إحقاق الحق و....

٣. أُنظر: الميزان، ج ١٩، ص ٣٣؛ آية الله الخوئي، معجم رجال الحديث، ج ١٨، ص ٢٧٦.

٤. في الحقيقة أن هذا الدليل لا يشمل قسماً آخر من المسائل الّتي بيّنها أهل البيت عليهم السلام (على أساس فهمهم للقرآن، أو الإلهام أو...).

٥. عن الرسول ﷺ: «علي مع القرآن والقرآن مع علي ولن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض»؛ مستدرك الصحيحين، ج ٣، ص ١٢٤؛ فضائل الخمسة، ج ٢، ص ١٢٦.

٦. يعتبر بحث حجّية سنة أهل البيت عليهم السلام من المباني التفسيرية وليس مجال بحثها هنا، وسوف نقتصر على هذه الأدلة فقط ويمكن الرجوع إلى الكتب المفصّلة في هذا المجال. (أُنظر: السيد محمد باقر الحكيم، علوم القرآن، ص ٢٥٥).

ج) أقوال الصحابة والتابعين

بالرغم من أن بعض الاشخاص اعتبر روايات الصحابة والتابعين جزءاً من التفسير الروائي،[١] لكننا نرىٰ الرأي القائل بالتفصيل بالنسبة إلى اعتبار الكلام المنقول عن طريقهم إلى النبيﷺ في خصوص تفسير القرآن فنقول:

١. إنّ المسائل المنقولة عنهم بالنسبة إلى المعاني اللغوية تكون معتبرة مع افتراض اطلاعهم على لغة العرب، وتقبل أقوالهم حينئذ بعنوان قول اللغوي مع شرائطها الخاصة.

٢. المسائل المنقولة عن الصحابة في بيان شأن نزول الآيات تكون معتبرة إذا شهد الصحابي الواقعة وكان ثقة، وهو طريق جيد لتوضيح أسباب نزول الآيات.

٣. يُقبل قولهم في روايتهم عن النبيﷺ قولاً أو فعلاً أو تقريراً إذا كانوا ثقاتاً.

٤. المسائل الّتي وردت عنهم في فهم آيات القرآن عن طريق الاجتهاد الشخصي، لا يختلف حالهم فيها عن حال بقيّة المفّسرين؛ أي أنها تخضع للمناقشة والنقد، ذلك أن اجتهادهم ليس حجة علينا لعدم وجود دليل من القرآن أو السنّة، ولا يوجد إجماع في هذا المورد أيضاً. وعلى هذا فإنّ سنّة الصحابة والتابعين (غير أهل البيتعليهم السلام) ليست حجة ولا معتبرة في التفسير.[٢]

وقد كتب العلّامة الطباطبائي؛ في هذا الخصوص عند تفسير الآية (٤٤) من سورة النحل: «وفي هذه الآية دلالة على حجية قول النبيﷺ... ويلحق به بيان أهل بيته لحديث الثقلين المتواتر وغيره. وأما سائر الأمة من الصحابة والتابعين والعلماء فلا حجيّة لبيانهم؛ لعدم شمول الآية وعدم [وجود] نصّ معتمد عليه يعطي حجية بيانهم على الاطلاق».[٣]

استخدام الروايات التفسيرية

جُمعت أحاديث النبيﷺ وأهل البيتعليهم السلام في مجموعات تعرف بـ(التفاسير الروائية)، وعندما نلاحظ هذه الأحاديث نكتشف انّها تنظر إلى آيات القرآن من زوايا متعددة

---

١. الشيخ خالد عبد الرحمن العك، أصول التفسير وقواعده، ص ١١١
٢. تُبحث حجية أقوال الصحابة والتابعين في التفسير في مباني التفسير، ولهذا فقد أشرنا إليها باختصار، وعلى القرّاء مراجعة: التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب، ج ١، ص ٢٩٧، ٤٢٣ للمزيد من الاطلاع.
٣. الميزان، ج ١٢، ص ٢٦٠

وأنها قامت بعدة أدوار في تفسير آيات القرآن، وسوف نبيّن هنا أهم استخدامات الأحاديث التفسيرية:

١. تفسير وتوضيح الآية

ساهمت بعض الروايات في توضيح وشرح بعض الكلمات المبهمة والمجملة، وكشفت الغطاء عن الألفاظ الصعبة، وتُعد هذه الطريقة من أهم وظائف التفسير الاصطلاحي.

مثال ذلك قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً﴾،[1] وهنا لم يتعيّن حد الاستطاعة في الحج الواجب، وقد ورد الحديث عن النبي ﷺ في أنّ المقصود من ذلك هو: «الزاد والراحلة».[2]

ومثال آخر: ﴿وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَـٰتٍ لَّهَا طَـلْعٌ نَّضِيدٌ﴾،[3] فقد سُئل النبي ﷺ عن المراد من «باسقات» فأجاب ﷺ: «طويلات».

٢. تطبيق الآية على مصداق خاص

جاءت بعض الأحاديث لبيان مورد ومصداق الآية وهذه المسألة على ثلاثة انواع:

أ) في بعض الاحيان يبيّن الحديث أحد مصاديق الآية، وإن كانت الآية لا تنحصر في ذلك المصداق، ويكثر ذلك في الروايات الفقهية، فقد سُئل النبي ﷺ عن كفارة القسم في الآية (٨٩) من سورة المائدة «أو كسوتهم» قال: «عباء لكل مسكين».[4]

ومن الواضح أن العباء هو أحد مصاديق الألبسة الّتي يجب أن تُعطىٰ إلى الفقير، وأنّ الشخص المكفِّر يستطيع أن يستبدل ذلك بمصاديق أُخرىٰ من الألبسة، وأن الآية لا تنحصر بهذا المصداق.

ب) وفي بعض الأحيان تبيّن الآية المصداق الأتم والأكمل، وإن كان معنى الآية لا ينحصر بهذا المصداق أيضاً.

مثال: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾،[5] فقد ورد في الأحاديث أن المقصود من ﴿ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ في هذه الآية هو الإمام علي عليه السلام.[6]

ومن الواضح أنّ هذا النوع من الأحاديث يريد أن يبيّن أحد المصاديق الكاملة

---

١. آل عمران، ٩٧ ٢. الاتقان، ج ٤، ص ٢١٨ ٣. ق، ١٠
٤. الاتقان، ج ٤، ص ٢٢١ ٥. الحمد، ٦ ٦. الميزان، ج ١، ص ٤١

للطريق المستقيم، وهو طريق الإمام عليّ، وإلا فإنّ طريق الأنبياء والأئمة الآخرين هي أيضاً من الطرق المستقيمة.

ج) أحياناً يأتي الحديث لبيان مصداق خاص، يكون معنى الآية منحصراً فيه، ولا توجد مصاديق أُخرىٰ.

مثال ذلك: وردت في آية الولاية: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ...﴾[1] وآية المباهلة: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا...﴾،[2] وآية التطهير: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ...﴾،[3] وردت أحاديث متعددة تشير إلى أن مصداق هذه الآيات هو الإمام علي وأهل البيت،[4] ولا توجد مصاديق أُخرىٰ لهذه الآيات مع أخذ تلك الروايات بنظر الاعتبار.[5]

٣. بيان جزئيات آيات الأحكام

قد تبيّن الأحاديثُ بعضَ المسائل الجزئية للآية والّتي لا وجود لها في القرآن، بل وصلت إلينا عن طريق السنّة وهي حجة علينا، وهذا القسم على ثلاثة أنواع أيضاً:

أ) تخصيص عموم الآية بالرواية

مثال ذلك قوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَـٰدِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾[6] فقد عيّنت هذه الآية سهم الذكور في الإرث، وهو ضعف سهم الإناث، وقد جاء تخصيص هذا الحكم في السنّة في خصوص القاتل والكافر، أيّ أنّ الشخص الذي يكون قاتلاً لأبيه أو كافراً لا يرث من أبيه المسلم.[7]

مثال آخر، قال تعالى: ﴿وَٱلْمُطَلَّقَـٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَـٰثَةَ قُرُوٓءٍ﴾،[8] فهذه الآية عامّة وشاملة لجميع النساء المطلقات، وقد خُصِّص هذا الحكم العام من خلال السُنة في الحالات الّتي يكون فيها الزوج قد قارب زوجته (الدخول بالزوجة) وفي غير هذه الحالات فلا توجد عدّة على النساء.[9]

---

١. المائدة، ٥٥ ٢. آل عمران، ٦١ ٣. الأحزاب، ٣٣

٤. انظر: مجمع البيان؛ الميزان؛ تفسير نمونه، سيد علي موحد أبطحي، آية التطهير.

٥. آية الله جوادي آملي، تسنيم، ص ١٦٩ ٦. النساء، ١١

٧. الكافي، ج ٧، ص ١٤٠، ١٤٣ (باب ميراث القاتل وميراث أهل الملل) ٨. البقرة، ٢٢٨

٩. تفسير الصافي، ج ١، ص ٢٥٦، الآية المذكورة (وتستفاد هذه المسألة أيضاً من سورة الاحزاب، ٤٩).

ب) تقييد الآية المطلقة

قال تعالى: ﴿مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ﴾،[١] فقد جاءت الوصية مطلقة في هذه الآية ولم يعيّن مقدارها، ولكن جاء بيان ذلك في السنّة فإن وصية الافراد الّتي يعمل بها يجب أن لا تتجاوز ثلث التركة.[٢]

ج) توضيح العناوين التكليفية الخاصة الّتي جاء ذكرها في القرآن.

مثل: الصلاة، الزكاة، الحج، الجهاد، وقد جاء بيان المقصود منها في الأحاديث، أي تبيين الحقيقة الشرعية والمعنىٰ الاصطلاحي في الشريعة لهذهِ العناوين.[٣]

فمثلاً بيّن النبيﷺ أن المقصود من الصلاة الواردة في القرآن بكلامهﷺ «صلّوا كما رأيتموني أُصلّي»،[٤] ووضّح جزئياتها وانّه ليس المراد منها المعنىٰ اللغوي والذي هو «الدعاء».

د) بيان موضوعات الأحكام

مثل قتل العمد والخطأ اللّذين ورد ذكرهما في القرآن، وقد جاء بيان وتوضيح هذه الموضوعات من خلال الأحاديث لكي تنضوي تحت الأحكام الخاصة.

٤. بيان الآيات الناسخة والمنسوخة في الأحاديث

وقعَ نسخ بعض آيات القرآن بآيات أُخرىٰ؛ أيّ أن زمان الآية المنسوخة قد انتهى، وأنّه قد حلّ حكم الآية الناسخة محل المنسوخة، وقد ذُكِرت هذه الموارد في الأحاديث كما في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذَانِ يَأْتِيَـٰنِهَا مِنكُمْ فَـَٔاذُوهُمَا فَإِن تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَآ﴾[٥] قد روي عن الإمام الصادق ﷺ أنّ هذه الآية قد نُسخت بآية الجلد، وهي الآية الثانية من سورة النور، وحكم الرجم (الذي جاء في السنّة).[٦]

إن نظير هذه الأحاديث كثيرة والعمل بها يحتاج إلى بحث فقهي اجتهادي.

---

١. النساء، ١٢

٢. أُنظر: وسائل الشيعة، كتاب الوصايا، الباب ٦٧، ح ٤ والباب ٦٦، ح ١.

٣. آية الله معرفة، التفسير والمفسّرون، ج ١، ص ١٨٥

٤. بحار الأنوار، ج ٨٥، ص ٢٧٩

٥. النساء، ١٦

٦. تفسير العيّاشي، ج ١، ص ٢٢٧، ٢٢٨

٥. توضيح شأن نزول الآيات

تعرّضت كثير من الأحاديث لبيان أسباب نزول الآيات؛ أيّ لبيان زمان ومكان نزول الآية، أو نوع الحادثة الّتي وقعت الآية في أثنائها أو بعدها، وهذا الأمر له تأثير مهم في توضيح مفاد الآية. وقد جمعت هذه الأحاديث في بعض التفاسير كتفسير البرهان، ونور الثقلين، والدر المنثور، وفي كتب أسباب النزول أيضاً.

٦. توضيح وتأويل الآيات

رُويت عن النبيﷺ وأهل البيتعليهم السلام أحاديث تعرّضت لبيان باطن الآيات وتأويلها، وبالرغم من ان بيان باطن الآية وتأويلها يعيننا على فهم أعمق للآية، وأحياناً يؤثر في تفسير الآية؛ إلّا أنّه لا يعتبر جزءاً من التفسير بالمعنىٰ الاصطلاحي، وإن كانت عادة المفسِّرين ان يذكروا تأويل الآية في كتب التفسير.

وعلى كل حال فإن أحد استخدامات الروايات هو بيان تأويل الآية وباطنها.[١]

مثال ذلك الآية الكريمة: ﴿مَن قَتَلَ نَفْسَا ۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾.[٢]

فقد نُقل عن الإمام الصادقعليه السلام أنّه قال: «من حرق أو غرق ـ ثم سكت ـ ثم قال: تأويلها الأعظم أنْ دعاها فاستجاب له»، وروي عن الإمام الباقرعليه السلام أنّه قال: «قال من حرق أو غرق، قيل: فمن أخرجها من ضلال إلى هدى، قال: تأويلها الأعظم».[٣]

فظاهر الآية يتحدث عن القتل الظاهري للإنسان؛ فقتل أحد الأفراد يعني قتل جميع الناس، وإحياؤه يعني إحياء جميع الناس، ولكن يمكن ان يستفاد من الرواية ان تأويل[٤] الآية يكشف عن إحدى القواعد الكلية وهي أنّ قتل البدن الظاهري وإحياءَه يعتبر أحد مصاديقها، وضلال وهداية الأفراد من مصاديقها الأُخرىٰ؛ لأنّه إحياء وقتل لروح الأفراد.

مثال آخر على ذلك، قال تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ۝ أَلَّا تَطْغَوْا فِي ٱلْمِيزَانِ ۝ وَأَقِيمُوا ٱلْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا ٱلْمِيزَانَ﴾،[٥] وروي عن الإمام الصادقعليه السلام في

---

١. للتأويل والباطن معانٍ متعددة تبحث في مباني التفسير، للمزيد من المطالعة يراجع كتاب: آية الله معرفة، التفسير والمفسرون، ج ١، ص ٢٤ وما بعدها.
٢. المائدة، ٣٢
٣. تفسير الصافي، ج ٢، ص ٣١
٤. يمكن ان يكون المقصود بالتأويل هنا هو الباطن نفسه.
٥. الرحمن، ٧ـ٩

تفسير هذه الآية أنّه قال: «الميزان الذي وضعه الله للأنام هو الإمام العادل الذي يحكم بالعدل»،[١] وروي عن الإمام الرضا عليه السلام في تأويل الآية: ﴿أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ﴾ أنّه قال: لا تعصوا الإمام، قيل: ﴿وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ﴾ قال: أقيموا الإمام بالعدل، قيل: ﴿وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾ قال: لا تبخسوا الإمام حقّه).[٢]

وورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنّ المقصود من قوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾[٣] هو الأنبياء وأوصياؤهم، وجاء في رواية أُخرى (نحن الموازين القسط).[٤]

فيظهر من الآية أنّها تأمر الناس بأن يَزِنُوا أعمالهم على أساس العدالة بالميزان العادي الموجود عندهم، وأن لا يبخسوا الناس أشياءهم عند الوزن؛ ولكن يستفاد من الرواية أن باطن الآية يُشكِّل قاعدة كلية وأنّ «الميزان» له معنى عميق يشمل كل أداة للوزن، فأحد مصاديقها هو الميزان العادي والآخر هو الإمام الذي يكون وسيلة لوزن أعمال البشر.

ملاحظة: قد تأتي الأحاديث التفسيرية لتعليم المنهج الصحيح لتفسير القرآن، والمنع عن المنهج غير الصحيح.

وكما مرّ في مبحث تفسير القرآن بالقرآن، فإن النبي صلى الله عليه وآله وأهل البيت عليهم السلام قاموا باستخدام هذا المنهج في التفسير، وقد جاء توضيح هذه المسألة في الروايات التفسيرية. وأحياناً تقوم هذهِ الروايات بتعليمنا كيفيَّة تفسير القرآن بالقرآن.

وتبيّن لنا أيضاً في بحث التفسير بالرأي أن النبي صلى الله عليه وآله وأهل البيت عليهم السلام رفضوا هذه الطريقة في التفسير، وأمروا بالابتعاد عنها. وقد جاءت هذه المسألة في روايات التفسير، ورغم أنّ هذه المسائل تعتبر من استخدامات الأحاديث التفسيرية أيضاً إلّا أننا لم نذكرها كجزء من الاستخدامات لأنها تتعلق بمنهج التفسير وليس بمحتواه.

ملاحظة أُخرى: الروايات التفسيرية للصحابة والتابعين لها استخدامات كثيرة في التفسير أيضاً، مثل توضيح المعنى اللغوي، بيان شأن النزول، نقل أحاديث النبي صلى الله عليه وآله، وقد مرّ بحثها في حجيّة السنّة في تفسير القرآن.

---

١. السيد شرف الدين الاسترآبادي، تأويل الآيات الظاهرة، ج ٢، ص ٦٣٢، ٦٣٣

٢. تفسير الصافي، ج ٥، ص ١٠٧، ١٠٨ (تفسير الآية)

٣. الأنبياء، ٤٧

٤. تفسير الصافي، ج ٣، ص ٣٤١

الخلاصة

لقد توصلنا في هذا الدرس ـ بعد بيان أهداف التعليم والمقدمة ـ إلى النتائج التالية:

١. المقصود من الرواية في «منهج التفسير الروائي» هو السنّة نفسها ـ قول وفعل وتقرير المعصومعليه السلام ـ وتشمل سنّة النبيصلى الله عليه وآله وسلم وأهل البيتعليهم السلام.

٢. بدأ التفسير الروائي في عهد النبيصلى الله عليه وآله وسلم واستمر إلى زمن أهل البيتعليهم السلام والصحابة، الذين نقلوا الروايات التفسيرية للنبيصلى الله عليه وآله وسلم في الكثير من أقوالهم، ثم جمعت في مجاميع تفسيرية أمثال: البرهان، ونور الثقلين، والدر المنثور.

٣. هناك ثلاثة آراء رئيسية بالنسبة إلى مكانة الأحاديث في تفسير القرآن:

الأوّل: استقلال القرآن وعدم حاجته إلى الأحاديث.

ثانياً: عدم جواز تفسير القرآن الا بالأحاديث.

ثالثاً: استخدام الروايات كوسيلة وقرينة في التفسير.

وإن لكُلٍّ من هذه الآراء أدلة خاصة تعرضنا لنقدها ومُناقشتها وأثبتنا الرأي الثالث.

٤. لقد ثبتت حجيّة سنّة النبيصلى الله عليه وآله وسلم في التفسير، بالآية (٤٤) من سورة النحل، والسيرة العملية للصحابة، أمّا حجيّة سنّة أهل البيتعليهم السلام فقد ثبتت عن طريق حديث الثقلين وأحاديث أُخرى.

ولا يوجد لدينا دليل على حجيّة أحاديث الصحابة والتابعين (رأيهم واجتهادهم) في التفسير.

٥. للروايات استعمالات كثيرة في تفسير القرآن وهي عبارة عن: تفسير وتوضيح ألفاظ الآية، تطبيق الآيات على المصاديق، بيان جزئيات آيات الأحكام ومخصصاتها ومقيّداتها، بيان الآيات الناسخة والمنسوخة، بيان شأن نزول الآيات، وبيان باطن الآيات وتأويلها.

٥
منهج التفسير الروائي للقرآن ٢

أقسام الروايات ودورها في التفسير

طرق الوصول إلى السنّة

لقد وصلتنا سنّة النبيﷺ وأهل البيتعليهم السلام عن طريق الروايـات وأصـحاب السـيرة والتاريخ، ولا تتمتع كل هذه المجموعات بقيمة واحدة؛ لإن طرق النقل كانت مختلفة، وفي النتيجة فإن مناهج حصولنا على الأحاديث مختلفة.

توجد تقسيمات متنوعة بالنسبة إلى الأحاديث؛ ولكن التـقسيم الذي يـفيدنا هـو تقسيم الأحاديث على أساس طرق النقل إلى أربعة مجاميع:

أ) الأخبار المتواترة

المتواتر في اللغة هو: «مجيء الواحد بعد الآخر على وجه الترتيب»، وفي الاصطلاح هو خبر جماعة (يفيد بنفسه وليس بانضمام القرائن) يستحيل تواطؤهم على الكذب، وفي النتيجة يوجب العلم بمضمون الخبر.[1]

وبعبارة أُخرىٰ: هو نقل الروايات لإحدى القضايا بصور متعددة وبـطرق مـختلفة بحيث يحصل الاطمئنان بعدم كذب مضمونها؛ لأنّه من غير الممكن أن يتفق جـميع الرواة على الكذب.

---

١. كاظم مدير شانه‌چى، علم الحديث، ص ١٤٤

وينقسم الخبر المتواتر إلى قسمين: التواتر اللفظي والتواتر المعنوي؛ فالتواتر اللفظي هو ذكر أحد الأُمور بلفظ مخصوص في روايات متعددة.

أما التواتر المعنوي: فهو اشتراك عدة أحاديث في مضمون واحد (مثل شجاعة الإمام عليعليه السلام) بألفاظ مختلفة.

ملاحظة: تعتبر الأحاديث المتواترة حجة في التفسير؛ لأنها تفيد العلم، فاذا وصلتنا أحاديث متواترة عن النبيصلى الله عليه وآله وسلم وأهل البيتعليهم السلام بخصوص تفسير آية، فلابد من الأخذ بهذا التفسير والعمل بمضمونها (إذا كانت تتعلق بالمسائل العملية).

كما صرّح بذلك العلّامة الطباطبائي في تفسير الآية (٤٤) من سورة النحل.[١]

ب) أخبار الآحاد

وهي الروايات الّتي لم تصل إلى حد التواتر (أيّ الروايات المنقولة بطريق أو بطريقين) وتقسم أخبار الآحاد إلى ثلاثة أقسام:

المجموعة الأُولىٰ: الخبر الواحد المحفوف بالقرائن، أيّ الخبر غير المتواتر والذي يصل عن طريق معتبر ومحفوف بقرائن وشواهد تفيد الصدق واليقين بصدوره عن النبيصلى الله عليه وآله وسلم أو أهل البيتعليهم السلام، كالأخبار الّتي تحتوي على مضامين عالية (مثل بعض خطب نهج البلاغة)، أو تكون موافقة لظاهر القرآن.

ملاحظة: في هذه الموارد يعتبر خبر الواحد المحفوف بالقرائن حجة في التفسير أيضاً؛ لأنّه يفيد العلم، وقد صرّح العلّامة الطباطبائي بذلك أيضاً عند تفسير الآية (٤٤) من سورة النحل.[٢]

المجموعة الثانية: أخبار الآحاد الضعيفة؛ وهي الأخبار غير المتواترة وليس لها سند معتبر أيضاً، ولذلك لا يوجد اطمئنان بصدورها من المعصوم.[٣] وهذا النوع من الأحاديث يرد كثيراً في الروايات التفسيرية، وربما يكون موضوعاً أو من الاسرائيليات.

ملاحظة (١): هذا النوع من الأحاديث غير معتبر في التفسير ولا يعتبر حجة؛ لأننا

---

١. الميزان، ج ١٢، ص ٢٦١ ٢. الميزان، ج ١٢، ص ٢٦١، ٢٦٢

٣. إن كل حديث غير صحيح ولا حسن ولا مُوثّق يعتبر ضعيفاً في علم الحديث ويشمل المرفوعات، المرسلات، الموضوعات، وأمثال ذلك (كاظم مدير شانه‌چي، علم الحديث، ١٤٩).

نريد ان نُبيّن مراد الله سبحانه في التفسير، وعندما لا يكون الحديث مفيداً لليقين لا يمكن القطع بأن هذا المطلب هو مراد الله.

وبعبارة أُخرى إنّ إسناد بعض المسائل الّتي تتضمنها الأحاديث الضعيفة إلى القرآن، يعني إسنادها إلى الله بدون علم وهذا يُعدّ افتراءً على الله، وبعبارة ثالثة ان أحاديث النبيﷺ (بمقتضى الآية ٤٤ من سورة النحل) تعتبر بياناً للقرآن، وأما الخبر الضعيف فلا يعتبر بياناً؛ لعدم إحراز صدوره عن النبيﷺ.

وقد ذهب آية الله الخوئيؒ إلى حجيّة الأخبار القطعيّة في التفسير وعدم حجيّة الأخبار الضعيفة.[١]

ملاحظة (٢): حاول بعض المفسّرين دراسة هذه الأحاديث من ناحية المتن، والاستفادة منها كشاهد في التفسير، إذا كان هناك ما يدل على صدقها كموافقتها مع ظواهر القرآن مثلاً.

مثال: للعلّامة الطباطبائي؛ بحث روائي مفصّل في تفسير الآية (٣٧) من سورة آل عمران، قال تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا﴾، ونقل روايات متعددة من تفسير القمّي والعيّاشي يدُل مضمونها على نزول الوحي على عمران ووجود الفاكهة في محراب مريم في غير وقتها.

ثم قال العلّامة: «وبعض المفسرين شدَّد النكير على ما تضمنتهُ هذهِ الروايات كالوحي إلى عمران، ووجود الفاكهة في محراب مريم في غير وقتها، وكون سؤال زكريا للآية فقال: ان هذهِ أمور لا طريق إلى اثباتها... وليس هُناك إلّا روايات إسرائيليّة» ثم قال في الرد على ذلك: «وهو منهُ كلام من غير حجة، والروايات وان كانت آحاد غير خالية عن ضعف الطريق لا يجب على الباحث الأخذ بها والاحتجاج بما فيها لكن التدبر في الآيات يقرّب الذهن منها والذي نقل منها عن أئمة أهل البيتؑ لا يشتمل على أمر غير جائز عند العقل».[٢]

مثال آخر: وقد فعل العلّامة الطباطبائي؛ نفس الشيء في تفسير سورة الحمد في خصوص الروايات الواردة في الآية ﴿ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، فقد استخرج بعض النقاط

---

١. البيان في تفسير القرآن، ص ٣٩٨

٢. الميزان، ج ٣، ص ١٨٤، ١٨٥

الدقيقة من الروايات بواسطة المعنىٰ اللغوي والصفة المشبّهة وصيغة المبالغة لهـا، ثـم يأتي بهذه الروايات كمؤيّد وشاهد وهذا هو أحد ابداعات العلّامة فـي التـعامل مـع الروايات التفسيرية والذي يعطي نتيجتين:

الأوّلىٰ: إحياء الروايات التفسيرية الّتي تتسم بضعف السند.

الثاني: دعم أحاديث أهل البيت عليهم السلام بالقرآن لكي تكون مقبولة عند جميع المسلمين.

المجموعة الثالثة: أخبار الآحاد المعتبرة، أيّ الاخبار غير المتواترة الّتي يكون لها طريق معتبر، أي الّتي تفيد الظن بالصحة ولا تورث اليقين.

وهذه الأحاديث تقسّم إلى ثلاثة أنواع: صحيحة، وحسنة، وموثقة.[1]

ملاحظة: في خصوص اعتبار هذا القسم من الأحاديث في التفسير أو عدم اعتبارها توجد آراء مختلفة وسوف نقوم ببحث هذه الآراء وأدلتها في البحوث الآتية:

الروايات:
- **المتواترة:** لا يوجد مانع من استخدامها في التفسير.
- **غير متواترة:**
  - خبر الواحد المحفوف بالقرائن: لا يوجد مانع من استخدامه في التفسير.
  - خبر الواحد الضعيف: لا يصح تفسير القرآن به.
  - الخبر الواحد المعتبر (صحيح ـ حسن ـ موثق) هناك اختلاف في استخدامه في التفسير.

الروايات:
- **تفيد اليقين:**
  - الخبر المتواتر
  - الخبر الواحد المحفوف بالقرائن
- **لا تفيد اليقين:**
  - الخبر الواحد الضعيف
  - الخبر الواحد المعتبر (صحيح ـ حسن ـ موثق)

---

١. توضيح مثل هذه الاصطلاحات خارج عن نطاق البحث. يراجع كتاب: كاظم مـدير شـانه‌چي، علم الحديث، ص ١٤٨ وكتب أُخرى في هذا المجال.

مكانة خبر الواحد في التفسير

ثمّة خلاف بين علماء الشيعة بشأن حجية واعتبار خبر الواحد، فقد ادعى بعض العلماء مثل الشيخ الطوسي؛ الإجماع على حجيّة خبر الواحد، واختار كثير من المتأخرين نفس هذا الرأي، وفي مقابل هذا الرأي هناك من ادعى الإجماع أيضاً كالسيد المرتضى؛ على عدم حجيّة خبر الواحد، واتّبعه في ذلك ابن إدريس.[1]

أمّا في الوقت الحاضر فإنّ مشهور علماء الإمامية ذهب إلى حجيّة خبر الواحد المعتبر والعمل به في الأحكام الشرعية، ودليلهم الرئيسي هو سيرة العقلاء.

أمّا ما نريده هنا فهو: هل أن خبر الواحد يكون حجّة في التفسير كما هو الحال في الأحكام الشرعية؟ وهل يجوز التفسير على طبقه أو لا؟ وهنا توجد ثلاثة آراء رئيسية:

الأوّل: آراء الموافقين على حجيّة خبر الواحد في التفسير:

١. آية الله الخوئي؛ حيث قال في البيان بعد أن أوضح في المقدمة بأنّ التفسير هو إيضاح مراد الله، وأنّه لا يجوز الاعتماد فيه على الظنون والاستحسان، للنهي عن اتباع الظن، وحرمة إسناد الشيء إلى الله بغير إذنه اعتبر ظاهر القرآن، حكم العقل النظري وروايات المعصومين القطعية هي المصادر المعتبرة في التفسير.

أمّا بالنسبة لخبر الواحد المروي عن المعصوم في التفسير فقد طرح إشكالاً وهو: ان معنىٰ الحجية الّتي ثبتت لخبر الواحد هي ترتيب الآثار العملية عليه، وهذا المعنىٰ لا يتحقق الا إذا كان مؤدىٰ الخبر حكماً شرعياً، أو موضوعاً قد رتب الشارع عليه حكماً شرعياً، وهذا الشرط لا يوجد في خبر الواحد الذي يروى عن المعصوم في التفسير.

ثم أجاب على هذا الإشكال فقال: قد أوضحنا في مباحث «علم الأُصول» أنّ معنى الحجيّة في الأمارة الناظرة إلى الواقع، هو جعلها علماً تعبدياً في حكم الشارع، فيكون الطريق المعتبر (خبر الواحد هنا) فرداً من أفراد العلم، ولكنه فرد تعبدّي لا وجداني، فيترتب عليه كلما يترتب على القطع من آثار، فيصح الإخبار على طبقه كما يصح ان يخبر على طبق العلم الوجداني، ولا يكون من القول بغير علم. وتدلنا على ذلك سيرة

١. أُنظر: العدة، ج ١، ص ٤٧؛ المظفر، أصول الفقه، ج ٣ ـ ٤، ص ٨٤؛ الشهيد الثاني (المتوفىٰ ١٠١١هـ)، معالم الدين، ص ١٨٨.

العقلاء، فإنهم يعاملون الطريق المعتبر معاملة العلم الوجداني من غير فرق بين الآثار... ولم يثبت من الشارع ردع لهذه السيرة العقلائية المستمرة.[١]

٢. آية الله معرفة: قال بعد بيان مقدمة في حجية خبر الواحد في التفسير وذكر رأي المخالفين وجواب السيد الخوئي الذي يذهب إلى أن: «خبر الواحد أُخذ بما انّه علم تعبدي وليس التعبد بالعمل» قال: حجيّة خبر الواحد الثقة تعتمد على السيرة العقلائية ويورث الاطمئنان ويمكن ترتيب الأثر عليه في جميع الموارد الا إذا تبيّن وجود خلل واضح فيه.

ثم قال: ومن هنا فإن جميع الأحكام وسنن الشريعة الّتي تفصّل مجملات القرآن، وتفسّر هذه الآيات الّتي وصلتنا عن طريق خبر الواحد الجامع للشرائط تكون معتبرة عندنا، الا في الخبر المخدوش من حيث السند والمضمون فلا يعتبر حجة في هذه الحالة.[٢]

٣. اختار تلاميذ آية الله الخوئي﵀ هذا الرأي كما ورد ذلك في كتاب شناخت قرآن.[٣]

٤. يظهر من كلام الزركشي أنّه يختار هذا الرأي أيضاً في البرهان فقد ذكر عند تعرضه لمصادر التفسير: «الأوّل النقل عن النبيﷺ وهذا هو الطراز الأوّل، لكن يجب الحذر من الضعيف فيه والموضوع».[٤] فقد استثنى الأخبار الموضوعة فقط من بين الاخبار المتواترة، المحفوفة بالقرائن، خبر الواحد الثقة، فيظهر من كلامه اعتبار أخبار الآحاد في التفسير.

الثاني: آراء المخالفين لحجيّة خبر الواحد في التفسير:

١. من أصحاب هذا الرأي هو الشيخ الطوسي؛ فبرغم ادعائه الإجماع على أصل حجية خبر الواحد، إلّا أنّه قال بشأن اعتباره مصدراً في التفسير: «بل ينبغي ان يرجع إلى الأدلة الصحيحة، أمّا العقلية أو الشرعية من إجماع عليه أو نقل متواتر به عمن يجب إتباع قوله ولا يقبل في ذلك خبر واحد خاصة إذا كان ممّا طريقه العلم».[٥]

٢. محمد عبده.[٦]

١. آية الله الخوئي، البيان، ص ٣٩٨
٢. آية الله معرفة، تفسير ومفسّران، ج ٢، ص ٢٢، ٢٣، ترجمة: علي خياط
٣. هريسى ونجمى، شناخت قرآن، ص ٣١١
٤. البرهان، ج ٧٢، ص ١٥٦
٥. التبيان، ج ١، ص ٤
٦. أنظر: هريسى ونجمى، أضواء على السنة المحمدية، ص ٣٩١ نقلاً عن: تاريخ الاستاذ الإمام، ج ٢، ص ٦٤٣.

٣. العلّامة الشعراني: كتب في مقدمة تفسير منهج الصادقين: «كما إنَّ أخبار الآحاد ليست حجّة في ألفاظ القرآن ولا تثبت القراءة بها، كذلك فإنّه لا يثبت معنى القرآن بأخبار الآحاد».[١]

٤. العلّامة الطباطبائي: كتب في تفسير الآية (٤٤) من سورة النحل في تفسير الميزان فقال: «هذا كله في نفس بيانهم المتلقىٰ بالمشافهة فقط، وأمّا الخبر الحاكي له فما كان منه بياناً متواتراً أو محفوفاً بقرينة قطعية وما يُلحق به فهو حجة لكونه بيانهم، وأمّا ما كان مخالفاً للقرآن أو غير مخالف لكنّه ليس بمتواتر ولا محفوفاً بالقرينة فلا حجيّة فيه لعدم كونه بياناً في الأول وعدم إحراز البيانيّة في الثاني».[٢]

الثالث: الرأي القائل بالتفصيل في حجيّة خبر الواحد في التفسير:

ذهب آية الله الجوادي الآملي إلى الرأي القائل بالتفصيل في مسألة حجيّة الحديث في مسائل الدين، ذكره في تفسير تسنيم وخلاصته: يمكن تقسيم المسائل الدينيّة من بعض الزوايا إلى قسمين:

أ) الأحكام العمليَّة التعبديَّة، وهُنا يمكن الاستفادة من الظن بالإضافة إلى القطع والاطمئنان.

ب) المعارف الاعتقادية، وهي في الروايات الصادرة عن المعصومين على قسمين:

المجموعة الأُولىٰ: وهي روايات قطعيّة في أصل صدورها، الغاية من الصدور الدلالة على المحتوىٰ، أيّ أنها من حيث السند أمّا أن تكون خبراً متواتراً، أو خبراً واحداً محفوفاً بالقرينة، ومن حيث غاية الصدور فهي قطعيّة أيضاً لأنها بصدد بيان المعارف الواقعية ولم تصدر تقيّة، ومن حيث الدلالة تكون نصاً وليست ظاهراً. وهذه الروايات وان كانت قليلة، ولكنّها تورث اليقين فتكون حجة في المعارف ويمكن إثبات المسائل الأصولية بها (باستثناء أصل إثبات المعاد الذي يمكن ثبوته عن طريق العقل فقط).

المجموعة الثانية: الروايات الّتي تفتقد اليقين والجزم في الأركان الثلاثة المذكورة سابقاً، بل إنها تورث الظن فقط، وهي على ثلاثة أقسام:

الأوّل: معارف أصول الدين مثل (التوحيد، النبوة، المعاد وأصل وجود الجنة والنار). فهذا النوع من المعارف يختص بأصول الدين والذي يكون الاعتقاد به ضرورياً، ولابدّ

---

١. منهج الصادقين، ج ١، ص ٣١

٢. الميزان، ج ١٢، ص ٢٦٢

من توفر عنصر الجزم واليقين فيه، ولا يمكن الحصول على اليـقين بـالأدلة الظـنّية، ولذلك فلا يكون هذا النوع من الأدلة حجّة في هذا للقسم من المعارف.

الثاني: المعارف الّتي لا تكون من أُصول الدين حتى يكون الاعتقاد التفصيلي بها من الضرورات، بل إنَّ الإيمان الاجمالي بها يكون كافياً ومفيداً، مثل حقيقة العـرش، والكرسي، واللوح والقلم، والملائكة؛ ففي هذا القسم يمكن للإنسـان أنْ يـقنع بـالعلم الإجمالي لا التفصيلي، ويمكن قبول مفاد هذه الرواية الظنّية في مثل هذه المعارف.

الثالث: المعارف الّتي تبيّن المسائل العلميّة والآيات الالٰهية في الخلق؛ فمثلاً كيف كانت السماوات والأرض وحدة متصلة «رتق» في بداية الأمر، ثم انفصلت بعضها عن البعض الآخر «فتق»، فمثل هذه الأخبار التي تشير إلى هذه المسائل ليس لها ثـمرة عمليّة، بالاضافة إلى افتقادها إلى اليقين العلمي، وهُنا يمكن الاستفادة من هذه الأخبار كاحتمال، ولكن لا يمكن اعتبارها حجّة تـعبديّة؛ لان حـجّيّة خـبر الواحـد تـتعلق بالمسائل التعبديّة العملية.

أمّا في المسائل العلمية فلا يمكن لأحد أن يتعبّد بها دون حصول المبادئ التصديقية.[١]

المناقشة والنتيجة

لابد من الالتفات هنا إلى عدة نقاط:

١. لا يوجد اعتراض على حجّيّة خبر الواحد المعتبر في الأحكام العملية؛ وهذا ما ثبت في أُصول الفقه، والدليل الرئيسي هو سيرة العقلاء، ولا يوجد شك في أنّ قسماً من التفسير يتعلق بآيات الأحكام، وقد وردت روايات عن النبيّ صلى الله عليه وآله وأهل البيت عليهم السلام في تفسير آيات الأحكام بصورة أخبار آحاد.

وعلى هذا الأساس يمكن أنْ يُقال: إنَّ أخبار الآحاد المعتبرة تكون حجّة في آيات الأحكام؛ لإنَّ سيرة العقلاء كانت ولا تزال علىٰ قبول خبر الواحد، وترتيب الآثار على ذلك والعمل بمحتواه، وكذلك فإن سيرة علماء الإسلام كانت على هذا النحو في باب آيات الأحكام، وفي عصرنا الحاضريجري العمل بالفقه بنفس هذه الطريقة، وهذا ما

١. تسنيم، ج ١، ص ١٥٦ـ١٥٨

أكّدهُ الموافقون على هذا الرأي (أمثال آية الله الخوئي). وعند التدقيق في كلمات المخالفين يتّضح أنّ هذا المطلب كان مقبولاً لديهم إلى حدٍّ ما.

ولعل الشيخ الطوسي أشار إلى هذه المسألة عند قوله «خاصة إذا كان مما طريقه العلم». وقد صرّح العلّامة الطباطبائي بهذه المسألة أيضاً في كتابه القرآن في الإسلام حيث قال: «يجري العمل عند أهل السنّة نوعاً ما بخبر الواحد ـ الذي يُطلق عليه بالاصطلاح «الصحيح» ـ مطلقاً، أمّا عند الشيعة فالمسلّم الآن في علم الأُصول هو أنّ خبر الواحد، الموثوق الصدور يعتبر حجّة في الأحكام الشرعيّة، وأما في غيرها فلا».[1] وقد كرّر هذه المسألة في الميزان، في تفسير الآية (٢٥٩) من سورة البقرة ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ﴾ فقال: «وكلا المجموعتين من الأخبار هي أخبار آحاد، وقبول خبر الواحد والعمل به في غير الأحكام الفقهية للدين غير واجب».[2]

وفي الحقيقة أنَّ الاستناد إلى كلام العلّامة يكون صحيحاً عندما يكون مقصوده من «الأحكام الشرعية»، هو الأحكام الفقهية المستخرجة من آيات الأحكام والروايات المتعلقة بها أيضاً؛ ففي هذه الصورة يكون البيان الوارد على آيات الأحكام حجّة أيضاً ؛ لأنّ خبر الواحد في الأحكام الشرعية حجّة، أيّ يصبح التفسير حجّة في هذا القسم.

٢. خبر الواحد ليس حجّة في غير الأحكام الشرعية؛ وذلك لأنّ الدليل الرئيسي على حجّيّة خبر الواحد هو سيرة العقلاء وهو دليل لبّي، والقدر المتيقن من هذا الدليل هو العمل به في آيات الأحكام الّتي لم يأتِ من الشارِع ردع عن العمل به، أمّا في غير الأحكام فنشك في ذلك، ولأنّ العمل بالظنّ في التفسير غير جائز، وكما ذكرنا سابقاً حرمة إسناد شيء إلى الله تعالى بدون إذنه، فيكون القدر المتيقن هو حجّية أخبار الآحاد في الأحكام الشرعية فقط.[3]

وبعبارة العلّامة الطباطبائي السالفة الذكر، فإنّ بيانيّة خبر الواحد في التفسير لا

١. العلّامة الطباطبائي، قرآن در اسلام، ص ٨٨   ٢. الميزان، ج ٢، ص ٥٨٠

٣. في الواقع إنّ هذا يكون على فرض إنّ الإشكال المتعلق بعدم ترتب الآثار العملية في غير الأحكام الشرعيّة قد حُلَّ بجواب السيد الخوئي، أمّا إذا اخترنا مبنىً آخر في معنىٰ الحجّية في أُصول الفقه، فإنّ هذا الإشكال يبقىٰ على حاله، وفي هذه الحالة سوف تواجه حجيّة خبر الواحد إشكالاً من جهتين.

تُحرز إلّا إذا قلنا إنّ الخبر الواحد الصحيح (على أساس بناء العقلاء) يكون علماً عادياً،[١] وإنّ العقلاء يعاملونه معاملة العلم، وعلى هذا يصير بياناً للقرآن وليس قولاً بغير علم، أو إسناداً لبعض المطالب غير العلميّة إلى الله تعالى.

ولكن يمكن أنْ يقال أيضاً إنَّ العقلاء يكتفون في الأعمال العادية بأخبار الآحاد، أمّا بالنسبة إلى الأخبار المهمّة (كالعقائد مثلاً) فإنهم يطلبون مرتبة أعلى من العلم، تحصل عن طريق الخبر المتواتر أو خبر الواحد المحفوف بالقرائن.

وعندما ندقق في كلمات الموافقين لحجّية أخبار الآحاد في التفسير امثال آية الله الخوئي، نرى أنّهم لا يعتبرون أخبار الآحاد حجّة في العقائد، وقد ذُكرت هذه المسألة في علم الأُصول، علماً أن قسماً كبيراً من التفسير متعلق بالعقائد حيث لا يكون لغير العلم اعتبار هُناك.

٣. فالنتيجة إننا نقول بالتفصيل بالنسبة إلى حجيّة أخبار الآحاد في التفسير، أيّ إنَّ أخبار الآحاد تعتبر حجة في آيات الأحكام، أمّا في غيرها (مثل العقائد، القصص، الإشارات العلمية في القرآن، وبعض المسائل مثل العرش والكرسي و...) فليست بحجّة، وإنْ كان لا يوجد ما يمنع من الاستفادة من هذه الروايات في هذا المجال كإحتمال.

خطر الأحاديث الموضوعة والإسرائيليات

تعتبر أحاديث النبيﷺ وأهل البيتؑ أحد المصادر المهمّة، ولها مكانة خاصة في تفسير القرآن، وعلى امتداد التاريخ قام بعض الأفراد والمجاميع بتزوير الأحاديث وإدخالها ضمن روايات التفسير، وهناك من أخذ بعض المسائل عن اليهود والنصارى وثم قام بنشرها باعتبارها من احاديث النبيﷺ. هذه الظاهرة المنكرة الّتي اتفق عليها مفسّرو ومحدثو السنة والشيعة[٢] أوجدت خطراً كبيراً على التفسير، ومن هنا فعلى المفسِّر أنْ يتنبّه إلى هذا الأمر بصورة كاملة وأن يراجع الكتب المختصة

١. أي يخرج عن دائرة الظنّ تخصّصاً، وهذا مبنىً بعض الأساتذة امثال: آية الله صالحي المازندراني في حلقات البحث الخارج للأُصول، ويستفاد من كلام آية الله معرفة (في كلام شفهي للكاتب مع الأستاذ في درس البحث الخارج).

٢. أنظر: آية الله معرفة، التفسير والمفسّرون في ثوبه القشيب، ج ١، ص ٤٧٦؛ ج ٢، ص ٩٤ وما بعدها.

بـالموضوعات والإسرائيليات وأن يكون على معرفة بالأحاديث الموضوعة والإسرائيلية لكي يحترز عنها ويتجنَبها.[١]

وهُنا نذكر عدة نقاط لغرض الفائدة:

أ) أهم أسباب وضع الأحاديث:

١. ما وضعه الزنادقة من أجل إفساد الدين.

٢. وضع الحديث من أجل نصرة المذاهب في أُصول الدين وفروعه.

٣. وضع الحديث للترهيب والترغيب بالقرآن والأخلاق.

٤. الوضع من أجل التقرب إلى الملوك.

٥. وضع الأحاديث لأسباب سياسيّة كالوضع في عهد معاوية.

٦. وضع الحديث من قِبَل القصّاصين لأغراض دنيوية.[٢]

وبالطبع فإنّ هناك عوامل أُخرىٰ ذكرت في الكتب المفصّلة.[٣]

ب) أهم الوضّاعين:

ذكر العلّامة الاميني؛ في كتاب الغدير أربعين شخصية من المحدّثين الكبار من الذين قاموا بوضع الحديث،[٤] منهم:

ابن أبي يحيىٰ في المدينة، الواقدي في بغداد، مقاتل بن سليمان في خراسان، ومحمد بن سعيد في الشام، وقد جاء ذكر اسماء أُخرىٰ مع الأحاديث الّتي وضعوها في الكتب المتعلقة بهذا المجال.[٥]

ج) أهم الشخصيات الّتي قامت بنقل الإسرائيليات:

---

١. أُنظر: ابن الجوزي، الموضوعات؛ السيوطي، اللآلي المصنوعة؛ المحمد بن طاهر مقدس الهندي الملقّب بالقتني (المتوفى ٩٧٦ هـ)، تذكرة الموضوعات وقانون الموضوعات؛ أبي المحاسن القاوقجي، اللؤلؤ المرصوع؛ الصنعاني، الموضوعات؛ الملّا علي القاري، الموضوعات الكبير؛ الملّا علي القاري، الموضوعات الصغرى؛ المحمود أبو ريّة، أضواء على السنّة المحمدية؛ المحمود أبو ريّة، شيخ المضيرة؛ الكاظم الشانه چي، عِلم الحديث؛ العلّامة المامقاني، مقياس الهداية.

٢. أُنظر: آية الله معرفة، التفسير والمفسّرون في ثوبه القشيب: ج ٢، ص ٣٣ـ٥٦؛ أضواء على السنّة المحمدية، ص ١٢١ وما بعدها.

٣. أُنظر: أضواء علىٰ السنّة المحمدّية، مبحث الوضع.

٤. الغدير، ج ٥، ٢٠٩ـ٢٧٥

٥. أُنظر: آية الله معرفة، التفسير والمفسّرون في ثوبه القشيب، ج ٢، ص ٦٠ وما بعدها.

١. عبد الله بن سلّام.
٢. كعب الأحبار.
٣. محمد بن كعب القرظي.
٤. وهب بن منبّه.
٥. تميم بن أوس الداري.
٦. عبد الملك بن عبد العزيز بن جُريج.
٧. عبد الله بن عمرو بن العاص.
٨. أبو هريرة.[١]

والغريب أنّ بعض الاشخاص استند إلى بعض الأحاديث في جواز نقل الاسرائيليات.[٢]

د) تسرّب الأحاديث الموضوعة والإسرائيلية في كتب أهل السنّة والشيعة:

رغم إنّ هذا النوع من الأحاديث يوجد بكثرة في كتب أهل السنّة وخصوصاً في آثار الطبري، والبغوي، والخازن، وابن كثير، والقرطبي،[٣] ولكنْ كتب الشيعة لا تخلو من ذلك أيضاً.

قال العلّامة الطباطبائي‌: «ان تسرب الإسرائيليات وما يلحق بها من الموضوعات والمدسوسات لا سبيل إلى إنكاره، ولا حجّية في خبر لا يؤمن فيه الدّس والوضع».[٤]

ومن هنا تصدّىٰ العلّامة الطباطبائي لمثل هذه الروايات، فلم يذكرها في تفسيره كما هو واضح في الموارد التالية:

١. الآيتين (١٠٣، ١٠٤) من سورة البقرة في قصة هاروت وماروت.
٢. الآية (٢٤) من سورة يوسف في مسألة همّ يوسف.
٣. الآية (٣٩) من سورة البقرة في خلق حوّاء من الضلع الأيسر لآدم.[٥]

---

١. ذكر آية الله معرفة أسماء هؤلاء مع نماذج من أحاديثهم في (التفسير والمفسّرون، ج ٢، ص ٩٤ وما بعدها) وكذلك محمود أبو ريّة في (أضواء على السنّة المحمديّة).
٢. الاسرائيليات وأثرها في التفسير، ص ١١٧
٣. المفسّرون حياتهم ومنهجهم، ٩٨
٤. الميزان، ج ١٢، ص ١١٢
٥. الميزان، ج ١، ص ١٤٧

ه) معايير تشخيص الأحاديث الموضوعة والإسرائيليات:

يمكن معرفة الوضع في الأخبار من خلال دراسة السند، فيُعرَف الوضّاعون ورواة الاسرائيليات عن هذا الطريق، أو عن طريق المتن فتُبعد الأحاديث المخالفة لآيات القرآن أو الأحاديث المتواترة، أو المخالفة لحكم العقل القطعي، أو للمسائل العلمية القطعية.

إنّ بحث هذا الموضوع بصورة مُفصَّلة يحتاج إلى كتاب مستقل، وقد تناولناه بشيءٍ من التفصيل في مكانه المناسب.[١]

التعريف ببعض التفاسير الروائية

تعرّضنا فيما تقدّم من البحث لبعض التفاسير الروائية، وذلك عند تناول تاريخ هذا المنهج، أمّا أشهر وأهم التفاسير الروائية فهي:

أ) أهم وأشهر التفاسير الروائية عند الشيعة

١. التفسير المنسوب إلى الإمام علي عليه السلام، (مصحف علي بن أبي طالب):

وهو قرآن جمعه الإمام عليه السلام على ترتيب النزول. ورغم أنّ الروايات التفسيرية لهذا التفسير (التوضيحات والتأويلات وشأن النزول) مفقودة وليست في متناول اليد الآن، ولكن يستفاد من هذا الأمر أنّ الإمام علياً عليه السلام هو أوّل من تصدّىٰ للتفسير.[٢]

٢. تفسير ابن عباس: اشتهر هذا الكتاب باسم تنوير المقباس للفيروزآبادي (ت ٨١٧هـ)، وصحيفة علي بن أبي طلحة، وكانت أكثر استفادة ابن عبّاس التفسيرية من الإمام علي عليه السلام.[٣]

٣. تفسير الإمام الباقر عليه السلام (٥٧ ـ ١١٤هـ): ذكر ابن النديم أنّ هذا التفسير رواه أبو الجارود (ت ١٥٠هـ). وقد جاء كثير من روايات هذا التفسير في تفسير علي بن إبراهيم.[٤]

٤. التفسير المنسوب إلى الإمام الصادق عليه السلام (٨٣ ـ ١٤٨هـ): نُسِبَ هذا التفسير مع كتاب مصباح الشريعة إلى الإمام الصادق عليه السلام وذلك في كتاب حقائق التفسير القرآني.[٥]

---

١. بحثنا هذا الموضوع في مقالتين نُشرتا في مجلة علوم حديث (بالفارسية) العدد: ٣، ٨.
٢. ايازى، سير تطور تفاسير شيعه، ص ٢٨
٣. المصدر السابق، ص ٣٠
٤. المصدر السابق، ص ٣٨؛ الذريعة، ج ٤، ص ٢٣٩
٥. المصدر السابق، ٣٤ـ٣٩

٥. تفسير القمّي: وهو كتاب علي بن إبراهيم القمي (ت ٣٠٧هـ) وهناك اختلاف في وجهات النظر بخصوص روايات هذا التفسير.[١]

٦. تفسير فرات الكوفي: وهو كتاب أبي القاسم فرات بن إبراهيم بن فرات (كان حيّاً سنة ٣٠٧هـ).

٧. تفسير العيّاشي: تأليف أبي نضر محمد بن مسعود بن محمد بن عيّاش السمرقندي (المتوفّى بعد سنة ٣٢٠هـ)، وهو من أشهر التفاسير الروائية عند الشيعة وقد حذف سنده.[٢]

٨. تفسير النعماني: تأليف محمد بن إبراهيم بن جعفر النعماني (المتوفّى بعد عام ٣٤٢ق). نقل العلّامة المجلسي هذا التفسير في بحار الأنوار بعنوان «ما ورد عن أمير المؤمنين في أصناف آيات القرآن وأنواعها برواية النعماني»، وهذا التفسير ينظر إلى المسائل القرآنية المهمّة بمنظار موضوعي، وقد طبع بعنوان «رسالة المُحكم والمتشابه» للسيد علم الهدى[٣] (ت ٤٣٦هـ).

٩. التفسير المنسوب إلى الإمام الحسن العسكري عليه السلام (ت ٢٥٤هـ). نُقِلَ هذا التفسير عن طريق أبي يعقوب يوسف بن محمد بن زياد، وأبي الحسن علي بن محمد بن يسار تلميذيْ الإمام عليه السلام. وهناك خلاف بين العلماء في سند واعتبار هذا الكتاب.[٤]

١٠. تفسير الصافي: تأليف محمد بن مرتضى المشهور بالملّا محسن الفيض الكاشاني (١٠٠٧ ـ ١٠٩١هـ)، وقد جاء في هذا الكتاب توضيح الآيات بالاضافة إلى الأحاديث واللغة.

١١. البرهان: تأليف السيد هاشم الحسيني البحراني (ت ١١٠٧هـ)وهو من أكمل التفاسير الروائية للشيعة ويتضمن بعض الأخبار الضعيفة.[٥]

---

١. آية الله معرفة، التفسير والمفسّرون، ج ٢، ص ٣٢٥ وما بعدها.
٢. آية الله معرفة، التفسير والمفسّرون، ج ٢، ص ٣٢٢؛ سير تطور تفاسير شيعه، ص ٥٠
٣. سير تطور تفاسير شيعه، ص ٥٢، ٥٣؛ وأُنظر: السيد حسن الصدر، تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام، ص ٣١٨.
٤. المصدر السابق: ٥٢، ٥٣؛ آية الله معرفة، التفسير والمفسترون، ج ١، ص ٤٧٨
٥. أُنظر: مقدمة محمد مهدي الآصفي لتفسير البرهان: سير تطور تفاسير شيعه: ١١٦.

١٢. نور الثقلين: تأليف عبد علي بن جمعة العروسي الحويزي (ت ١١١٢هـ). وهو من التفاسير الكاملة للشيعة، ويتّسم بترتيب أفضل بالنسبة إلى البرهان.

وهناك تفاسير روائية أُخرى أيضاً مثل كنز الدقائق وبحر الغرائب تأليف الميرزا محمد المشهدي القمي (١١٢٥هـ)، ومنهج الصادقين في الزام المخالفين تأليف الملّا فتح الله الكاشاني.[1]

وفي الواقع هناك تفاسير روائية أكثر من الموارد المذكورة وهي قابلة للمناقشة من حيث السند والمتن، ويمكن للمحققين مراجعة المصادر المستة في هذا المجال.[2]

ب) أهم واشهر التفاسير الروائية عند السنّة

١. جامع البيان: تأليف أبي جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الطبري (٢٢٤ ـ ٣١٠هـ) ويحتوي هذا التفسير على الروايات الضعيفة والاسرائيليات.[3]

٢. الدر المنثور في التفسير بالمأثور: تأليف جلال الدين أبي الفضل عبد الرحمان بن بكر بن محمد السيوطي (٩١١هـ). ذكر فيه الروايات التفسيرية للنبي ﷺ والصحابة ويحتوي على الاسرائيليات والأحاديث الموضوعة.[4]

٣. تفسير ابن كثير: تأليف الحافظ عماد الدين أبي الفداء اسماعيل بن عمرو بن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤هـ). أورد فيه روايات النبي ﷺ وأقوال الصحابة والتابعين. ويقوم أحياناً بنقد الأحاديث ويسعىٰ في الابتعاد عن الاسرائيليات في الحديث.[5]

٤. تفسير ابن عطيّة (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز)، تأليف أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطيّة الاندلسي المغربي الغرناطي (ت ٤٨١هـ). وتعرض فيه لنقد ومناقشة روايات التفسير.

١. آية الله معرفة، التفسير والمفسّرون، ج ٢، ص ٣٣٨، ٣٤٦

٢. أُنظر: المصدر السابق؛ طبقات مفسّرين الشيعة؛ سير تطور تفاسير شيعه.

٣. آية الله معرفة، التفسير والمفسّرون، ج ٢، ٣١٣؛ الذهبي، التفسير والمفسّرون، ج ١، ص ٢١٢، ٢١٥

٤. آية الله معرفة، التفسير والمفسّرون، ج ٢، ص ٣٣٤ ٥. المصدر السابق، ٣٤٠

الخلاصة

من خلال البحوث السابقة توصلنا إلى النتائج التالية:

١. معرفة معنىٰ الأحاديث المتواترة والخبر المحفوف بالقرائن، وقد تبيَّن من خلال البحث أنّ هذا النوع من الأحاديث يكون معتبراً في التفسير لإنّه يورث اليقين.

٢. تعرّضنا لبيان أقسام الخبر الضعيف، وتبيّن أنَّ الأخبار الضعيفة لا تعتبر حجّة في التفسير إلّا بعنوان شاهد في التفسير.

٣. تبيّن أنّ هناك ثلاثة آراء بالنسبة إلى الخبر الواحد المعتبر في التفسير:

أ) رأي الموافقين (مثل: آية الله الخوئي، والزركشي) الذين ذهبوا إلى أنّ خبر الواحد المعتبر حجة في التفسير.

ب) رأي المخالفين (أمثال الشيخ الطوسي والعلّامة الشعراني ومحمد عبده) الذين ذهبوا إلى أنّ خبر الواحد المعتبر غير حجّة في التفسير.

جـ) رأي القائلين بالتفصيل (مثل آية الله الجوادي الآملي) الذين ذهبوا إلى ان الاخبار الواردة في الأحكام العملية حجّة، أمَّا الاخبار الواردة في المعارف الاعتقادية واصول الدين والمسائل العلمية فلا تعتبر حجة.

٤. ونحن نميل إلى الرأي القائل بالتفصيل بالنسبة إلى حجيّةخبر الواحد المعتبر بمعنى أنّ هذه الأخبار حجة في آيات الاحكام دون غيرها.

٥. أوضحنا خطر الاخبار الموضوعة والاسرائيليات، وذكرنا أسباب وضع الحديث، والوضّاعين ورواة الاسرائيليات، وكذلك قمنا بذكر ضوابط تقييم الأحاديث الموضوعة. وقُلنا إنَّ الأحاديث الموضوعة والاسرائيليات قد اُخذت طريقها إلى كتب التفسيّر وإنَّ على المفسّر ان يبذل عناية كبيرة ودقة لازمة في هذا المجال، وان ينقدها على أساس المعايير الّتي ذكرناها سابقاً.

٦. ذكرنا أهم وأشهر التفاسير الروائية عند الشيعة (١٣ عنواناً) وأهل السنّة (٦ كتب)، وقلنا إنّ هذه التفاسير تحتوي على الروايات الموضوعة والإسرائيليات وتحتاج إلى نقد من حيث السند والمتن.

اسئلة الدرس الرابع والخامس

١. عرّف منهج التفسير الروائي والتفسير بالمأثور، وما هو الاختلاف بينهما؟

٢. متى بدأ منهج التفسير الروائي، وعن طريق أي شخص؟ استشهد بآية من القرآن ورواية.

٣. وضّح الرأي القائل باستقلال القرآن (عدم الحاجة إلى الروايات) مع المناقشة.

٤. وضّح رأي العلّامة الطباطبائي في مورد التفسير الاستقلالي للقرآن، وبيّن رأيه النهائي.

٥. بيّن أدلة الرأي القائل «عدم جواز تفسير القرآن الا بالروايات» مع النقد؟

٦. بيّن معنى أنَّ «الروايات وسيلة لتفسير آيات القرآن» مع ذكر الأدلة.

٧. بيّن أدلة حجيّة سنّة النبيﷺ في تفسير القرآن.

٨. بيّن أدلة حجيّة سنّة أهل البيتعليهم السلام في تفسير القرآن.

٩. ما هو دور أقوال الصحابة والتابعين في تفسير القرآن؟ وما هو مقدار اعتبارها؟

١٠. اذكر أربعة موارد من استخدام الروايات التفسيرية، مع ذكر مثالين.

١١. اذكر أقسام الروايات اليقينية وغير اليقينية، وما هي الحجّة منها في تفسير القرآن؟

١٢. كيف يكون العمل بالنسبة إلى الأحاديث الضعيفة في تفسير القرآن؟ وما هو رأي العلّامة الطباطبائي في هذا الموضوع؟

١٣. اذكر أدلّة الموافقين والمخالفين لحجيّة خبر الواحد في تفسير القرآن.

١٤. اذكر رأي آية الله الشيخ الجوادي الآملي بخصوص دور خبر الواحد في التفسير.

١٥. اذكر الرأي القائل بالتفصيل (الرأي المختار) في حجّيّة خبر الواحد في التفسير.

١٦. وضّح خطر الأحاديث الموضوعة والاسرائيليات في التفسير.

١٧. اذكر عشرة أشخاص من الشخصيات المهمّة في وضع الحديث والاسرائيليات.

١٨. بيّن معايير معرفة الروايات الموضوعة والاسرائيليات.

١٩. اذكر عشرة كتب من التفاسير الروائية للسنّة والشيعة مع ذكر مؤلفيها.

مصادر إضافية للمطالعة

١. التفسير والمفسّرون، آية الله معرفة، ج ١، ج ٢.

٢. الميزان، العلّامة الطباطبائي، ج ٣ و...

٣. البيان، آية الله الخوئي.

... ثلمات .. أثرها في كتب التفسير، رمزي نعنانة، نشر دار القلم، دمشق، ١٣٩٠هـ

٥. التفسير والمفسرون، الدكتور الذهبي.

٦. التفسير بالمأثور وتطويره عند الشيعة الإمامية، احسان امين.

٧. المنهج الاثري في تفسير القرآن الكريم، هدىٰ جاسم محمد أبو طبرة.

٨. المناهج التفسيرية في علوم القرآن، الشيخ جعفر السبحاني.

بحوث جديدة

١. اذكر أدلّة حجيّة قول الصحابة والتابعين مع النقد والتحليل.

٢. ما هو الاختلاف بين كون الرواية مصدراً في التفسير أو وسيلة وقرينة؟

٣. من هو أكثر أصحاب النبيﷺ شهرة ونقلاً للروايات التفسيرية ولماذا؟

٤. اذكر استخدامات أُخرىٰ للروايات التفسيرية علىٰ ضوء بحث روايات تفسير البرهان و نور الثقلين مع التحليل.

٥. في ضوء روايات تفسير نور الثقلين اذكر موارد من الآيات الّتي جاء تفسيرها بسُنة النبيﷺ مع التحليل.

٦. اذكر الأحاديث المتواترة اللفظية والمعنوية في جزء من تفسير نور الثقلين وعيّن نوع التواتر فيها.

٧. اذكر الروايات التفسيرية الضعيفة الّتي استخدمها العلّامة الطباطبائي كشاهد على التفسير في المباحث الروائية في تفسيره مع التحليل.

٨. اذكر نماذج من الروايات الاسرائيلية في سورة يوسف، وقصة هاروت وماروت (الواردة في الآية ١٠٤ من سورة البقرة) مع النقد والتحليل.

٩. اذكر نماذج من الأحاديث الموضوعة في الروايات التفسيرية عند السنّة والشيعة مع النقد والتحليل.

١٠. اذكر التفاسير الروائية للشيعة في القرن الأوّل والثاني بصورة كاملة مع ذكر منهج كل منهما.

١١. ناقش أهميّة واعتبار تفسير القمي والعياشي والتفسير المنسوب إلى الإمام العسكريعليه السلام.

١٢. اذكر التفاسير الروائية للسنّة حسب الأدوار التاريخيّة.

١٣. تكلّم عن التفسير الروائي للطبرسي وابحث عن الروايات الإسرائيلية الموجودة فيه.

٦
منهج التفسير العقلي والاجتهادي ١

الاهداف التعليميّة

الأهداف الأساسيّة: معرفة استخدامات العقل في التفسير.

الأهداف الثانوية: ١) الاطلاع على الآراء حول التفسير العقلي؛ ٢) معرفة انواع منهج التفسير العقلي؛ ٣) معرفة معايير التفسير العقلي المعتبر.

المقدمة

يحظىٰ منهج التفسير العقلي (الذي عُرِّف بتعاريف كثيرة) بمنزلة خاصة بين مناهج التفسير، وقد اتّخذت المذاهب الكلامية (الشيعة، المعتزلة، الاشاعرة) بإزاء هذا المنهج مواقف مختلفة. فقد يطلق عليه في بعض الأحيان منهج التفسير الاجتهادي، وقد يذكر كأحد أقسام منهج التفسير بالرأي، وقد يُنظر إليه بنظرة مساوية للاتجاه الفلسفي في التفسير. ولم يتعرض هذا المنهج للدراسة والتحليل الا نادراً.

ومن هنا فلابدّ من تعريف هذا المنهج تعريفاً دقيقاً، وتقييمه تقييماً مناسباً، وسوف نقوم هنا بذكر التعاريف المختلفة للعقل ومنهج التفسير العقلي، وسوف تتّضح من خلال مناقشة أدلة الموافقين والمخالفين ضرورة هذا المنهج في تفسير القرآن واعتباره من المعايير في التفسير، واختلافه عن منهج التفسير بالرأي والتأويلات الفلسفية غير المناسبة لآيات القرآن.

الاصطلاحات

استخدمت في هذا البحث عدة اصطلاحات، وهي:

أ) المنهج.

ب) التفسير.[١]

ج) العقل:

العقل في اللغة بمعنىٰ الإمساك، والحفظ، ومنع الشيء.

ويستخدم العقل في موردين:

الأوّل: القوة المستعدة لحصول العلم، وهي نفس ذلك الشيء الذي بفقدانه يرتفع التكليف عن الإنسان، وقد ورد مدح العقل في الأحاديث كثيراً.

الثاني: ويطلق على العلم الذي يحصل عليه الإنسان بواسطة هذه القوة، وقد ورد هذا المعنىٰ في القرآن عندما ذمّ الكافرين بسبب عدم التعقل،[٢] وقد أستُدلّ على هذا المعنى بأحاديث النبيﷺ،[٣] وأبيات شعرية منسوبة إلى الإمام عليعليه السلام.[٤]

وقد كتب صاحب التحقيق في هذا المجال فقال: «إنّ أصل مادة العقل هي تشخيص الصلاح والفساد في الحياة المادية والمعنوية ومن لوازم العقل الإمساك، التدبر، حسن الفهم، الإدراك والإنزجار، معرفة الأشياء الّتي تكون موضع حاجة في الحياة، والّتي تقع تحت برنامج الحق والعدل، وحفظ النفس عن الهوى والمحرمات. ثم قال: إنّ قوىٰ النفس تتّحد مع نفس الإنسان، ومن جملة ذلك، **العقل النظري والعقل العملي**، فالعقل النظري بلحاظ ما فوقه، أي المبادئ العالية والّتي يقال لها قوة الإدراك أيضاً. والعقل العملي بلحاظ ما دونه، والذي يكون مبدأ الحركات البدنية والأعمال الخارجية. فإذن تشخيص المصالح والمفاسد متعلق بالعقل النظري، والإدراك وضبط النفس ومنعها متعلق بالعقل العملي».[٥]

---

١. أوضحنا هذين المصطلحين سابقاً.

٢. أُنظر: مفردات، مادة عقل.

٣. عن رسول الله ﷺ: «ما كسب أحد شيئاً افضل من عقل يهديهِ إلى هدى أو يردّه عن ردىٰ».

رأيت العـــقل عـــقلين	فـــمطبوع ومســـموع
ولا يـــنفع مســـموع	إذا لم يكـــن مـــطبوع

٤. أُنظر: ديوان الإمام عليعليه السلام: ص ١٢١؛ إحياء علوم الدين، ج ١، ص ٨٦.

٥. التحقيق في كلمات القرآن الكريم، ج ٨، ص ١٩٦ ـ ١٩٨

وقال الاستاذ أيازي: «والمراد من العقل هو الحكم النظري بالملازمة بين الحكم الثابت شرعاً أو عقلاً، وبين حكم شرعي آخر، أو الملازمة بين عقيدة ثابتة قطعية وبين عقيدة أُخرىٰ، كحكمه بالملازمة في مسألة الإجزاء ومقدمة الواجب و...».[1]

أمّا آية الله الجوادي الآملي فيعتقد بأن المقصود من العقل هنا هو «العقل البرهاني»، والذي يكون محفوظاً من المغالطة والوهم والتخيّل، أيّ العقل الذي يثبت أصل وجود مبدأ العالم وأسماءه الحسنىٰ بأصوله وعلومه المتعارفة.[2]

ألنتيجة: يستفاد مما تقدم ان العقل قد يطلق على القوة المفكِّرة تارة، وأُخرىٰ على مدركات هذه القوة، أيّ العلوم المكتسبة.

ولهذا فإنّ العقل ينقسم إلى العقل الفطري والعقل الاكتسابي، وقد يُقسّم إلى عقل نظري وعقل عملي.[3]

أمّا في بحث منهج التفسير العقلي فأحياناً يكون المقصود من العقل هو العقل الفطري، أو قوة الفكر والإدراك والتعقل، وهذا في الموارد الّتي يكون فيها التفسير العقلي والاجتهادي بمعنىٰ واحد. وأحياناً يكون المقصود من العقل هو العقل الاكتسابي، أو مدركات العقل الّتي يستفاد منها كقرائن عقلية أو أدلة عقلية في تفسير القرآن، والذي يكون حكم العقل النظري والعقل البرهاني في باب الملازمات، من هذا الباب، وسوف نتابع هذه المسألة عند عرض الآراء.

د) الاجتهاد

المقصود بالاجتهاد هنا هو بذل الجهد الفكري واستخدام قوة العقل في فهم آيات القرآن ومقاصده، وعلى هذا فاستعمال الاجتهاد هنا أعمّ من الاجتهاد الإصطلاحي في

١. المفسّرون حياتهم ومنهجهم، ٤٠
٢. آية الله الجوادي الآملي، تسنيم، ج ١، ص ١٦٩، ١٧٠
٣. في الواقع هناك تعاريف كثيرة للعقل النظري والعقل العملي، فقد يكون الاختلاف بينهما من حيث الإدراك، فان كان الإدراك متعلقاً بالعمل يكون العقل عملياً حينئذ، وأمّا إذا لم يكن الإدراك متعلقاً بالعمل فيكون العقل نظرياً. وقد يكون الاختلاف بينهما بقدرة العقل النظري على إدراك الكليّات، أمّا العقل العملي فيتعلق بالجزئيات فقط. وفي الواقع إنّ هذا البحث خارج عن نطاق دراستنا، وليس له تأثير كبير في الموضوع. أُنظر: الملا هادي السبزواري، شرح المنظومة، ٣١٠؛ ابو علي بن سينا، الإشارات، ج ٢، ص ٣٥٣؛ الشواهد الربوبية، ٢٠.

علم الفقه والأُصول؛ لأنّه يشمل آيات الأحكام وغيرها، أي أن التفسير الاجتهادي يكون في قِبال التفسير النقلي؛ ففي التفسير النقلي يتمّ التأكيد على النقل أكثر من غيره، أمّا في التفسير الاجتهادي فيتمّ التأكيد على العقل والنظر والتدّبر.[١]

نبذة تأريخية

يمتلك منهج التفسير العقلي ماضياً قديماً، وهناك من يعتقد بأن النبي ﷺ قد علّم أصحابه كيفيّة الاجتهاد العقلي في فهم النصوص الشرعية (من الكتاب والسنّة).[٢]

ويمكن أنْ نجد نماذج من التفسير العقلي في الأحاديث التفسيرية لأهل البيت عليهم السلام.

مثال: عن عبد الله بن قيس، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: سمعته يقول: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾،[٣] فقلت: له يدان هكذا ـ وأشرت بيدي إلى يديه ـ؟ فقال: «لا، لو كان هكذا كان مخلوقاً».[٤]

ففي هذا الحديث استفاد الإمام عليه السلام من العقل في تفسير الآية ونفي اليد المادية عن الله سبحانه وتعالى؛ لإنّ وجود مثل هذه اليد يستلزم الجسميّة والمخلوقيّة لله، وهو سبحانه منزّه عن هذه الصفات (فالمقصود من اليد هنا هو القدرة الإلٰهية). وهناك نماذج من التفاسير العقلية وصلتنا عن طريق أحاديث أهل البيت عليهم السلام بخصوص العرش والكرسي، وهل أنّ الله سبحانه شيء من الأشياء أو يشغل حيّزاً من المكان.[٥] وقد استفاد الإمام علي عليه السلام في بعض خطب نهج البلاغة من مقدّمات عقليّة لتفسير آيات القرآن.[٦]

وفي الواقع أنّ بعض آيات القرآن تتضمن براهين عقلية، مثل الآية ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾،[٧] وقد دعا القرآن الناس إلى التفكّر والتعقل والتدّبر في آيات الله.[٨]

ولذلك رأى المفسّرون أنّه لابدّ من استخدام قوة العقل والفكر والاستدلال،

---

١. أُنظر: آية الله معرفة: التفسير والمفسّرون، ج ٢، ص ٣٤٩؛ الشيخ خالد عبد الرحمن العك، أصول التفسير وقواعده، ص ١٧٦.

٢. محسن عبد الحميد، تطوّر تفسير القرآن، ص ٩٨؛ إيازي، المفسرون حياتهم ومنهجهم، ص ٤٠

٣. المائدة، ٦٤

٤. نور الثقلين، ج ١، ص ٦٥٠، الحديث ٢٧٩

٥. أُنظر: نور الثقلين، ج ١، ص ٧٠٦، ٤٩٤؛ ج ٣، ص ٣٨٣؛ ج ٤، ص ٦٠٨.

٦. أُنظر: نهج البلاغة، خ ١٥٢، ١٨٤، ٢٢٨.

٧. الأنبياء، ٢٢

٨. أُنظر: ص، ٢٩؛ محمد، ٢٤؛ النساء، ٨٢؛ يوسف، ٢؛ النحل، ٤٤... (وسوف نبحث هذا النوع من الآيات في مبحث أدلة الموافقين للتفسير العقلي، مكانة العقل في القرآن).

واستخدام القرائن العقلية في تفسير آيات القرآن. ومن هُنا نجد أن مبدأ المنهج الاجتهادي (العقلي) في تفسير القرآن كان في عهد التابعين ثم وصل إلى أوج تطوره فيما بعد على يد المعتزلة، وقد ظهرت عند الشيعة تفاسير عقلية مثل تفسير التبيان للشيخ الطوسي (٣٨٥ ـ ٤٦٠هـ)، ومجمع البيان للشيخ الطبرسي (ت ٥٤٨هـ)، وكذلك التفسير الكبير للفخر الرازي عند أهل السنّة، ثم تطور هذا المنهج كثيراً في القرنين الأخيرين، وقد بلغ هذا التطور مدىً بعيداً في تفسير الميزان للطباطبائي عند الشيعة و...، وروح المعاني للآلوسي (ت ١٢٧٠هـ)، والمنار للشيخ رشيد رضا (١٨٦٥ ـ ١٩٣٥م) و... عند أهل السنّة، وقد حظي هذا المنهج ـ إلى جانب المنهج النقلي ـ بعناية فائقة في العالم الإسلامي.

الآراء حول معنىٰ التفسير العقلي

تضاربت آراء العلماء حول مفادِّ منهج التفسير العقلي، وتعدّدت الأقوال بشأن معناه، فكل شخص يحكم على هذا المنهج على أساس فهمه، وسوف نقوم بمناقشة ونقد الآراء المطروحة:

١. الاستفادة من القرائن العقلية كأداة في التفسير: قال آية الله مكارم الشيرازي: المقصود من التفسير بالعقل هو الاستفادة من القرائن العقلية الواضحة الّتي تكون مورد قبول جميع العقلاء لفهم معاني الألفاظ والجمل، ومن جملتها القرآن والحديث، فمثلاً عندما يقال: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾،[1] فالعقل يقول: بانّه ليس المقصود من اليد هنا هو هذه الجارحة الّتي تحتوي على خمسة أصابع؛ لأنّ الله سبحانه وتعالى ليس بجسم، وإنّ كُل جسم فهو محدود وفانٍ، والله ليس محدوداً ولا يفنىٰ، وهو أزلي أبدي، بل المقصود من ذلك هو قدرة الله سبحانه الّتي تكون فوق قدرة الجميع، فإطلاق اليد على القدرة إطلاق مجازي؛ لأنّ قدرة الإنسان عادة ما تكون في اليد وعن طريق اليد».[2]

ثم قال في الختام: «إنّ كل ما جاء من التفسير بالعقل فالمقصود به هو هذا النوع [المذكور وهو التفسير العقلي] وليس فرض الآراء والأذواق الشخصية والأفكار المريضة والخيالية الّتي لا أساس لها».[3]

---

١. الفتح، ١٠ ٢. آية الله مكارم الشيرازي، تفسير به رأى، ص ٣٨
٣. المصدر السابق، ٣٩

المناقشة

لقد التفت سماحته إلىٰ أحد معاني التفسير العقلي وهو الاستفادة من القرائن القطعية في تفسير آيات القرآن، ولكن هناك معانٍ أُخرىٰ من التفسير العقلي وهو التدبّر في آيات القرآن والاستنباط والاجتهاد فيها، وقد أخذ بعض الكتَّاب التفسير العقلي بالمعنىٰ الثاني وسوف نقوم ببيان رأيهم فيما بعد.

التفسير العقلي هو التفسير الاجتهادي نفسه

كتب آية الله معرفة: «التفسير الاجتهادي يعتمد العقل والنظر أكثرمما يعتمد النقل والأثر؛ ليكون المناط في النقد والتمحيص هو دلالة العقل الرشيد والرأي السديد».[١] وقد اعتبر أحد خصائص تفسيرالتابعين هو الاجتهاد في التفسير والاعتماد على الفهم العقلي، فقال: «فأعملوا النظر في كثير من مسائل الدين، ومنها مسائل قرآنية كانت تعود إلى معاني الصفات، وأسرار الخليقة، وأحوال الأنبياء والرسل وما شاكل. فكانوا يعرضونها على شريعة العقل ويحاكمونها وفق حكمه الرشيد، وربّما يؤوّلونها إلى ما يتوافق مع الفطرة السليمة».[٢]

ثم ذكر ابنَ عبّاس من مدرسة مكة، وابن مسعود من مدرسة الكوفة بوصفهم شيوخ هذا المنهج في التفسير، ثم ذكر أمثلة متعددة من تفاسيرهم العقلية والاجتهادية.[٣]

وفي الختام قال: «وقد راج التفسير العقلي فيما بعد، ولاسيّما عند المعتزلة ومن حذا حذوهم في تقديم العقل على ظاهر النقل»،[٤] ثم ذكر أبا مسلم بن بحر الاصفهاني (٢٥٥ ـ ٣٤٤هـ)، كنموذج في هذا المجال.

المناقشة

لقد جعل سماحته التفسير العقلي والاجتهادي بمعنىٰ واحد.[٥] وأصرّ في بعض كلامه على «الفهم العقلي» للآيات، وفي مكان آخر أكّد على «حكم العقل الرشيد»، ولم

١. التفسير والمفسّرون في ثوبه القشيب، ج ٢، ص ٢٤٩
٢. المصدر السابق، ج ١، ص ٤٣٥
٣. المصدر السابق، ص ٤٣٥ـ٤٣٩
٤. المصدر السابق، ٤٤٠
٥. يعتقد الاستاذ علي الآلوسي بأنّ المراد من التفسير العقلي هو التفسير الاجتهادي نفسه وذلك في كتاب منهج العلّامة الطباطبائي في تفسير الميزان، ص ٢٤٦.

يوضّح الحدود بين الاثنين بصورة كاملة؛ لأنّه ـ كما جاء في الرأي السابق ـ أكّد على القسم الثاني (أي استخدام الأحكام العقلية كقرائن عقلية في التفسير)، وهو غير الاجتهاد في فهم آيات القرآن؛ حيث إنّ بعض العلماء أمثال آية الله الجوادي الآملي لم يعتبر القسم الأخير من التفسير العقلي، بل اعتبره جزءاً من التفسير بالمأثور (الروائي والنقلي).[١]

فلابد من أنّ نتبيّن المقصود من التفسير العقلي، وأيّ قسم من أقسام التفسير العقلي يقصد.

كتب الاستاذ أيازي في هذا الشأن: (وهذا مصطلح في قبال التفسير بالرأي ـ المذموم ـ الناتج من هوى النفس والبدع، والمراد منه المنهج الاجتهادي القائم على القواعد العقلية القطعية في شرح معاني القرآن، والتدّبر في مضامينه والتأمل في ملازمات بيانه).[٢]

ثم تناول مسألة صلاحية العقل في الاستدلال على الأحكام والاختلاف بين المسلمين في هذه المسألة، فالإمامية والمعتزلة جعلوا العقل طريقاً معتمداً إلى العلم القطعي، ودليلاً للحكم وسبيلاً للوصول إلى ذلك الحكم، وفي مقابل هؤلاء هناك الأشاعرة وبعض الاخباريين الذين يعتقدون أنّ منشأ التكليف هو حكم الشارع وليس العقل.

ثم اعتبر (الأيازي) أنّ المقصود من العقل هنا هو حكم العقل النظري بالملازمة (بين الحكم الثابت الشرعي أو العقلي وبين حكم شرعي آخر).[٣]

المناقشة

لقد نظر إلى التفسير العقلي والاجتهادي نظرة متساوية ولم يشخّص الحدود بين هذين القسمين، أي التدّبر في المضامين، والاستفادة من القواعد العقلية القطعية كما هو الحال في الرأي السابق.

وفي الحقيقة إنّه يعتقد أنّ المراد من العقل في التفسير العقلي هو الاجتهاد المنحصر في الحكم النظري العقلي في باب الملازمات العقلية الذي يُطرح في أصول الفقه، وهذا ممّا لا دليل عليه، بل إنّ المقصود من العقل هنا هو العقل الاكتسابي أو مدركات العقل

١. سوف يأتي كلامه فيما بعد ٢. المفسّرون حياتهم ومنهجهم، ٤٠
٣. المصدر السابق

الذي يشمل جميع الأحكام القطعية العقلية والبراهين والقرائن العقليّة (أعم من باب ملازمات الأحكام وغيرها).

التفسير العقلي نوع من انواع التفسير بالرأي

كتب الشيخ خالد عبد الرحمن العك:

«التفسير العقلي هو ما يقابل التفسير النقلي، وهو يعتمد على الفهم العميق والمركّز لمعاني الالفاظ القرآنية الّتي تنتظم في سلكها تلك الألفاظ وفهم دلالتها، وللعلماء تسمية للتفسير العقلي هي التفسير بالرأي».[١]

ثم تناول بعض المسائل المتعلقة بالتفسير بالرأي بصورة مفصّلة. كما كَتَبَ الدكتور الذهبي في مبحث التفسير بالرأي فقال: «والمراد بالرأي هنا الاجتهاد، وعليه فالتفسير بالرأي عبارة عن تفسير القرآن بالاجتهاد».[٢]

ثم قسّم التفسير بالرأي إلى قسمين: ممدوح ومذموم، وإنّ الممدوح منها هو التفسير العقلي نفسه، والذي يمكن ان يتعارض مع التفسير النقلي، ثم أوضح طرق حل التعارض.[٣]

وقد ذهب إلى جواز التفسير بالرأي الممدوح (العقلي)، وذكر عدة تفاسير تبنّت هذا المنهج أمثال مفاتيح الغيب للفخر الرازي، وروح المعاني للآلوسي و....[٤]

المناقشة

سوف يتّضح في مبحث التفسير بالرأي أنّ هذا التفسير هو غير التفسير العقلي والتفسير الاجتهادي، وأنّ هناك اختلافات رئيسيّة بينهما،نشير إليها هنا بصورة مختصرة فنقول: في التفسير بالرأي يُقدّم شخص المفسِّر على التفسير؛ وذلك على أساس الذوق والنظر الشخصي بدون مراعاة القرائن النقلية والعقلية، أمّا بالنسبة إلى التفسير العقلي فإنّ المفسِّر يأخذ بنظر الاعتبار القرائن النقلية والعقلية في التفسير.[٥] وكذلك بالنسبة إلى

١. الشيخ خالد عبد الرحمن العك، أُصول التفسير وقواعده، ص ١٦٧ (بتلخيص)
٢. الذهبي، التفسير والمفسّرون، ج ١، ص ٢٥٥
٣. المصدر السابق، ٢٨٤، ٢٨٥ (التعارض بين التفسير العقلي والتفسير بالمأثور...)
٤. المصدر السابق، ٢٨٨، ٢٨٩
٥. سوف يتضح هذا الموضوع فيما بعد عند نقل بعض الآراء عن الاستاذ عميد الزنجاني.

التفسير الاجتهادي فقد اتّضح أنّ الاجتهاد على نوعين؛ الأوّل: هو الاستنباط دون مراجعة القرائن العقلية والنقلية وهو ما يعتبر نوعاً من التفسير بالرأي، والثاني: هو الاجتهاد الصحيح والمعتبر وهو الذي يأخذ بنظر الاعتبار القرائن النقلية والعقلية،وهذا التفسير لا يعتبر من التفسير بالرأي، وقد اتّضح في هذا المبحث أن تقسيم التفسير بالرأي إلى قسمين ـ ممدوح ومذموم ـ لا يوجد له أساس صحيح، وإنّ الروايات الّتي وردت في منع وذمّ هذا المنهج جاءت مطلقة وغير مقيّدة بقيد.

التفسير العقلي الذي هو الحد الوسط بين التفسير بالرأي والتفسير النقلي

كتب الاستاذ عميد الزنجاني تحت عنوان \التفسير \العقلي و\الاجتهادي فقال: «إنّ من أشهر المناهج والمباني التفسيرية الّتي كان يُعمل بها دائماً بين علماء المسلمين ومفسّري القرآن طيلة القرون الإسلامية هو التفسير الاجتهادي، وهو حدّ وسط بين نوعين من التفسير هما التفسير بالرأي (الإفراطي)، والتفسير النقلي (التفريطي)».

ثم نسب هذا المنهج إلى أصحاب النبيﷺ والتابعين فقال: «فإنّهم مع اهتمامهم الكبير بالروايات التفسيرية كانوا يعتمدون النظر والتدبّر والاجتهاد أساساً لفهم الآيات واستخراج معانيها؛ فكانوا يستفيدون من الرواية والسماع كأحد وسائل ومقدمات فهم القرآن، وكذلك كانوا يستخرجون معاني ومقاصد القرآن عن طريق التدبّر والاجتهاد في المجالات الّتي لا توجد رواية في تفسيرها»، وأضاف: «ان منهج التفسير الاجتهادي يستفيد من النظر والتدبر مقترناً مع التقيّد بالروايات التفسيّرية،ولهذا فإنّه يختلف اختلافاً جوهرياً مع منهج التفسير بالرأي والتفسير النقلي».[1]

فهو مع اعترافه بعدم وجود حدّ فاصل بين التفسير الاجتهادي والتفسير بالرأي يسعىٰ لتقديم ملاك معتبر في هذا الصدد.

وقال في الختام: «ان على المفسِّر بهذا المنهج ان يتجنب تحميل الآراء والنظريات المستخرجة من غير القرآن، وتطبيقها على ظواهر الآيات دون وجود مناسبة لفظية أو معنوية».[2]

---

١. عباس علي عميد زنجاني، مبانى و روشهاى تفسير قرآن، ص ٣٣١، الطبعة الرابعة
٢. المصدر السابق، ٣٣٣

المناقشة

إنّ تفريقه بين التفسير بالرأي والتفسير العقلي يعتبر أمراً لازماً، ولكنّه ساوىٰ بين التفسير العقلي والتفسير الاجتهادي والتدبّر في الآيات مع الالتفات إلى الروايات، ولم يذكر القسم الثاني للتفسير العقلي، أي الاستفادة من القرائن والبراهين العقلية في تفسير القرآن بصورة صريحة، ولم يوضّح حدود هذين القسمين من التفسير العقلي في التعريف.

التفسير العقلي هو تفسير القرآن بالعقل البرهاني الذي يكون له دور المصدر وليس دور الكشف

كتب الاستاذ آية الله الجوادي الآملي في خصوص «تفسير القرآن بالعقل» فقال: «أحد مصادر علم التفسير وأصول البحث والتحقيق، للحصول على المعارف القرآنية، هو العقل البرهاني البعيد عن المغالطة والوهم والخيال»، وأضاف «إنّ المفسِّر في مسألة التحقيق حول تفسير القرآن بالعقل ـ علاوة على وجوب التعرّف على علوم القرآن ـ يحتاج إلى دراسة شرائط البرهان لكي يتمكن من الاستفادة من البرهان العقلي والابتعاد عن المغالطة».

ثم قام بتقسيم التفسير العقلي إلى نوعين فقال: «التفسير العقلي يتشكل إمّا عن طريق التفات العقل بواسطة الشواهد الخارجيّة والداخليّة وذلك بإن يُدرك معنى الآية عن طريق جمع الآيات والروايات، وفي هذهِ الحالة يقوم العقل بدور «الكاشف» وليس أكثر من ذلك. ومثل هذا التفسير العقلي الاجتهادي يُعتبر جزءاً من التفسير بالمأثور؛ لأنّهُ استفاد من المصادر النقليّة ولا يُعتبر من التفسير العقلي، أو يتكوّن عن طريق استنباط بعض المبادئ التصورية والتصديقيّة من العقل البرهاني والعلوم المتعارفة، وهُنا يقوم العقل بدور المصدر وليس الكاشف، وعلى هذا فان التفسير العقلي يختص بالموارد الّتي يقوم العقل باستنباطها من المبادئ التصديقية والمباني المستورة والمطوية للبرهان وحمل الآية مورد البحث على ذلك».[1]

المناقشة

ان التفريق الواضح بين العقل الذي يُستخدم كمصباح كاشف، والعقل الذي يستفاد منه كمصدر في التفسير، يعتبر أمراً لازماً وصحيحاً وهو من ابتكارات آية الله الجوادي. أمّا

١. آية الله الجوادي الآملي، تسنيم، ج ١، ص ١٦٩ ـ ١٧١

اعتبار العقل المصباحي (الكاشف) جزءاً من التفسير بالمأثور وليس من التفسير العقلي فهو مما يدعو للتأمل؛ لإنّ استخدام العقل في تفسير القرآن على نوعين:

أ) استخدامه كوسيلة وبرهان (مصدر)، وذلك عندما نستخدم الأدلّة والقرائن العقلية في التفسير.

ب) استخدام العقل في الاجتهاد (كاشف)، وذلك بالتدبّر في الآيات والروايات عن طريق العقل أو القيام بجمع الآيات والروايات.

فقد رأينا أنّ العلماء بالتفسير وعلوم القرآن اعتبروا هذين القسمين جزءاً من التفسير العقلي؛ فبعضهم كآية الله مكارم الشيرازي أكّد على القسم الأوّل من التفسير العقلي، بينما أكّد القسم الآخر أمثال عميد الزنجاني على القسم الثاني، في حين أشار آية الله معرفة إلى كلا القسمين، وعلى هذا فإنّ حصر تفسير القرآن بأحد أقسام ووظائف العقل يعتبر مخالفاً لرأي المشهور، وغير موجّه من حيث الاصطلاح.[1]

وعلى أيٍّ حال فقد اتّضحَ أصل هذا الموضوع وحدود أقسام التفسير العقلي، وأنّ النزاع هُنا هو نزاع لفظي حول التسمية فيكون التفسير الاجتهادي قسماً من أقسام التفسير بالمأثور على رأي آية الله الجوادي الآملي. أمّا على رأي المشهور فهو من أقسام التفسير العقلي.

ملاحظة: يعتبر التفسير الاجتهادي ـ وفقاً للرأي المشهور ـ من أقسام التفسير العقلي، لأنّه يستفاد في هذا النوع من التفسير من قوة الفكر والعقل في تجميع المسائل والمواضيع، ولأن هذه الوظيفة العقلية توجد في كل المناهج، فسوف تكون جميع هذه المناهج التفسيرية مناهج عقليّة من هذا اللحاظ، وعند التدقيق في هذه المسألة يتّضح أنّ أصل هذه التسمية غير دقيق وأنّ إشكال آية الله الجوادي الآملي على المشهور يكون مقبولاً. أمّا إذا أردنا أنْ نسير مع رأي المشهور فلابدّ من تقسيم التفسير العقلي إلى قسمين: تفسير عقلي برهاني، وتفسير عقلي اجتهادي.

١. يمكن ان يقال هنا انّ التفسير بالمأثور هو الاستفادة من الروايات في توضيح مفاد الآية. فإذا وصل إلى حد نقل الروايات فقط فيكون من التفسير النقلي (الروائي)، أما إذا وصل إلى حد الاجتهاد والاستنباط واستخدام قوة العقل والفكر فيكون داخلاً تحت التفسير الاجتهادي.

النتيجة

من خلال ما ذكرناه سابقاً مع النقد والمناقشة، نخلص إلى النتائج التالية:

إنّ منهج التفسير العقلي عبارة عن:

أ) الاستفادة من الوسائل كالبراهين والقرائن العقلية لبيان مفاهيم ومقاصد الآيات. وفي هذه الصورة يصبح العقل منبعاً وأداة لتفسير القرآن، وإنّ الأحكام والبراهين العقلية تكون قرائن لتفسير آيات القرآن. وهذا العقل يُذكر تحت عنوان العقل الاكتسابي والأحكام العقلية القطعيّة.

ب) التفسير الاجتهادي هو الاستفادة من قوة الفكر في تجميع الآيات (مع الاستعانة بالروايات، اللغة، و...)، والاستنباط منها لتوضيح مفاهيم ومقاصد الآيات. وفي هذه الصورة يكون العقل دليلاً وكاشفاً.

ويُذكر هذا العقل تحت عنوان العقل الفطري أو قوة الفكر وقوة الإدراك، وبناءً على رأي المشهور فإنَّ كلا القسمين هُما من أقسام التفسير العقلي، ولكن بعد التدقيق في هذه المسألة يتبيَّن أنّ إطلاق التفسير العقلي على القسم الثاني (ب) يكون من باب المسامحة، وفي الحقيقة فإنّ التفسير العقلي هو القسم الأول (ألف) فقط.

الخلاصة

من خلال طرح هذه المطالب حول التفسير العقلي في الدرس السادس توصلنا إلى النتائج التالية:

١. التفسير العقلي له مكانة خاصة بين المناهج التفسيرية وكان موضع مناقشة ونقض بين المذاهب الاسلامية (الشيعة، المعتزلة، الأشاعرة)، وقد عُرضت له معانٍ متعددة.

٢. تبيان معاني بعض الاصطلاحات مثل المنهج، والتفسير، والعقل، وقد يراد بالعقل؛ العقل الفطري أو قوة الفكر، وأحياناً يراد به العقل الاكتسابي أو المدركات، والبرهان العقلي وكلاهما يستخدم في التفسير.

٣. أرجَعَ بعضُ العلماء تاريخ هذا المنهج إلى عصر النبي ﷺ وإن كانت جذوره توجد في روايات أهل البيت ﷺ، وقد عُني بهذا المنهج كثيراً في عصر التابعين، ووصل إلى أوج تطوره في القرون التالية.

٤. أوضحنا الآراء الّتي قيلت حول التفسير العقلي. فقد اعتبر البعض أنّ المراد من التفسير العقلي هو الاستفادة من أدوات البرهان والقرائن العقلية، بينما هُناك من يذهب إلى أنّ التفسير العقلي هو الاستفادة من الفكر في جمع الآيات والأحاديث، وهناك من اعتبر كلا القسمين من أقسام التفسير العقلي، وقد توصلنا في النهاية إلى أنّ التفسير العقلي هو القسم الأول فقط، ولكن طبقاً لاصطلاح المشهور فإنّه يطلق على القسم الثاني أيضاً من باب المُسامحة.

٧
منهج التفسير العقلي والاجتهادي ٢

الأدلّة

اختلف العلماء حول جواز وعدم جواز هذا المنهج في التفسير، حيث ذكر كل فريق أدلّة تؤيد رأيه، وقد جاء بيان هذه الأدلة بصورة كليّة من غير فرق بين كلا القسمين من أقسام التفسير العقلي (استخدام العقل البرهاني والاستخدام الاجتهادي)، وإنْ كان أكثرها ينظر إلى جواز التفسير الاجتهادي، أي اثبات جواز استخدام العقل في فهم الآيات والروايات والاستنباط منها واثبات إمكانيّة فهم القرآن.

أ) أهم الأدلة الّتي استدل بها الموافقون

١. القرآن

اهتّم القرآن الكريم كثيراً بدعوة الناس إلى التعقّل والتفكّر في آياته،[١] بل إنّه ذمّ الذين لا يتدبرون القرآن.[٢] فإذا لم يكن للعقل اعتبار ومنزلة عند الله سبحانه، فإن هذا الخطاب

---

١. ﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَاباً فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ الأنبياء: ١٠ ؛ ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرآناً عَرَبِيّاً لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾يوسف، ٢؛ ونظير ذلك في، ص، ٢٩ ؛ القمر، ١٧.
٢. ﴿أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ محمد، ٢٤

سيُصبح حينئذ عديم الفائدة وبدون معنى، وما نتيجة التدّبر والتفكّر في آيات الله إلّا التفسير العقلي والاجتهادي.[١]

٢. الروايات

يحتل العقل مكانة خاصة في الأحاديث وله موقع متميّز فيها، فقد ورد عن الإمام الكاظم‌ؑ أنّه قال: «يا هشام إنّ لله حُجّتين، حجة ظاهرة وحجة باطنة، فامّا الظاهرة فالرسل والأنبياء والأئمة، وأمّا الباطنة فالعقول».[٢]

فإذا كان العقل حجّة باطنة، وجب أن يكون الشيء الذي يُدركه ويحكم به بصورة قطعيّة، حجّة على الإنسان، وواجب الاتّباع، وإلّا فإنّ الحجّية تصبح لا معنىً لها.

ملاحظة: إنّ استخدام حجّية العقل يكون من جهتين:

الأُولىٰ: إنّ عقل الإنسان يعمل كقوة للإدراك والتعقّل، ويتعرف على المصالح والمفاسد والتكاليف، ويُستخدم لإضاءَة الطريق للإنسان، وهو الشيء الذي يحصل عليه الإنسان بعد البلوغ ويكون معياراً للتكليف، ووظيفة هذا العقل هو جمع الأدلة والاجتهاد والاستنباط.

الثانية: إنّ عقل الإنسان يمكن أنّ يتوصل إلى الأحكام القطعيّة، وهذا ما يُصطلح عليه بالعقل البرهاني، وهذه الأحكام تكشف عن الأحكام الألّهية، وفي هذه الصورة يكون العقل مصدراً ومنبعاً في طول الكتاب والسنّة، وكاشفاً عنها بحيث لا يكون الإنسان مستغنياً عن الوحي.

٣. السيرة

نسب بعض العلماء هذا المنهج إلى النبيّ‌ﷺ والأئمة‌ؑ، وقد لاحظنا نماذج من هذا المنهج في أقوال الأئمة‌ؑ، وإنّ فعل وقول المعصوم يدل على جواز ذلك في أقل التقادير، إضافة إلى ذلك السيرة المستمرة لكبار المفسّرين (أمثال الشيخ الطوسي في التبيان، والطبرسي في مجمع البيان) الذين استفادوا من هذا المنهج في التفسير، وهذه

١. ذكر العلّامة الزنجاني هذا الدليل ببيان آخر وذلك بالنظر إلى إمكان فهم القرآن. أُنظر: مباني و روشهاى تفسير قرآن، ٣٣٤، ٣٣٥.

٢. الكليني، الكافي، ج ١، ص ٦

السيرة المستمرة ترجع في جذورها إلى زمان المعصومين، والّتي لم يرد ردع عنها مما يدل على جواز هذا المنهج، بل مطلوبيته كذلك. وفي هذا الصدد قال الاستاذ عميد الزنجاني خلال بحث سيرة علماء الإسلام في التفسير العقلي والاجتهادي: «إنّ علماء المسلمين أعم من العامّة والخاصة، كانوا يرجعون إلى القرآن دائماً في المسائل الّتي هي محل ابتلاء وحاجة، ويستفيدون من الآيات لحلّ المشاكل والمعضلات الاعتقادية العلميّة، والعمليّة، والأخلاقيّة والتأريخيّة، حتى الاشخاص الذين لا يجيزون استخدام التفسير الاجتهادي، يستعينون بآيات القرآن بصورة شعورية أو لا شعورية، لرد النظرية المذكورة».[١]

٤. بناء العقلاء

إنّ طريقة (بناء) العقلاء في التفسير الاجتهادي، هي التمسّك بظاهر كلام المتكلّم، واستخراج مقاصد ومعاني كلامه عن طريق القواعد الأدبيّة، والدلالات اللفظية والقرائن الموجودة. والمشرِّع الإسلامي لم يمنع من هذه الطريقة العقلائية ولم يخترع طريقة جديدة في التعامل.[٢]

٥. قلّة روايات التفسير

إنّ الروايات التفسيرية غير كافية؛ لأنّها قليلة حيث لم ترد روايات تفسيريَّة في جميع الآيات، أضف إلى ذلك فإنّ الكثير من هذه الروايات ضعيفة وغير معتبرة، فإذا حصرنا التفسير بالروايات فقط فهذا يعني تعطيل كثير من الآيات. لقد أنزل اللهُ سبحانه وتعالى هذا الكتاب لهداية البشر، بلسان عربي مبين ليتدبروا آياته، ويستمدوا من مضامينها الرؤية الصحيحة، التي توصلهم ـ إذا عملوا بها ـ إلى شاطئ السعادة، وإنّ تعطيل هذه الآيات يتنافىٰ مع هذا الهدف، وهذا ما يستلزم نفي التكليف ونفي كون القرآن خالداً، فإذن لا يوجد طريق آخر غير التفكر والاجتهاد في هذا القسم من الآيات.[٣]

١. مباني وروشهاى تفسير قرآن، ٣٥١ ٢. أُنظر: المصدر السابق، ٣٥٢.

٣. ذكر الاستاذ عميد الزنجاني هذا الدليل ببيان آخر في كتابه مباني وروشهاى تفسير قرآن،٣٤٩. وقد استدل بأدلّة أُخرىٰ منها لغة القرآن، وضوح وهداية القرآن، آيات التّحدي، تعظيم القرآن عن طريق الروايات، استخدام القرآن كمعيار الروايات، وضوح القرآن واستدلال الأئمة به، وبعض هذه الموارد يمكن ان تكون شاهداً جيداً للبحث. (أُنظر: المصدر السابق: ٣٣٣ـ٣٤٨).

كما أنّ الآيات الّتي وردت الروايات بشأنها، هي بحاجة إلى التفكير والاجتهاد والاستنباط أيضاً، فالكثير من المواضيع القرآنية ذُكرت بصورة كلّيّة، وإنّ فهمها بحاجة إلى التفكير، وتطبيقها على المصاديق يحتاج إلى الاجتهاد (الاجتهاد الذي ذكر تعريفه في أول هذا البحث).

٦. إنّ جملةً من آيات القرآن ممّا يصعب فهمها ويشكل أحياناً، كالآيات المتعلقة بالعرش، الكرسيّ، يد الله، سميع وبصير، والآية ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا وَ... ﴾، وإنّ محاولة فهمها دون الالتفات إلى القرائن والبراهين العقليّة، يجرّ الإنسان إلى الانحراف في الفهم، وينتهي به إلى التجسيم والتشبيه. والله منزّه عن مثل هذه الأُمور.

مناقشة أدلة الموافقين

من مجموع هذه الأدلة نثبت أنّ العقل يمكن أنْ يكون حجّة، وأنّ البراهين العقلية يمكن الاستدلال بها في تفسير القرآن، كما أنّ الاجتهاد العقلي يُعتبر ضرورياً في التفسير أيضاً. وبعبارة أُخرى إنّ الاستفادة من البراهين العقلية والاجتهاد لا يعني الاستغناء عن المناهج الأُخرىٰ في تفسير القرآن، ولا تجعلنا نستغني عن مراجعة الآيات الأُخرىٰ والروايات المعتبرة، بل إنّ التفسير الاجتهادي الصحيح هو قيام المفسِّر بعملية الجمع والاستنباط من الآية بعد مراجعة القرائن النقلية والعقلية.

ب) أدلة المخالفين للتفسير العقلي والاجتهادي

١. روي عن الإمام السجادؑ أنّه قال: «إنّ دينَ اللهِ لا يُصاب بالعقول»،[1] وعن النبيّ ﷺ والأئمة القائمين مقامهؑ: «ان تفسير القرآن لا يجوز الا بالأثر الصحيح والنص الصريح».[2] ومن هنا تُصبح الرواية هي الطريق الوحيد للوصول إلى المراد الإلٰهي والأحكام الإلٰهية في الدين، فالطريق هو طريق النقل فقط.

فإذن منهج التفسير العقلي والاجتهادي طريق لا يوصل إلى نتيجة.

١. المجلسي، بحار الأنوار، ج ٢، ص ٣٠٣

٢. تفسير الصافي، ج ١، ص ٧٠، المقدمة الخامسة، الحديث ٣؛ التبيان، ج ١، ص ٤؛ وسائل الشيعة، ج ١٨، ص ١٥١

٢. كتب محمد أمين الاسترآبادي (وهو من كبار الأخباريين) قائلاً: «.. أقول لاكتفاء هذه الجماعة بمجرَّد العقل في كثير من المواضع، خالفوا الروايات المتواترة عن العترة الطاهرةﷺ في كثير من المباحث الكلامية والأُصولية».[١] ورغم أنّ كلامه موجّهاً إلى الأُصوليين، ولكنّه يشمل منهج التفسير العقلي (علىٰ الأقل آيات الأحكام) أيضاً.

٣. وقال السيد نعمة الله الجزائري (وهو من شيوخ الأخبارية): «أمّا قولهم بنفي حجّية دليل العقل بأقسامه فهو حق؛ لإنّ الشارع سدّ باب العقل ومنعه من الدخول في الأحكام الشرعية».[٢]

٤. وقال الشيخ الحر العاملي (وهو من الأخباريين أيضاً): «ان الضرورة قاضية بإنّ مجرد العقل لايستقل بتفصيل مراد الله من العباد، ولو كان كافياً ما احتاج الناسُ إلى نبيّ، ولا إمام ولا اختلفت الشرائع والأديان».[٣]

٥. وهو المنسوب إلى الأشاعرة الذين يعتقدون بأنّ منشأ كل تكليف هو حكم الشارع وليس العقل، ولا يعتمد على إداركات العقل كاعتماده على حكم الشارع.[٤]

٦. إنّ المنع من التفسير بالرأي يُعتبر في الحقيقة منعاً للتفسير الاجتهادي، كما صرَّح بذلك الاستاذ عميد الزنجاني في بحثه عن منهج التفسير الاجتهادي، حيث قال: «ان المنع الوحيد الوارد في الروايات بخصوص هذا المنهج العملي والشائع هو عبارة عن هذه التصريحات الأكيدة الواردة بخصوص النهي عن «التفسير بالرأي».[٥]

مناقشة أدلة المخالفين

١. بالنسبة إلى الدليل الأوّل هناك عدة نقاط جديرة بالتأمل:

أوّلاً: إنّ هذا النوع من الأحاديث صدر في وجه المخالفين لأهل البيتﷺ، والذين لم يلتفتوا إلى القرائن النقلية وكلام المعصومينﷺ، والذين يفتقدون شرائط الاجتهاد

١. محمد امين الاسترآبادي، الفوائد المدنية، ص ٢٨
٢. السيد نعمة الله الجزائري، منبع الحياة، ص ٤٤
٣. الشيخ الحر العاملي، الفوائد الطوسية، ص ٤١١
٤. الأيازي، المفسرون حياتهم ومنهجهم، ص ٤٠
٥. مبانى و روشهاى تفسير قرآن، ٣٥١

ويستخدمون التفسير بالرأي، كما جاء في الحـ[illegible] فـقد اقـترن ذكـر العـقول «الناقصة والآراء الفاسدة» مع القياس، وقد أشار بعض الأعاظم إلى هذه المسألة أيضاً.[١]

ثانياً: ليس المقصود من عدم استخدام العقل في هذا النوع من الروايات، هو عدم استفادة الإنسان من قوة الفكر والاجتهاد في الدين، بل المقصود هو عدم تفسير دين الله على أساس النظر الشخصي، وإلّا فكما مرّ سابقاً، فإنّ العقل هو الحجّة البـاطنة، وإنّ براهينه في الدين معتبرة، وهو معيار التكليف والثواب والعقاب.

ثالثاً: رواية الصافي مرسلة وغير معتبرة.

رابـعاً: إن الأخذ بظاهر هذه الأحاديث يتعارض مع أحاديث أُخـرىٰ تـدعونا إلى التفكّر والتدّبر، وتأمرنا بالرجوع إلى القرآن كما أشار الفيض إلى هذه النقطة بعد أن نقل هذه الروايات.[٢]

٢. في الجواب على أدّلة محمد أمين الأسترآبادي نقول: إنّ الاستفادة من العـقل ليس بمعنىٰ نفي الروايات الصحيحة المعتبرة، وإذا ما تبنّىٰ أحدُ الاشخاص هذا المذهب بحجّة العقلانية وخالف الروايات المتواترة لأهل البيتﷺ، يكون دليـلاً عـلىٰ إدانـة هؤلاء الأفراد وليس دليلاً على إدانة العقل والمنهج العقلي واستخدامه في الدين.

٣. يمكن الرد على الشبهة التي ذكرها نعمة الله الجزائري فنقول: لقـد ثـبت عـند عرض أدلة الموافقين إنّ العقل حجّة باطنة، وقد أجبنا على الروايات الّتي تمنع مـن استخدام العقل في الفقرة الأُولىٰ بصورة تامّة.

٤. إنّ ما ذكره الشيخ العاملي يمكن القبول به وفق معنىٰ محدّد، فقد توصلنا في بحث أدلة الموافقين للتفسير العقلي إلى أنّ العقل كاشف عن الأحكام الشرعية، ولكن لم تثبت هذه المسألة بصورة الموجبة الكليّة، أي إمكانية العقل عـلى اكـتشاف جـميع جزئيات الأحكام والمراتب وبطون القرآن، ولهذا فإنّ الإنسان لا يستغني عن الوحي والنقل. أمّا إذا كان مقصود الشيخ إنّ العقل أصلاً لا يمكنه اكتشاف المقصود الإلهي، وإنّ

١. ذكر الفيض الكاشاني هذه الرواية «إنّ تفسير القرآن لا يجوز الا بالأثر الصحيح والنص الصريح» في مبحث منع التفسير بالرأي. تفسير الصافي، ج ١، ص ٧٠، وأيضاً الاستاذ عميد الزنجاني في مبانى وروشهاى تفسير قرآن، ص ٣٥١.

٢. تفسير الصافي، ج ١، ص ٧١

الأحكام العقلية ليست بحجّة، فهذا المطلب لا يمكن قبوله، وقد جاء الرّدُ عليه عند عرض أدّلة الموافقين للتفسير العقلي.

٥. في جواب الأشاعرة يمكن أن يقال: إنّ عقل الإنسان كاشف للحكم الشرعي، أي؛ إنّ عقل الإنسان لا يُصدر حكماً مخالفاً للحكم الشرعي، وقد اتّضح في باب الملازمات في أُصول الفقه أنّه: «كلّ ما حكم به العقل حكم به الشرع».[١]

فمثلاً إذا اكتشف العقل الملاك القطعي لأحد الأشياء وأصدر حكماً قطعيّاً، فسوف يكون حكم الشرع طبقاً لحكم العقل من باب الملازمة. فمنشأ كل تكليف هو حكم الشارع ولكن الإدراكات القطعية للعقل تكون معتبرة أيضاً.

النتيجة

يظهر من خلال عرض أدّلة الموافقين والمخالفين للتفسير العقلي والاجتهادي، أنّ التفسير العقلي والاجتهادي (بقسميه) جائز بل مطلوب، وأنّ أدلّة المخالفين غير تامّة، ولكنْ هذا لا يعني أنّ التفسير العقلي والاجتهادي يغنينا عن القرائن النقلية (الروايات التفسيرية للنبيﷺ وأهل البيتعليهم السلام).

أنواع التفسير العقلي

من خلال التدقيق في هذا المنهج ومناقشة الآراء يمكن ان نجد انواعاً مختلفة للتفسير العقلي والاجتهادي، والآن نبيّن أهم هذه الانواع مع ذكر الأمثلة:

التقسيم الأوّل: كما ذكرنا سابقاً فإنّ التفسير العقلي يُستخدم بمعنيين، تفسير اجتهادي، وتفسير القرآن بواسطة البراهين العقلية.

١. التفسير الاجتهادي

اعتبر بعض المحققين التفسير العقلي مرادفاً للتفسير الاجتهادي، والذي هو عبارة عن استخدام قوة العقل في جمع الآيات والروايات والمسائل التفسيرية، والاستنباط العقلي منها، وهذا القسم من التفسير العقلي يقع في مقابل التفسير النقلي. والاجتهاد العقلي

١. أُنظر: المظفر، أُصول الفقه، مبحث الملازمات العقلية: ج ١ـ٢، ص ٢٣٦ وما بعدها.

يكثر استخدامه في عدة موارد منها:

أ) الجمع بين الآيات، أي تفسير القرآن بالقرآن.

ب) الجمع بين الروايات ورفع التعارض بينها.

ج) الجمع بين أقوال المفسّرين والخروج منها بنتيجة معيّنة.

د) الجمع بين الآيات والروايات المتعلقة بآيات الأحكام، واستنباط الأحكام الشرعية منها.

ولهذا السبب نعتقد أنّ على المفسِّر أنْ يكون مجتهداً في علم‌الفقه حتى يتمكن من إعطاء رأيه التفسيري النهائي عند تعامله مع آيات الأحكام (أكثر من خمسمائة آية).

هـ) فهم وتفسير الآيات الّتي لم يرد في شأنها رواية تفسيريّة.

و) فهم مقاصد آيات القرآن والسّوَر.

ز) فهم الدروس والعبر من القصص القرآني وتجريدها عن عامل الزمان والمكان، وتطبيق هذه القواعد والمواعظ على الحياة المعاصرة للبشر من أجل توضيح الطريق الصحيح للحياة. فمثلاً عندما يذكر القرآن قصة يوسف عليه السلام فإنّه في الحقيقة يوجه رسالة إلى الشباب بأن يحذروا من الحِيَل الشيطانيَّة،[١] ويحترزوا من الوقوع تحت ضغوط الشهوة العامِة وان يُقاوموا مثل هذه الظروف كمقاومة يوسف عليه السلام، لينتصروا وينالوا السعادة و...

ح) فهم أبعاد وإعجاز القرآن (الاعجاز البلاغي، العلمي و...).

٢. الاستفادة من العقل البرهاني

كما مرّ سابقاً فإنّ بعض المحققين اعتبر التفسير العقلي بمثابة الاستفادة من العقل البرهاني والقرائن العقلية في تفسير القرآن. وفي هذه الصورة يكون العقل مصدراً لاستنباط الأحكام الشرعية وحقائق الكتاب الإلٰهي.

وهذا المنهج التفسيري يكثر استخدامه في موردين:

أ) تُستخدم أحياناً في هذا القسم من التفسير العقلي الأدلة والبراهين العقلية القطعية كقرينة على تفسير الآيات، فكلما كان ظاهر الآية مخالفاً للدليل العقلي يكون هذا

---

١. ﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَداً يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ﴾. يوسف، ١٢

البرهان قرينة على خلاف الظاهر، فنرفع اليد عن هذا الظاهر ونقوم بتأويله، كما مرّ مثال ذلك في تفسير الآية ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾.[١]

قلنا بأنّ عقل الإنسان يحكم بأنّ الله سبحانه وتعالى ليس جسماً مادّياً، وبالتالي فليس له يد كيد الإنسان، وإلّا فإنّ ذلك يعني أنّ لله سبحانه وتعالى حدّاً وأنّه قابل للفناء، وعلى هذا الأساس فإنّ المقصود من اليد هنا هو القدرة، وهذا البرهان هو نفسهُ المستخدم في الآيات الّتي تُشير إلى أنّ لله سبحانه سمعُ وبصرّ وحركةُ ﴿جَآءَ رَبُّكَ﴾.[٢]

ب) أحياناً نستفيد من العقل البرهاني، والبراهين العقلية في فهم أفضل للآيات المتعلقة بالتوحيد ووجود الله سبحانه، كما هو الحال في برهان النظم الذي أشار القرآن إلى مصاديقه وامثلتهِ في آيات عديدة.[٣] وأيضاً في الآية ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾،[٤] وهل يعتبر هذا من برهان التمانع أو برهان آخر.

التقسيم الثاني: قسّم بعض المحققين التفسير العقلي الاجتهادي إلى ثلاثة أقسام:

١. التفسير العقلي الاجتهادي التفريطي، أي الجمود على الأدلّة الكلامية في تفسير القرآن.

٢. التفسير العقلي الاجتهادي الإفراطي، أي التفسير العقلي الذي يستخدم التأويلات البعيدة.

٣. التفسير العقلي الاجتهادي المعتدل (الوسط بين الإفراط والتفريط) وهذا هو القسم المقبول، يُستخدم فيه المنهج الأُصولي ويُعتمد على تفسير القرآن بالقرآن، وتُحمل المتشابهات على المُحكمات، ويُستعان بالسنّة الصحيحة لاستنباط الأحكام الإلٰهيّة، وفي حالة وجود إشكال معيّن في بعض الآيات المتشابهة فإنّهُ يُستخدم أسلوب التأويل.[٥]

ملاحظة: أُشير في هذا القسم إلى مسألة رئيسية وهو الإفراط في استخدام العقلانية في التفسير، فأحياناً يخرج بعض المفسّرين عن حدّ الاعتدال، ويقوم بتأويل آيات القرآن علىٰ أساس الأدلة غير القطعية متغاضياً عن ظهور الآية، وهذه المسألة تحدث كثيراً في الآيات المتعلقة بالمواضيع الغيبيّة وغير المحسوسة والمعجزات، وقد يؤدي هذا إلى الوقوع في التفسير بالرأي، فقد قال رشيد رضا في تفسير المنار ـ عند تناوله

---

١. الفتح، ١٠ ٢. الفجر، ٢٢ ٣. أُنظر: الانفال، ٣ـ١٣ و...

٤. الأنبياء، ٢٢ ٥. الأيازي، المفسرون حياتهم ومنهجهم، ٤١

قصة بقرة بني إسرائيل، وضرب بَدنِ المقتولِ بجزء منها وإحياءه وتعيين القاتل [١] ـ المقصود من «الإحياء» في هذه الآية هو معناه المجازي، فمعنى إحياء الموتى هو حفظ الدماء الّتي كانت عُرضة لأن تُسفك بسبب الخلاف في قتل تلك النفس.[٢]

وكذلك بالنسبة إلى معجزات عيسىعليه السلام بخصوص إحياء الأموات وخلق الطير.[٣] فقد قبل (المفسِّر) إمكانية هذه المعجزات وأنكر وقوعها.[٤]

في حين نرىٰ أنّ ظاهر آيات سورة البقرة هو الإحياء الواقعي للمقتول وليس هناك ما يدعو إلى حمل ذلك على المعنى المجازي، وكذلك فإنَّ ظاهر آيات سورة آل عمران هو قيام عيسىعليه السلام بهذه المعجزات، وفي الحقيقة إنّ المعجزة هي خرق للعادة وهي شيء غير مألوف عند العقل ولكن ليس خلافه، ولا تعتبر محالاً في نظره.

ومن هذا الباب أيضاً قالوا: لا يوجد دليل عقلي على وجود «الملائكة» و «الجنّ».[٥] وإنّ الجنّ هو الميكروب الذي يؤثر على بدن الإنسانبطريقة غير محسوسة.[٦]

ملاحظة: لقد اعتبر التفسير العقلي بمعنىٰ التفسير الاجتهادي، وعدَّد وظائف العقل واستخدام قوة التعقل في تفسير القرآن.

بحث تعارض العقل مع النقل

إنّ موضوع تعارض العقل مع الدين من المباحث الجديدة في علم الكلام، وإنّ دراسة جميع أبعاد هذه المسألة خارج عن نطاق هذا الموضوع، ومن هنا فإننا نشير هنا إلى هذا المبحث باختصار وبقدر الحاجة. إنّ تعارض العقل والنقل يقع تحت بحث التعارض بين العقل والدين ويُبحث من جهتين:

الأُولى: تعارض العقل مع القرآن.

١. البقرة، ٦٧ـ٧٣ ﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَٰلِكَ يُحْيِي اللهُ الْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾

٢. المنار، ج ١، ص ٣٤٧

٣. ﴿أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِ اللهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللهِ﴾ آل عمران، ٤٩

٤. المنار، ج ٣، ص ٣١١

٥. أحمد مصطفىٰ المراغي، تفسير المراغي، ج ٢٩، ص ٩٤

٦. أُنظر: المنار، ج ٨، ص ٣٦٤؛ الدكتور فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير، ٦٣١ـ٦٤٩.

الثانية: تعارض العقل مع الروايات.

وكل مورد من هذين الموردين يمكن أنْ يقع على صورتين:

١. التعارض الابتدائي والظاهري؛ أي تعارض آية أو رواية مع حكم العقل في النظر الابتدائي. وهذا النوع من التعارض يرتفع بعد التأمل والتدقيق في هذه المسألة، وفي الواقع فإنّ كثيراً من التعارضات المتوهمة في خصوص العقل والقرآن، والعقل والروايات هي من هذا الصنف.[1]

٢. التعارض المستقر والواقعي؛ أي تعارض بعض آيات القرآنأو الروايات مع أحكام العقل تعارضاً جدّياً لا يقبل الجمع. وفي هذه الصورة يُطرَح بحث تعارض العقل والدين وطرق حل هذا التعارض، ولدراسة هذا المبحث لابدّ من دراسة احتمالات رابطة العلم والدين بصورة مختصرة.

علاقة العقل و الدّين

يمكن تصور ثلاثة احتمالات في العلاقة بين أحكام العقل و الدّين وهي:

أ) المسائل الّتي يقبلها العقل؛ أي الأحكام (الأوامر والنواهي) والمسائل الّتي تتضمنها الآيات والروايات والّتي يقبلها العقل السليم. بل إنّ عقل الإنسان يحكم بنفس هذه الأحكام لو تُرِكَ وحده، مثل التعاليم الصحيّة في الإسلام، إدانة الظلم وقبول العدالة والّتي تتطابق مع حكم العقل.

ب) المسائل الّتي يرفضها العقل؛ أي المسائل الموجودة في الدين والّتي تخالف العقل السليم والصريح، وفي هذه الموارد نعتقد بأنّه لا توجد مثل هذه الأحكام في الأديان الإلٰهية؛ لأنَّ الدين وخصوصاً الإسلام هو دين مطابق للعقل والفطرة، والله سبحانه وتعالىٰ حكيم وهو سيد العقلاء فلا يمكن أنْ يصدر منه أمر مخالف للعقل. ومن جانب آخر ـ كما أوضحنا سابقاً ـ فإنّ العقل نفسه حجّة باطنيّة كما أنّ الأنبياء حجّة ظاهرية على الناس، فالتعارض الواقعي بين الأحكام القطعية للعقل والدين يعتبر من المحالات، لأنّ تعارض القطعي مع القطعي ليس معقولاً؛ فالحقيقة واحدة، وتعارض

---

١. ذكر الدكتور فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي كثيراً من هذه الموارد في كتاب: منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير، ص ٤٩٧ ـ ٧١٩.

حكمين قطعيين ينتهي إلى التناقض.[١] فإذا ما لاحظنا في مورد من الموارد أنّ هُناك تعارضاً بين الأحكام القطعية للعقل مع ظاهر رواية أو آية، فهنا يوجد احتمالان:

الأوّل: الخطأ في مقدمات حكم العقل، أيّ إنها غير تامّة.

الثاني: إذا ثبتت قطعية حكم العقل فهذا يعني أنّ ظاهر الآية أو الرواية ليس مراداً للشارع، فمثلاً إذا دلّت الرواية على خلاف حكم العقل القطعي كاستحالة اجتماع النقيضين، فلابدّ من التصرف في ظاهر هذه الرواية وحملها على خلاف هذا الظاهر بالقرينة العقلية؛ لأنّ فهمنا للآية أو الرواية كان خاطئاً، أو إذا كان ظاهر الآية ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ يتعارض مع حكم العقل في مورد عدم كون الله جسماً، فلابدّ من تأويل ظاهر الآية ونفسّر ﴿يَدُ ٱللَّهِ﴾ هنا بمعنى قدرة الله.

ج) المسائل الّتي هي فوق مستوىٰ العقل؛ أي الأحكام والمسائل الموجودة في الآيات أو الروايات، والّتي لا يمكن إدراكها بالنسبة إلى معظم عقول البشر، بل تعتبر فوق مستوىٰ العقل، ورغم أنّ العقل لا يحكم بضدّ هذه المسائل، ولكن لا يوجد دليل على قبولها وتوجيها أيضاً. فمثلاً وجود الله من المسائل الّتي يثبتها ويقبلها العقل، أمّا الذات الإلٰهية وكيفيّتها فلا يمكن إدراكها من قبل العقل، فهي إذن من المسائل الّتي تكون فوق مستوى العقل، وكذلك الكثير من الأحكام التعبديّة الشرعيّة الّتي ثبت وجودها في الدين، والّتي لا يمكن إدراك دليلها.

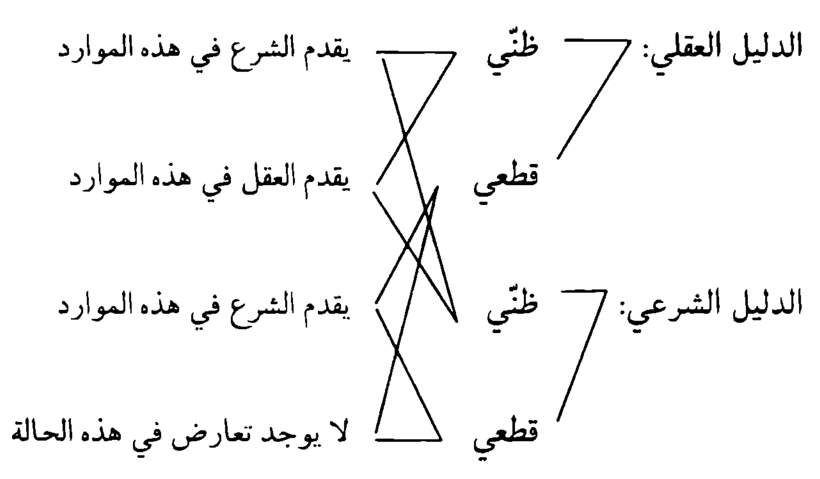
(وأمثلة ذلك كثيرة في الأحكام الواجبة أو المحرّمة في الفقه، فمثلاً لماذا كانت صلاة الظهر أربع ركعات وصلاة المغرب ثلاث ركعات، فالعقل لا يدرك ملاك هذه المسائل ودليلها، وفي نفس الوقت لا يوجد دليل على استحالتها أو عدم جوازها).

ملاحظة: هناك من علماء المسلمين من يقول في مباحث أُصول الفقه إنّهُ: «كلّ ما حكم به العقل حكم به الشرع وبالعكس»؛ أي أنَّ كل ما يقبله العقل السليم يقبله الشرع، وإنّ عكس هذه القاعدة صحيح أيضاً؛ لأنّه لا يوجد لدينا أحكام مضادّة للعقل، وإنّ الأحكام العقلية المقبولة يدركها العقل، وإنّ الأنبياء عليهم السلام جاؤوا لبيان الأحكام والجزئيات

١. في هذا المورد أُنظر: للذهبي، التفسير والمفسّرون، ج ١، ٢٨٦؛ روح المعاني، ج ٩، ص ١٠٤؛ در آمدى بر تفسير علمى قرآن للكاتب، ص٩٦ـ٩٩.

الّتي يعجز عقل الإنسان عن إدراكها، أو يحتاج إلى نضج أكثر، وهي الأحكام الّتي تكون فوق المستوىٰ العقلي الفعلي للبشر.

وبعبارة أُخرى يمكن تصور التعارض الظاهري بين الأحكام العقلية والدين على أربع صور:



فإذا ما ظهر تعارض في الحالة الرابعة؛ فإمّا أنْ تكون مقدمات الدليل خاطئة، أو أنَّ ظاهر الدليل غير مراد (والخطأ في الفهم).

ملاحظة (١): إنّ الدليل العقلي الظني لا ينفي الاحتمال المخالف ويحتمل الخطأ، ولهذا السبب فلا يمكن رفع اليد عن الظهور الظنّي للآية أو الرواية؛ لإنّ الشرع والعُقلاء قَبِلوا حجّية الظواهر؛ ولهذا السبب فإنّ الدليل العقلي الظني لا حجيّة له هنا.

ملاحظة (٢): إذا صدر عن العقل حكم فلابد أنْ يكون قطعياً جزمياً وكلياً، أمّا مقصودنا من الأحكام العقلية الظنّية (مع التسامح قليلاً) فهو التصديقات النظرية الّتي تثبت بالظن وتفتقد لليقين القطعي، أي انها ليست كالبديهيات العقلية الّتي لا تحتاج إلى دليل.

معايير التفسير العقلي والاجتهادي

لكي يكون التفسير العقلي والاجتهادي معتبراً فلابدّ من رعاية الشرائط العامة والخاصة التالية:

أ) الشروط العامة للمفسّر والتفسير المعتبر؛[1] مثل معرفة قواعد العربية، اللغة، علوم

---

١. للاطلاع على الشروط الكاملة للمفسّر والآراء الّتي قيلت في ذلك يراجع: در آمدى بر تفسير

القرآن، الممارسة في التفسير والاطّلاع على آراء المفسّرين، الاطّلاع على علوم الفقه، الأُصول، التاريخ، الجغرافية (خصوصاً جزيرة العرب)، والمعرفة اللّازمة في العلوم النقلية والعقلية والتجريبية.[١]

ب) الشروط الخاصة للتفسير العقلي والاجتهادي:

١. قدرة المفسِّر على الاجتهاد في التفسير مع أخذ العلوم الّتي اكتسبها والاستعداد الموجود لديه بنظر الاعتبار.

٢. الالتفات إلى القرائن العقلية والنقلية (من جملتها الروايات التفسيرية المعتبرة) قبل التدّبر والتفكّر والاستنباط.

٣. الاجتناب عن تحميل الآراء والنظريات المستخرجة من غير القرآن على القرآن دون ان تكون هناك مناسبة لفظيّة أو معنوية مع ظاهر الآية.[٢]

٤. الاستفادة من البراهين العقلية القطعية كقرائن عقلية في التفسير.

ملاحظة: يمكن الاستفادة في تفسير القرآن من نوعين من الأدلّة:

الأوّل: الدليل العقلي القطعي الذي يقطع به الإنسان قطعاً منطقياً، أي يكون القطع معتمداً على أساس مبادئ البرهان، وهذا القطع يكون معتبراً وحجّة في تفسير القرآن.

الثاني: الدليل اليقيني الذي يقطع به الإنسان قطعاً ذاتياً، أي الذي يكون مقنعاً لذات الشخص ويؤدي إلى اليقين الذاتي، ولا يستند على أساس من مبادئ البرهان. وهذا القطع يفتقد للمبادئ الفكرية ولا يقبل الانتقال إلى الغير ولا يكون معتبراً في التفسير.[٣]

٥. المفسّر الذي يريد أنْ يُفسِّر القرآن على أساس العقل البرهاني لابدّ أن يكون ملِمّاً إلماماً كافياً بالبراهين العقلية، وأنْ يعرف المقدمات العقلية والمنطقيّة، وأنْ يراعي شروط البرهان والمغالطة.

٦. لابدّ للمفسّر كذلك أنْ يعلم موارد تعارض التفسير العقلي والنقلي وطرق حل ذلك التعارض، وكذلك مسألة توهم التعارض بين العقل والدين.[٤]

← علمى قرآن، القسم الأوّل، شرائط المفسّر.

١. المصدر السابق

٢. أُنظر: عميد الزنجاني، مبانى وروشهاى تفسير قرآن، ص ٣٣٣.

٣. للاطلاع أكثر على هذين النوعين من القطع، أُنظر: تفسير تسنيم، ج ١، ص ٢١٢.

٤. ذكر الشيخ عبد الرحمن العك ضوابط التفسير العقلي بالنحو التالي:

ملاحظة: اتّضح من خلال هذا العرض أنّ عدم رعاية الشرائط المذكورة في التفسير العقلي والاجتهادي غالباً ما يؤدي إلى التفسير بالرأي المحرّم شرعاً.

التعريف ببعض التفاسير العقلية والاجتهادية

علىٰ أساس التقسيم السابق للتفسير العقلي وهو استخدام العقل البرهاني في التفسير، واستخدام قوة العقل في التفسير الاجتهادي، فإنّ التفاسير العقلية والاجتهادية، قد تستفيد من أحد الأقسام المذكورة سابقاً، أو من القسمين معاً. اما أهم التفاسير العقليّة والاجتهادية فهي:

١. تفسير التبيان، الشيخ الطوسي (٣٨٥ ـ ٤٦٠هـ)، ١٠ مجلدات.

٢. مجمع البيان، الطبرسي (ت ٥٤٨هـ)، ١٠ مجلدات.

٣. تفسير الميزان، العلّامة الطباطبائي، ٢٠ مجلداً.

٤. تفسير (الأمثل) نمونه، آية الله مكارم الشيرازي، ٢٧ مجلداً.

٥. تفسير أبي السعود، المسمىٰ ارشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، أبو السعود محمد بن محمد العمادي (ت ٩٥١هـ)، ٩ مجلدات.

٦. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، أبو الثناء شهاب الدين السيد محمود الآلوسي (ت ١٢٧٠هـ)، ٣٠ مجلداً.

٧. التفسير الكبير (مفاتيح الغيب)، فخر الدين الرازي، ٣٠ مجلداً.

٨. أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي.

٩. لباب التأويل في معاني التنزيل، الخازن.

١٠. البحر المحيط، أبو حيّان.

← أ) معرفة التعارض بين التفسير العقلي والنقلي وقانون الترجيح في التفسير العقلي.
ب) معرفة وجوه تعارض الآيات.
جـ) معرفة التعارض بين الآية والحديث.
د) معرفة الاختلاف والتناقض.
هـ) معرفة موهم الاختلاف والتناقض.
و) معرفة الأسباب الموهمة للاختلاف.
ز) معرفة علم المبهمات.
ح) بيان وجوه الخفاء في معاني النظم القرآني. أصول التفسير وقواعده، ص ١٩٠

١١. غرائب القرآن ورغائب الفرقان، النيشابوري.

١٢. تفسير الجلالين، جلال المحلّي وجلال السيوطي.

١٣. السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربّنا الحكيم الخبير، للخطيب الشربيني.[١]

بحوث جديدة

١. اذكر نماذج من التفسير العقلي والاجتهادي في الأحاديث التفسيرية للنبيﷺ.

٢. اذكر نماذج من التفسير العقلي والاجتهادي في الأحاديث التفسيرية لأهل البيت عليهم السلام.

٣. ناقش علاقة التفسير العقلي مع بحث إمكان فهم القرآن.

٤. قارن بين آراء علماء المعتزلة والأشاعرة في خصوص العقل والتفسير العقلي.

٥. ناقش النزعة العقلانية في التفسير عند المفسّرين في مصر أمثال محمد عبده، ورشيد رضا مع النقد.

٦. ماهو مقدار استفادة العلّامة الطباطبائي من المنهج العقلي في تفسير الميزان؟

٧. عدّد الضوابط الّتي ذكرها عبد الرحمن العك في خصوص التفسير العقلي مع المناقشة والنقد.

٨. اذكر البراهين العقلية الموجودة في آيات القرآن مع التحليل.

٩. اذكر نماذج من التفسير الاجتهادي والعقلي الإفراطيوالتفريطي في تفسير الفخر الرازي والمنار وتفاسير الفلاسفة مع النقد والتحليل.

١٠. اذكر آيات من القرآن لم يرد في شأنها روايات تفسيرية، وأنّه لابدّ من استخدام منهج التفسير العقلي والاجتهادي في تفسيرها مع النقد والتحليل.

١١. ناقش دور التفسير العقلي والاجتهادي في إعجاز القرآن.

١٢. اذكر نماذج من التعارض المدّعىٰ بين العقل والقرآن مع الردّ.

---

١. التفاسير من (٥ـ١٤) ذكرها الذهبي في كتابه التفسير والمفسّرون، ج ١، ص ٢٨٩.

الخلاصة

من خلال البحث والتحليل السابق توصلنا إلى النتائج التالية:

١. استدل الموافقون على التفسير العقلي والاجتهادي بأدلة مقنعة من القرآن (الترغيب بالتفكر والتدبّر)، الروايات (حجّية العقل)، سيرة النبيﷺ وأهل البيتعليهم السلام، سيرة الصحابة ومفسّري المسلمين، بناء العقلاء، قلّة الروايات التفسيرية، وجود بعض الآيات الغامضة في القرآن.

٢. استدل المخالفون على استخدام التفسير العقلي والاجتهادي ببعض الأحاديث (يدّل ظاهرها على خروج العقل عن مجال التفسير) وكذلك روايات منع التفسير بالرأي. وقد أُجيب علىٰ ذلك بأنّ هذه الأحاديث ضعيفة، وأنّ المقصود بها هو نفي منهج المخالفين لأهل البيتعليهم السلام الذين يستخدمون التفسير بالرأي.

٣. التفسير العقلي قد يستخدم بأحد معانيه في التفسير الاجتهادي (مُقابل التفسير النقلي) والذي يشمل عدة انواع، مثل الجمع بين الآيات والروايات، وفهم مقاصد الآيات وما شابه ذلك.

٤. قد يستخدم التفسير العقلي بمعنىٰ الاستفادة من العقل البرهاني في التفسير، والذي ذكرنا انواعهُ في الاستفادة من القرائن العقلية القطعية في تفسير الآيات والاستفادة من البراهين في فهم أفضل لآيات التوحيد.

٥. قسّم بعض المحقّقين التفسير العقلي إلى ثلاثة انواع: تفريطي، إفراطي، ومعتدل.

٦. قسّم بعض المحقّقين التفسير العقلِي على أساس استخداماته وموضوعاته (امثال إظهار المعاني المعقولة، استنباط الأسرار القرآنية، استخراج المقاصد والعبر من القصص، و...).

٧. ناقشنا تعارض العقل والنقل بقسميه: التعارض الابتدائي الظاهري والتعارض المستقر، وقلنا بعدم وجود النوع الثاني في الدين، أمّا النوع الأوّل فيمكن ارتفاعه بقليل من التأمل والتدقيق.

٨. يوجد هناك ثلاثة احتمالات في علاقة الدين والعقل: فقد تكون المطالب الدينيّة مقبولة عند العقل أو مرفوضة، أو أنها فوق مستوىٰ العقل، وقلنا أنّ النوع الثاني لا وجود له في الدين.

٩. أوضحنا المعايير العامة للتفسير العقلي والاجتهادي وهي نفس شرائط المفسّر والتفسير، أمّا الشرائط الخاصة فهي عبارة عن: القدرة على الاجتهاد، الالتفات إلى القرائن العقلية والنقلية قبل الاستنباط، الاجتناب عن تحميل الرأي، الاستفادة من البراهين العقلية القطعية، الاطّلاع على شرائط البرهان والمغالطة، الاطّلاع على مسألة تعارض العقل مع الدين.

١٠. ذكرنا أربعة عشر تفسيراً من التفاسير العقلية المهمّة عند الشيعة والسنّة.

الأسئلة

١. ما هو معنىٰ العقل في اللغة والاصطلاح؟
٢. ما هو المقصود من الاجتهاد في «التفسير العقلي والاجتهادي»؟
٣. في أيٍّ زمن بدأ التفسير العقلي؟ وضّح ذلك مع ذكر مثال.
٤. اذكر ثلاثة آراء على الأقل في مورد التفسير العقلي.
٥. اذكر الرأي الذي يساوي بين التفسير العقلي والتفسير بالرأي، مع النقد.
٦. اذكر ثلاثة أدّلة لاثبات منهج التفسير العقلي والاجتهادي.
٧. كيف تدل قلّة الروايات في التفسير ووجود الآيات المشكلة المبهمة على لزوم التفسير العقلي والاجتهادي؟ اذكر مثالاً على ذلك.
٨. أُذكر الروايات الّتي استند إليها المخالفون للتفسير العقلي والاجتهادي مع النقد والتحليل.
٩. بيّن أدلة الاخباريّين والاشاعرة في مخالفة التفسير العقلي والاجتهادي مع النقد.
١٠. وضّح أنواع التفسير الاجتهادي (من أقسام التفسير العقلي) واذكر استخداماته في التفسير.
١١. ما هو المقصود من الاستفادة من العقل البرهاني في التفسير؟ بيّن ذلك مع ذكر مثال.
١٢. وضّح انواع التفسير العقلي والاجتهادي (الإفراطي، التفريطي، المعتدل) مع ذكر مثال.
١٣. هل يمكن تعارض العقل مع النقل، وَضّح ذلك؟
١٤. اذكر الأقسام الاحتمالية لعلاقة العقل مع الدّين.
١٥. ماذا نفعل عند التعارض الظاهري للأحكام الدينية والعقلية؟ اذكر أقسام التعارض الأربعة؟
١٦. اذكر أربعة معايير خاصة للتفسير العقلي والاجتهادي.

١٧. اذكر أربعة تفاسير للشيعة، وأربعة تفاسير للسنّة على الأقل استخدمت المنهج العقلي والاجتهادي في التفسير.

مصادر إضافية للمطالعة

١. التفسير والمفسّرون في ثوبه القشيب، آية الله معرفة، ج ١، ج ٢.

٢. المفسّرون حياتهم ومنهجهم، الاستاذ أيازي.

٣. التفسير والمفسّرون، الذهبي.

٤. أُصول التفسير وقواعده، الشيخ خالد عبد الرحمن العك.

٥. العقل البشري في تفسير القرآن، آية الله الشيخ محمد طاهر آل شبير الخاقاني.

٦. منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير، الدكتور فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي.

٧. الطباطبائي ومنهجه في تفسير الميزان، علي الأوسي.

٨
منهج التفسير العلمي للقرآن ١

الاهداف التعليميَّة

الهدف الأساسي: معرفة منهج التفسير العلمي الصحيح واستخدامه في القرآن.

الأهداف الثانوية ١) معرفة تاريخ التفسير العلمي وأسباب تطوره؛ ٢) معرفة اقسام التفسير العلمي؛ ٣)الاطلاع على أدلة الموافقين والمخالفين للتفسير العلمي ونقدها؛ ٤) معرفة معايير التفسير العلمي المُعتبر لتجنب تحميل النظريات العلميَّة على القرآن.

المقدمة

يُعتبر موضوع القرآن والعلوم الجديدة من أهم الدراسات الشائعة في العصر الحاضر، حيثُ شغلَ أذهان كثير من مفسريّ السنّة والشيعة، بل حتى علماء غير المسلمين. فمن جانب برزت الأبحاث المتعلقة بماهيّة العلم التجريبي وعلاقتها بالقرآن، وحدود كل منهما، والتعارض الأولي بينهما، إضافة إلى اهتمام العلماء والناس بمثل هذهِ الدراسات من جانب آخر، والأمثلة الكثيرة والمتنوعة الموجودة في القرآن، (ألف آية تقريباً)، كل تلكُ الأسباب مجتمعة أوجدت منهجاً جديداً في التفسير باسم «التفسير العلمي». بالإضافة إلىٰ وجوب تحقيق بعض المقدمات للدخول في هذا البحث، فمثلاً هل توجد جميع العلوم البشريّة في القرآن؟ ما هو الهدف من وجود الإشارات العلمية في القرآن.

إنّ بحث كل تلك الأُمور قد يستغرق عدّة مجلدات،[١] ولضيق الوقت سوف نُجمل البحث فيها، ويمكن للمحققين الرجوع إلىٰ المصادر المُفصّلة في هذا الصدد.

المصطلحات الأساسيَّة

قبل الدخول في البحث لابدّ من الإحاطة ببعض الاصطلاحات:

١. **التفسير**: تقدّم توضيح معنىٰ التفسير في المباحث السابقة.

٢. **المنهج**: وهو الاستفادة من الوسائل والمصادر الخاصّة في تفسير آيات القرآن، حيثُ يقوم بتوضيح معاني الآيات ومرميها، ويُعطي نتائج مُحدَّدة. فمنهج التفسير العلمي: هو الاستفادة من العلوم التجربيّة لتفسير الإشارات العلميّة لآيات القُرآن.[٢]

٣. **العلم**: المقصود من العلم في عنوان «التفسير العلمي» هو استخدام العلوم التجربيّة والّتي تُقسم[٣] إلى قسمين: العلوم الطبيعيَّة[٤] (الفيزياء،الكيمياء...)، والعلوم الإنسانية[٥] (علم الاجتماع وعلم النفس و...).

لمحة سريعة حول العلم: بسبب الاستخدام الواسع لهذهِ الكلمة في منهج التفسير العلمي لابدّ من ذكر بعض المسائل المتعلقة بالعلم بصورة إجماليّة:

أ) المعنى الاصطلاحي للعلم

المعنىٰ اللغوي لكلمة العلم هو الإدراك والمعرفة،[٦] وهُناك معانٍ اصطلاحية مُختلفة منها:

---

١. يوجد هناك ٢٠٠ مُجلد تقريباً تناولت بحث التفسير العلمي والاعجاز بصورة مُباشرة أو غير مُباشرة أنظر كتاب: در آمدى بر تفسير علمى قرآن؛ كتابشناسى تفسير علمى وقد صدر لنا كتابان في هذا الشأن: در آمدى بر تفسير علمى قرآن في ٥٥٠ ص و پژوهشى در اعجاز علمى قرآن في ٦٠٠ ص.

٢. تناولنا الفرق بين الاتجاه (اللون) والمنهج في الدرس الأوّل. وهُناك من الباحثين من يعتبر التفسير العلمي جزءاً من الاتجاهات، وسوف يتبين في البحوث الآتية أنّ التفسير العلمي لهُ منهج خاص واستخدام في كثير من الآيات كبقيّة المناهج التفسيريّة، واستفاد منهُ كثيرٌ من المفسرين، وإنْ كان بعض المفسرين (مثل الطنطاوي في تفسيره **الجواهر**) قد توسّع في استعمال هذا الاتجاه ولم يستخدمه كمنهج إلّا قليلاً، ولعلّ هذا هو السبب الذي دعا البعض إلى اعتبار التفسير العلمي نوعاً من انواع المناهج.

3. experimental scinces 4. scinces natural 5. humanities scinces

٦. عرّف المناطقة العلم بأنّهُ: حصول صورة الشيء عند العقل كما ذكر ذلك المرحوم المظفّر في مقدمة كتاب المنطق. أمّا الفلاسفة فقسّموه إلى علم حصولي وحضوري. وبحثنا هُنا هو في المعنىٰ الأوّل وإن كان فلاسفة الغرب لهم رأي آخر في هذا المجال سوف نشير إليه خلال البحث.

١. الاعتقاد اليقيني المُطابق للواقع في قبال الجهل البسيط والمُركب.

٢. العلم هو مجموعة القضايا الّتي يوجد بينها مُناسبة ما، وإنكانت القضايا شخصيَّة، كعلم التاريخ (العلم بالحوادث الخاصّة) وعلم الرجال و...

٣. العلم هو مجموعة القضايا الكُليّة الّتي تدور حول محور خاص، والّتي تقبل الصدق والانطباق على مصاديق مُتعددة، وإن كانت اعتباريَّة، كعلم اللُغة.

٤. وهو مجموعة القضايا الحقيقيَّة (غير الاعتبارية) الّتي تدور حول محور خاص...

٥. العلم هو مجموعة القضايا الحقيقيّة القابلة للإثبات عن طريق التجربة والحس، وهذا ما يقصدُهُ أصحاب الفلسفة الوضعيَّة عند الإطلاق، وهو الاصطلاح الرائج في هذا العصر، وعلىٰ أساسه لا يعتبرون العلوم والمعارف غير التجريبيّة من أقسام العلم، وعلىٰ هذا التقسيم يقع العلم في قبال الفلسفة.[١] ورغم أنّهُ لا إشكال في وضع اصطلاح خاص، ولكن استخدام الاصطلاح الأخير انما كان بسبب الرؤية الخاصة عند أصحاب المدرسة الوضعية[٢] والتي تحصر المعرفة الحقيقية والواقعية للإنسان بالأُمور الحسّية والتجريبّة الحسّية، وإنّ التفكير فيما وراء الطبيعة يُعتبر لغواً وعديم الفائدة.[٣]

٦. جاءَ في بعض الروايات الإسلامية أنّ العلم هو نورُ يقذفُهُ اللهُ في قلب الإنسان، وهذا النوع من العلم النوراني خارج عن كلامنا؛ لأنّ كلامنا في العلوم الظاهريّة.

وما نقصدُهُ من العلم في التفسير العلمي هو المعنىٰ الخامس (العلوم الّتي تقبل التجربة الحسيَّة كما يقول به الوضعيون) فالعلم بمعنىٰ الفلسفة والإلٰهيات خارج عن دائرة بحثنا؛ لأنّ المفسرين أكثر ما ينظرون إلىٰ هذهِ العلوم.

ب) أقسام العلوم

صنَّفَ العُلماءُ العلومَ إلىٰ أنواعٍ مُختلفة؛ فالفارابي قسَّمها إلىٰ خمسة أنواع:

١.علم اللسان. ٢.المنطق. ٣.التعاليم. ٤.العلوم الطبيعيَّة والإلهيَّة. ٥.العلوم المدنيَّة والفقه والكلام.[٤]

١. العلم في نظر هؤلاء مطابق لكلمة Science.
٢. Positivisme مدرسة قام بتأسيسها اوغست كُنت (Auguste - Conte ١٧٩٨ـ١٨٥٧م) ولها جذور في فلسفة هيوم الحسيَّة الّتي تحصر المعرفة بالتجربة.
٣. مصباح اليزدي، آموزش فلسفه، ج ١، ص ٦١ بتلخيص.
٤. الفارابي، احصاء العلوم، ص ١١١ ـ ١٢٠

أمّا فلاسفة الإسلام فإنّ أغلبهم قد قسّم العلوم إلى فرعين: نظريّة، وعمليّة، والنظرية إلى ثلاثة أقسام: الالهيات، الطبيعيّات، الرياضيّات، والعمليّة إلى الأخلاق، سياسة المُدن، تدبير المنزل.

وهُناك من صنَّفَ العلم على أساس أنواع القوىٰ:

١. قوة الحافظة (التاريخ). ٢. قوة الخيال (الفن). ٣. قوة العقل (الفلسفة).

وآخر تقسيم للعلوم هو التقسيم على أساس منهج البحث:

١. العلوم التجربيّة الّتي تَستخدم التجربة أساساً للبحث وتشمل:

١. العلوم الطبيعيَّة (مثل علم الفيزياء وعلم الكيمياء).

٢. العلوم الإنسانيَّة (مثل علم الاجتماع، وعلم النفس).

٢. العلوم العقليَّة الّتي تستخدم العقل للاستدلال كالفلسفة والرياضيّات والمنطق.

٣. العلوم النقليَّة الّتي تستخدم المنهج النقلي كالتاريخ واللُّغة.

٤. العلم الشّهودي الذي يستخدم منهج الشهود كالعلوم الإلهيَّة للأنبياء والعُرفاء.

ومقصودنا من العلم في منهج التفسير العلمي هو العلوم التجربيَّة في التقسيم الأَخير.

ج) قطعيَّة وظنيَّة العلم التجربي

إن العلوم التجربيَّة هي حصيلة البحوث والتجارب البشريَّة المُتراكمة خلال القرون. فحتىٰ النصف الثاني من القرن العشرين الميلادي كانت هذه العلوم تُقسم إلى قسمين: نظريات علميَّة غير ثابتة وقوانين علميَّة، وبتكرار المُشاهدة واستمرار التجارب تتحول النظريات إلى قوانين ثابتة.[1] وبعد ظهور النظريات الجديدة في فلسفة العلم تبيَّن أنّ العلوم الطبيعية لا يمكن ان ترقىٰ إلى مستوىٰ القانون القطعي الثابت بأيّ حال من الأحوال، وأنّها ليست إلّا أُسطورة مفيدة تُستخدم في مجال الطبيعة والحياة. فعند تأسيس نظرية علميَّة لابدّ أنْ نصطدم بالمشكلة الّتي يُراد حَلّها، وبعد ذلك نقوم بتخمين

١. توجد إشكالات مُتعددة علىٰ الإستقراء الناقص في العلوم راجع: الدكتور علي اكبر سياسى، مبانى فلسفه، ص ٢١٠ـ٢٤٤ و ايان باربور، علم و دين، ترجمة خرمشاهي، ص ٣، ٢١٣، ٢١٤؛ الشهيد الصدر، الأسس المنطقية للإستقراء، ص ١٣٥، ٣٨٣ـ٤٠٠؛ الكاتب، درآمدى بر تفسير علمى قرآن، ١٨٥ـ٢٠٠.

طريقة لحل هذه المُشكلة، وفي المرحلة الثالثة نقوم باستنتاج قضاياقابلة للـمُشاهدة والتجربة من تلك الطريقة، وبعد ذلك نسعىٰ إلى إبطال هذهِ القضايا فإذا لَمْ تبطُل فسوف تبقىٰ في ميدان العلم إلى أنْ تحل محلها نظريَّة أفضل.[١] ولذلك فلا يوجد قانون علمي ثابت في مثل هذهِ الفلسفة العلميّة.[٢]

ملاحظة: قضايا العلوم التجريبيّة ليست قطعيّة بمعنىٰ (القطع العلمي)، أي ليست ثابتة ومُطابقة للواقع حتماً، ولكن قد تكون ثابتة وقطعيّة بمعنىٰ (القطع الذاتي؛ أي قد تصبح القضايا العلميَّة كالبديهيّة عن طريق المشاهدة أو عن طريق القرائن الأُخرىٰ.

كما هو الحال في «حركة الأرض» الّتي أصبحت في عصرنا الحاضر من البديهيَّات.

فالإنسان قد يصل إلى القطع في قضيَّة علميَّة أحياناً عن طريق القرائن الخارجيَّة، أو العقليّة. وسوف يتبيَّن في البحوث الآتية أنّ هناك فرقاً بين العلوم القطعية والنظريات الظنيَّة، وأنّ الاستفادة من النوع الثاني غير صحيحة، لإنّ النظريات الظـنيّة لا يـمكن الاعتماد عليها في التفسير لانّهُ قد يُعتمد عليها مئات السنين ثم يتبيَّن عدم صحتها.[٣]

تعريف منهج التفسير العلمي

لقد اشرنا سابقاً إلى معاني بعض الاصطلاحات مثل: المنهج، التفسير، والآن نبيِّن بعض التعاريف الاصطلاحية الّتي ذكرها المفسرون والعلماء بالنسبة إلى «منهج التفسير العلمي».

١. ترجع هذهِ النظرية إلى بوبر (ت ١٣٧٣ش) أُنظر: حدسها وابطالها ومـنطق اكـتشافات، تأليـف بوبر، ترجمة أحمد آرام؛ الكاتب، در آمدى بر تفسير علمى، ص ٢٠٠ ـ ٢٠٤.

٢. للشهيد الصدر الأوّل منهج مُستقل في دراسة الدليل الاستقرائي الذي يستخدمهُ علماء الطـبيعة اسماهُ «المذهب الذاتي للمعرفة» يختلف عن المذهب العـقلي الارسـطي، والمـذهب التـجريبي يتلخص بإمكان تحصيل اليقين عن طريق الدليل الاستقرائي على أساس نظرية الاحتمال وذلك بتراكم القيم الاحتماليَّة لقضيَّة ما إلى ان يصل نقيضها قريباً من الصفر، وبذلك يـمكن أن تـتوالد المعرفة ذاتياً، وقد طُبِّق هذا المنهج على مسائل مُتعددة في العقيدة والأُصول والحديث. أُنـظر: الأُسس المنطقية للاستقراء. «المترجم».

٣. مثلاً نظرية بطليموس (Ptoemaos ـ القرن الثاني الميلادي) الذي اعتبر الأرضَ مـركز الكـون، والشمس والكواكب تدوران حولها، فقد ظلت هذه النظرية حاكمة لمدة أربعة عشر قرناً إلىٰ أنْ حلّت محلّها نظريّة كبلر وكوبر نيك وغاليلو في دوران الأرض حول الشمس.

١. العلّامة الطباطبائي

قال عند تناوله طريقة المتكلمين والفلاسفة والأشخاص الذين يحاولون التوفيقَ بين القرآن والعلوم الجديدة، وأخْذَ ما يوافق مذهبهم وتأويلَ الآيات المُخالفة: «إنّ هذا الطريق في البحث أحرىٰ به أنْ يُسمىٰ تطبيقاً لا تفسيراً».[١]

مُناقشة وتحليل

ألف: أشار العلّامة إلى قسم خاص من أقسام التفسير العلمي فقط، وهو حمل النظريات العلميَّة وتطبيقها على القرآن، وهو ما يؤدي إلى التفسير بالرأي الممنوع.

ب. استفاد العلّامة من اكتشافات العلوم في مواضع مُتعددة من تفسيره[٢] ولهذا فهو لا يرد جميع أنواع التفسير العلمي.

٢. آية الله معرفة

قال: «إنّ هذا اللون من التفسير الذي يرمي إلى جعل القرآن مُشتملاً على إشارات عابرة إلى كثير من أسرار الطبيعة، الّتي كشف عنهاالعلم الحديث» ثم أضاف: «وكان من أثر هذهِ النزعة التفسيريّة الخاصّة، الّتي تسلطت على قلوب أصحابها، أنْ أَخرج لنا المشغوفون بها كثيراً من الكتب والرسائل الّتي يحاول أصحابها فيها ان يُحمِّلوا القرآن كثيراً من علوم الأرض والسماء، وأنْ يجعلوه دالاًّ عليه بطريق التصريح، أو التلميح، اعتقاداً منهم أنّ هذا بيان لناحية من أهم نواحي صدقه، وإعجازه، وصلاحيته للبقاء».[٣]

مُناقشة وتحليل

ألف) أشار إلى قسم خاص من أقسام التفسير، وهو تطبيق العلوم علىٰ القرآن، ولم يُشر إلى الأقسام الأُخرىٰ.

ب) أشار إلى أحد نتائج التفسير العلمي، وهو إثبات الإعجاز العلمي للقرآن.

١. الميزان، ج ١، ص ٧، ٨
٢. أُنظر: الميزان، ج ١٤، ص ٢٧٩ (الأنبياء، ٣٠)؛ ج ١٨، ص ٣٨٢ (الذاريات، ٤٧).
٣. التفسير والمفسّرون في ثوبه القشيب، ج ٢، ص ٤٤٣

٣. الدكتور الذهبي

قال في هذا اللون من ألوان التـفسير: «نُـريدُبالتفسير العـلمي: التـفسير الذي يُـحكِّم الاصطلاحات العلميّة في عبارات القُرآن، ويجتهد في استخراج مُختلف العلوم والآراء الفلسفية منها».[١]

المناقشة

ألف) اعتبر التفسير العلمي أعمّ من التفسير الفلسفي مع أنّهما يختلفان حسب تعريف المشهور، فالمقصود هُنا هو العلوم التجريبيّة في قبال العلوم العقليَّة.

ب) أشار إلى قسمين من أقسام التفسير وهما: «تحميل النظريات على القرآن» و «استخراج العلوم من القرآن» في حين يوجد قسم ثالث هو «استخدام العلوم في فهم القرآن».

٤. الاستاذ أمين الخُولي

قال في هذا الشأن: «هو تفسير يذهب قـائلهُ إلى اسـتخراج جـملة العـلوم القـديمة والحديثة من القرآن، ويرىٰ في القرآن ميداناً يتّسع للعلم الفلسفي والإنساني في الطب، والتشريح، والجراحة، والفلك، والنجوم، والهيئة، وخلايا الجسم، وأُصـول الصـناعات ومُختلف المعادن، فيجعل القرآن مستوفياً بآياته لهذه الحيثيات، ويُحكِّم الاصطلاحات العلميّة في القرآن، ويجتهد في استخراج هذهِ العلوم».[٢]

المُناقشة

اقتصر على القسم الأوّل والثاني من أقسام التفسير االعلمي، ولم يُشر إلى القسم الثالث في التفسير وهو استخدام العلوم في فهم القرآن.

٥. الاستاذ عبد الرحمن العك

عرَّف التفسير العلمي بما يلي:

«هذا النوع من التفسير يقوم أصلاً على شرح وإيضاح الإشارات القُرآنية الّتي تُشير إلى عظيم خلق الله تعالىٰ وكبير تدبيره وتقديره».[٣]

---

١. التفسير والمفسترون، ج ٢، ص ٤٧٤

٢. امين الخولي، مناهج التجديد، ص ٢٨٧؛ محمد أيازي، المفسرون حياتهم ومنهجهم، ص ٩٣

٣. عبد الرحمن العك، أُصول التفسير وقواعده، ص ٢١٧

المُناقشة

ألف) يُعتبر هذا التعريف أقرب إلى المقصود الأصلي للتفسير العلمي نوعاً ما؛ حيثُ استبعدَ استخراج وتحميل العلوم على القرآن.

ب) لم يُشر إلى نوعيّة العلوم المُستخدمة في التفسير، هل هي القطعيَّة أم الظنيَّة؟

٦. الدكتور فهد الرومي والدكتور رفيعي

كتبا في تعريف التفسير العلمي:

هو اجتهاد المُفسِّر في كشف الصلة بين آيات القرآن الكونية ومكتشفات العلم التجريبي علىٰ وجه يظهر به اعجاز القرآن يدلُ علىٰ مصدره، وصلاحيته لكل زمان ومكان.[١] وقد اختار الدكتور رفيعي هذا التعريف بعد ذكر التعاريف المختلفة ونقدها.[٢]

النتيجة

يظهر أنّ الاختلاف في التعريف جاء نتيجةً لوجود أنواع وأقسام مُختلفة للتفسير العلمي، فقد تأتي بعنوان استخراج العلوم من القرآن، وأُخرى تحميل بعض المطالب العلميّة على القرآن. أمّا مقصودنا هنا فهو استخدام العلوم في فهم أفضل لآيات القرآن؛ أي الاستفادة من مصادر العلوم التجريبيّة القطعيَّة كوسائل للتفسير وتوضيح الإشارات العلميَّة في القرآن، علماً أنّه يجب أنْ تُراعى جميع الضوابط والمعايير للتفسير الصحيح لكي لا يقع أيّ تحميل أو استخراج للعلوم من القرآن.[٣]

نشأة التفسير العلمي وأسبابها

عندما أشرقت شمس الإسلام في شُبه الجزيرة العربيّة، كان عدد الذين يُجيدون القراءة والكتابة لم يتجاوز أصابع اليد، فقد كان القرآن مُعجزة في كلِّ شيء، فهو الذي دعا الناس إلى العلم والمعرفة، وأيقظهم من الجهل والغفلة بدعوتهم إلى التفكّر والتعمّق في آيات الله، وخلق السماوات والأرض و... وعندما بدأ المسلمون بالفتوحات الإسلاميّة

١. فهد الرومي، اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، ج ٢، ص ٥٤٩
٢. ناصر رفيعى محمدى، تفسير علمى قرآن، ج ١، ص ١٤٠
٣. لمزيد من الإطّلاع يُراجع كتاب: الكاتب، درآمدى بر تفسير علمى قرآن، ٢٧٤، ٣٧٨.

في القرن الأوّل الهجري تعرّفوا علىٰ أفكار جديدة، وأديان مُختلفة، وبدأ التبادل الثقافي بين الإسلام والحضارات الأخرىٰ كالرّوم واليونان وإيران، وقد ترجم المسلمون كثيراً من العلوم في عهد هارون الرشيد والمأمون كالطبّ، والرياضيات، والنجوم، والعلوم الطبيعيّة، والفلسفة، وأخذوا علوماً كثيرة من اليونان... وأضافوا عليها، وخلال عدّة قرون أوصلوا هذهِ العلوم إلى اقصىٰ تطورها، وصنّفوا أفضل الكتب في القرن الثالث والرابع الهجري؛ ففي مجال الطب مثلاً: (كتاب القانون لابن سينا)، وفي الفلسفة (كتاب الشفاء لابن سينا)، وكذلك في الرياضيات والنجوم، حتى أنّ الغربيين أضطروا إلى ان يأخذوا هذهِ العلوم من العرب مرة أُخرى بعد إنْ كان أصلُها من اليونان وذلك بعد أنْ نشطَتَ حركة الترجمة في القرن الثاني عشر، وظلّت نظريات ابن سينا وابن رشد حاكمة في الجامعات الأوربية مئات السنين.

وقد سعى علماء المسلمين في القرون الأُولىٰ إلى رفع التعارض الظاهري بين الدين والعلم واختاروا طريقين لذلك:

ألف) رفض الأفكار الباطلة لهذهِ العلوم، لأنّ كثيراً من المباني الفلسفية والعلمية اليونانية غير صحيحة، ومُعارضة للدين الإسلامي، وقد كُتبت عدّة مؤلفات في هذا الشأن، مثل كتاب: تهافت الفلاسفة لأبي حامد الغزالي، ومفاتيح الغيب للفخر الرازي.

ب) تطبيق آيات القرآن على العلوم اليونانية، لكي يُثبتوا صحة المطالب العلمية للقرآن وحقّانيّته، فقالوا بإنّ المقصود من السيّارات السبعة في علم النجوم اليوناني هو (السماوات السبع) في القرآن. ومن هنا نشأت وتطورت هذهِ الطريقة في التفسير والّتي لها جاذبية خاصة عند الشباب المثقف، ومرّت بمراحل مُختلفة نتيجة لعدة عوامل. ويمكن تقسيم التطور التاريخي للتفسير العلمي إلىٰ ثلاثة أدوار:

الأُول: ويبدأ من القرن الثاني إلى الخامس الهجري حيث بدأ بترجمة الآثار اليونانية إلى اللُغة العربيّة، وسعىٰ بعض علماء المسلمين إلى تطبيق بعض آيات القرآن على الهيئة البطليموسيَّة كابن سينا.[1]

١. هُناك بعض الإشارات العلمية في بعض الأحاديث الواردة عن أهل البيت في تفسير آيات القرآن كعدد المشارق والمغارب في سورة المعارج، ٤٠، الشيخ الصدوق، معاني الأخبار، ص ٢٢١، وأسماء بعض الكواكب في سورة التكوير، ١٥ ـ١٦، مجمع البيان، ج ١، ص ٦٧٧، و... ولكن هذا ←

الثاني: بدأ هذا الدور في القرن السادس عندما قام بعض علماء المسلمين باستخراج جميع العلوم من القرآن لاعتقادهم بوجودها فيه، وكان رائد هذا الاتجاه (أبو حامد الغزالي). ولهذين النوعين من التفسير أنصار ومُخالفون في كُل عصر.

الدور الثالث: بَلَغَ التفسير العلمي في القرن الثامن عشر الميلادي وما بعد أوج تطوره إثر تقدّم العلوم في الغرب وترجمة كتب مُختلفة في مجالات كثيرة كالفيزياء الكيمياء والطب. وقد تركَ هذا الدور أثراً كبيراً على العالم الإسلامي وخصوصاً في الهند ومصر في القرن الأخير، حيثُ جعل بعض علماء المسلمين يتّجهون إلى تطبيق القرآن على العلوم الجديدة.

الجدير بالذكر أنّ بداية هذهِ المسألة نشأت في أُوربا عندما بدأ التعارض بين العلم والدين، مما أدّىٰ الىٰ انسحاب الكتاب المقدس من الساحة تاركاً المجال للأفكار الإلحادية أنْ تشق طريقها في المجتمع، وكان صدىٰ هذهِ الأفكار بالإضافة إلى التفوق التقني الغربي سبباً في انجذاب الشباب المسلم إلى الثقافة الغربية ممّا حدا بعلماء المسلمين إلى الدفاع عن القرآن؛ ليُثبتوا أنّهُ ليس فقط لا يوجد تعارض بين العلم والدين، بل لإثبات أن هذهِ المكتشفات هي أكبر دليل على إعجاز القرآن، ولهذا أُستخدمت العلوم في سبيل فهم القرآن، وكُتبت تفاسير علميّة مُتعددة. وقد أفرط البعض تحت تأثير الثقافة الغربيّة فوقع في التأويل والتفسير بالرأي المذموم. ـ حيثُ لم تنقح مباني هذا المنهج بصورة كاملة ـ مما أدّىٰ إلىٰ إلهاب مشاعر المسلمين ووقوفهم موقفاً سلبياً من هذا النوع من التفسير، واعتباره شكلاً من أشكال التفسير بالرأي مما حَمَل بعض علماء المسلمين في مصر والشام إلى أنْ يقفوا موقفاً مُنصفاً ويُفرّقوا بين التفسير العلمي الصحيح واستغلال البعض لهُ لأهداف خاصة.

النتيجة

تبيّن مما سبق أنّ بداية هذا التفسير كانت في القرن الثاني للهجرة، ثمّ أخذ يشقُ طريقهُ بسرعة كمنهج من مناهج التفسير. واستخدمهُ كثير من المُفسّرين، وكانت بداية

ـ لا يُعتبر من التفسير الاصطلاحي لأنّهُ لا يستفيد من الكشوفات العلميّة في التفسير بل يُعتبر جُزءاً من التفسير الروائي، والأسرار العلمية لأهل البيت عليهم السلام.

الاهتمام بهذا المنهج في العالم الإسلامي تـعود إلىٰ القـرن الأخـير، حـتىٰ أنّ بـعض المُتخصصين بالعلوم أخذوا يُفسّرون الآيات بالعلوم التجريبيّة وإنْ اختلفت أهداف كل منهما. ويمكن أنْ نُجمل أهم أسباب نشأة وشيوع هذا المنهج بما يلي:

١. اهتمام القرآن بالعلم، فإنّ ذكر الأمثلة العلميّة والحثّ على التفكّر في الآيـات الإلٰهيّة في السماء والأرض والإنسان، أدّى إلى تطور العلوم والمعارف ومقارنتها مع ما ورد في القرآن.

٢. ترجمة و نشر الآثار العلمية الطبيعيّة والفلسفية اليونانية والرومية والايرانية في أوساط المسلمين في القرن الثاني الهجري.

٣. الاعتقاد بأنّ جميع العلوم موجودة في القرآن ويمكن استخراجها منه.

٤. الاهتمام بالعلوم الطبيعيّة والاكتشافات الجديدة لإثبات إعجاز القرآن.

٥ . انتصار المذهب الحسّي في أُوربا وتأثير ذلك على أفكار المسلمين، بالإضافة إلى وجود بعض المُنحرفين وأصحاب الأفكار الالتقاطية الذين أفرطوا في تأويل آيات القرآن وتطبيقها على العلوم.

٦ . شعور علماء المسلمين بوجوب الدفاع والوقـوف أمـامشُبهات الغـرب، مـثل تعارض العلم مع الدين، لاثبات عدم مخالفة القرآن للعلم.

آراء المفسّرين والعلماء حول التفسير العلمي

هُناك ثلاثة آراء حول هذه المسألة نشير إليها باختصار:

أوّلاً: الآراء المؤيدة للتفسير العلمي

نذكر هُنا أهم الشخصيات المؤيدة للتفسير العـلمي مـن المُـتخصصين بـعلوم القـرآن والمفسّرين والفلاسفة من الّذين استخدموا بعض أقسام التفسير العلمي، وهم:

١. **الشيخ الرئيس ابن سينا (٣٧٠ ـ ٤٢٨هـ)**: الطبيب والفيلسوف الايراني الشهير: قال في تفسير كلمة «العرش» في قوله تـعالىٰ ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَـٰنِيَةٌ ﴾[1] العرش هو فلك الأفلاك (الفلك التاسع في هيئة بطليموس)، أمّا «المـلائكة»

١. الحاقّة، ١٧

فهي الأفلاك الثمانية (القمر ـ الشمس ـ الزهرة ـ عطارد ـ زحل ـ المُشتري ـ المرّيخ ـ والفلك الثابت).[١]

٢. أبو حامد الغزالي (ت ٥٠٥هـ): يعتقد بوجود علوم كثيرة في القرآن كما ذكر ذلك في كتابه إحياء علوم الدين، ونقل عن بعض العلماء أن القرآن يحوي سبعة وسبعين ألف ومائتي علم، إذ لكل كلمة علم ثم يتضاعف ذلك أربعة، إذ لكل كلمة ظاهر وباطن وحدّ ومطلع.[٢] وذكر في كتاب جواهر القرآن أنّ كثيراً من العلوم كعلم الطب، والنجوم، وهيئة العالم، وهيئة بدن الحيوان وتشريح أعضائه، وعلم السّحْر والطلسمات وغير ذلك، يوجد لها أصل في القرآن، وضَرَبَ أمثِلةً عديدةً من آيات القرآن وبيّن علاقتها بالعلوم الأُخرى.[٣]

٣. الفخر الرازي (م ٦٠٦هـ): طبّقَ بعض المسائل العلميّة علىٰ القرآن، فاستدَلَّ على سكون الأرض [٤] بالآية الكريمة ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا﴾[٥] وناقش الآراء الفلكيّة القديمة لبطليموس وقدماء الهند والصين وبابل ومصر والروم والشام في تفسير الآية الكريمة (١٦٤) من سورة البقرة.

٤. ابن أبي الفضل المرسي (٥٧٠ ـ ٦٥٥هـ): يعتقد بإنّ القرآن يضمّ علوم الأوّلين والآخرين، وقد حاول استخراج علم الطب، والجدل، والهيئة، والهندسة، والجبر والمُقابلة من القرآن، واستشهد بآيات القرآن علىٰ وجود الخياطة، والنجارة، والصيد، والحدادة، والزراعة و...[٦]

٥. بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ١(ت ٧٦٤هـ): صاحب كتاب البرهان في علوم القرآن يرىٰ إمكانيّة استخراج جميع العلوم من القرآن، فيقول إنّ عمر

---

١. راجع: رسائل ابن سينا، ص ١٢٤ ـ ١٢٥، طبعة الهند، ١٩٠٨؛ الذهبي، التفسير المفسرون، ج ٢، ص ٤٢٦.

٢. الغزالي، إحياء علوم الدين، ج ١، ص ٢٨٩ (باب ٤ من أبواب آداب تلاوة القرآن)

٣. جواهر القرآن، الفصل الخامس، ٢٥

٤. مفاتيح الغيب، ج ٢، ص ٩٤

٥. البقرة، ٢٢

٦. أُنظر: الذهبي، التفسير والمفسرون، ج ٢، ص ٤٧٨ ـ ٤٨٢؛ أحمد عمر أبو حجر، التفسير العلمي للقرآن، ١٥٩.

عيسى ﷺ ثلاث وثلاثون سنة استناداً إلى الآية الكريمة ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ﴾[١] الّتي تحتوي على ثلاثة وثلاثين حرفاً.[٢]

٦. جلال الدين السيّوطي (ت ٩١١هـ): صاحب كتاب الإتقان في علوم القرآن: يعتقد أيضاً بإنّ القرآن يشتمل على جميع العلوم، وضَرَب لذلك مثلاً من القرآن، فقال إنّ عمر النبي محمد ﷺ ثلاث وستون سنة؛ لأنَّ الآية الكريمة ﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا﴾[٣] تقع في اواخر سورة المنافقين وهي السورة الثالثة والستون في القرآن.[٤]

مُلاحظة: عاش أبو إسحاق الشاطبي (ت ٧٩٠هـ) ـ من أقطاب المُخالفين لهذا النوع من التفسير وسوف نذكر آراءه في الوقت المناسب ـ في هذا العصر.

٧. العلّامة المجلسي (ت ١١١١هـ): صاحب كتاب بحار الأنوار: تعرّض لهذا النوع من التفسير في بعض أجزاء هذا الكتاب، وذكر أنَّهُ لا يوجد تعارض بين «السماوات السبعة» الموجودة في القرآن في الآية (٢٩) من سورة البقرة، وما ثبت في علوم النجوم من الأفلاك التسعة؛ لأَنّ الفلك الثامن والتاسع في لُغة القرآن هو الكرسي والعرش.[٥]

٨. الملّا صدرا الشيرازي (ت ١٠٥٠هـ): الفيلسوف الشهير أكدّ على هذا الاحتمال في تفسيره[٦] وكذلك الملّا هادي السبزواري في شرح المنظومة.[٧]

٩. السيد عبد الرحمٰن الكواكبي (ت ١٣٢٠هـ): قام بتطبيق القرآن على العلوم التجريبيّة في موارد مُتعددة من كتاب طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد، فاستدل على انفصال القمر عن الأرض (طبقاً للنظريات الحديثة) بالآية (٤١) من سورة الرعد والآية (١) من سورة القمر.[٨]

١. مريم، ٣٠ـ٣٣
٢. البرهان في علوم القرآن، ج ٢، ص ١٨١
٣. المُنافقون، ١١
٤. أُنظر: الاتقان، ج ٢، ص ٢٧١ ـ ٢٨٢؛ والإكليل في استنباط التنزيل، ٢.
٥. بحار الأنوار، ج ٥٧، ص ٥
٦. محمد بن إبراهيم صدر الدين الشيرازي، تفسير القرآن الكريم، ج ٢، ص ٢٨٩ ـ ٢٩٣
٧. شرح المنظومة، قسم الفلسفة، ص ٢٦٩
٨. طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد: ص ٤٣ ـ ٤٦؛ بهاء الدين خرمشاهي، تفسير وتفاسير جديد، ص ٥٩ ـ ٧١؛ تاريخ نهضتهاى دينى اسلامى معاصر، ص ١٤٣ ـ ١٤٦

١٠. **السيد أحمد خان الهندي (١٨١٧ ـ ١٨٩٨م) والسيد أمير علي(١٢٦٥ ـ ١٣٤٧هـ)** من علماء الهند: أكدّا على الفوائد الإجتماعية والجسميّة لكلٍ من الصلاة والصيام، والزكاة، والحج، واعتبروا القوىٰ الطبيعيّة كالماء والرياح والغيوم نوعاً من أنواع الملائكة، وأنكروا إمكان وقوع المعجزة وتأثير الدُعاء، وخالفهم السيد جمال الدين الأسدآبادي في الهند.[1]

١١. **الطنطاوي** (ت ١٨٦٢م): بالغ في الاستفادة من العلوم في تفسيره الجواهر في تفسير القرآن، فقام باستخراج علم تحضير الأرواح بالاستناد إلى الآيات (٦٧ ـ ٧٢) من سورة البقرة، وكان يستفيد من المستجدّات العلمية خلال بحثه التفسيري.[2]

١٢. **عبد الرزاق نوفل الكاتب المصري المعروف**: لهُ مؤلفات كثيرة في التفسير العلمي منها: القرآن والعلم الحديث، الله والعلم الحديث، الإسلام والعلم الحديث، بين الدين والعلم و...

١٣. **السيد هبة الدين الشهرستاني (١٣٠١ ـ ١٣٦٨هـ)**: استدل على حركة الأرض في كتابهِ الإسلام والهيئة بالآية الكريمة ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا﴾،[3] وكان يعتقد بأنّ تأييد وتصديق العلوم والاكتشافات العلمية عن طريق الدين والعلماء هو سبب من أسباب تقوية إيمان الناس.[4]

١٤. وهُناك بعض الكتّاب الايرانيين المتأخرين الّذين كتبوا في هذا المجال منهم: آية الله الطالقاني في تفسيره پرتوى از قرآن، محمد تقي شريعتي في تفسيره نوين، حُجة الإسلام اهتمام في فلسفة الأحكام، الدكتور پاك نژاد في اولين دانشگاه وآخرين پيامبر، المهندس بازرگان في كتابه راه طى شده، باد و باران در قرآن، مطرات در اسلام و...

المُناقشة

يمكن تقسيم المفسرين المذكورين آنفاً إلى عدّة أقسام حسب أهداف كُلٍ منهم:

١. كان بعضهم يسعى إلى استخراج العلوم من القرآن منهم الغزالي، المُرسي،

---

١. بهاء الدين خرمشاهى، تفسير وتفاسير جديد؛ ص ٥٩ ـ ٧١؛ تاريخ نهضتهاى دينى اسلامى معاصر، ص ١٤٣ ـ ١٤٦   ٢. الجواهر في تفسير القرآن، ج ١، ص ٨٤ ـ ٨٩

٣. البقرة، ٢٢   ٤. الشهرستاني، إسلام وهيئت، ترجمة: خرمشاهي، ١١٠

الزركشي، السيوطي، الطنطاوي؛[١] وعمدة أدلتهم أنّ القرآن يحتوي على جميع انواع العلوم، ويمكن استخراجها عن طريق التأمل في الآيات بطريقة خاصة وبالاستعانة بالعلوم المُختلفة.[٢]

٢. القسم الثاني يسعىٰ إلى تطبيق نظريات العلوم الظنيّة على القرآن كالفخر الرازي (استفاد من الآية ٢٢ من سورة البقرة للتدليل على أنّ الأرض ساكنة)، المجلسي، الملّا صدرا الشيرازي، عبد الرحمٰن الكواكبي، عبد الرزاق نوفل.[٣]

وقام بعض هؤلاء بتحميل النظريات العلمية على القرآن كما فعل الاستاذ عبد الرزاق نوفل في تفسير الآية ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ قال: المقصود من النفس الواحدة هو البروتون، وزوجها الالكترون وكلاهما يُشكّلان عنصر الذرّة، وقد اعتبر ذلك نوعاً من أنواع الإعجاز العلمي.[٤]

وهذا بلاشكّ من التفسير بالرأي الممنوع شرعاً؛ لأنّهُ بعيد عن الظاهر وعن المعاني اللغوية والاصطلاحيّة المُستخدمة في القرآن.

٣. وكان بعض هؤلاء بصدد إثبات الإعجاز العلمي للقرآن مثل مصطفى صادق الرافعي (ت ١٩٣٨م) في كتابه إعجاز القرآن والبلاغة النبويّة،[٥] فقد ادّعىٰ الإعجاز العلمي في الآيات الّتي تتطرق إلى الزوجية العامة وزوجيّة النباتات.[٦]

٤. كان اهتمام بعضهم في إظهار أهميّة العلم في الإسلام كالطنطاوي، وهبة الدين الشهرستاني.

٥. وكان بعضهم يسعى ومن خلال الاستفادة من العلوم التجربيّة لترويج أفكاره الإنحرافية، وإنكار مُعجزات الأنبياء، كالسيد أحمد خان الهندي وسيد أمير علي، أو توجيه بعض المعجزات أمثال رشيد رضا (١٨٦٥ ـ ١٩٣٥م) حيث فسَّر معنىٰ

١. ذكرنا بعض الامثلة سابقاً. ٢. ذكرنا بعض الأمثلة سابقاً. ٣. ذكرنا بعض الأمثلة سابقاً.
٤. القرآن والعلم الحديث، ١٥٦
٥. بحثنا هذا الأمر في كتابنا: پژوهشى در إعجاز علمى قرآن (منشورات الكتاب المبين، ١٣٨٠ هش) في مجلدين وقد قبلنا ستة موارد فقط تدلُ على الاعجاز العلمي من بين (٣٠٠) آية ورفضنا الباقي.
٦. سبق أنْ عرضنا كلامهُ في تعريف التفسير العلمي. راجع: الميزان، ج ١، ص ٧.

«الموت» في الآية (٢٤٣) من سورة البقرة بالهزيمة وضياع الاستقلال، و «الحياة» بالاستقلال وعودة القوة لهم،[١] وأنّهُ ليس المقصود من الإحياء في قصّة إبراهيم في الآية (٢٦٠) من سورة البقرة، هو الإحياء الحقيقي بل بمعنىٰ التربية والاستئناس،[٢] وبسبب وجود مثل هذهِ التفاسير رفض العلّامة الطباطبائي تطبيق القرآن على العلوم وردّ هذا النوع من التفسير.[٣]

ثانياً: المُخالفون للتفسير العلمي

١. أنكر الفقيه المالكي الاندلسي أبو إسحاق الشاطبي (ت ٧٩٠هـ)في كتابه الموافقات التفسير العلمي وردَّ أدلتهم وقال: «كان للعرب علوم في زمن نزول القرآن كالنجوم، معرفة أوقات نزول المطر، علم الطب، البلاغة، الفصاحة، الكهانة، الرمل، الجفر و... وقد قسّم الإسلام هذهِ العلوم إلى قسمين: علوم صحيحة وحقّة، وأضاف إليها إضافات كثيرة، وعلوم باطلة مثل (الكهانة والرمل و...)، وقد بيّن منافع ومضاركل منهما، ثم جاء بأمثلة علىٰ كل مجموعة من القرآن».[٤]

وقال بعد ذلك: «إنّ كثيراً من الناس تجاوزوا في الدعوى على القرآن الحدَّ؛ فأضافوا إليه كلَّ علمٍ يُذكر للمُتقدمين والمُتأخرين، من علوم الطبيعيّات كالهندسة وغيرها من الرياضيات والمنطق وعلم الحروف، وهذا غير صحيح»، ثم استدل على ذلك فقال: «إنّهُ لم يدّعِ أحدُ من السلف الصالح مثل هذهِ الدعوىٰ، وإنَّ القرآن إنّما جاء لبيان أحكام الآخرة وما يتعلق بها».[٥]

وثمّ رفض أدّلة القائلين بالتفسير العلمي، الذين استدّلوا بالآية ﴿تِبْيَـٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾،[٦] والآية ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَـٰبِ مِن شَىْءٍ﴾،[٧] وقال: إنّ هذهِ الآيات ترتبط بحال التكليف والتعبّد، والمراد من الكتاب في الآية الثانية هو اللوح المحفوظ. وأمّا فيما يتعلق بفواتح

١. المنار، ج ٢، ص ٤٥٨ ٢. المصدر السابق، ٥٥
٣. سبق أنْ عرضنا كلامهُ في تعريف التفسير العلمي راجع: الميزان، ج ١، ص ٧.
٤. التفسير والمفسرون، ج ٢، ص ٥٨ ن، نقلاً عن: الموافقات، ج ٢، ص ٦٩ ـ ٧٦ بتلخيص
٥. المصدر السابق، ج ٢، ص ٤٨٨ بتلخيص ٦. النحل، ٨٩
٧. الانعام، ٣٨

السور فقال: إنّ عدد الجمل (تطبيق الحروف الأبجدية على القرآن) لم تثبت، وإنّ هذهِ المعارف مأخوذة من أهل الكتاب وفواتح السور من المُتشابهات.[١]

٢. الشيخ محمود شلتوت (١٨٩٣ ـ ١٩٦٤م) وهو من علماء الأزهر: شَنَّ حملة قوية على هذا النوع من التفسير من خلال المقالات الّتي نشرها في مجلة «الرسالة» الصادرة سنة (١٩٤١م) وقال: «إنّ هذهِ النظرة للقُرآن خاطئة من غير شك؛ لأنَّ الله سُبحانه لم ينزّل القرآن ليكون كتاباً يتحدث فيه إلى الناس عن نظريات العلوم ودقائق الفنون وأنواع المعارف، وهي خاطئة من غير شك لأنها تحمل أصحابها والمُغرمين بها على تأويل القُرآن تأويلاًمُتكلفاً يتنافىٰ مع الاعجاز، ولا يُسيغهُ الذوق السليم، وهي خاطئة لانها تُعرِّض القرآن للدوران مع مسائل العلوم في كُلِّ زمان ومكان. والعلوم لا تعرف الثبات ولا القرار ولا الرأي الأخير، فقد يصح اليوم في نظر العلم ما يصبح غداً من الخُرافات، فلو طبّقنا القرآن على هذهِ المسائل العلميّة المتقلّبة لعرّضناه للتقلّب معها، وتحمّل تبعات الخطأ فيها، ولأوقفنا أنفسنا بذلك موقفاً حرجاً في الدفاع عنه».[٢]

ثم ذكر خلال ذلك موارد من الأخطاء في التفسير العلمي الذي يحاول استخراج بعض المسائل العجيبة من القرآن.

٣. الدكتور الذهبي: وهو من أساتذة علوم القرآن والحديث فيجامعة الأزهر، وصاحب الكتاب المشهور التفسير والمفسرون، ويُعتبر من العلماء المُتأخرين، فقد اقتفىٰ أثر الشاطبي في رفضه للتفسير العلمي قال: «أمّا أنا فاعتقادي أنّ الحق مع الشاطبي ـ رحمه الله ـ ولأنّ الأدّلة الّتي ساقها لتصحيح مدّعاه أدّلة قوية، لا يعتريها الضعف، ولا يتطرق إليها الخلل؛ ولأَنّ ما أجاب على أدّلة مُخالفيه أجوبةُ سديدة دامغةلا تثبت أمامها حُججهم، ولا يبقىٰ معها مُدعاهم».[٣] ثم ذكر أدّلةأُخرى لتقوية قول الشاطبي، سنذكرها في بحث الأدّلة.

١. المصدر السابق، ص ٤٨٩

٢. مجلة الرسالة، العددين ٤٠٧ و ٤٠٨، سنة ١٩٤١م نقلاً عن: كتاب التفسير العلمي في الميزان، أحمد عمر أبو حجر: ٢٩٩ـ٣٠٢ طبعة دار قُتيبة.

٣. التفسير والمفسرون، ج ٢، ص ٤٩١ ـ ٤٩٤، الطبعة الثانية، سنة ١٩٧٦م (طبعة دار الكتب الحديثة، بتلخيص وتصرف في العبارة).

٤. هُناك بعض الشخصيات التي خالفت التفسير العلمي ذكرتهم بعض الكتب وهم[1]:

١. الأُستاذ أَمين الخولي (١٩٥٦م).

٢. الاستاذ محمود العقّاد (١٩٦٤م).

٣. الاستاذ محمد عزة دروزة (ت ١٨٨٨م).

٤. الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني، مؤلف كتاب مناهل العرفان في علوم القرآن.

وعند مُراجعة أدّلتهم لم نجدهم قد أضافوا شيئاً إلى ما قالَهُ الشاطبي، بل كرَّروا أدّلته بأُسلوب آخر، ولهذا لم نذكرهم بالتفصيل. بالإضافة إلى ذلك فلا يمكن اعتبار الأُستاذ عباس محمود العقاد من المُخالفين؛ لأنّهُ استخدم التفسير العلمي في كتابَيْه الإنسان في القرآن و القرآن ونظرية التطور.

ثالثاً: القائلين بالتفصيل في التفسير العلمي

هناك عدد من العلماء قَبِل صنفاً خاصاً من التفسير العلمي تحت شرائط مُعيّنة، ورفض باقي الأقسام، منهم:

١. سيد قُطُب (١٩٠٦ ـ ١٩٦٦م): المفكر الإسلامي صاحب تفسير في ظِلال القرآن: أشكل علىٰ هذا اللون من التفسير وقال: إنّي لأعجبُ من بساطة بعض الأفراد الّذين ينسبون إلى القرآن بعض الاشياء وهو بريءٌ منها، ويحاولون استخراج جُزئيات العلوم الطبيَّة، والكيميائية، والنجوم و... وهم يظنّون أنهم يُعظّمون القرآن بذلك. ثمّ عدَّ نوعين من أنواع التفسير، وقَبِلَ الأوّل وردَّ الآخر.[2] ثم ضرب مثلاً على النوع غير الجائز وذلك بتطبيق نظرية التطور على الآية ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ﴾؛[3] وأمّا النوع الجائز فمثالهُ الآية الكريمة ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾،[4] حيث إنّ كل شيء في الوجود مخلوق بمقدار وتناسب دقيق،من شكل الأرض وبُعدها عن الشمس، والقمر، وحجم الشمس والقمر، وسرعة حركتهما والنسبة بينهما، ولا يمكن أنْ

---

١. التفسير العلمي في الميزان، ص٢٩٧ وما بعدها

٢. سيد قطب، في ظِلال القرآن، ج ١، ص ٢٦٠

٣. المؤمنون، ١٢

٤. الفرقان، ٢

تكون كل هذهِ الأُمور صدفة من الصدف وعلى هذا يمكن التوسّع في مفهوم هذهِ الآية بلا إشكال.[١]

٢. محمد مصطفىٰ المراغي (١٨٨١ ـ ١٩٤٥م): شيخ الأزهر وهو من علماء مصر والسودان الكبار لهُ موقفان مُختلفان بالنسبة إلى التفسير العلمي.

قال في مُقدمته لكتاب الإسلام والطب الحديّث لعبد العزيز إسماعيل:

«لستُ أُريد من هذا أنْ أقول: إنّ الكتاب الكريم اشتمل على جميع العلوم جملة وتفصيلاً بالاسلوب التعليمي المعروف، وإنما أُريد أنْ أقول إنّهُ أتى بأُصول عامّة لكلّ ما يهمّ الإنسان معرفته به، ليبلغ درجة الكمال جسداً وروحاً، وترك الباب مفتوحاً لأهل الذكر من المُشتغلين بالعلوم المختلفة، ليبينوا للناس جزئياتها بقدر ما أوتوا منها في الزمان الذي هم عائشون فيه» ثم قال: «يجب ان لا نجرّ الآية إلى العلوم كي نفسرها، ولا العلوم إلى الآية، ولكن إنْ اتفق ظاهر الآية مع حقيقة علمية ثابتة فسرناها بها».[٢]

وقد استخدم المراغي التفسير العلمي عدة مرّات، فقد فسَّرَ «العمد» في الآية ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾[٣] بقوة الجاذبيّة.[٤]

٣. أحمد عمر أبو حجر: صاحب كتاب التفسير العلمي في الميزان: فقد أورد أدّلة الطرفين واختار الرأي القائل بالتفصيل، وقال: «والذي تطمئن إليه النفس بعد النظر في وجهة نظر الفريقين هو أنّ الذين يُنادون بإبعاد القرآن عن التفسير العلمي مُصيبون كُل الإصابة، إذ كان هذا التفسير قائماً على الظنّ والوهم، أو التعسف في التأويل. أمّا إذا كان مُستنداً إلى الصريح من القول، مُعتمداً على اليقين الثابت من العلم، فليس هُناك ما يمنع من الاستفادة بنور العلم في إيضاح حقائق القُرآن»[٥] وقال في موضع آخر: «وإنّما نذهب المذهب الوسط الذي لا إفراط فيه ولا تفريط، لأنّهُ مادام القرآن كلام الله، والكون خلق الله، فلابدّ أنْ تنسجم آيات القرآن مع حقائق العلم».[٦]

١. أُنظر: في ظلال القرآن، ج ١، ص ٢٦١ ـ ٢٦٣
٢. مُقدمة الشيخ المراغي لكتاب الإسلام والطب الحديث نقلاً عن: التفسير والمفسرون، ج ٢، ٥١٩.   ٣. لقمان. ١٠
٤. الدروس الدينية، ص ٦١ ـ ٦٤ نقلاً عن: التفسير العلمي في الميزان، ٢٣١
٥. التفسير العلمي في الميزان، ص ١١٣ (ط ١٩٩١م ١٤١١هـ)، دار قُتيبة، بيروت
٦. المصدر السابق، ص ١١٨

٤. العلّامة الطباطبائي (ت ١٤٠٢هـ): وهو من الفلاسفة والمفسرين المعاصرين، وصاحب تفسير الميزان الشهير، قال في هذا المورد: وقد نشأ في هذهِ الأعصار مسلك جديد في التفسير، وذلك انَّ قوماً من مُنتحلي الإسلام في اثر توغّلهم في العلوم الطبيعية وما يُشابهها المُبتنية على الحسّ والتجربة...، مالوا إلى مذهب الحسّيين من فلاسفة اوربا سابقاً، أو إلى مذهب أصالة العمل (لا قيمة للإدراكات إلّا إذا ترتب عليها عمل...). فذكروا: أنّ المعارف الدينية لا يمكن أنْ تُخالف الطريق الذي تُصدِّقهُ...، ولابدّ من تأويل الآيات المخالفة لها، بل أنّهم طبّقوا القوانين الماديّة حتى على المعاد،وقالوا إنّ الروح ماديّة ولها خواص مادّية، وإن النبوّة نبوغ اجتماعيخاص تُبنىٰ قوانينه على الأفكار الصالحة، ثم ذكروا أنّهُ لا يمكن الاعتماد على الروايات؛ لاختلاطها، وأمّا الكتاب فلا يجوز ان يُبنىٰ في تفسيره على الطريق العقلي (وهو ما قام به المفسرون السابقون) الذي أبطلهُ العلم (حيث أن العلم أبطل المنهج العقلي) فلابدّ أنْ يُفسَّر القُرآن بالعلم فقط.

ثم قال: «إنما الكلام في أنّ ما أوردهُ على مسالك السلف من المُفسرين (ان ذلك تطبيقاً وليس بتفسير) وارد بعينه على طريقتهم في التفسير».[١] ومع هذا فقد استفاد العلّامة من نتائج العلوم التجريبية في تفسير بعض الآيات القرآنية كما جاء في ذيل الآية ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾.[٢]

قال: «والمُراد أنّ للماء دخلاً تامّاً في وجود ذوي الحياة... وقد اتّضح إرتباط الحياة بالماء بالأبحاث العلميّة الحديثة».[٣] وقال في تفسير الآية الشريفة ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَـٰهَا بِأَيْيدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾[٤]: المراد من التوسعة في الآية هي «توسعة خلق السماء كما تميل إليه الأبحاث الرياضيَّة اليوم».[٥] وسوف يتبين في البحوث الآتية أنّ موقف العلّامة من التفسير العلمي يختلف حسب انواعهِ فهو من القائلين بالتفصيل.

٥. آية الله مكارم الشيرازي: صاحب تفسير الأمثل، وهو من المعُتدلين في موقفه من التفسير العلمي، فقبل بعض أنواعه، واستفاد منهُ عدة مرات لإثبات الإعجاز

---

١. الميزان، ج ١، ص ٧ـ٨ بتلخيص
٢. الأنبياء، ٣٠
٣. الميزان، ج ١٤، ص ٢٧٩ (طبعة اسماعيليان)
٤. الذاريات، ٤٧
٥. الميزان، ج ١٨، ص ٣٨٢

العلمي،[١] ورفض الآخر واعتبره من أنواع التفسير بالرأي؛[٢] فقال في معرض حديثه عن التفسير العلمي: يُلاحظ أنَّ العلم قد دخل الميدان وفُسِّرَ به القرآن ونحنُ نؤكد هُنا بإنّ المقصود من العلوم هي العلوم القطعيّة وليست الفرضيات المُتغيِّرة بتغيّر الزمان، فانّهُ لا يمكن تطبيق القرآن الثابت على الفرضيات المُتغيِّرة فان زوجيّة النباتات الّتي اكتُشفت في القرن السابع عشر الميلادي، وحركة الأرض حول نفسها، هي حقائق علمية وليست فرضيّات تقبل التغيير.[٣]

٦. آية الله معرفة: قال: إنّ الشريعة ليست علوم طبيعيّة، والقرآن ليس كتاب علم، وقد بيّنت الإشارات العلمية بجانب المطالب الأصليّة (الحكمة، الهداية، التربيّة، الارشاد و...) بصورة إجماليّة يُدركها الراسخون في العلم؛ لأنّهُ ليس بصدد بيان هذهِ المواضيع، فهي تُشير إلى عظمة العلم الإلٰهي غير المتناهية، فهو يعتقد بإنّ العلوم القطعيّة ضرورية لفهم القرآن ولا يمكن الإحاطة بهذه الإشارات الموجودة في القرآن دون الاستفادة من نتائج هذهِ العلوم.[٤]

وبما أنّ العلوم غير قطعيّة والقرآن قطعيّ، فلابدّ أنْ نقوم بتطبيق العلوم على القرآن وليس العكس، يعني قد نفهم مطلباً من بعض الآيات في ضوء الكشوف العلميّة، ولكن لا نقول إنّ الآية تؤكد هذه المسألة بصورة قطعيّة، فإذا قطع الشخص بهذا الأمر فهو تحميل للقرآن وغير جائز شرعاً.[٥] فسماحتهُ إذن من القائلين بالتفصيل بين إسناد العلوم بصورة قطعيّة وبين النسبة الاحتمالية. وقد جاءت مباحث الإعجاز العلمي والتفسير العلمي في المُجلّد السادس من كتاب التمهيد.

٧. آية الله السُبحاني: يُعدّ من الأفراد المُعتدلين في تناوله التفسير العلمي إذ أنّه في تناوله لشروط المُفسِّر يقول: الاطلاع على الآراء العلميّة لهُ دور كبير في تفتّح ذهنية الإنسان، والحصول على فهم حيّ للقُرآن (من شرائط تفسير القرآن بالمعنى الواقعي).

---

١. تفسير نمونه (بالفارسية)، ج ١، ص ١٣١؛ ج ١١، ص ٤١٠؛ ج ١٢، ص ٢٧٥؛ ج ١٥، ص ٥٦٨
٢. الاستاذ مكارم الشيرازي، تفسير به رأى، ص ٦٩ـ٧٩
٣. مجلة پيام قرآن، العدد التجريبي، ص ٤٨ (منشورات دار القرآن الكريم، قم).
٤. التمهيد، ج ٦، ص ٣١ وما بعدها
٥. در آمدى بر تفسير علمى قرآن، ٣٤٠

فقد أحرز البشر اليوم خطوات كبيرة في مجالات علميّة مُتعددة كعلم طبقات الأرض، والكون، والحيوان، وكشف آفاق جديدة في علم الاجتماع وعلم النفس.

صحيح أنّهُ لا يمكن القول إنّ جميع هذهِ الآراء دقيقة، ولكن إدراك هذه العلوم سبب في قوة الفكر الفلسفي والعلمي للإنسان، وانفتاح ذهن المُفسِّر ويعطيه قُدرة كاملة للاستفادة من القُرآن، وهذا لا يعني أنّنا نُفسِّر القُرآن بمُساعدة الفلسفة اليونانية والإسلاميّة والعلوم الجديدة القابلة للخطأ ونُطبّقها على القرآن؛ لأنّ ذلك يؤدي إلى التفسير بالرأي الممنوع منهُ شرعاً وعقلاً.[1]

وقد اشار إلى كثير من المسائل العلميّة مثل: الجاذبيّة العامّة، كرويّة الأرض وحركتها، حركة الأجرام السماويّة، وزوجيّة النباتات في كتابه برهان رسالت لإثبات إعجاز القُرآن.[2] فهو وإنْ كان مُخالفاً لتطبيق العلوم على القرآن، ولكنّهُ يؤكّد على لزوم الاستفادة من الكشوف العلميّة في تفسير القرآن (فهو إذن من الموافقين على استخدام العلوم في فهم القرآن ظاهراً).

١. الاستاذ سبحانى، تفسير صحيح آيات مُشكله قرآن، تنظيم سيد هادي خسروشاهى، ص ٣١٥

٢. برهان رسالت، ص ٢٥٣ ـ ٢٨٣ (منشورات مكتبة الصدر، طهران، ١٣٩٨هـ)

٩
منهج التفسير العلمي للقرآن ٢

أدلة الموافقين والمخالفين للتفسير العلمي

هُناك آراء مُتباينة ورؤىٰ مُختلفة حول التفسير العلمي، فمنهم من قبله مُطلقاً وهُناك من رفضه مُطلقاً، وفريقٌ فصّل بين أنواعه فقبل البعض ورفض الآخر، وسبق أن أشرنا إلى بعض أدلّتهم، والآن نتناولها بشيء من التفصيل.

أ) أدلّة الموافقين

١. إنّ استخدام العلوم في تفسير القرآن يؤدّي إلى فهم أفضل لآياته، ويُبيِّن إشاراته العلمية، فعندما يتحدث القرآن عن منافع ومضار الخمر في الآية الكريمة ﴿قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَـٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾،[1] فإنّ الاكتشافات الطبيّة الحديثة توضّح مفهوم الآية والمراد من المنافع والمضار فيها، حتى أنّهُ يُشكل فهم بعض الآيات دون الرجوع إلى العلوم، فنحنُ بحاجة ماسّة إلى الاكتشافات الطبيّة في «علم الأجّنة» ـ مثلاً ـ لفهم وتفسير الآيتين (١٢ ـ ١٤) من سورة المؤمنون، وكذلك الآية الخامسة من سورة الحج، لمعرفة مراحل خِلق الإنسان مثلما نحن بحاجة إلى «علم اللُغة» لفهم ألفاظ القرآن.

ملاحظة: لابدّ من الحذر من تحميل النظريات العلمية على القرآن واستخراج العلوم منه، بل يجب استخدام العلوم التجريبيّة كوسيلة ومصدر في خدمة التفسير.

١. البقرة، ٢١٩

٢. يُساهم التفسير العلمي في إثبات إعجاز القرآن، فعندما يُبيِّن القرآن بعض المسائل العلميّة قبل أربعة عشر قرناً والتي لم تكن معروفة في ذلك الزمان ويعجز البشر عن الإتيان بمثل هذهِ المسائل ثم يتبين صحتها بواسطة العلوم التجريبية بعد مرور عدة قرون، فهذا يعني أن القرآن مُعجزة إلٰهية وليس كلاماً بشريّاً. فقد استُدل ببعض الآيات على الإعجاز العلمي للقرآن،[١] مثل: الزوجّية العامّة للموجودات والنباتات،[٢] قوّة الجاذبيّة،[٣] حركة الشمس،[٤] فلسفة حرمة شُرب الخمر،[٥] مراحل خلق الإنسان،[٦] تلقيح السحاب والنباتات [٧] و...

ملاحظة: لابدّ من تمييز الموارد الصحيحة من غيرها؛ لأنّ هُناك من يقوم بتحميل العلوم غير القطعية على القرآن.

٣. التفسير العلمي يؤدي إلى إقبال غير المسلمين على القرآن، وخصوصاً من فئة الشباب عندما تثبت الكشوف العلميّة حقانيّة الإشاراتالمذكورة في القرآن، وهذا ما اعترف به بعض المنصفين في الغرب. فقد اعترف العالم «موريس بوكاي» في كتابه التوراة والإنجيل والقرآن والعلم الحديث بصدق وإعجاز القرآن، ومُخالفة التوراة والإنجيل للكثير من المطالب العلميّة.[٨]

٤. اعتبر بعض الأفراد أنّ تقدم الفلسفة والعلوم التجريبية في الغرب دليل على بطلان منهج القدماء (المنهج العقلي الأرسطي)، ثم إنّه لا يمكن الاعتماد على الروايات في التفسير لاختلاطها بالإسرائيليات، ووجود الوضع وكثرة الكذب، فلم يبقَ إلّا التفسير العلمي، أي تفسير القرآن على ضوء النظريات والفرضيات العلمية.[٩]

٥. لابدّ من استخدام التفسير العلمي لرفع التعارض بين آيات القُرآن والكشوف

---

١. راجع: الكاتب، پژوهش در اعجاز علمى قرآن
٢. يس، ٣٦
٣. الرعد، ٢؛ لقمان، ١٠
٤. يس، ٣٨
٥. البقرة، ٢١٩
٦. الحج، ٥؛ المؤمنون، ١٢ـ١٤
٧. الحجر، ٢٢

8. The bible the quran and science. maurice bucaille.

تُرجم هذا الكتاب عدّة مرّات بالفارسية والعربية فقد ترجمهُ بالفارسية الاستاذ حسن حبيبى بعنوان عهدين، قرآن وعلم (منشورات سلمان، ١٣٥٧هـ.ش)، وكذلك المهندس ذبيح الله دبير؛ باسم مُقايسهاى ميان تورات، انجيل، قرآن و علم (منشورات الثقافة الإسلامية، ١٣٦٥هـ.ش) أمّا إلى العربية فقد ترجم مرّتين مرّة باسم التوراة والانجيل والقرآن والعلم الحديث والثانية بإسم دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة.

٩. راجع: الميزان، ج ١، ص ٧

العلميّة؛ فمثلاً كانت نظريّة بطليموس الّتي تقول بالافلاك التسعة تعارض آيات القرآن في وجود سبع سماوات، فلابدّ من تأويل العرش والكرسيّ بعنوان الفلك الثامن والتاسع لكي يرتفع التعارض بين ظاهر الآيات والعلم في ذلك الزمن.[١]

٦. قال بعض الكتّاب المصريين: كان الإعجاز القرآني في ذلك الزمان هو الإعجاز الأدبي، من خلال الألفاظ والجُمل البليغة وغيرها، والمُستخدمة في زمنهم، وقد تحدّاهم بأن يأتوا القرآن بسورة واحدة، ومع مرور أربعة عشر قرناً لم يستطع أي شخص أن يأتي بسورة من مثله. أمّا بالنسبة إلى الأقوام الآخرين فلا يثبت هذا النوع من الإعجاز في حقّهم؛ لأنهم لا يُدركونه فلابدّ من تفسير القرآن تفسيراً علمياً؛ لإنّ الإعجاز العلمي يؤدّي إلى إقناع غير المسلمين وجذبهم إلى الإسلام.[٢]

٧. ادّعىٰ بعض العلماء إشتمال القرآن على جميع العلوم واستدلّوا بالآية: ﴿نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ تِبْيَـٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾،[٣] لإثبات وجود هذهِ العلوم كعلم الطب، والهندسة، والهيئة و...

مُناقشة أدلّة القائلين بالتفسير العلمي

١. الدليل الرابع غير تام؛ لأن بطلان المنهج العقلي عن طريق فلسفة الغرب قابل للمُناقشة، ولا يقبلهُ الكثيرون ولو في بعض فروع المعرفة البشرية؛ لأنّهُ حتى المسائل العلمية الّتي أحرزت تقدّماً كبيراً نتيجةً لاستخدام المنهج التجريبي كالفيزياء والكيمياء، تكون بحاجة إلى الاستدلال العقلي[٤] لتعميم قوانينها العلمية الّتي نَتَجّتْ عن طريق الاستقراء الناقص. أمّا التجربة فلها دور ثانوي، وكذلك لا يمكن قبول قَولِهم بالنسبة إلى الروايات مُطلقاً لأنّ الروايات على عدة أقسام:

ألف) خبر الواحد الضعيف.

ب) خبر الواحد الصحيح.

جـ) خبر الواحد المقترن بقرينة تورث اليقين أو الاطمئنان.

---

١. ذكرنا هذا التفسير لابن سينا والمجلسي في البحوث السابقة.

٢. القرآن والعلم الحديث، ص٢٦، عبد الرزاق نوفل (طبعة دار الكتاب العربي، ١٩٧٣م) (بتصرف).

٣. النحل، ٨٩

٤. أُنظر: الكاتب، در آمدى بر تفسير علمى، ص ١٨٥ ـ ٢٠٠؛ الأُسس المنطقية للاستقراء، ١٣٥، ٣٨٣ ـ ٤٠٠؛ المظفر، المنطق، ص ٢٦٤

د) الخبر المتواتر الموجب للاطمئنان.

ونحنُ نستفيد من القسمين الأخيرين في مجال التفسير، أمّا الأخبار الضعيفة والموضوعة فليس لها أيّ دور في التفسير.[١]

٢. أمّا بالنسبة إلى الدليل الخامس فنقول إنّهُ لا يوجد أصلاً تعارض بين القرآن والعلوم القطعيّة،[٢] ولا يمكن رفع اليد عن الدليل القطعي في القرآن إذا كانت العلوم ظنّية.

٣. أمّا بالنسبة إلى الإشكال السادس فإنّه يصدق في بعض الموارد؛ لأن كثيراً من غير العرب يمتلكون ثقافة أدبيّة كبيرة ويمكن أن يُدركوا الإعجاز الأدبي للقرآن بتعلم آداب اللغة العربية.

٤. والدليل السابع غير تام أيضاً؛ لأنّ هُناك قرينة لبيَّة في المراد من الآية ﴿تِبْيَـٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾[٣] فيكون المراد من كلمة تبيان هو:

أوّلاً: تبيان كُل شيء يَصبّ في الهدف الأصلي للقرآن وهو الهداية. فإذا ألّف طبيب من الأطباء كتاباً وقال إنّهُ يتضمن كل شيء، فهو لا يقصد بالطبع أنّهُ يشمل جميع العلوم من الفيزياء وغيرها، وإنما يقصد أنّهُ يتضمن جميع المسائل الّتي تتعلق بعلم الطب، وكذلك هُنا فليس من هدف القرآن بيان المسائل الطبيّة، والفيزيائية، و... حتى يشمل جميع المعادلات والمسائل الجزئية للعلوم، بل تبيان كل شيء متعلق بهداية البشر،[٤] وحتى الإشارات العلميَّة فإنها تصب في نفس الهدف الأصلي للقرآن.

ثانياً: ظهور هذهِ الآية والآيات الأُخرى تكذّب هذا الفهم، فنحن نعلم بالبداهة إنّ جميع العلوم والمعادلات لا توجد في القرآن، ولهذا فقد أنكر بعض المفسرين هذا الظهور،[٥][٦] الذي يوهم بوجود جميع العلوم.

١. تعرضنا إلى الآراء حول دور الخبر الصحيح في التفسير في مبحث التفسير الروائي.

٢. أنظر: الكاتب، در آمدى بر تفسير علمى، بحث التفسير العلمي والتعارض بين العلم والدين، ٣٩١ـ٤١٢.

٣. النحل، ٨٩

٤. الأُمور المتعلقة بهداية البشر غالباً ما تأتي بصورة كليّة وتتعهد السنّة ببيان الجزئيات.

٥. راجع: المنار، ج ٧، ص ٣٩٥؛ الطنطاوي، الجواهر، ج ٨، ص ١٣٠؛ الميزان، ج ١٤، ص ٣٢٥؛ نمونه، ج ١١، ص ٣٨١.

٦. جاء بحث هذهِ الآية والآيات المشابهة (الأنعام، ٣٨، ٥٩) والروايات المُتعلقة بها في كتاب

٥. يعتبر الدليل الأوّل والثاني من أقوى الأدلّة لإثبات ضرورة التفسير العلمي، ولكن ليس بمعنى الاستغناء عن باقي المناهج، فكما نستخدم القرائن العقلية والنقلية في التفسير فكذلك يمكن الاستفادة من القرائن العلمية.

٦. الدليل الثالث لا يمكن اعتباره دليلاً مستقلاً؛ لأنّهُ نتيجة الأوّل والثاني.

ب) أدلّة المخالفين

استند القائلون بعدم ضرورة التفسير العلمي وعدم جدواه بالأدلّة التالية:

١. القرآن لم ينزل من أجل بيان مسائل العلوم، بل هو مُختص بالأحكام والمسائل التعبديّة، والآيات ظاهرة في ذلك، فالآيات: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ تِبْيَـٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾،[١] و ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَـٰبِ مِن شَىْءٍ﴾[٢] المقصود منهما هو المسائل التعبدية، ومعنى الكتاب في الآية الثانية هو اللوح المحفوظ.[٣]

٢. يعتبر وجود جميع العلوم في القرآن من المسائل المهمة. ولابدّ من الإشارة إليها من قبل الصحابة والتابعين إنْ صحّت، وبما أنّهم لَمْ يدّعوا ذلك فيثبت بطلان هذهِ المسألة.[٤]

٣. من أهم الأدلّة في رد التفسير العلمي، هو أنّ العلوم التجريبية غير قطعية والنظريات غير ثابتة؛ فليس من الصحيح تفسير القرآن بها؛ لأنّها في تغيّر مُستمر، وهو ما يؤدّي إلى شك الناس بالقرآن. فعندما قام بعض المفسرين بتطبيق القرآن على «الأفلاك التسعة» في الهيئة البطليموسية القديمة ثم تبيَّن خطؤها بعد مدة من الزمن، ظنّ بعضهم أنّ القرآن يتعارض مع النظريات الفلكية الجديدة (الكوبرنيكيّة)، وهو ما حدث في الغرب في العصور الوسطى عندما وقع الخصام بين علماء الطبيعة والقساوسة في مسألة التعارض بين العلم والدين، وأدّىٰ إلى نشوء المدارس الإلحاديّة، فيجب عدم تكرار هذه التجربة، لأنها تؤدي إلى نفس النتائج.[٥]

← درآمدی بر تفسير علمی قرآن، ص ١٦١ ـ ١٧٨ وبصورة مُفصلة.

١. النحل، ٨٩ ٢. الانعام، ٣٨

٣. ذكر الشاطبي والذهبي هذا الدليل أنظر: الموافقات: ج ٢، ص ٦٩ ـ ٧٦؛ الذهبي، التفسير والمفسرون، ج ٢، ص ٤٨٩. ٤. المصدر السابق، ٤٨٨

٥. راجع: الذهبي، التفسير والمفسرون، ج ٢، ص ٤٩١ ـ ٤٩٤.

٤. يؤدّي التفسير العلمي في بعض الموارد إلى التفسير بالرأي المنهي عنهُ بالروايات وذلك بسبب:

أ) فقدان التخصّص الكافي للاشخاص الذين يتصدون للتفسير، وعدم وجود الشرائط الّتي لابد من توفرها في المفسّر.

ب) يسعىٰ بعض الأشخاص وبالاستفادة من آيات القرآن إلىٰ ترويج نظرياتهم الخاصة، والّتي ربّما تكون إلحادية، وهذا ما يُعتبر أحد مصاديق التفسير بالرأي. فهناك من قام بتأويل آيات القرآن وتطبيق الحقائق الغيبية القرآنية على الأُمور الماديّة، فيقولون مثلاً إنّ المراد بالملائكة في القرآن هو المكروبات الّتي كشف عنها العلم مؤخراً،[1] وفي موضع آخر قاموا بتطبيق الآيات الّتي تتحدث عن قابيل وهابيل على المجتمع الشيوعي والإقطاعي حتى تتماشىٰ مع آرائهم في النظرية الماركسية.[2]

٥. يؤدي هذا النوع من التفسير إلى النزعة المادية (أصالة المادة ونفي وجود الله)؛ لإنّ بعض المجموعات المنحرفة وبالاستفادة من هذا التفسير تقوم بتسويق أفكارها الانحرافيّة، وجذب بعض الشباب البسطاء إلى الإلحاد، فالتفسير العلمي جِسرٌ بين الكفر والإسلام.

٦. من نتائج هذا التفسير، التأويل الفاسد؛ لأنَّ أصحابه يتجاوزون ظواهر الألفاظ ويأوّلون الآيات بما يتناسب مع آرائهم ونظرياتهم حتى يمكنهم نسبة هذهِ النظريات والآراء إلى القرآن.[3] ومن التأويلات الطريفة في هذا الشأن هو قيام بعض المؤلفين بوضع كتاب حول نظرية التطور للعالم الطبيعي «داروين»[4] فذكر جميع الآيات الّتي تؤيد هذهِ النظرية، وأوّلَ جميع الآيات الّتي تخالفها، ومن جانب آخر قام بعض

---

١. دروس سنن الكائنات، ص ٤٥١ نقلاًعن: أحمد عمر أبوحجر، التفسيرالعلمي في الميزان، ص ٢٢٨.

٢. مكارم الشيرازي، تفسير به رأى، ص ٧٨

٣. تعتبر هذهِ التأويلات غير جائزة وتحميلاً على القرآن ونوعاً من التفسير بالرأي.

٤. تشارلز داروين (١٨٠٩ـ١٨٨٢م) عالم الطبيعة الانجليزي، درس الطب والعلوم وشغف بالتاريخ الطبيعي. وضع نظريتهُ المعروفة في التطور والتي عُرفت باسم «الدارونية» والّتي نشرها في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي في كتابيه أصل الأنواع ـ ١٨٥٩م وأصل الإنسان ١٨٧١م) وقد ظلّت هذهِ النظرية موضع نقد وتحوير وإضافة وحذف مع كل تقدم علمي. (الموسوعة العربية الميسرة، ص ٥٢٩ ـ ٧٧٤) «المترجم».

الرافضين لهذه النظرية بعكس هذا العمل، فذكر جميع الآيات المخالفة، وأوَّلَ الآيات المؤيّدة لنظرية التطور.[١] وقد ذكرنا نماذج من هذهِ التأويلات في البحوث السابقة مثل العرش والكرسيّ، وتطبيقه على الفلَكَ الثامن والتاسع، وتأويل قصة إبراهيم التي قيل أنّ المراد منها هو حياة وموت المجتمع.[٢] ولعلَّ مقصود العلّامة الطباطبائي من إطلاق كلمة «التطبيق» على التفسير هو هذا النوع من التحميل والتأويل لآيات القرآن.[٣]

٧. لا توجد ضابطة خاصّة للتفسير العلمي، لأنّهُ أمر ذوقيّ؛ فكلّ شخص يستطيع أنْ يُفسِّر القرآن طبْقاً لذوقه.

٨. إنّ استخدام التفسير العلمي، وذكر مسائل علمية كثيرة خلال هذا التفسير يؤدّيان إلى ضياع الهدف الأصلي للقرآن وهو التزكية والهداية، كما حدث في تفسير الطنطاوي، وبعبارة أُخرى إنّ التفسير العلمي يؤدي إلى سوء الظن بالقرآن ووظيفته، ويُظَنّ أنّهُ جاء لبيان المسائل العلميّة.[٤]

٩. القرآن كتاب هداية ونور وبيان، واستخدام التفسير العلمي يعني الاحتياج إلى الغير في تفسيره. فبدّلاً من أن يكون نوراً وهدايةً فإنّهُ سوف يكون تابعاً إلى الآخر في الهداية والبيان وهذا الآخر الذي هو محل الاختلاف، لا يمكن ان يكون ملجأً ووسيلة للنجاة عند الاختلاف؛ ولهذا فلا يمكن ان يكون مصدر هداية.

١٠. التفسير العلمي يؤدّي إلى أنْ تصبح الحقائق القرآنية مجازاً، وهذا يعني ضياع معانيه الاصليَّة (عدم تفسير القرآن على أساس لُغة العرب)؛ وعندئذ لا يمكن أنْ يكون هذا «التفسير صحيحاً. قال الدكتور الذهبي في هذا الشأن: التفسير العلمي ليس معقولاً من الناحية اللغويّة، وذلك أن الألفاظ اللغوية لم تقف عند معنىً واحد من لدن استعمالها إلىٰ اليوم، بل تدرجت حياة الألفاظ وتدرجت دلالاتها، فكان لكثير من الألفاظ دلالات مختلفة، فهل يُعقل ان نتوسع في فهم الفاظ القرآن وجعلها تدلُ على معانٍ جدت باصطلاح حادث. ولم تعرف للعرب الذي نزل القرآن عليهم؟ وهل يعقل أنّ

١. للاطلاع أكثر راجع: مسيح مهاجري، نظرية تكامل از ديدگاه قرآن؛ الأستاذ مشكيني، تكامل در قرآن ؛ الدكتور يدالله سحابي، خلقت انسان در بيان قرآن.
٢. راجع نظريات ابن سينا، والمجلسي ورشيد رضا في بحث الآراء حول التفسير العلمي.
٣. الميزان، ج ١، ص ٦
٤. في ظلال القرآن، ج ١، ص ٢٦١ ـ ٢٦٣ (بتصرف)

الله تعالى إنّما أراد بهذهِ الألفاظ القرآنية هذهِ المعاني الّتي حدثت بعد نزول القرآن بأجيال... إنّ هذا الأمر لا يعقلهُ إلّا من سفّه نفسه وأنكر عقلهُ.[١]

١١. إنّ الاعتقاد بالتفسير العلمي يؤدّي إلى إنكار بلاغة القرآن؛ لأنّ البلاغة هي مُطابقة الكلام لمُقتضى الحال. فإذا قلنا بالتفسير العلمي فهذا يعني أنّ الله يُخاطب أقواماً بكلام لا يفهمونهُ، ويجهلون معناه، ولم يُراعِ حال المخاطَب ومستواه الفكري، وهو إنكار لبلاغة القرآن.[٢]

١٢. هُناك طرق كثيرة لإثبات إعجاز القرآن؛ فلابدّ من صرف النظر عن هذهِ الطريقة مع كل تلك النتائج السلبيّة.[٣]

١٣. إنّ التفسير العلمي يتنافى مع الإعجاز القرآني وتحدّيه للعرب؛ لأنّ المُخاطبين بالقرآن هم العرب، حيث أنّ أكثرهم لا يقرأون ولا يكتبون، فإذا قلنا إنّ القرآن جاء لبيان المسائل العلمية، فإنّ من المسلّم به أنّ المخاطبين يعجزون عن الإتيان بمثل هذه المسائل لجهلهم بها، وهذا ما يبطل التحدّي، لأنّهم لو كانوا يملكون وسائل التقدم العلمي فقد يأتون بمثلالقرآن. فأصحاب هذا الرأي أرادوا أنْ يثبتوا إعجاز القرآن ولم يشعروا بأن عملهم هذا يؤدي إلى إبطال تحدّيه.

مُناقشة أدلّة المُخالفين للتفسير العلمي

١. بالنسبة إلى الدليل الأول نقول: إنّهُ لا توجد منافاة بين أن يكون القرآن جاء لبيان مسائل الأحكام والأُمور الأُخروية وكونه يحتوي على بعض المطالب العلمية الّتي اكتشفها العلم مؤخراً بل إنّ ذلك دليل عظمة القرآن.

نعم، ليس الهدف الأصلي للقرآن هو بيان العلوم وذكر المعادلات الفيزيائية والكيميائية وأمثال ذلك، ولكن يمكن أنْ يُقال أنّ القرآن يتضمن إشارات علمية استفاد منها في طول الأهداف التربوية، وثانياً إذا جاء القرآن لبيان أحكام الآخرة فقط فما هي فائدة ذكر الأمثلة العلمية؟ ألا تعتبر جزءاً من القرآن؟ وهل تحتاج إلى تفسير؟

أمّا بالنسبة إلى رأي الشاطبي في عدم صحة استخراج كل العلوم من القرآن (قسم

١. التفسير والمفسرون، ج ٢، ص ٤٩١ ـ ٤٩٤ «بتصرف» ٢. المصدر السابق
٣. المصدر السابق

خاص من التفسير العلمي) فإنّهُ يُعتبر رأياً صحيحاً ونحنُ نوافقه عليه.

٢. الدليل الثالث الذي يؤكد على وجود جميع العلوم في القرآن ويمكن استخراجها منهُ مردود، وينظر إلى قسم خاص من أقسام التفسير العلمي (استخراج العلوم من القرآن).

٣. الدليل الثالث يصدق في بعض الموارد، وذلك إذا قمنا بتفسير القرآن طبقاً للنظريات العلمية غير الثابتة؛ لأنّهُ يؤدّي إلى التعارض بين الدين والعلم، وبالتالي تزلزل عقائد الناس. أمّا إذا فسّرنا القرآن استناداً إلى حقائق العلوم فسوف يرتفع هذا الإشكال.

٤. الدليل الرابع والخامس يصدق بصورة جزئية أيضاً فيما إذا تورط بعض الأفراد في التفسير بالرأي بسوء أو بحسن نية، أو عندما يُسيء احد الاشخاص استخدام هذهِ الطريقة في التفسير، ولكن التفسير العلمي ليس هكذا دائماً، فإذا ما تحققت الشرائط في احد المفسرين وقام بتفسير ظاهر الآية الموافق مع المطلب العلمي القطعي طبقاً للضوابط فان ذلك يُساهم في توضيح مفهوم الآية، ولا يكون تفسيراً بالرأي. وبعبارة أُخرىٰ ان هذا الإشكال يرجع إلى المفُسِّر وليس إلىٰ المنهج التفسيري، أي انّهُ من الممكن ان يُبتلىٰ بالتفسير بالرأي أصحاب المنهج الروائي أو تفسير القرآن بالقرآن ولكن هذا الأمر يثبت خطأ المفسِّر لا إدانة المنهج التفسيري.

٥. الدليل السادس يصدق بصورة جزئية كذلك فيما إذا قام بعض الأفراد بتأويل آيات القرآن بدون قرينة عقلية، أو نقلية، لترويج أفكارهم وتحميلها على القرآن. ولكن التفسير العلمي لا يؤدّي إلى التأويل الفاسد في كل الأحوال، فإنّ استخدام القرائن العلمية القطعية لا إشكال فيه فحسب، بل إنّهُ يؤدّي إلى فهم القرآن فهماً صحيحاً، كما يكون التأويل صحيحاً باستخدام القرينة القطعيّة.[1]

٦. الدليل السابع ليس صحيحاً أيضاً؛ لأنّ التفسير العلمي ليس أمراً ذوقياً، بل لهُ معايير وضوابط لابدّ من توفرها لكي يكون مقبولاً، وإنّ الإقدام على التفسير بعد توفر الشرائط. هو أحد طرق التفسير الّتي يمكن أن تُبيِّن وتوضّح معاني ومقاصد القرآن.

٧. أمّا بالنسبة إلى الدليل الثامن المتعلّق بإفراط البعض في استخدام العلوم في

---

١. لمعرفة معاني التأويل وجوازه وعدم جوازه، أُنظر: آية الله معرفة، التفسير والمفسرون؛ الكاتب، در آمدى بر تفسير علمى قرآن، مبحث التأويل.

التفسير وغفلتهم عن أهداف الهداية والتربية (الطنطاوي مثلاً)، نقول: إنّ هذا يرجع إلى المُفسِّر أيضاً، ولا ينسحب إلى منهج التفسير، إذ من الممكن بجانب تبيين هذهِ الأهداف ذكرُ بعض المسائل والمطالب العلمية بصورة معتدلة.

٨. الدليل التاسع ليس كافياً في ردّ هذا التفسير؛ لأنّهُ لا يوجد تنافٍ بين أن يكون القرآن نوراً وبياناً وهداية وبين الاستعانة ببعض المسائل العلمية المختلفة كالنحو، والصرف، والأُصول ونتائج العلوم التجريبية. فحقيقة القرآن أنّهُ في نفسه واضح، ونور، وبيان، ولكن يمكن الاستعانة بالعلوم المختلفة لتكميل فهمنا للقرآن وسد نقصنا فيه. وعلىٰ هذا فنحن نستعين بالعلوم لفهم القرآن، والقرآن لا يحتاج إلى شيء.

٩. الدليل العاشر يصدق على بعض أنواع التفسير كاستخراج العلوم من القرآن، وتطبيق العلوم على القرآن، كما صنع عبد الرزاق نوفل في تفسير النفس الواحدة بالبروتون، وأخرج الآية عن معناها الظاهري واللغوي، وهذا الشيء لا يصدق على استخدام العلوم في فهم القرآن؛ أي عندما نقول إنّ معنى العَمَد في الآية: ﴿رَفَعَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾[1] هو المعنى الظاهر، وإنّ قوة الجاذبية أحد مصاديقها، وكذلك تفسير معنى «الزوجيّة» بالكشوف العلمية الجديدة، والابتعاد عن اعتبارها مجازاً، فلاشك أنّهُ لا إشكال في ذلك.

١٠. أمّا بالنسبة إلى الدليل الحادي عشر فيمكن القول بان القرآن لم ينزل لجيل خاص، بل إنّ كشف معانٍ ومصاديق جديدة للقرآن بمرور الزمن يكون دليلاً على عظمة القرآن وبلاغته؛ حيث أنّ كل شخص وكل جيل يأخذ من القرآن بمقدار علمه وفهمه، ولكن يجب فهم ألفاظ القرآن على أساس لُغة العرب، إضافة إلى ذلك فإنّ العرب في صدر الإسلام لم يكونوا يفهمون جميع آيات القرآن ومعانيه السامية، ألَمْ يأتِ في الخبر أنّ أُناساً في آخر الزمان سوف يختصّون بفهم الآيات الأُولىٰ من سورة الحديد وسورة التوحيد؟ ألَمْ يكن الصحابة يسألون الرسول ﷺ وابن عباس عن تفسير بعض الألفاظ والآيات القرآنية؟

١١. بالنسبة إلى الدليل الثاني عشر نقول إنّهُ لا يوجد مانع من استحداث طريق

---

١. الرعد، ٢

آخر لإثبات إعجاز القرآن بالإضافة إلى الطرق الأُخرى، ولا يوجد إشكال في ظهور أبعاد أُخرى للإعجاز مع تقدم العلم والمعرفة.

١٢. أمّا بالنسبة إلى الدليل الأخير، فإنّه أشبه ما يكون بالمغالطة؛ لأنّ الإعجاز العلمي مازال موجوداً حتى هذه الساعة، حيث وصل الإنسان إلى أقصى التطور العلمي، ومع ذلك لم يستطع أيّ شخص أن يأتي بمثل القرآن. وثانياً إنّ جهل الناس بالعلوم القطعية لا يبطل الإعجاز العلمي، بل يكون دليلاً على إعجاز القرآن؛ لأنّ النبيﷺ جاء بمثل هذهِ العلوم الّتي يجهلها حتى العلماء في العصر الحاضر، وأنّهُ كلما تقدم العلم تتضح هذهِ المسائل العلمية في القرآن أكثر من ذي قبل.

النتيجة

يتبين ممّا تقدم أنّ جميع الأدلّة في ردّ التفسير العلمي ترجع أمّا إلى رفض نوع خاص من أنواع التفسير مثل استخراج العلوم وتطبيقها على القرآن، أو من خلال سوء استفادة البعض من هذا المنهج في سبيل ترويج أفكارهم الخاصّة، والوقوع في التفسير بالرأي الذي وردت الروايات في المنع عنه، وهذا الإشكال يمكن أنْ يرجع إلى جميع المناهج التفسيرية وليس إلى التفسير العلمي فقط.

ج) أدلّة القائلين بالتفصيل

يرىٰ كثير من مُفسّري السُّنة والشيعة (وخصوصاً المتأخرين منهم) التفصيلَ في موارد التفسير العلمي؛ لأنّ لهُ أقساماً وأنواعاً مُختلفة بعضها صحيح ومُعتبر، والآخر غير صحيح وغير مُعتبر، ونحن نسعىٰ هُنا إلى إدغام هذهِ الآراء مع أدلّتها وإيجاد التناسق فيما بينها:

١. التفصيل بين التطبيق وغيره

رفض بعض المفسرين طريقة التطبيق والّتي تعني إنتخاب الآيات الّتي توافق رأي المُفسر وتأويل الآيات المُخالفة، وهو ما يؤدّي إلى التفسير بالرأي. وأمّا إذا كان ظاهر الآية موافقاً للمسلمات العلمية فلا إشكال في ذلك، ويمكن نسبة هذا الرأي للسيد الطباطبائي، [١] والأستاذ مصباح اليزدي [٢] والأستاذ السُبحاني.[٣]

---

١. راجع: الميزان، ج ١، ص ٧ـ٨ ٢. آية الله مصباح، راجع معارف القرآن، ص ٢٢٩
٣. آية الله السبحاني، تفسير صحيح آيات مشكل قرآن، تنظيم سيد هادي الخسروشاهي، ص ٣١٥

٢. التفصيل بين استخدام العلوم القطعيّة وغير القطعيّة

في هذه الرؤية يمكن الاستفادة من العلوم القطعية إذا كانت موافقة لظاهر الآية. أمّا إذا كانت العلوم غير قطعية كالنظريات غير الثابتة، والّتي يمكن ان تتغير بمرور الزمن فلابدّ من الابتعاد عنها في التفسير، لأنها تؤدّي إلى تشكيك الناس بالقرآن، ونستطيع أن نعتبر الأستاذ آية الله مكارم الشيرازي من أصحاب هذا الرأي؛ فقد استخدم هذا الرأي عدّة مرّات في تفسير نمونه[1] ووصىٰ به [2] في كتاب قرآن و آخرين پيامبر فقال: توجد هنا آراء مُختلفة؛ فقد أفرط بعضهم في تطبيق النظريات العلمية على القرآن وكانوا يظنّون أنّهم يُقدّمون خدمة كبيرة للقرآن، فإنّ تطبيق النظرياتالعلمية غير الثابتة على القرآن اشتباه كبير، لا يؤدّي خدمة لا إلى القرآن ولا إلى العلم، فـإذا قـمنا بـتطبيق نـظرية «بلاس» في نشوء المنظومة الشمسيّة على القرآن فان هذا يعتبر أمراً خـاطئاً؛ فـماذا نفعل إذا جاء يوم تبيَّن فيه خطأ هذهِ النظرية (كما حدث مع الكثير مـن الفـرضيات العلمية). وهناك من سلك طريق التفريط والتعصّب والجمود، فكان يعتقد بأنّهُ لا يحق لنا تطبيق النظريات العلمية مهما كانت قطعية ومسلّمة، فأيُّ إشكال يرد على تـطبيق العلوم القطعية على القـرآن كـدوران الأرض حـول نـفسها، أو دوران الأرض حـول الشمس، وكذا الزوجية والتلقيح في عالم النباتات وأمـثالها و... خـصوصاً إذا كـانت الآيات صريحة في هذا الأمر، وهو ما يدلّ على عظمة هذا الكتاب الإلهي، ومن هنا تتبيّن حدود ومقدار التطبيق الجائز وغير الجائز»[3] ويُعتبر آيـة الله لطـف الله الصـافي الگلپايگاني من أصحاب هذا الرأي كما جاء في كتابه بسوى آفريدگار.[4]

٣. التفصيل بين النسبة الاحتمالية والقطعيّة

يقول أصحاب هذا الرأي إنّ العلوم التجريبيّة لا يمكن أنْ تكون قطعية؛ لأنّها استُنتِجت بالاستقراء الناقص، وحيثُ أنّهُ ثبت في فلسفة العلم أنّ القطع في العلوم التـجريبية لا

١. تفسير نمونه، ج ١، ص ١٣١؛ ج ١١، ص ٤١٠؛ ج ١٢، ص ٢٧٥ و...
٢. قرآن و آخرين پيامبر، ص ١٤٧ فما بعد
٣. المصدر السابق، ص ١٤٧ وما بعدها
٤. لطف الله الصافي، بسوى آفريدگار، ص ٨٥

يمكن أنْ يورث اليقين بالمعنى الأخص (الاطمئنان المطابق للواقع)، ولكنها تورث القطع الذاتي، ولذلك فلا يحقّ لنانسبة هذهِ العلوم إلى الحقائق القطعيّة للقرآن ونقول بإن القرآن يؤكد هذا الأمر حتماً، لأنّهُ من التفسير بالرأي، ولكن يمكن نسبة هذا المطلب إلى القرآن بصورة احتمالية، فإذا ما نسب أحدُ الأشخاص شيئاً ما إلى القرآن بصورة قطعيّة فهو يُعتبر نوعاً من التحميل غير الجائز؛ لأنَّهُ تطبيق وتفسير بالرأي؛ فلابدّ إذن من عرض العلوم على القرآن وليس العكس. ويمكن اعتبار آية الله الأستاذ محمد هادي معرفة من أصحاب هذا الرأي. ولبيان هذا الأمر بصورة أكثر وضوحاً نقول: لقد توصّلنا بعد دراسة مباني قوانين العلوم التجريبيّة أنّها قابلة للإبطال فقط ولا يمكن أنْ تورث اليقين بالمعنىٰ الأخص (الاطمئنان المُطابق للواقع) في حين أنّ الوحي في نظر المؤمنين هو المُبيِّن لحقائق العالم وهو مُنزّه عن كل اشتباه وخطأ

٤. التفصيل بين تحميل النظريات على القرآن واستخدام العلوم في فهم القرآن

ذكر سيد قطب (١٩٠٦ ـ ١٩٦٦م) هذا الرأي وقال: لأنّ المسائل العلمية غير مُطلقة، وهي في معرض التغيير، فلا يمكن نسبتها إلىالحقائق القرآنية المُطلقة، ولكن يمكن الاستفادة من النظريات والحقائق العلمية من أجل فهم مداليل القرآن،[1] وقد ذكر أمثلة لكلا النوعين من التفسير.

٥. التفصيل بين التفسير الإفراطي وغير الإفراطي

قسّم الأستاذ رفيعي التفسير العلمي إلى ثلاثة أقسام: استخدام العلوم في فهم القرآن.

تحميل المطالب العلمية على القرآن.

استخراج العلوم من القرآن.[2]

ثم ذكر تقسيماً آخر وهو التفسير الإفراطي والتفسير المعتدل، وضَربَ أمثلة لكل نوع منها.[3]

١. سيد قطب، في ظلال القرآن، ج ١، ص ٢٦٠ وما بعدها، بتلخيص وتصرف
٢. هذا ما اخترناه في كتاب در آمدى بر تفسير علمى قرآن وسوف نتعرض لها فيما بعد بصورة مُفصّلة.
٣. تفسير علمى قرآن، ج ١، ص ١٤٥ـ١٤٦

المُناقشة

أعتقدُ أنّهُ لا يمكن الاستغناء عن أيّ نوع من الأنواع المذكورة، فكلّ من الأقسام المذكورة مكمّلة للأخرىٰ وعدم الانتباه إلى هذا الأمر يؤدي إلى الوقوع في التفسير بالرأي.

أقسام التفسير العلمي من جهة الشكل والطريقة

ينقسم التفسير العلمي إلى اقسام وفروع مختلفة بعضها يُعتبر من أنواع التفسير بالرأي وبعضها الآخر يُعد من التفسير المُعتبر، ولذلك اختلف العلماء حول التفسير العلمي تبعاً لأنواعه، فاعتبره أصحاب الرأي الأوّل من التأويل الفاسد، وقَبِله الآخرون واعتبروه أحد الطرق لإثبات حقانيّة القرآن، وسوف نتعرّض هنا إلى هذهِ الأقسام الفرعية بصوره مُفصّلة:

أ) استخراج كل العلوم من القرآن

سعى بعض القدماء من أصحاب هذا الرأي (مثل ابن أبي الفضل المرسي، والغزالي و...) إلى استخراج جميع العلوم من القرآن؛ لأنهم يعتقدون بان القرآن مشتمل علىٰ جميع العلوم، فهم يذكرون الآيات الّتي توافق ـ ظاهراً ـ القوانين العلمية، ويأوّلون الآيات الّتي لا تتوافق معها؛ ولهذا حاولوا استخراج علم الهندسة، والحساب، والطب، والهيئة،والجبر والمُقابلة... من القرآن؛ فمثلاً قالوا إنّ الآية: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾[1] تشير إلى علم الطب،[2] وإنّ الحروف المقطّعة في القرآن يمكن الاستفادة منها في استخراج علم الجبر،[3] وتنبأوا [4] بحدوث الزلزال في سنة ٧٠٢هـ استناداً إلى الآية ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾، ومن الواضح أنّ هذا النوع من التفسير يؤدي إلى التأويل الفاسد، وذلك بالابتعاد عن ظواهر القرآن ومعانيه اللغوية، ولهذا السبب اعتبره كثير من المُخالفين للتفسير العلمي لوناً من ألوان المجاز والتأويل غير الصحيح.[5] وقد ناقشنا هذا الرأي سابقاً وقلنا إنّ هذا الكلام يفتقد إلى المباني الصحيحة وإنّ الحق مع المُخالفين.

١. الشعراء، ٨٠ ٢. أبو حامد الغزالي، جواهر القرآن، الفصل الخامس، ص ٢٧
٣. التفسير والمفسرون، ج ٢، ص ٤٨١، نقلاً عن ابن أبي الفضل المرسي.
٤. البرهان في علوم القرآن، ج ٢، ص ١٨١ ـ ١٨٢
٥. راجع: التفسير والمفسرون، ج ٢، ص ٤٥٤ ـ ٤٩٥

ب) تطبيق النظريات العلمية على القرآن

انتشر هذا النوع من التفسير في القرن الأخير فقد حاول أصحاب هذا الرأي أنْ يُطبِّقوا الآيات على آرائهم في بعض القوانين والنظريات العلمية المسلَّمة عندهم، ويؤوّلوا الآيات المخالفة. فقد جاء في تفسير الآية: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾[١] أنّ المراد بالنفس هو البروتون والإلكترون، فيكون معنىٰ الآية حينئذٍ أنّ جميع الأشياء في الكون والحياة مخلوق من هذه الأجزاء السالبة والموجبة، ولم يُراعِ هذا التفسير حتىٰ المعنىٰ اللغوي والاصطلاحي لكلمة النفس،[٢] وقد انتشر هذا النوع من التفسير في مصر وإيران، وأدّىٰ ببعض العلماء إلى أنْ ينظروا بسلبية إلى مطلق التفسير العلمي، واعتبروه من التفسير بالرأي، كما اعتبره العلامة الطباطبائي نوعاً من التطبيق[٣] وهو الحقّ؛ لأنّ المُفسّر لابدّ أنْ يبتعد عن كل رأي مُسبق عند التفسير، حتى يمكنهُ أنْ يصل إلى نتائج صحيحة، وإلّا فإنّه يؤدي إلى تحميل القرآن بعض النظريات المنتقاة من قبل المُفسر، وهي خطوة للوقوع في التفسير بالرأي الذي وعدت الروايات بأشد العذاب للذين يُمارسونه.

ج) استخدام العلوم لفهم وتبيين القرآن

في هذهِ الطريقة من التفسير لابدّ من رعاية الضوابط والشرائط الّتي يلزم توفرها في المُفسِّر، فهو يسعى وبالاستفادة من العلوم القطعية (المدعمة بالطريق النقلي)، والظواهر القرآنية (طبقاً لمعناها اللغوي) الموافقة للعلوم، إلى اكتشاف المعنىٰ المجهول للآية، ووضعه تحت اختيار الإنسان. هذهِ الطريقة تُعدّ من أفضل الطرق؛ بل هي الطريقة الوحيدة الصحيحة في التفسير العلمي. وسوف نتعرض مُفصّلاً لضوابط هذا النوع من التفسير. ونؤكد هُنا علىٰ ضرورة الابتعاد عن أيّ نوع من أنواع التفسير بالرأي، ولابدّ من نسبة العلوم بصورة احتمالية إلى القرآن؛ لأنّ العلوم التجريبية ـ كما قلنا سابقاً ـ ليست قطعية بالقطع الموضوعي المُطابق للواقع، باعتبارها مُستخرجة بالاستقراء الناقص، فمثلاً كان المسلمون يفهمون الحركة في الآية ﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا﴾[٤]

---

١. الاعراف، ١٨٩ ٢. عبد الرزاق نوفل، القرآن والعلم الحديث، ١٥٦
٣. راجع: مقدمة تفسير الميزان، ج ١، ص ٦ وما بعدها. ٤. يس، ٣٨

بأنها الحركة الحسّيّة الظاهرة بين المشرق والمغرب، في حين أنّ هذهِ الحركة هي حركة كاذبة لاشتباه حواسّنا في هذا الأمر، وأنّ الذي يتحرك هو الأرض، كما هو الحال عند ركوب القطار فنرى أنّ البيوت تتحرك خلاف الواقع، ومع تقدم العلوم اتّضحَ أن الشمس تتحرك حركة انتقالية (واقعية)، بل أنّ جميع المنظومة الشمسية والمجرّات، هي في حالة حركة دائمة.[1] فيكون المقصود من الآية حينئذ هي الحركة الواقعيّة (الانتقاليّة)، بالإضافة إلى ذلك فإنّ القرآن يطلق على حركة الشمس بـ«الجريان»، وهو وصف دقيق للشمس الّتي تتكون من كتلة هائلة من الغازات بسبب الانفجارات النووية،[2] وتجري في الفضاء كجريان الماء وليس مثل كتلة صلبة، وذلك وفق ما قرّرته النظريات الكونية الجديدة. هذه الطريقة في التفسير هي الطريقة الصحيحة، وهي الّتي تثبت الإعجاز العلمي للقرآن. كما أشار القرآن مثلاً إلى زوجية النباتات، بل إلى زوجية جميع الموجودات منذ عشرة قرون قبل أنّ يكتشفها العلم في القرن السابع عشر الميلادي.[3]

ضوابط التفسير العلمي المُعتبر

هناك نوعان من الضوابط في التفسير العلمي: الضوابط العامة الّتي لابدّ من وجودها في جميع أنواع المناهج التفسيرية، وضوابط خاصّة لابدّ من توفرها في قسم خاص من المناهج.

أ) الضوابط العامة

١. لابدّ للمُفسّر من الاطلاع علىٰ جملة من العلوم منها: معرفة لُغة العرب، الاطلاع على شأن نزول الآية، معرفة تاريخ النبيﷺ وصدر الإسلام في الحدود المتعلقة بالآية، معرفة علوم القرآن كالناسخ والمنسوخ، الاطلاع على الأحاديث وأُصول الفقه، معرفة الآراء الفلسفية والعلمية والاجتماعية والأخلاقية، تجنّب تقليد المفسرين والابتعاد عن أيّ رأي مسبق وتجنّب التطبيق وتحميل الآراء على القرآن، والمعرفة بالتفاسير.[4]

٢. رعاية ضوابط التفسير المعتبر مثل: اتباع الطريقة الصحيحة للتفسير، عدم مُنافاة

---

١. اريك ـ اوبلاكر، فيزيك نوين، ترجمة بهروز بيضائي، ص ٤٥ ـ ٤٨
٢. المصدر السابق ٣. يس، ٣٦
٤. راجع كتاب: الكاتب، در آمدی بر تفسير علمی قرآن، ص ٥٣ ـ ٧٤

التفسير مع السنة القطعيّة، الابتعاد عن التأثر بالأفكار المُسبقة، عدم تعارض التفسير مع الآيات الأُخرىٰ وحكم العقل القطعي، والاستفادة من المصادر الصحيحة في التفسير.[١]

٣. الابتعاد عن التفسير بالرأي وتقليد بقية المفسرين؛ أي لا بُدّ للمُفسر من أخذ القرائن العقلية والنقلية بنظر الاعتبار قبل الإقدام على التفسير.

ب) الضوابط الخاصة في منهج التفسير العلمي

١. التفسير العلمي بواسطة العلوم التجريبيّة:

سبق أنّ أوضحنا المقصود من قطعيّة العلوم التجريبيّة، ونضيفُ هنا:

أوّلاً: يمكن تفسير القرآن على أساس العلوم التجريبيّة إذا كانت قطعية ويقينية.

ثانياً: يمكن تفسير القرآن بالنظرية العلمية المقبولة عند العلماء، ولكن يجب عدم نسبتها إلى القرآن نسبة قطعيّة.

ثالثاً: إذا كانت النظرية غير قطعية وغير مقبولة عند العلماء، لا يمكن نسبتها حينئذ إلى القرآن لا بصورة قطعية ولا بصورة احتمالية؛[٢] لأنّها في معرض التغيير، ولعل معظم إشكالات المُخالفين نابعة من هذا الأمر.[٣]

١. المصدر السابق

٢. توجد عدّة احتمالات بالنسبة إلى القضايا العلمية:
ألف) القضية العلمية الّتي تورث اليقين المطابق للواقع وذلك إذا كانت التجربة مصحوبة بالاستدلال العقلي (الوصول إلى مرحلة البداهة).
ب) القضية الّتي تورث الاطمئنان ولكن لا تُعدم الاحتمال المخالف وهي كأكثر القضايا التجريبية.
جـ) النظرية العلمية الظنّية الّتي لم تصل إلى مرحلة الثبوت بعد.
أما بالنسبة إلى الحالة الأُولىٰ، فيكون التفسير العلمي جائزاً؛ لأنّهُ لا يوجد تِعارض أصلاً بين القرآن والقطع العلمي (الذي يرجع إلى القطع العقلي)، أما بالنسبة إلى الصورة الثانية، فلا إشكال في نسبة العلوم إلى القرآن بصورة احتمالية، حيثُ أنَّ ظاهر الآية ـ مثلاً ـ يؤيد الحركة الانتقالية للشمس؛ فهناك احتمال قويّ بأنَّ المراد من الآية، هو هذه المسألة العلمية، أمّا في الصورة الثالثة فإنَّ التفسير به غير جائز؛ لأنَ أكثر الإشكالات الواردة على هذا التفسير مثل (تطبيق العلوم على القرآن، وإستخراج العلوم من القرآن، وشك الناس بالقرآن) تكون غير مُنتفية.

٣. محتوى هذه الضابطة أورده آية الله مكارم الشيرازي في كتاب قرآن و آخرين پيامبر،ص ١٤٧، ويوجد كذلك في كلمات كثير من القائلين بهذا النوع من التفسير.

٢. لابدّ أنْ تكون دلالة ظاهر الآية واضحة بالنسبة إلى المطلب العلمي ولا تكون بصورة تحميلية. وبعبارة أُخرى لابدّ أنْ نتجنب التوجيه غير المُبرّر والتفسير المُخالف للظاهر.[1]

٣. الاستفادة من المنهج الصحيح للتفسير؛ أيّ استخدام العلوم في فهم وتبيين القُرآن، والاجتناب عن كل الأنواع غير الصحيحة، مثل استخراج العلوم من القرآن، وتحميل النظريات على القرآن.

ملاحظة (١): أوضحنا أقسام التفسير العلمي في المباحث السابقة.

ملاحظة (٢): لابدّ من رعاية الاحتياط في التفسير العلمي ولا يجب الجزم بصورة قطعية؛ أيّ لابدّ للمفسر أنْ يتهم فهمه للقرآن باستمرار، وكذا المقدمات المستخدمة فيه؛ ولابدّ أَنْ يتكلم بصورة احتمالية وأنْ يتجنب تطبيق العلوم التجريبية على القرآن بصورة قطعيّة.

ملاحظة(٣): ذكر بعض المتخصصين في علوم القرآن والمفسرين مجموعة من المعايير للتفسير العلمي، وهي:

١. لابدّ أنْ يكون تفسير الآيات مطابقاً لمعنىٰ النظم القرآني.

٢. يجب أنْ لا نضع القرآن في معرض النظريات العلمية المتناقضة.

٣. يجب أنْ يتجنب المفسِّر إثبات الإشارات العلمية للقرآن بواسطة النظريات العلمية.

٤. لابدّ أنْ تكون الآيات القرآنية هي الأصل والمحور في التفسير (وليس النظريات العلمية).

٥. أنْ يلتزم بالمعاني اللغوية ـ في اللغة العربية ـ للآيات.

٦. أنْ لا يُخالف التفسير العلمي المسائل الشرعية.

٧. أنْ يكون تفسيره مُطابقاً للمفسَّر من غير زيادة ولا نقصان.

٨. مُراعاة الوحدة الموضوعية والتوافق والتناسب بين الآيات.[2]

---

١. عبد الرحمن العك، أُصول التفسير وقواعده، ص ٢٢٤؛ عميد الزنجاني، مبانى و روش تفسير قرآن، ص ٢٥٦

٢. عبد الرحمن العك، أُصول التفسير وقواعده، ص ٢٢٤

المُناقشة

بعض المعايير المذكورة هُنا يرجع إلى المعايير الثلاثة المذكورة سابقاً؛ فمثلاً المعيار رقم ١، ٤، ٧، ٨ يرجع إلى المعيار الثاني، وأمّا بالنسبة إلى المعيار رقم (٢) فهو يرجع إلى المعيار الأوّل. في حين ان المعيار رقم ٥، ٦ يرجع إلى الشرائط العامة للتفسير.

اما بالنسبة إلى المعيار رقم (٣)؛ فإذا كان المقصود به هو النظريات العلمية والفرضيات غير الثابتة فهو غير صحيح، وأمّا إذا كان المقصود به هو العلوم التجريبية القطعيّة فيعتبر صحيحاً ومقبولاً.

خلاصة الدرس الثامن والتاسع

١. اتّضح ممّا سبق أنّ المقصود من «العلم» في التفسير العلمي هو استخدام العلوم التجريبيّة الّتي تشمل العلوم الطبيعيّة والانسانيّة، وأنّ مسائل هذه العلوم لا تتّسم بالقطع إلّا في موارد محدودة.

٢. كانت بداية التفسير العلمي في القرن الرابع الهجري كردّ فعل على العلوم الّتي تُرجمت من اليونان وبلاد فارس ودخلت الساحة الفكرية للمسلمين، ثم استمرّت هذهِ الطريقة على شكل استخراج للعلوم من القرآن. وفي القرن الأخير ظهر على شكل تحميل للنظريات العلميّة وتطبيقها على القرآن. وقد استفاد بعض المفسرين الكبار من استخدام العلوم التجريبيّة كمصدر ووسيلة في تفسير القرآن.

٣. انتشر التفسير العلمي في القرن الأخير لأسباب مُتعددة منها: إثبات الإعجاز العلمي للقرآن، والدفاع عنه ضد الهجوم الثقافي الغربي.

٤. استدّل الموافقون على التفسير العلمي بعدّة أدلّة منها: استخدام العلوم في فهم وبيان الإشارات العلميّة للآيات، وإثبات الإعجاز العلمي للقرآن و زيادة إيمان الناس.

واستدل المخالفون بعدة أدلّة منها: عدم وجود جميع العلوم البشريّة في القرآن وعدم قطعيّة العلوم التجريبيّة؛ بل هي مجرّد نظريات قابلة للتغيير بمرور الزمن يؤدي تغيُّرها إلى تزلزل عقائد الناس بالقرآن، فيما إذا فسّرنا القرآن بها، بالإضافة إلى ان التفسير العلمي يؤدي إلى التفسير بالرأي والتأويل المادّي غير الصحيح.

٥. إنّ هدف القرآن هو هداية الناس ولا يتضمّن جميع جزئيات العلوم، ولكنهُ يتضمن إشارات علميّة يمكن تفسيرها وفهمها بواسطة العلوم التجريبيّة بصورة أفضل.

٦. اتّضح أنّ التفسير العلمي على ثلاثة أقسام هي: استخراج العلوم من القرآن، تحميل وتطبيق النظريات العلميّة على القرآن، استخدام العلوم في فهم وبيان الإشارات العلميّة لآيات القرآن، وأنّ القسم الصحيح والمعتبر من هذهِ الأقسام هو القسم الثالث. أمّا القسمان الآخران فليسا بصحيحين، وأنّ معظم إشكالات المُخالفين ترجع إلى هذين القسمين.

٧. هُناك من يذهب إلى الرأي القائل بالتفصيل في موارد التفسير العلمي، فبعضهم فصّل بين العلوم التجريبيّة القطعيّة والفرضيات غير القطعيّة. أو بين التحميل والتطبيق

والاستفادة من العلوم في فهم أفضل للقرآن، وهُناك من فَصَّل بين نسبة العلوم بصورة قطعيّة وبين النسبة الاحتماليّة، وهُناك من قال بعدم الاستغناء عن جميع هـذهِ الآراء القائلة بالتفصيل، إذ هي حسب رأيه مكمّلة للأُخرىٰ.

٨. معايير التفسير العلمي عبارة عن: الاستفادة من العلوم القطعيّة في التفسير. الإستفادة من الأنواع الصحيحة للتفسير العلمي، وضوح دلالة الآية على المبحث العلمي، وعدم تحميل الآية على المسألة العلمية (استخدام العلوم في فهم وبيان الآية)

الأسئلة

١. اذكر ثلاثة تعاريف للعلم. وما هو المقصود من العلم في «التفسير العلمي»؟

٢. ما هو رأي العلماء في فلسفة العلم في النصف الثاني من القرن الأخير بالنسبة إلى العلوم التجريبيّة؟

٣. ما هو تعريف منهج التفسير العلمي عند آية الله معرفة، والدكتور الذهبي؟ مع النقد.

٤. ما هي أسباب تطور التفسير العلمي في القرن الأخير؟

٥. كيف يكون التفسير العلمي للقرآن عاملاً في تكامل فهمنا للقرآن و بيان آيات القرآن؟ وضِّح ذلك مع ذكر مثال.

٦. اذكر ثلاثة آراء قائلة بالتفصيل في التفسير العلمي، وبيِّن كيف يكون أحدها مكمّلاً للآخر؟

٧. كيف تردُّ علىٰ المخالفين للتفسير العلمي الذين يقولون إنّ هذهِ الطريقة تؤدي إلى التأويل والتفسير بالرأي؟

٨. كيف تردُّ على الذين يستدلّون بالآية: ﴿تِبْيَـٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ على وجود جميع العلوم البشرية في القرآن؟

٩. إذا كان الهدف الأساسي للقرآن هو هداية الناس، فما هو دور الإشارات العلميّة في القرآن؟

١٠. اذكر أقسام التفسير العلمي، وما هو القسم الصحيح منها ولماذا؟

١١. بيِّن المعايير العامّة والخاصّة للتفسير العلمي.

بحوث جديدة

١. ناقش رأي المدرسة الوضعيّة بالنسبة إلى ماهيّة العلوم التجريبيّة.

٢. بيِّن مراحل تشكيل النظريّة العلميّة عند «پوپر» مع المناقشة.

٣. ما هو رأي «الشهيد الصدر» بالنسبة إلى الاستقراء في العلوم التجريبيّة؟

٤. بيِّن الاختلاف بين القطع الذاتي والقطع الموضوعي.

٥. بيِّن العلاقة بين التفسير العلمي والإعجاز العلمي بصورة كاملة مع ذكر الآراء في هذا الصدد.

٦. ما هو تأثير حركة الترجمة (دار الحكمة) في نشوء التفسير العلمي؟ ابحث ذلك.

٧. ما هو دور السيد أحمد خان الهندي، والسيد أمير علي في التفسير العلمي في الهند؟ مع النقد والتحليل.

٨. ناقش منهج التفسير العلمي للطنطاوي في الجواهر.

٩. ناقش رأي الاستاذ عبد الرزاق نوفل في مجال التفسير العلمي.

١٠. بيِّن رأي السيد عبد الرحمن الكواكبي في مجال التفسير العلمي مع النقد والتحليل.

١١. ناقش التفسير العلمي في القرآن بالنسبة إلى الآيات التي تتناول المواضيع التالية: زوجيّة النباتات، لقاح السحاب، حرمة الخمر والدّم والميتة، قوة الجاذبيَّة، حركة الأرض والجبال، ومراحل خلق الإنسان. وما هي الأنواع الّتي تثبت الإعجاز العلمي للقرآن؟

١٢. ما هو تفسير الآية: ﴿وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَـٰبٍ مُّبِينٍ﴾؟ ناقش دلالتها على الرأي القائل بإمكانية استخراج جميع العلوم من القرآن.

١٣. بيِّن أقسام علاقة العلم والدين وتحت أيِّ قسمٍ من هذهِ الاقسام تكون علاقة القرآن والعلم.

١٤. ماذا نفعل في حالة التعارض الظاهري بين القرآن والعلوم التجريبيَّة؟ ابحث ذلك.

مصادر إضافية للمطالعة

١. الأسس المنطقية للاستقراء، الشهيد الصدر.

٢. التمهيد في علوم القرآن، ج ٦، آية الله معرفة، مؤسسة النشر الإسلامي.

٣. مناهل العرفان في علوم القرآن، الزرقاني، دار الكتب العلميّة.
٤. أُصول التفسير وقواعده، عبد الرحمن العك، دار النفائس.
٥. مبانى وروشهاى تفسيرى، عميد عباس الزنجاني.
٦. تفسير علمى قرآن، الدكتور ناصر رفيعي محمدّي، منشورات الثقافة العامة. ١٣٧٩هـ.ش.
٧. تفسير الجواهر، الطنطاوي.
٨. اولين دانشگاه وآخرين پيامبر، الدكتور باك نجاد.
٩. معارف قرآن، الاستاذ مصباح اليزدي.
١٠. در آمدى بر تفسير علمى قرآن، محمد علي الرضائي الأصفهاني، منشورات أسوة.
١١. پژوهشى در اعجاز علمى قرآن، محمد علي الرضائي الأصفهاني، منشورات الكتاب المُبين.

١٠
منهج التفسير الإشاري ١

الاهداف التعليميَّة

١. معرفة منهج التفسير الإشاري وجذوره التاريخية؛ ٢. معرفة الانواع الفرعية لهذا المنهج مثل التفسير الباطني، الرمزي، والشهودي و...؛ ٣. الاطلاع علىٰ الآراء وأدلة الموافقين والمخالفين لهذا المنهج.

المقدمة

المنهج الإشاري هو أحد المناهج القديمة في التفسير، وقد عرف بأسماء متنوعة، مثل التفسر الباطني، العرفاني، الصوفي، الشهودي، والرمزي، وكل من هذه الأسماء يشير إلى نوع خاص من هذا التفسير. وهناك اختلاف كبير في وجهات النظر بين المفسّرين والمحقّقين بالنسبة إلى هذا المنهج وأنواعه. فهناك من ارتضىٰ بعض أقسامه واستفاد منه، ومنهم من رفضه واعتبره من التأويل والباطن. ولتوضيح هذه المسألة وتمييز المنهج الصحيح من غير الصحيح في التفسير الإشاري لابدّ من دراسته بصورة دقيقة، وتظهر أهمية دراسة هذا المنهج من خلال اهتمام أئمة أهل البيتعليهم السلام به والإشارة إليه في أحاديثهم، وسوف نقوم في هذا الدرس بمناقشة التفسير الإشاري وأنواعه ومعاييره مع ذكر بعض الأمثلة المتعددة.

الاصطلاحات

أ) المنهج

ب) التفسير

لقد مرّ بيان هذين المصطلحين سابقاً.

ج) الإشاري.

١. الإشارة لغةً بمعنىٰ العلامة والإيماء والذي يعني اختيار أمر من الأُمور (من القول أو العمل أو الرأي).[١] وقد وردت هذهِ الكلمة في القرآن؛ كما في الآية ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ﴾،[٢] أي اختيار شيء وارجاع لهم إليه.

٢. الإشارة في الاصطلاح تعني ان يستفاد شيء من الكلام دون أن يكون موضوعاً له. والاشارة قد تكون حسّية كما هو الحال في ألفاظ الاشارة مثل هذا، وقد تكون ذهنية كالإشارة للمعنىٰ في الكلام، بحيث لو أراد التصريح به للزمه الكثير من الكلام، ثم إن الإشارة قد تكون ظاهرة وقد تكون خفيّة.[٣]

ما هو المقصود من التفسير الإشاري؟

التفسير الإشاري يطلق على الإشارات الخفيّة الموجودة في آيات القرآن، والّتي تعتمد على أساس العبور من ظواهر القرآن والأخذ بالباطن، أي استخراج وفهم وتوضيح نكتة من الآية لا توجد في ظواهر الآية عن طريق دلالة الإشارة.

وبعبارة أُخرىٰ: الإشارة هي من الدلالة الالتزامية للكلام.[٤] وبسبب تعدد أنواع التفسير الإشاري، كالتفسير الرمزي، العرفاني، الصوفي، الباطني، والشهودي، فقد تنوعت التعاريف تبعاً لذلك وسوف نأتي على بيانها ونقدها في المباحث الآتية.

نبذة تاريخية

يرجع تأريخ بعض أقسام التفسير الإشاري كالتفسير الباطني إلى صدر الإسلام، أي أنّ جذور هذا المنهج توجد في أقوال وكلام النبيﷺ وأهل البيت‌ﷺ حيث روي عنهم:

---

١. أُنظر: التحقيق في كلمات القرآن الكريم، ج ٦، ص ١٤٩، مادة «شور»
٢. مريم، ٢٩
٣. خالد عبد الرحمان العك، أُصول التفسير وقواعده، ص ٢٠٥ ـ ٢٠٦
٤. المصدر السابق

أنّ القرآن له ظاهر وباطن.[١] وقد أشارت بعض الأحاديث إلى باطن الآيات،[٢] وروي عن الإمام الحسين‌ؑ والإمام الصادق‌ؑ في بعض الأحاديث: أنّ كتاب الله عزوجلّ علىٰ أربعة أشياء: على العبارة والإشارة واللّطائف والحقائق؛ فالعبارة للعوام، والإشارة للخواص، واللطائف للأولياء، والحقائق للأنبياء.[٣]

وبسبب قبول جميع المسلمين بكون القرآن له باطن عميق، ومعانٍ دقيقة ويحتوي على الإشارات والكنايات، فقد أصبح الطريق مفتوحاً لهذا النوع من التفاسير، حتى أنّ ابن عربي كتب: فكما أنّ تنزيل أصل القرآن على النبي‌ﷺ كان من قبل الله فإنّ تنزيل فهمه على قلوب المؤمنين من قبل الحق تعالى.[٤]

وقد اهتم بعض العرفاء والصوفية ببعض الانواع من التفسير الإشاري مثل التفسير الرمزي والشهودي والصوفي والعرفاني فيما بعد، ودوّنوا كتباً متعددة في هذا المجال، منها:

ـ تفسير التستري تأليف محمد بن سهل بن عبد الله التستري (٢٠٠ ـ ٢٨٣هـ)، كشف الأسرار وعدّة الأبرار للميبدي (حياً في سنة ٥٢٠هـ)، تفسير ابن عربي (٥٦٠ ـ ٦٣٨هـ).

وقد اعتبر العلّامة الطباطبائي وآية الله معرفة أنّ بداية هذا المنهج تعود إلى القرن الثاني والثالث الهجري، أي بعد ترجمة الكتب الفلسفية اليونانية إلى اللغة العربية.[٥]

وقد مرَّ هذا المنهج بتطورات كثيرة، وذهب كل مفسّر من مفسّري المذاهب الإسلامية والصوفية والعرفاء إلى نوعٍ من أنواع هذا المنهج، ولهذا لا يمكن الحكم على الجميع بحكم واحد والنظر اليهم نظرة مُتساوية؛ لأن هُناك من سلك طريق الإفراط ووقع في براثن التفسير بالرأي، وهُناك من استفاد من المعايير الصحيحة للحصول على باطن القرآن.

١. أُنظر: بحار الأنوار، ج ٩٢، ص ٩٥؛ نهج البلاغة، خ ١٨؛ كنز العمال، ج ١، ص ٢٤٦١.
٢. سيأتي ذكر بعض هذه الموارد في مبحث أنواع التفسير الإشاري (التفسير الباطني).
٣. بحار الأنوار، ج ٩٢، ص ٢٠، ١٠٣؛ ج ٧٨، ص ٢٧٨
٤. الفتوحات المكية، ج ١، ص ٢٧٩
٥. الميزان، ج ١، ص ٥، ٧؛ التفسير والمفسّرون في ثوبه القشيب، ج ٢، ص ٥٢٦، ٥٢٧

الآراء

لقد طُرحت آراء مختلفة حول منهج التفسير الإشاري وتعريفه وأقسامه، وأشار كل من كتب في هذا الموضوع إلى نوع أو عدة أنواع من التفسير الإشاري. ونستعرض فيما يلي أهمّ الآراء الّتي قيلت حول هذا المنهج:

رأي الموافقين

أ) الإمام الخمينيّ

قال في هذا المجال: «ومن الحجب الأُخرىٰ، الحائلة دون الاستفادة من هذه الصحيفة الإلٰهية المقدسة، الاعتقاد بعدم تجاوز ما كتبه المفسّرون، أو فهموه عن القرآن الكريم، وفي هذا الاعتقاد خلط بين التفكّر والتدبّر في الآيات الكريمة من جهة، وبين التفسير بالرأي المنهيّ عنه من جهة أخرىٰ. وبهذا الرأي الفاسد والعقيدة الباطلة يُجرّد القرآن الكريم من كافة فنون الإفادة ويصبح مهجوراً تماماً، والحال أنّ الاستفادات الأخلاقية والإيمانية والعرفانية لا ترتبط بالتفسير أساساً، فما بالك بارتباطها بالتفسير بالرأي...».

ثم ضرب مثالاً لذلك من مورد الآيات الّتي ذكرت اتّباع موسىؑ للخضر، واستفادة التوحيد الأفعالي من الآية ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾، ثم قال: «إلىٰ غير ذلك من الأُمور المستفادة من معاني الكلام الّتي لا ترتبط بالتفسير بأي وجه فضلاً عن أن هناك كلاماً في التفسير بالرأي أيضاً قد لا يكون مرتبطاً بآيات المعارف والعلوم العقليّة الموافقة للموازين البرهانية والآيات الاخلاقية الّتي يؤدي العقل فيها دوراً معيناً؛ إذ أنّ هذه التفاسير تطابق البرهان العقلي المتين، أو الاعتبارات العقلية الواضحة، بحيث لو خالفها ظاهر الآيات لوجب صرف الآيات عن ظواهرها... فإن من المحتمل بل من بالرأي يتعلق بآيات الأحكام الّتي لا تصل إليها الآراء والعقول والّتي يجب أخذها بحالة التعبد الصرف والانقياد التام من خزّان الوحي ومهابط ملائكة الله».[١]

المناقشة

لم يعتبر الاستفادة العرفانية من الآيات من التفسير، بل اعتبر ذلك من لوازم الكلام (قد يكون مقصوده البطون)، ولهذا فقد أشار إلى التفسير العرفاني الباطني الذي يعتمد على

---

١. الإمام الخميني، پرواز در ملكوت مشتمل بر آداب الصلاة

الضوابط والعقل والذي لا يفضي إلى التفسير بالرأي.

وسوف نشير في نهاية مبحث الأدلة إلى أنّ التفسير الإشاري الباطني يدخل تحت عنوان التفسير.

ب) الاستاذ حسن عباس زكي

دافع الاستاذ حسن عباس زكي عن الصوفية، وقام بتوجيه التفسير الإشاري، وفرّق بينه وبين تفسير الباطني البعيد عن ظاهر القرآن، وقال: إنّ المفسّرين من علماء الشريعة يقفون عند ظاهر اللفظ. أمّا أهل التحقيق أو الصوفية فإنّهم يقرّون هذا التفسير ويرونه هو الأصل، ولكن لا يقولون إنّ هذا التفسير الظاهري هو المقصود فقط؛ لأنّهُ تحديد لكلام الله غير المحدود فهناك شيء فوق إدراك العقل وهو القلب الذي يمتاز بذوق خاص كالشخص الذي يأكل شيئاً لذيذاً ولكنهُ لا يستطيع ان يصف ذلك الشيء للآخرين، فلغة القلب لا تحيط بها الألفاظ وانما يُعبَّر عنها بالإشارة. فالإشارة ترجمان لما يقع في القلوب من تجلّيات ومشاهدات قلبية، وتلويح لما يفيضه الله على صفوته وأحبائه من أسرار كلام الله وكلام رسوله، ولكن لا يقتصر معنى الآيات القرآنية على هذهِ الإشارات القلبية وتفسير الصوفية كما يقول الباطنية ويعدّون الشريعة باطلة، ولا يخضعون مقابل نصوص القرآن.[1]

المناقشة

إنّ كلامه حول الجمع بين ظاهر القرآن وباطنه مقبول وجيّد، ولكنه لم يبيِّن كيف يمكن القبول بالشهود القلبي على انّه من باطن القرآن، وماهي الضابطة والمعيار في ذلك. ويظهر أن الإشكال الرئيسي الوارد على التفسير العرفاني، الصوفي، الإشاري، الرمزي، والباطني يكمن في هذه النقطة بالأساس، وهذا ما سنتناوله في المباحث الآتية.

ج) التفتازاني

يعتبر التفتازاني ممن يؤيد هذا النوع من التفسير الإشاري (الصوفي)، فقد كتب يقول: «أمّا ما يذهب إليه بعض المحقّقين من أن النصوص على ظواهرها، ومع ذلك فيها

---

١. مقدمة تفسير القشيري، ج ١، ص ٤ـ٦

إشارات خفيّة إلى دقائق تنكشف على أرباب السلوك يمكن التطبيق بينها وبين الظواهر المرادة، فهو من كمال الإيمان ومحض العرفان».[١]

رأي المخالفين للتفسير الإشاري

الاستاذ عميد الزنجاني

لقد خصّص الفصل الثامن من كتابه مبانى وروشهاى تفسيرى لهذا المنهج وقسّمه إلى ثلاث أقسام فرعية:

أ) التفسير الرمزي

ذهبت الصوفية والباطنية إلى أنّ الدين حرٌّ من القيود والظواهر الشرعية الجافّة، ولذلك فهم ومن أجل الاستدلال على آرائهم وتقوية مبانيهم الدينية والمذهبية اهتموا بمسألتين الأُولى: باطن القرآن، والثانية: الأمثال والكنايات والإشارات الموجودة فيه، واستفادوا من هاتين المسألتين من أجل تأمين مقاصدهم الدينية، حيث قاموا بتبيين تعاليمهم العرفانية والذوقية، ومبانيهم المذهبية على انّه من التفسير الباطني.

ثم عدّ هذا المنهج من التفسير بالرأي، وذكر عدة أمثلة من تفسير ابن عربي،[٢] ثم قام بتعريف جماعة «الباطنيّة» فقال: «ان الباطنية هي فرقة من فرق الشيعة تنكر ظواهر القرآن والشرع، ويعتقدون أن المقصود الحقيقي من القرآن هو الباطن، وكل من يتمسّك بظواهر القرآن فان مصيره الضلال، وقد اعتبروا ظواهر العبادات والجنة والنار و...، إشارات تحكي عن أسرار المذهب، حتى أن أحد أصحاب الإمام الصادقؑ وهو المفضّل بن عمر كتب إلى الإمامؑ يستفتيه في أمر الباطنية، فأجابهؑ فقال: «كتبت تذكر أن قوماً أنا أعرفهم... وبلغك أنهم يزعمون أن الدين هو معرفة الرجال [أئمة الباطنية] وذكرت أنهم يزعمون أن الصلاة والزكاة وصوم شهر رمضان والحج والعمرة والمسجد الحرام والمشعر الحرام رجال... أُخبرك أنّه من كان يؤمن ويدين بهذه الصفة الّتي سألتني عنها فهو مشرك... وأُخبرك أن هذا القول كان من قومٍ سمعوا مالم يعقلوه عن أهله».[٣]

---

١. خالد عبد الرحمان العك، أصول التفسير وقواعده، ص ٢١٥

٢. مبانى وروشهاى تفسير قرآن، ص ٣١٤ـ٣١٦

٣. محمد بن الحسن الصفار، بصائر الدرجات، ص ٥٢٦؛ مقدمة تفسير البرهان، ص ١٢؛ مبانى و

ب) التفسير الإشاري

هناك من يطلق «التفسير الإشاري» على طريقة الصوفية في التفسير، ولذلك فان ظواهر الآيات تشير إلى المعاني الّتي يقصدونها هم، وقد أخذوا هذا المصطلح من الرواية المشهورة الّتي تشير إلى أنّ الإشارة هي أحد وجوه القرآن،[1] ثم ذكر شرائط التفسير الإشاري، وشكّك في دلالة التفسير الإشاري (مع فرض وجود الشرائط) وذكر مثالاً لذلك.[2]

ج) التفسير الشهودي

يقوم التفسير الشهودي أو الإشراقي على أساس مباني مدرسة الإشراق والشهود، وقد وجد هذا النوع من التفسير في بعض الكتب والتفاسير. والشهود حالة روحية، وشعور داخلي وشخصي يظهر نتيجة لممارسة بعض الأفعال أو الأذكار أو التأمل في أمرٍ خاص، ويمكن عن طريق بعض مصاديقه الصحيحة الكشف عن بعض الواقعيات للإنسان. ثم قال: إن المكاشفة هي إحساس شخصي لا يقبل الانتقال إلى الغير، وليس هو حجة على الآخرين. وقال في الختام: إنّ ادراك الحقائق عن طريق المكاشفة والشهود لا يمكن أنْ يكون مصداقاً للتفسير وان كان حقاً وَمقبولاً؛ لأن صحة التفسير تعتمد اعتماداً أساسياً على الدلالة اللفظية، في حين أن المكاشفة والشهود تعتمد ان علىٰ أمر آخر.[3]

المناقشة

يبدو أنّ فصل التفسير الإشاري عن التفسير الشهودي والرمزي مفيد وصحيح مع البيان الذي ذكره، باعتبار أن المقصود من التفسير الرمزي هو التفسير الصوفي النظري نفسه، والتفسير الشهودي هو الصوفي أو الفيضي، ولكنه لم يستدل بطريقة منهجيّة على

← روشهاى تفسير قرآن، ص ٣٢٢

١. لقد ذكرنا هذه الرواية عن الإمام السجاد، والإمام الصادق في المبحث السابق.

٢. مبانى وروشهاى تفسير قرآن، ص ٣٢٥، ٣٢٦

٣. مبانى وروشهاى تفسير قرآن، ص ٣٢٧، ٣٢٨ (بتلخيص)

التفريق بين التفسير الإشاري والرمزي مع التوضيحات الّتي ذكرها؛ فهما في الحقيقة اسمان لمسمّىٰ واحد، وعلى كل حال فهو لا يقبل جميع أقسام التفسير العرفاني والصوفي.

آراء القائلين بالتفصيل

أ) العلّامة الطباطبائي

أشار العلّامة الطباطبائي في مقدمة تفسير الميزان إلىٰ منهج التفسير الصوفي، فقال: «وأمّا المتصوفة فإنهم لاشتغالهم بالسير في باطن الخلقة واعتنائهم بشأن الآيات الأنفسيّة دون عالم الظواهر وآياته الآفاقية، اقتصروافي بحثهم على التأويل ورفضوا التنزيل، فاستلزم ذلك اجتراء الناس على التأويل، وتلفيق جمل شعريَّة، والاستدلال من كل شيء على كل شيء، حتى آل الأمر إلى تفسير الآيات بحساب الجمّل، وردّ الكلمات إلى الزبر والبيّنات والحروف النورانيّة والظلمانية وغير ذلك».[١]

ثم نقد هذه الطريقة فقال: «ومن الواضح أنّ القرآن لم ينزل هدىً للمتصوفة خاصة، ولا ان المخاطبين به هم أصحاب علم الأعداد والأوفاق والحروف، ولا أنّ معارفه مبنيّة على أساس حساب الجمّل الذي وضعه أهل التنجيم بعد نقل النجوم من اليونانية وغيرها إلى العربية». وأضاف: «نعم وردت روايات عن النبيﷺ وأئمة أهل البيت عليهم السلام كقولهم: إنّ للقرآن ظهراً وبطناً ولبطنه بطناً إلى سبعة أبطن أو إلى سبعين بطناً، ولكنهم عليهم السلام اعتبروا الظهر كما اعتبروا البطن واعتنوا بأمر التنزيل كما اعتنوا بشأن التأويل».[٢]

المناقشة

ذكر العلّامة عدة أنواع من التفسير الإشاري. الأوّل: تفسير الصوفية الذي يقوم على أساس التأويلات الّتي لا تمتلك أي دليل.

الثاني: التفسير الباطني الصحيح الذي يقوم على أساس الالتفات إلى ظاهر القرآن وباطنه.

ب) آية الله معرفة

قال في مورد التفسير العرفاني (الرمزي والإشاري): «هناك لأهل العرفان الباطني تفاسير وضعت على أساس تأويل الظواهر، والأخذ ببواطن التعابير دون دلالاتها

---

١. الميزان، ج ١، ص ٧ ٢. المصدر السابق

الظاهرة، اعتماداً على دلالة الرمز والإشارة فيما اصطلحوا عليه، مستفادة من عرض الكلام وجانبه وليس من صريح اللفظ وصميم صلبه. فقد فرضوا لظواهر التعبير بواطن حملوها حملاً على القرآن استناداً إلى مجرّد الذوق العرفاني الخاص، وراء الفهم المتعارف العام».[1] ثم ذكر تاريخ التفسير العرفاني واعتبره من أنواع التفسير الصوفي، وأشار إلى مسألة التفسير الباطني فقال: «ونحن إذ نستنكر على هؤلاء تأويلاتهم غير المستندة، نرى أنّ للقرآن ظهراً وبطناً، كما جاء في حديث الرسولﷺ، وأسبغنا الكلام عنه، وكان «الظهر» عبارة عن المعنى المستفاد من تنزيل الآية، ومن ظاهر التعبير حسب الأُصول المقرّرة في باب التفهيم والتفهم. وأما «البطن» فهو عبارة عن المفهوم العام المستنبط من فحوىٰ الآية وتأويلها إلى حيث تنطبق عليه من موارد مشابهة، حسب مرّ الدهور، وكان للتأويل ضوابط ذكرنا حدودها وشرائطها، وليس حسب الذوق المختلف حسب تنوع السلائق.[2]

ثم أشار إلى التفسير الشهودي فقال: «ان التفسير الصوفي لا يعتمد على مقدمات علمية ولا براهين منطقية، ولا يعلّله سبب معقول، وإنما هو شيء حَسِبه قد اُفيض عليه بسبب اشراقات نورية جاءته من محلّ أرفع. أنّه يرى من مقامه الصوفي العرفاني وصل إلى درجة الكشف والشهود، لتنكشف له المعاني من سجف العبارات وتظهر له الاشارات القدسيّة، وتنهلّ على قلبه من سحب الغيب ما تحمله الآيات القرآنية والسنّة النبوية».[3]

ثم ذكر أنواع التفسير الباطني فقال: «قد ينوّع التفسير الصوفي إلىٰ نوعين: نظري وفيضي، حسب تنويع المتصوفة إلى تصوف نظري وعملي، ليكون التصوف النظري مبتنياً على البحث والدراسة. أمّا التصوف العملي فهو الذي يقوم على التقشّف والتزهّد، والتفاني في العبادة (الأذكار والأوراد)».[4]

ثم أرجع جذور التصوف النظري إلى اليونانيين وتعاليمهم التي تبتعد عن روح القرآن، فهم يحاولون تحميل نظرياتهم وأبحاثهم على القرآن، وأما التفسير الفيضي فهو تأويل الآيات على خلاف ما يظهر منها بمقتضى إشارات رمزية تظهر لأرباب السلوك والرياضة النفسية من غير حجّة أو برهان».[5]

---

١. التفسير والمفسّرون في ثوبه القشيب، ج ٢، ص ٥٢٦
٢. المصدر السابق، ص ٥٢٧
٣. المصدر السابق، ص ٥٢٨ (بتلخيص)
٤. المصدر السابق، ص ٥٢٧
٥. المصدر السابق، ص ٥٣٨

المناقشة

أشار سماحته إلى عدة أقسام من التفسير الإشاري:

الأوّل: التفسير الصوفي الذي يقوم على أساس التأويل وباطن القرآن، والتصوف النظري دون دليل على هذه التأويلات.

الثاني: التفسير الصوفي الذي يقوم على أساس الكشف والشهود والتصوف العملي.

الثالث: التفسير الباطني الصحيح الذي يرتكز على أساس الضوابط الصحيحة للتأويل واستخراج البطون.

ج) الدكتور الذهبي

قسّم التفسير الإشاري إلى قسمين:

الأوّل: التفسير الصوفي النظري الذي يعتمد على مقدّمات علمية في ذهن الصوفي، ففي هذه الطريقة يعتقد المفسّر أنّه أدرك جميع مقصود الآية، وأنّه لا يوجد معنى آخر غير هذا التفسير الذي حمل الآية عليه. وقد أعتُبر «ابن عربي» من كبار هذه الطريقة.

الثاني: التفسير الصوفي الفيضي، وهو الذي يعتمد على رياضة روحية يأخذ بها الصوفي نفسه حتى يصل إلىٰ درجة الكشف وتلقّي الإشارات القدسيّة. وفي هذه الطريقة فإنّ المفسّر لا يرىٰ أنّ التفسير الصوفي الفيضي هو كلّ ما يُراد من الآية بل يرىٰ أنّ هناك معنى آخر تحتمله الآية، هو المعنى الظاهري الذي يتبادر إلى الذهن لأوّل مرّة».[1]

د) الشيخ خالد عبد الرحمن العك

عرّف العك التفسير الإشاري بأنّه: «تأويل آيات القرآن الكريم على غير ما يظهر منها بمقتضى إشارات خفيّة تظهر لأهل العلم والسلوك، تقوم على التطابق بينها وبين الظواهر المرادة من الآيات القرآنية بوجه من الوجوه الشرعية».[2]

ثم بيّن معنى الإشارة وقسّمها إلى إشارة حسّية وذهنيّة، كما قسّم التفسير الإشاري الذهني إلىٰ هذين القسمين:

الأوّل: الإشارات الخفيّة الّتي يدركها أهل التقوى والصلاح والعلم عند تلاوة القرآن

---

۱. الذهبي، التفسير والمفسّرون، ج ۲، ص ۳۳۹

۲. أصول التفسير وقواعده، ص ۲۰۵

الكريم؛ وهي معاني الأسرار القرآنية التي تنقدح في قلب المؤمن التقي الصالح العالم؛ فهو أمّا أنْ يبقيها بينه وبين ربّه تبارك وتعالى، وأمّا أنْ يُعلم بها من غير أن يُلزم بها أحداً...

الثاني: الإشارات الجليّة الّتي تتضمنها الآيات الكونية في القرآن الكريم والّتي تشير إشارات واضحة إلى كثير من العلوم الحديثة الاكتشاف، وفي هذا إعجاز للقرآن الكريم في هذا العصر ـ أيّ عصر العلم ـ».[1]

ثم تعرّض لشروط التفسير الإشاري،[2] مذكّراً بأنّ الأحكام الشرعية لا تؤخذ عن طريق التفسير الإشاري لعدم قيام الدليل الواضح عليها، وما يستفاد منها فهو في مجال الأخلاق وسموّ النفس وتقوية الإيمان وتثبيت اليقين.

وفي الختام ميّز بين التفسير الإشاري والصوفي فقال: «إنّ التفسير الإشاري الذي تقيّد به أصحابه بالشروط المذكورة، يغاير ويخالف المنهج الفلسفي النظري الصوفي في التفسيرات الإشارية الّتي خرجت عن حيّز التفسير المشروع». ثم بيّن التفسير الصوفي فقال: «والصوفية يقولون بعلم (الإشارة) وهو علم ما في القرآن الكريم من أسرار عن طريق العمل به ويسمّون هذا... والصوفية يقولون بأنّ تحت كل حرف من حروف القرآن كثيراً من الفهم، وهو مذخور لأهله على قدر ما قُسم لهم من ذلك».[3] وبعد ذلك ضرب عدة أمثلة لهذا المنهج في التفسير.

المناقشة

لقد أشار إلى ثلاثة أقسام من التفسير الإشاري:

الأوّل: التفسير الإشاري الخفيّ، وهي الأسرار القرآنية الّتي تنقدح في قلوب المتقين.

الثاني: التفسير الإشاري الجليّ، وهي الإشارات العلمية في القرآن للعلوم الجديدة.

الثالث: التفسير الإشاري بمعنى التفسير الفلسفي الصوفي الذي يقوم على أساس علم الإشارة وأسرار الحروف. ومن المؤكد أنّ القسم الثاني لا يُعد قسماً من أقسام التفسير الإشاري؛ بل هو منهج مستقل في تفسير القرآن سبق أن تعرّضنا لهُ تحت عنوان «منهج التفسير العلمي».

١. المصدر السابق، ص ٢٠٦، ٢٠٩

٢. سوف يأتي ذكر هذه الشروط في مبحث معايير التفسير الإشاري.

٣. أُصول التفسير وقواعده، ص ٢١٠، ٢١١

الخلاصة

١. ترجع جذور التفسير الإشاري إلى صدر الإسلام وذلك في مسألة «بطون القرآن» الّتي ورد ذكرها في الأحاديث، ثم تطور في القرن الثاني والثالث الهجري بين أهل العرفان والتصوّف، ومرّ بمراحل مختلفة، ونشأت أقسام متنوعة.

٢. من الموافقين على هذا المنهج الإمام الخميني، الاستاذ حسن عباس زكي، التافتازاني.

٣. من المخالفين للتفسير الإشاري الاستاذ عميد الزنجاني الذي بيّن أقسام هذا المنهج، وهي: التفسير الرمزي، والإشاري، والشهودي، واعتبرها إمّا من التفسير بالرأي، أو أنها خارجة عن مجال التفسير.

٤. لقد وضع آية الله معرفة والسيد الطباطبائي حدّاً بين التفسير الباطني للصوفية ومسألة البطون الّتي ورد ذكرها في الروايات؛ فرفضا القسم الأوّل وقَبِلا الثاني؛ لأنّه يتمتع بضوابط معينة.

٥ . قسّم آية الله معرفة والذهبي التفسير الإشاري إلى نوعين: تفسير صوفي نظري، وتفسير صوفي فيضي، ورفضا كلا القسمين.

٦ . قسّم الشيخ خالد عبد الرحمان العك التفسير الإشاري إلى قسمين: خفيّ وجليّ، واعتبر الإشارات العلمية جزءاً من التفسير الإشاري، وبهذا يكون قد خلط بين التفسير الإشاري ومنهج التفسير العلمي.

۱۱
منهج التفسير الإشاري ۲

أقسام التفسير الإشاري ونماذجه

اتّضح لنا فيما سبق أنّ التفسير الإشاري ينقسم إلى أقسام مختلفة تبعاً لاختلاف الآراء؛ فأحياناً نقسم إلى تفسير إشاري نظري وفيضي، وأُخرىٰ إلى تفسير إشاري ورمزي وشهودي. وهناك من قسّم التفسير الإشاري إلى صوفي غير صحيح وباطني صحيح.[۱]

ويظهر أن أفضل تقسيم لهذا المنهج هو تقسيمه إلى قسمين أساسيين هما:

أ) منهج التفسير الإشاري الباطني غير الصحيح

وهنا يقوم المفسّر بتأويل آيات القرآن بالاستفادة من الشهود الباطني، أو من خلال النظريات العرفانية والمباني النظرية للتصوّف، المنافية لظواهر القرآن وقواعد الاستنباط من الظاهر، دون مراعاة الضوابط المعروفة للوصول إلى الباطن أو الاستفادة من القرائن النقلية أو العقلية، ومن الواضح أنّ هذه الطريقة تنتهي إلى التفسير بالرأي.

ويمكن تقسيم هذه الطريقة إلىٰ عدة أنواع:

۱. منهج التفسير الإشاري الشهودي (الفيضي)

في هذه الطريقة يستفيد المفسّر من طريقة الكشف والشهود العرفاني، والتجليّات القلبية في تفسير القرآن، متجاوزاً حدود الظواهر. ويدّعي بعض المؤيدين لهذا المنهج بأنهم

---

۱. طرحنا هذه التقسيمات في الدرس السابق، وذكرت هُنا حسب الترتيب التالي: الذهبي، الاستاذ عميد الزنجاني، عبد الرحمان العك، آية الله معرفة، العلّامة الطباطبائي.

يقبلون التفسير الظاهري أيضاً بالإضافة إلى التفسير الإشاري الشهودي. وقد نسبت هذه الطريقة من التفسير إلى الصوفية والعرفاء.

مثال: ذكر التستري في تفسيره الباطني معنى «بسم الله» فقال:

الباء: بهاء الله، السّين: سناء الله، الميم: مجد الله، الله: هو الاسم الاعظم الذي حوى الاسماء كلها، وبين الألف واللام منه حرف مُكنّىٰ غيب من غيب إلى غيب، وسرّ من سرّ إلى سرّ،...، الرحمٰن: ا سم فيه خاصيّة من الحرف المكنّىٰ بين الألف واللّام.[١]

وقال القشيري النيشابوري في تفسير الآية ﴿وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ﴾: «الأمر الظاهر بتطهير البيت، والإشارة من الآية إلى تطهير القلب... وتطهير القلب بحفظه عن ملاحظة الأجناس والأغيار».[٢] وقد روي عن ابن عربي في تفسير الآيات المتعلقة بالكعبة والبيت والحج أنّه قال: «البيت هو القلب، ومقام إبراهيم هو مقام الروح. المصلىٰ هو المُشاهدة والمواصلة الإلٰهية، والمكان الآمن، هو صدر الإنسان والطواف إشارة إلى الوصول إلى مقام القلب، والبيت المعمور قلب العالِم والحجر الاسود هو الروح».[٣]

وفي تفسير الآية ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَـٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ﴾.[٤]

قال: «فكأنّه قال: أمرنا بقتال النفس ومن يلينا من الكفار».[٥]

المناقشة

هذا النوع من التفسير الإشاري يقوم على أساس الشهود (حالة روحية وشعور داخلي يظهر داخل الإنسان على أثر الأذكار والأفعال أو التأمل في أمر خاص)، ولابدّ من الإشارة هنا إلى بعض النقاط:

أوّلاً: إنّ هذه الحالة يمكن أنْ تشتمل على مصاديق إلٰهية وشيطانية، ففي الحالة الأُولىٰ تكون هذهِ المصاديق صحيحة وصادقة ويمكن أنْ تكشف الواقعيات للإنسان، ولكن من الصعب معرفة وتشخيص الحدود بين المكاشفات الشيطانية والإلٰهية بصورة دقيقة.

---

١. تفسير التستري، ص ٣ ٢. لطائف الإشارات، ج ١، ص ١٣٦

٣. التفسير المنسوب إلى ابن عربي، ج ١، ص ٨٤ـ٨٦ ٤. التوبة، ١٢٣

٥. فتاوى ابن الصلاح، ص ٢٩. نقلاً عن: الذهبي، التفسير والمفسّرون، ج ٢، ص ٣٨٦

ثانياً: حتى لو كانت هذه المكاشفات صحيحة وصادقة فهي حجةعلى أصحابها فقط، ولا يمكن إلزام الآخرين بها؛ ولذلك لا يصحّ أنْ تكون هذه المكاشفات وسيلة لتفسير القرآن.

٢. منهج التفسير الإشاري النظري

وهنا يقوم المفسّر باستخدام المباني النظرية للعرفان النظري أو التصوف النظري في تفسير آيات القرآن متجاوزاً حدود الظاهر دون وجود أي قرينة عقلية أو نقلية على هذا التأويل؛ أي أنّه لا يراعي ضوابط التأويل والحصول على البطن، وفي بعض الأحيان يدّعي عدم وجود غير هذا المعنى من التفسير (الإشاري النظري). وقد نسب هذا النوع من التفسير إلى الصوفية وأهل العرفان النظري.

مثال: نُقل عن الصوفية في تفسير الآية ﴿نَحْنُ خَلَقْنَـٰكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴾.[١] قال: نحن خلقناكم باظهاركم بوجودنا وظهورنا في صوركم».[٢]

وذكر في تفسير الآية: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾.[٣] قال: وهو معكم أينما كنتم لوجودكم به وظهوره في مظاهركم».[٤] وفي سورة المزمّل ﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ ﴾،[٥] قال: «واذكر اسم ربّك الذي هو أنت، أيّ اعرف نفسك واذكرها ولا تنسها فينساك الله...».[٦]

ومن الواضح أنّ هذه التفاسير تعتمد على نظرية وحدة الوجود الّتي يقبلها غالب الصوفية والعرفاء.

وقد نقل عن الغزالي أيضاً في تفسير الآية ﴿فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ ﴾ قوله: من يريد إدراك الوحدانية الحقيقية يجب عليه انْ يطرح عن نفسه التفكير في الحياتين الدنيا والأُخرىٰ».[٧]

١. الواقعة، ٥٧

٢. التفسير المنسوب إلى ابن عربي، ج ٢، ص ٥٩٣ (هناك احتمال كبير بإنّ هذا التفسير هو نفس التفسير المعروف بتأويلات القاشاني، تأليف الشيخ كمال الدين أبي الغنايم عبد الرزاق بن جمال الدين الكاشي السمرقندي. أُنظر: آية الله معرفة، التفسير والمفسّرون، ج ٢، ص ٥٧٤.

٣. الحديد، ٤

٤. التفسير المنسوب لابن عربي، ج ٢، ص ٥٩٩

٥. المزمّل، ٨

٦. التفسير المنسوب لابن عربي، ج ٢، ص ٧٢٠، ٧٢١

٧. عبد الرحمان العك، أصول التفسير وقواعده، ص ٢١٤

المناقشة

أوّلاً: إنّ القرآن الكريم لم ينزل على الصوفية فقط ليفهموا القرآن ويفسّروه عن طريق مبانيهم الخاصّة؛ بل نزل لعموم الناس وظواهره واضحة يفهمها الجميع.

ثانياً: إنّ هذا النوع من التفسير يعتبر من التفسير بالرأي؛ لأنّه تحميل للمباني والآراء على القرآن.

ثالثاً: إنّ هذه الطريقة خارجة عن حدود الدلالة اللفظيّة للقرآن، وفي الحقيقة لا تعتبر جزءاً من التفسير؛ بل هي صياغة لآراء ومباني التصوف والعرفان النظري بقوالب قرآنية.

رابعاً: أدّت هذه الطريقة في التفسير إلى جرأة بعض الأفراد على تأويل القرآن دون دليل، وهو غير جائز شرعاً.

٣. منهج التفسير الإشاري للباطنيّة

أنكر بعض الأفراد ظواهر القرآن والشرع، وقالوا إنّ المقصود الحقيقي للقرآن هو الباطن فقط؛ بل ذهبوا إلى أكثر من ذلك فقالوا إنّ ظواهر العبادات والجنّة والنار إشارات إلى أسرار المذهب وأشخاص معينين (رؤسائهم).

مثال: قالوا إنّ المقصود من الصلاة والزكاة والصوم والحج والعمرة والمسجد الحرام والمشعر الحرام أشخاص معينين (أئمة الباطنية) وإن معرفة الدين تكمن في معرفة ذلك الشخص.[١]

المناقشة

إنّ هذا النوع من التفسير الإشاري يواجه نفس الإشكال السابق، إضافة إلى أنّه سوف ينتهي بصاحبه إلى الشرك؛ [٢] لأنهم يعتبرون أئمتهم باطن كل شيء مما يؤدي إلى تأليههم بصورة تدريجية.

ب) منهج التفسير الباطني الصحيح

أشارت بعض الأحاديث الصادرة عن الرسولﷺ والأئمةعليهم السلام إلى أن للقرآن ظاهراً وباطناً، بل بطوناً متعددة؛ وهذا ما دعا بعض المفسّرين إلى الاهتمام بباطن الآيات

---

١. كما جاء في بصائر الدرجات الصفّار، ص ٥٢٦؛ مقدمة البرهان: ١٢ في حديث مفصل (جواب الإمام الصادقعليه السلام للمفضل). ٢. كما أشار إلى ذلك الحديث السابق.

بالإضافة إلى التفسير الظاهري استناداً إلى معايير وضوابط خاصة، وقاموا بتشييد الأساس الصحيح للتفسير الباطني المعتبر. وقد أيّد هذا النوع من التفسير الإشاري الصحيح كل من الإمام الخميني والعلّامة الطباطبائي وآية الله معرفة،[١] لأنّه لا يتم فيه التأكيد على الإشراقات والشهودات القلبيّة والتأويلات الّتي لا تستند إلى أيّ دليل، ولا يقوم على أساس تحميل المباني النظرية على القرآن، ولا يسلك منهج الباطنية في التأويل. ولتوضيح هذه الطريقة الصحيحة للتفسير الإشاري الباطني لابدّ من الإشارة إلى بعض الاصطلاحات مثل التأويل، البطن ومعاييرها بصورة سريعة؛ فنقول: إنّ ظاهر القرآن عبارة عن المعنى المستفاد من التنزيل والذي يقوم على أساس القواعد العرفية للمحاورة والتفهيم والتفهم.

أما التأويل فهو في الأصل «الرجوع»، وله معانٍ كثيرة في القرآن مثل توجيه المتشابهات،[٢] تعبير الرؤيا،[٣] عاقبة الأمر،[٤] وتأتي كذلك بمعنىٰ البطن.[٥]

أمّا بالنسبة للبطن فقد ذُكر لها معانٍ متعددة؛ ولكن ما نقصده هنا هو المفهوم العام المأخوذ من فحوىٰ الآية التي نزلت في مورد خاص؛[٦] أي تجريد الآية النازلة في شخص معين أو في ظروف مكانية وزمانية خاصة، عن هذه الظروف وتأويلها بحيث تنطبق على الموارد المشابهة لها في كل زمان.[٧] وسيأتي ذكر شرائط التأويل والحصول على البطون في مبحث المعايير، ومن أهمها رعاية المناسبة بين الظاهر والباطن، ومراعاة الدقّة في إلغاء الخصوصية وتنقيح المناط.[٨]

وهناك بحث مطوّل حول التأويل والبطن، والآراء الّتي قيلت حولهما، وهو بحاجة إلى توضيح أكثر ولكنه خارج عن موضوع هذا الكتاب.[٩] مثال: قال تعالىٰ: ﴿مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ

١. راجع بحث الآراء. ٢. آل عمران، ٧ ٣. يوسف، ٦، ٢١، ٣٦
٤. الاسراء، ٣٥ ٥. التفسير والمفسرون، ج ١، ص ٢٠، ٢١
٦. المصدر السابق، ص ٢١، ٢٢ ٧. المصدر السابق، ج ٢، ص ٥٢٧
٨. آية الله معرفة، التفسير والمفسّرون، ج ١، ص ٢٤، ٢٨
٩. للمزيد من الاطلاع أنظر: آية الله معرفة، التفسير والمفسّرون، ج ١، ص ٢٠ وما بعدها؛ الكاتب السطور، درآمدى بر تفسير علمى قرآن، بحث التأويل؛ الدكتور شاكر، مبانى وروشهاى تفسيرى.

جَمِيعًا ﴾.[١] فقد جاء عن الإمام الصادقؑ انّه قال: من حرقٍ أو غرقٍ ـ ثم سكت ـ ثم قال: تأويلها الأعظم أنْ دعاها فاستجاب له».

وفي الكافي عن الباقرؑ قال: «من حرقٍ أو غرقٍ، قيل: فمن أخرجها من ضلال إلى هدى، قال: تأويلها الأعظم».[٢]

إنّ ظاهر الآية المتقدمة يتحدث عن قتل وإحياء الإنسان، فقتلوإحياء أحدهم يعني قتل وإحياء جميع البشر، أما تأويلها (البطن) فهو أهم وأعظم، ويأتي ذلك عن طريق إلغاء الخصوصية (قتل وإحياء الجسم المادي) والحصول على قاعدة كلية تشمل كل أنواع الإحياء؛ فإذا ما نجا الإنسان من الضلال وهُدي إلى صراط مستقيم فإنّ روحه سوف تحيا بروح الإيمان والاستجابة لدعوة الحق؛ ومثل هذا العمل يعتبر إحياءً لجميع البشر.

مثال آخر

كتب الإمام الخمينيؒ في مورد الاستفادة العرفانية والأخلاقية من آيات القرآن فقال: فلو أنّ شخصاً قرأ وتأمّل في المحاورة الّتي جرت بين موسى والخضر، وطبيعة التعامل فيما بينهما وقيام موسى بشدّ رحاله ـ مع سموّ مقام نبوّته ـ طلباً لعلم لم يكن عنده، وكيفيّة عرضه حاجته على الخضر بالنحو الوارد في الآية الكريمة: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴾،[٣] وجواب الخضر واعتذارات موسى المتكررة، ثم استفاد من كل ذلك عظمة مقام العلم وبعض آداب تعامل المتعلّم مع المعلّم الّتي قد يصل ما ورد منها في تلك الآيات ما يقرب من العشرين أدباً...، ثم قال: إنّ الكثير من استفادات القرآن هي من هذا القبيل.[٤]

مثال ثالث

ورد في قصة يوسفؑ إن إخوته ـ وفي سبيل إحكام خطتهم لإبعاد يوسف عن أبيه ـ قالوا لأبيهم: ﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴾.[٥] ظاهر هذه الآية يحكي

١. المائدة، ٣٢

٢. الصافي، ج ٢، ص ٣١ (ذكرنا هذه الرواية في مبحث استخدام الروايات في التفسير وقد كررناها لأجل أهميتها ومناسبتها للموضوع).

٣. الكهف، ٦٦

٤. پرواز در ملكوت مشتمل بر آداب الصلاة، ج ٢، ص ١١٤

٥. يوسف، ١٢

عن حياة يوسف ومكر إخوته لإبعاده عن أبيه، في حين أنّ هناك عبرة يمكن استخلاصها من هذهِ القصة وهي: أنّ المخالفين لطريق الهداية يحاولون أنْ يسرقوا أولادكم بحجة اللعب والقضايا المادية؛ فلابدّ أنْ تحذروا من ذلك. وهذه المسألة يمكن تطبيقها في كل وقت بعد إلغاء الخصوصيات الزمانية والمكانية والأفراد المذكورين في القصة، واستخراج قاعدة كلّية وعبرة تصلح للجميع، ويمكن أنْ نجد لهذه القصة مصاديق كثيرة في الوقت الحاضر، فالمستعمرون وعن طريق استخدام طرق متعددة من اللعب يسعون إلى فصل جيل الشباب عن أمّتهم وإلقائهم في التيه والضياع. نعم؛ فالقرآن لم يقصّ علينا القصص لكي نتسلّىٰ بها، ولم يسردها لكي تبقىٰ روايات تاريخية لا تصلح إلّا للنقل التأريخي فقط، بل قال: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾.[١] فهذه القصص عبرة؛ أي لابدّ من العبور من ظاهر الألفاظ إلى ما وراءها والوصول إلى الباطن، واستخراج القواعد الكلية للحياة في كل زمان؛ وفي هذا الإطار روى الإمام الرضا عن أبيه: «أنّ رجلاً سأل أبا عبد الله: ما بال القرآن لا يزداد عند النشر والدراسة إلّا غضاضة؟ فقال: لأنّ الله تبارك وتعالى لم يجعله لزمان دون زمان، ولا لناس دون ناس، فهو في كل زمان جديد، وعند كل قوم غضّ إلى يوم القيامة».[٢]

إنّ طراوة القرآن وحلاوته تكمن في خلوده؛ لأنّ الله لم يجعله لزمان خاص؛ بل هو خالد إلى يوم القيامة، وهو غضّ طري عند كل قوم وفي كل زمان. فقد جاء تشبيه القرآن في بعض الأحاديث بجريان الشمس والقمر، وإنّه لو كان مخصوصاً بقوم من الأقوام لمات القرآن بموتهم.[٣]

وهذا المعنى نفسهُ ورَدَ في حديث الإمام السجّاد بعنوان الإشارات القرآنية للخواص،[٤] وهو سر خلود القرآن لتجدِّد معانيه في كل زمان، وانطباقه على كل قوم،

---

١. يوسف، ١١١   ٢. بحار الأنوار، ج ٦٢، ص ١٥

٣. عن النبي قال: «ظهره تنزيله، وبطنه تأويله، منه ما مضىٰ ومنه ما لم يكن (القرآن) يجري كما تجري الشمس والقمر» (الصفار، بصائر الدرجات، ١٩٥)، وقد سُئل الإمام الباقر عن الحديث السابق، فقال: «لو ان الآية إذا نزلت في قوم ثم مات أولئك القوم ماتت الآية لما بقي من القرآن شيء» (العياشي، ج ١، ص ١١٠).

٤. لقد مرّ هذا الحديث في بحث «نبذة تاريخية».

وهذا المعنى يكون عن طريق التفسير الإشاري الباطني واستخراج البطن والتأويل الصحيح على أساس الضوابط المعتبرة، حيث يمكن الاستفادة من الإشارات والتعاليم القرآنية في كل زمان وتطبيقها على الحياة المعاصرة الجديدة والحصول على أجوبة الحاجات المعنوية والفكرية والاجتماعية والأخلاقية للبشر.

مراحل الحصول على البطن وتأويل الآيات

إنّ المراحل الصحيحة لإدراك البطون (المعاني الخفية) عبارة عن:

١. البحث عن هدف الآية.

٢. موازنة ذلك الهدف مع الخصوصيات المذكورة في متن الآية.

٣. إبقاء ما له علاقة بالهدف وحذف ما ليس له علاقة.

٤. استخراج مفهوم كلي من متن الآية يصبّ ضمن هدف الآية، وحذف الخصوصيات المذكورة في الآية، وتطبيق الآية على الموارد المشابهة في كل مكان وزمان.

٥. إنّ هذا المعيار يكون صحيحاً فيما إذا شكّل مورد نزول الآية أحد مصاديق المفهوم العام، وأمّا إذا لم تكن هناك مناسبة قريبة بين ظاهر التنزيل والمفهوم العام، فإنّ مثل هذا الاستنباط يكون من قبيل التأويل الباطل والتفسير بالرأي.[١] ولكي يتضح المطلب بصورة تامّة لابدّ من مُراجعة الأمثلة المتقدمة.

معايير التفسير الإشاري الصحيح

من خلال ملاحظة الآراء السابقة، فإنّ العلماء والمفسّرين يشترطون في التفسير الإشاري الضوابط والشروط التالية:

أ) الالتفات إلى ظاهر الآية وباطنها في آنٍ واحد، أي يجب عدم إغفال ظاهر الآية في التفسير، فعلى المفسّر أن لا يدّعي بأنّ تفسيرهُ (المعنىٰ الإشاري) هو المراد الوحيد للآية. وهذه الضابطة تستفاد من كلام العلّامة الطباطبائي وآية الله معرفة والاستاذ حسن عباس زكي.[٢]

---

١. استفدنا هذه المسألة من المباحث المنشورة تحت عنوان «التأويل والبطن»، لآية الله محمد هادي معرفة.

٢. أُنظر: الميزان، ج ١، ص ٧؛ التفسير والمفسّرون، ج ٢، ص ٥٢٧؛ مقدمة تفسير القشيري، ج ١، ص ٤ ـ ٦.

ب) رعاية المناسبة القريبة بين ظاهر الكلام وباطنه؛ أي ينبغي أنْ لا تكون الدلالة الباطنية أجنبية عن الظواهر، لا مُناسبة بينها وبين اللفظ؛ فإذا كان معنىٰ التأويل هو المفهوم المنتزع من الكلام، فلابد أنْ تكون هُناك مناسبة لفظية تستدعي هذا الانتزاع،[١] كما مرّ في مثال (الموت والحياة) فإنّ هناك مناسبة بين حياة الجسم والحياة المعنوية (الهداية).

ج: مراعاة النظم والدقّة في إلغاء الخصوصية حتى يمكن انتزاع المفهوم العام من الكلام، كما هو الحال في قانون «السبر والتقسيم» في علم المنطق، و «تنقيح المناط» الذي يستفيد منه الفقهاء في الحصول على الملاك القطعي للأحكام الشرعية في علم أُصول الفقه، بحيث تدور الأحكام مداره نفياً أو إثباتاً، والملاك هو عموم فحوى الكلام وليس خصوص العنوان الوارد في لسان الدليل، وقد ذكر آية الله معرفة هذين الشرطين للتأويل الصحيح.[٢]

د: عدم منافاة التفسير الإشاري للأدلة القطعية والآيات المحكمة في القرآن.

هـ: الاستفادة من القرائن المعتبرة العقلية والنقلية (الآيات والروايات)، أي قد يستفيد التفسير الإشاري في بعض الأحيان من منهج التفسير العقلي والاجتهادي أو من منهج التفسير الروائي للحصول على بطن الآية ومعناها.

و: استخراج مفهوم عام وقاعدة كليّة من الآية بحيث تكون الآية أحد مصاديق هذا المفهوم.

فإذا تحققت هذه الشروط في التفسير الإشاري فسوف يكون صحيحاً ومعتبراً.

ملاحظة: ذكر بعض المحقّقين شروطاً أُخرىٰ للتفسير الإشاري؛ فقد وضع الزرقاني ثلاثة شروط لقبول التفسير الإشاري وهي:

١. أن لا يتنافىٰ مع ما يظهر من معنىٰ النظم القرآني الكريم.
٢. أن لا يدّعىٰ أنّه هو المراد وحده دون الظاهر.
٣. أن يتأيّد بالشواهد والقرائن المعتبرة الخارجية.[٣]

أمّا الشيخ عبد الرحمان العك فقد ذكر شروطاً أُخرىٰ إضافة إلى ما ذكره الزرقاني، وهي:

---

١. آية الله معرفة، التفسير والمفسرون، ج ١، ص ٢٨ ٢. المصدر السابق، ص ٢٨
٣. مناهل العرفان، ج ٢، ص ٨٠

١. أنْ يكون له شاهد شرعي يؤيده.
٢. أن لا يكون له معارض شرعي أو عقلي.[١]

المناقشة

إذا كان المقصود من الشواهد الشرعية هي الآيات والروايات؛ فالنتيجة أنّ التفسير سوف يكون منحصراً بالتفسير المأثور فقط، ونحن رفضنا هذا الرأي في مبحث التفسير العقلي. وقد ذكر الزرقاني وعبد الرحمان العك شروطاً أُخرىٰ أشرنا إليها في بحث الضوابط.

استعراض سريع لأدلة الموافقين والمخالفين للتفسير الإشاري

لقد أشرنا إلى هذا البحث خلال عرض الآراء. والآن نأتي إلى الخلاصة والمناقشة النهائية لأدلّتهم:

أ) أدلّة المخالفين

١ / **الف:** إنّ التفسير الإشاري للصوفية لا يعتمد على مقدمات علمية وبراهين منطقية، وأسباب معقولة؛ بل يعتمد على الكشف والشهود الشخصي الذي لا يكون إلّا توهّمات وتخيّلات.[٢]

٢ / **ألف:** لا يتفق التفسير الإشاري الصوفي مع روح القرآن وتعاليم الإسلام، ويعتبر تحميلاً للقرآن ونوعاً من أنواع التفسير بالرأي.[٣]

٣ / **الف:** استفاد شيوخ الصوفية من هذا المنهج لتأمين مقاصدهم المذهبيّة وتوجيه تعاليمهم العرفانية والذوقية ومبانيهم المذهبيّة بقوالب قرآنية، وهذا هو التفسير بالرأي بعينه.[٤]

٤ / **الف:** إنّ منهج التفسير الرمزي بعيد عن حدود التفسير ودرك معاني ومقاصد القرآن، ويتطابق مع معنىٰ التأويل بصورة تامة؛ لأنّه خارج عن حدود الدلالة اللفظية ومناسباتها؛ ولأن هذه التأويلات لا تعتمد على منبع الوحي وعلوم الرسالة؛ فإنّها تعتبر من مصاديق التأويل الباطل.[٥]

٥ / **الف:** المكاشفة والشهود ليستا حجّة في المقام، لأنهما إحساس شخصي لا يقبل

---

١. أُصول التفسير وقواعده، ص ٢٠٨
٢. آية الله معرفة، التفسير والمفسّرون، ج ٢، ص ٥٢٨، ٥٣٦ ٣. المصدر السابق، ٥٣٧، ٥٣٨
٤. عميد الزنجاني، مبانى و روشهاى تفسير قرآن، ص ٣١٦
٥. المصدر السابق، ص ٣٢٢ (بتلخيص)

الانتقال إلى الغير، وحتى لو سلمنا بحجّيتهما فلا يمكن أنْ تكونا مصداقاً للوصول إلى معاني ومقاصد آيات القرآن؛ لأنّ من شروط التفسير الاعتماد على الدلالة اللفظية، في حين أنّ المكاشفة والشهود تعتمدان على شيء آخر.[1]

٦ / الف: إنّ سبب انحراف منهج التفسير الفلسفي والصوفي يرجع إلى اعتماده على الفكر الفلسفي اليوناني؛ حيث اعتمدوا في تفسيراتهم الإشارية على منهج الفيثاغوريين، والافلاطونيين، والرواقيين، والغنوصيين الذين يسلكون منهج التفسير الرمزي الباطني في الكثير من الظواهر الكونية.[2]

ب) أدلّة الموافقين

١ / ب) إنّ التفسير الإشاري الصحيح هو الاستفادة من بطن القرآن الذي جاء التصريح به في الأحاديث الواردة عن الرسول ﷺ والأئمة عليهم السلام.[3]

وهذا يعني أنّ هذا المنهج هو أحد المناهج التفسيرية التي استخدمها النبي ﷺ والأئمة عليهم السلام، والاستمرار عليه والاستفادة منه يعتبر تمسّكاً بسنّتهم في التفسير.

٢ / ب) إنّ الإشكالات الواردة على التفسير الباطني والإشاري سوف ترتفع فيما إذا توفرت فيه الضوابط والشروط الّتي ذكرها العلماء، وحينئذ يكون من المناهج الصحيحة والمعتبرة.

٣ / ب) من الحجب الّتي تحول دون الاستفادة من القرآن، هو عدم الاستفادة منه في الحصول على المعارف العرفانية والأخلاقية (التفسير الإشاري الباطني) وحينئذٍ يصبح القرآن مهجوراً.[4]

٤ / ب) إنّ التفسير الإشاري العرفاني لا يعتبر من التفسير بالرأي؛ لأنّه يستفيد من لوازم الكلام الّتي ليس لها علاقة بالتفسير فضلاً عن التفسير بالرأي.[5]

---

١. عميد الزنجاني، مباني و روشهای تفسیر قرآن، ص ٣٢٨ (بتلخيص)
٢. عبد الرحمان العك، أصول التفسير وقواعده، ص ٢٣٧، ٢٣٨
٣. استفدنا هذا المطلب من كلام العلّامة الطباطبائي في الميزان، ج ١، ص ٧، وآية الله معرفة في التفسير والمفسّرون، ج ٢، ص ٥٣٧، والاستاذ حسن عباس زكي في مقدمة تفسير القشيري: ج ١ ص ٤ـ٦.
٤. پرواز در ملكوت مشتمل بر آداب الصلاة، ج ٢، ص ١١٢، ١١٣
٥. المصدر السابق

٥ / ب) لقد دعانا القرآن الكريم إلى التفكر والتدبر في عدة آيات، والاستفادة من العبر الموجودة في قصصه.[١] وهذا يعني أنّ وجود القصص في القرآن ليس من أجل اللّهو والتسلّي، بل هي قواعد كلية مستخرجة من الآيات يمكن تطبيقها على حياة البشر في كل زمان، ولهذا فقد وُصف القرآن في الأحاديث بأنّه غض طري في كل زمان وأنّه يجري كما تجري الشمس والقمر، ولا يختص بقوم من الأقوام.[٢]

٦ / ب) إنّ المخالفين للتفسير الإشاري يخلطون بين خطأ الأفراد والخطأ في منهج التفسير؛ لأن اشتباه الصوفية في تحميل مبانيهم النظرية واتّباعهم لليونانيين، أو خطأهم في المشاهدات الشخصية وتطبيقها على القرآن وما ينجم عن ذلك من تفسير بالرأي (على فرض التسليم الكامل بهذا الكلام) لا يكون دليلاً على ردّ منهج التفسير الباطني الإشاري؛ لأنّ خطأ الأشخاص لا ينسحب على خطأ المنهج.

المناقشة

مع أخذ التقسيمات المتنوعة للتفسير الإشاري بنظر الاعتبار، نلاحظ أنّ أكثر إشكالات وأدّلة المخالفين تتعلق بالتفسير الإشاري الباطني غير الصحيح. أمّا التفسير الإشاري الباطني الصحيح الذي يتمتع بالضوابط والشروط، والمدعوم بالأدلّة الّتي ذكرت سابقاً فإنّه يمكن استخدامه كمنهج صحيح ومعتبر للحصول على التأويل والبطون في تفسير القرآن.

ملاحظة: لقد ورد في أدلة الموافقين والمخالفين للتفسير الإشاري الباطني أنّ المعاني الباطنية والإشارية تُستفاد من لوازم الكلام؛ أي من باب البطن والتأويل، حيث يكون خارجاً عن مجال الدلالة اللفظية للآيات، فهو في الحقيقة ليس تفسيراً، ولا يمكن إطلاق لفظ التفسير على منهج التفسير الباطني.

ويمكن أنْ يُقال في توضيح هذه المسألة: أنّ معنى التفسير الاصطلاحي هو الكشف عن الإبهام في الجمل والكلمات القرآنية، وتوضيح مقاصده وأهدافه النهائية. فإذا ما أُخذ هذا التعريف معياراً فسوف يكون الإشاري الباطني خارجاً عن مجال التفسير،

---

١. يوسف، ١١١

٢. لقد مرّ ذكر هذه الأحاديث في مبحث أقسام التفسير الإشاري (التفسير الباطني الصحيح)، أُنظر: بحار الأنوار، ج ٩٢، ص ١٥؛ العياشي، ج ١، ص ١١٠ و...

ولكن يبدو أوّلاً: أنّ الفهم المتداول للتفسير في الوقت الحاضر أوسع من هذا التعريف الاصطلاحي، وأنّ المفسّرين عادة ما يذكرون مباحث البطن والتأويل في تفاسيرهم، وعليه فإنّ هذه البحوث تعتبر جزءاً من التفسير طبقاً لعرف المفسرين.

ثانياً: اتّضح لنا فيما سبق أنّ البطن لابدّ أنْ يكون متناسباًوموافقاً للظاهر، فالتفسير الإشاري الباطني الصحيح والمقبول هو الذي يتناسب مع دلالة اللفظ، وليس غريباً عنها حتى يكون خارجاً عن مجال التفسير؛ أي يكون من لوازم الكلام الذي قد يأتي أحياناً لبيان أهداف الآية.

الخلاصة

١. هناك تقسيمات متنوعة للتفسير الإشاري والأفضل تقسيمه إلى قسمين: التفسير الإشاري الباطني الصحيح وغير الصحيح.

٢. يعتمد التفسير الإشاري الباطني غير الصحيح على النظريات العرفانية أو الشهود العرفاني والأمر الذوقي والذي لا يتمتع بأي ضابطة؛ مما ينتهي بالمفسِّر الى الوقوع في التفسير بالرأي، ويقسم إلى ثلاثة أقسام: تفسير إشاري شهودي (فيضي)، وتفسير إشاري نظري، وتفسير إشاري الباطني.

٣. المقصود من منهج التفسير الإشاري الصحيح هو الحصول على بطن القرآن وتأويله على ضوء ضوابط ومعايير محدّدة، وإلغاء جميع الخصوصيات الزمانية والمكانية، واستخراج قاعدة كلّية تنطبق على كل زمان ومكان.

٤. مراحل الحصول على البطن عبارة عن: تعيين الهدف، إلغاء الخصوصية من الآية، إبقاء العناصر الدخيلة في هدف الآية ثم استخراج مفهوم عام شامل للآية ينطبق على كل زمان ومكان.

٥. معايير التفسير الإشاري الصحيح عبارة عن: الالتفات إلى الظاهر والباطن معاً، رعاية المناسبة القريبة بين الظاهر والباطن، الدقّة في إلغاء الخصوصية من الكلام (رعاية شرائط تنقيح المناط)، عدم مخالفة التفسير الإشاري لمحكمات القرآن والأدلّة العقلية، وانطباق البطن والمفهوم العام على مورد الآية.

٦. أدلّة المخالفين للتفسير الإشاري عبارة عن: عدم الاعتماد على الدليل والبرهان، مخالفته لروح القرآن، الانتهاء إلى التفسير بالرأي، خروجه عن حدود التفسير المصطلح، عدم حجّية الشهود العرفاني في التفسير، اعتماد الصوفية على الفكر الفلسفي اليوناني. وقد بيّنّا أنّ أكثر هذه الأدلّة ترجع إلى التفسير الإشاري الباطني غير الصحيح.

٧. استدل الموافقون على هذا المنهج بأنّ التفسير الإشاري يعني الاستفادة من بطن القرآن؛ فمن الحجب الّتي تَحول دون الاستفادة من القرآن هو عدم استخدام التفسير الإشاري والذي يعني الاستفادة من لوازم الكلام (لا يعتبر من التفسير بالرأي). فالتفسير الإشاري هو نتيجة التدبّر والتفكّر في آيات القرآن وأخذ العبر من قصصه وهو مورد تأييد الأحاديث، وإنّ المخالفين لهذا المنهج خلطوا بين خطأ الأفراد وخطأ المنهج.

التعريف ببعض التفاسير الإشارية

١. تفسير القرآن العظيم، أبو محمد سهل بن عبد الله التستري (٢٠٠ ـ ٢٨٣هـ).

٢. حقائق التفسير، أبو عبد الرحمٰن محمد بن الحسين بن موسى الأزدي السلَمي (٣٣٠ ـ ٤١٢هـ).

٣. لطائف الإشارات، أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري النيشابوري (٣٧٦ ـ ٤٤٨هـ).

٤. كشف الأسرار وعدّة الأبرار (المعروف بتفسير الخواجة عبد الله الأنصاري)، تأليف رشيد الدين أبي الفضل بن أبي سعيد أحمد بن محمد بن محمود الميبدي (كان حيّاً في سنة ٥٣٠هـ).

٥. تفسير الخواجة عبد الله الأنصاري، أبو إسماعيل عبد الله بن محمد ابن علي بن محمد الأنصاري الهروي (٣٩٦ ـ ٤٨١هـ).

٦. تفسير القرآن المنسوب لابن عربي، وهذا التفسير هو للشيخ كمال الدين أبي الغنائم عبد الرزاق بن جمال الدين الكاشي السمرقندي (ت ٧٣٠هـ).

٧. عرائس البيان في حقائق القرآن، أبو محمد الشيرازي (ت ٦٦٦هـ).

٨. التأويلات النجميّة، نجم الدين دايه (ت ٦٥٤هـ)، وعلاء الدولة السمناني (ت ٧٣٦هـ).

٩. تفسير شاه نعمة الله الكرماني (ت ٨٣٤هـ).

١٠. غرائب القرآن ورغائب الفرقان، النيشابوري (أوائل القرن الثامن).[١]

الأسئلة

١. ما هو المعنى اللغوي والاصطلاحي للإشارة؟ وما هو تعريف التفسير الإشاري؟

٢. في أيّ زمن بدأ التفسير الإشاري، وماهي عوامل تطوره؟

٣. اذكر ثلاثة تفاسير إشارية يعود أحدها إلى القرن الثالث الهجري مع ذكر المؤلفين.

٤. وضّح رأي الإمام الخمينيّ في مورد التفسير العرفاني مع ذكر المثال.

٥. وضّح رأي الاستاذ عميد الزنجاني في الاختلاف بين التفسير الإشاري، والرمزي، والشهودي، مع النقد.

---

١. للاطلاع أكثر على هذه التفاسير والتفاسير الاشارية الأُخرىٰ: يراجع: آية الله معرفة، التفسير والمفسرون، ج ٢، ص ٥٣٩ وما بعدها؛ الدكتور مؤدب، روشهاى تفسير قرآن، ص ٢٦١ وما بعدها.

٦. ما هو الرأي القائل بالتفصيل للعلّامة الطباطبائي؛، وآية الله معرفة في مورد التفسير الإشاري؟

٧. هل أنّ التفسير العلمي يعتبر جزءاً من التفسير الإشاري؟، وضّح ذلك مع النقد.

٨. ما هو المقصود من التفسير الإشاري الفيضي؟ وضّح ذلك مع المثال واذكر الإشكال الوارد عليه.

٩. ما هو المقصود من التفسير الإشاري للباطنية؟ وما هو الإشكال الذي يرد عليهم؟

١٠. وضّح مراحل الحصول على بطن الآية (التأويل الصحيح) في التفسير الإشاري المعتبر، مع ذكر مثال قرآني.

١١. اذكر معايير التفسير الإشاري الصحيح، وبيِّن موردين منهما، مع ذكر مثال لكل منهما.

١٢. ماهي علاقة التفسير الإشاري الباطني الصحيح وغير الصحيح بالتفسير بالرأي؟ وضّح ذلك.

١٣. لماذا يؤديّ عدم الاستفادة من التفسير الإشاري الصحيح (التفسير العرفاني) إلى مهجورية القرآن، ووجود الحجب الحائلة دون الاستفادة منه؟

١٤. اذكر خمسة أدلّة على التفسير الإشاري الصحيح مع النقد.

بحوث جديدة

١. في أيّ زمن بدأ استخدام المصطلحات التالية «الرمز»، «الشهود»، «الإشاري» في التفسير؟ وما هو السير التاريخي لها؟

٢. ما هي علاقة تطور التفسير الإشاري الصوفي مع ترجمة الآثار الفلسفية لليونانيين باللغة العربية؟ ناقش ذلك.

٣. ابحث مسألة الشهود العرفاني، وعيّن حدود معايير الشهود والإلهامات الإلٰهية والشيطانية.

٤. ناقش روايات بطون القرآن، واذكر معايير الحصول على البطن.

٥. من هم الصوفية والعرفاء؟ اذكر عقائدهم وتاريخهم بصورة مختصرة؟ مع ذكر الاختلاف فيما بينهما.

٦. ما هو المقصود من العرفان النظري والعملي؟ وما هو الاختلاف فيما بينهما؟ وما

هو دور كل منهما في التفسير؟

٧. اذكر التقسيمات المختلفة للتفسير الإشاري، مع النقد.

٨. ناقش المعاني المختلفة للتأويل وعلاقته بالتفسير الإشاري.

٩. اذكر ضوابط إلغاء الخصوصية وتنقيح المناط في علم المنطق والأصول مع المناقشة، وطبّق ذلك على التفسير الإشاري.

١٠. ماهي أقسام الدلالات اللفظية والإلتزامية؟ وما هي علاقة كل منهما بالتفسير والتفسير الإشاري؟ ناقش ذلك.

١١. ماهو المقصود من العبرة في القرآن؟ وما علاقتها مع الإشارات وبطون القرآن؟

مصادر إضافية للمطالعة

١. آداب الصلاة، الإمام الخميني﷫.

٢. مبانى وروشهاى تفسير قرآن، عميد الزنجاني.

٣. التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب، آية الله معرفة.

٤. روشهاى تفسير قرآن، الدكتور سيد رضا مؤدب.

٥. أُصول التفسير وقواعده، الشيخ خالد عبد الرحمن العك.

٦. منهج تفسيرى أهل بيت﷨، محمد الشريفاني (رسالة ماجستير، معهد اعداد المعلمين، قم).

٧. مبانى وروشهاى تفسيرى، الدكتور شاكر.

٨. مناهل العرفان، الزرقاني.

٩. التفسير والمفسرون، الدكتور الذهبي.

١٢
منهج التفسير الإشاري ١

الاهداف التعليميَّة

الهدف الأساسي: معرفة التفسير بالرأي والاحتراز منه في التفسير.

الاهداف الفرعية: ١) الاطلاع على تاريخ التفسير بالرأي؛ ٢) مناقشة روايات التفسير بالرأي؛ ٣) معرفة أقسام ومصاديق التفسير بالرأي؛ ٤) الاطلاع علىٰ أدلة الموافقين والمخالفين للتفسير بالرأي؛ ٥) معرفة الآثار السلبية وأخطار التفسير بالرأي؛ ٦) معرفة معايير التفسير بالرأي.

المقدمة

يعتبر منهج التفسير بالرأي من المناهج المذمومة والمرفوضة في التفسير، وقد جاء بحث ودراسة هذا المنهج بسبب ورود الأحاديث في ذمّه، والأخطار المترتّبة على المفسّر في حالة استخدامه؛ والّتي قد تؤدي به إلى الانحراف عن التفسير، وبالتالي يكون مصيره جهنّم كما ورد في الروايات. ولهذا السبب فإنّ معرفة هذا المنهج التفسيري والاحتراز عن مصاديقه يحظىٰ بأهميّة خاصة عند المفسّرين.

الجدير بالذكر أننا إذا أخذنا التفسير بمعناه العام (الصحيح والخاطئ)، فإنّ هذا المنهج (التفسير بالرأي) سوف يعدّ جزءاً من المناهج التفسيرية؛ أمّا إذا كان مقصودنا من التفسير هو الصحيح فقط؛ فحينئذ يكون إطلاق اسم التفسير على التفسير بالرأي

من باب المسامحة في التعبير؛ لأنّ هذا المنهج لا يكشف ولا يبيّن ـ في الحقيقة ـ المراد من آيات القرآن، بل يبيّن نظر ورأي المفسِّر؛ فحاصل هذا التفسير لا يكون «تفسيراً للقرآن». وهناك آراء متفاوتة بالنسبة لروايات «التفسير بالرأي» ومصاديق هذا المنهج؛ ولذلك فمن اللّازم القيام بتحليل هذه الروايات بصورة مستقلة، وذكر الآراء الّتي قيلت حولها للخروج بتعريف جامع للتفسير بالرأي بعد نقد وتحليل هذه الآراء.

الاصطلاحات الأساسية

لابد من الاطّلاع على معاني بعض الاصطلاحات المستخدمة في هذا الدرس.

١. التفسير؛

٢. المنهج؛[١]

٣. الرأي: الأصل في هذه الكلمة هو النظر بكل وسيلة وتشمل النظر بالعين أو بالقلب أو عن طريق الشهود الروحاني أو بقوة الخيال.[٢]

وكلمة «الرأي» بمعنى: اعتقاد النفس أحد النقيضين عن غلبة الظن.[٣] ويرى بعض المفسّرين أنّ القرآن والسنّة لم يستعملا «الرأي» بمعنى الإدراك العقلي.[٤] فإذن يمكن أنْ يقال أنّ معنى «الرأي» هو العقيدة أو الرأيّ والانطباع الشخصي الذي يتكون على أساس الظنّ.

٤. الباء: حرف «الباء» في كلمة «التفسير بالرأي» يمكن أنْ تكون على ثلاثة معانٍ:

أ) باء السببيّة: أي أنّ كل شخص يفسّر القرآن بسبب رأيه فإنّ مصيره جهنّم (فالسبب الرئيسي للتفسير هو النظر والرأي الشخصي نفسه في مقابل الشخص الذي لا يكون باعثه الأساسي للتفسير هو الرأي الشخصي، بل هو يسعىٰ للحصول على الحقائق من القرآن عن طريق التفسير، ولا يوجد لديه فرق بين أن يكون رأيه مطابقاً أو مخالفاً للتفسير).

---

١. سبق أن تعرّضنا لمعنى هذين الاصطلاحين.
٢. مصطفوي، التحقيق في كلمات القرآن الكريم، ج ٤، ص ١٤
٣. مفردات الراغب الاصفهاني، مادة «رأي»
٤. مكارم الشيرازي، تفسير به رأى، ص ٢٢

ب) باء الاستعانة، أيّ أنّ كل شخص يفسّر القرآن بالاستعانة برأيه؛ فإنّ مصيره جهنّم (في مقابل الشخص الذي يقوم بتفسير القرآن بالقرائن العقلية والنقلية).

ج) زائدة، أيّ كل شخص يقول رأيه الشخصي بدل تفسير القرآن، ويجعل رأيه الشخصي مصداقاً للتفسير (في مقابل الشخص الذي يقوم بتفسير القرآن ولا يجعل رأيه الشخصي بدل التفسير).

فالمعنى الأوّل والثاني يتّفق مع روايات التفسير؛ وأمّا المعنى الثاني (الاستعانة) فهو أظهر المعاني.[1]

وسوف نقوم بمناقشة هذه المعاني عند تحليل روايات التفسير بالرأي في المباحث الآتية.

الجذور التأريخية للتفسير بالرأي

لا يوجد تشخيص دقيق لبداية هذا المنهج في التفسير؛ ولكن روي[2] عن النبيّ ﷺ بعض الروايات في ذمّ هذه الطريقة في التفسير؛ مما يكشف عن أنّ هذا المنهج بدأ في زمن النبي ﷺ؛ ولهذا فانّه ﷺ ذكر هذا التفسير وذمّ القائمين به، ولا يفهم من لحن الروايات أن هذا العمل سوف يحدث في المستقبل وأنّ النبي ﷺ قد تنبّأ به ونهىٰ عنه.

ثم طرحت هذه المسألة أيضاً بعد وفاة النبي ﷺ في زمان الأئمة عليهم السلام، فصدرت عنهم روايات متعددة في ذم التفسير بالرأي،[3] بل روي عن الإمام علي عليه السلام أنّه خاطب بعض الأفراد ونهاهم عن هذا النوع من التفسير.[4] وفي الحقيقة إنّ بعض هذه الأحاديث تنظر إلى بعض الأفراد الذين فتحوا لهم مدارس في التفسير توازي مدرسة أهل البيت عليهم السلام.[5] ثم انتشر هذا المنهج في العصور التالية في بعض كتب التفسير؛ فمن المفسّرين والفرق من قام باتّهام بعضهم البعض في استخدام هذا المنهج، كما اتّهم بعض

---

١. أُنظر: كاتب السطور، در آمدى بر تفسير علمى قرآن: ص ١٠٩؛ عميد الزنجاني، مبانى وروشهاى تفسير قرآن، ٢٢٨، ٢٢٩.

٢. أُنظر: أمالي الصدوق، ص ٦، الحديث رقم ٣؛ سنن الترمذي، ج ٤؛ كتاب تفسير القرآن، الحديث رقم ٢٩٦٠ـ٢٩٦١؛ مقدمة تفسير البرهان، ص ١٦.

٣. سوف يأتي ذكر هذه الروايات فيما بعد.

٤. البرهان، ج ١، ص ٤١

٥. الحر العاملي، وسائل الشيعة، ١٨، الباب ١٣، من أبواب صفات القاضي، الحديث ٢٥

الكتّاب الفخر الرازي ـ صاحب التفسير الكبير ـ واخوان الصفا، وبعض الصوفية، وأحياناً الاشاعرة والمعتزلة باستخدام التفسير بالرأي، لتأويلهم آيات القرآن طبقاً لعقائدهم.[1]

وقد بلغ هذا المنهج أقصى ما وصل إليه في العصر الحاضر، حيث سعىٰ بعض المنافقين ـ مع ظهور المدارس الإلحادية وبالاستفادة من الآيات القرآنية والتفسير بالرأي ـ أن يجذبوا شباب المسلمين إلى صفوفهم، وإخفاء مقاصدهم الإلحادية تحت هذا الستار،[2] وقد أطلق الشهيد المطهري على هذا المنهج تسمية «المادّية المغفّلة» أو «المادّية المنافقة».[3] وسوف نذكر بعض النماذج في الأبحاث الآتية.

الأدلّة

استدل كلا الفريقين (المخالفين والموافقين) بعدة أدلّة على مدّعاهم، فيما ذهب بعضهم إلى التفصيل، وسوف نذكر هُنا أدلّة كل مجموعة من هذهِ المجاميع.

أدلّة المخالفين للتفسير بالرأي

أهم أدلّة المخالفين للتفسير بالرأي، عبارة عن:

أوّلاً: آيات القرآن

فقد استدلوا بآيات متعدّدة أهمّها،[4] قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾.[5]

وقوله سبحانه: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾.[6]

التوضيح أوّلاً: إنّ التفسير بالرأي كلام غير علمي ينسب إلى الله سبحانه وتعالى؛ لأنّ

---

١. أُنظر: الدكتور محمد زغلول، التفسير بالرأي، ص ١٧٧ وما بعدها؛ عميد الزنجاني، مبانى وروشهاى تفسير قرآن، ص ٢٢٣.

٢. أُنظر: مكارم الشيرازي، تفسير به رأى، ص ٤٩ـ٥٢.

٣. أُنظر: الشهيد مطهري، مجموعة آثار، ج ١، ص ٤٦٠؛ في كتاب علل گريش به ماديگرى.

٤. استدل الشيخ خالد عبد الرحمن العك في أُصول التفسير وقواعده، ص ١٦٨، بالآية (٤٤) من سورة النحل، ولكنه خلط بين التفسير بالرأي والتفسير العقلي، ولذلك ذكرنا هذه الآية في «منهج التفسير العقلي».

٥. الاعراف، ٣٣

٦. الاسراء، ٣٦

المفسّر بالرأي لا يملك اليقين بالوصول إلى الواقع، وغاية ما يتوصل إليه هو الظنّ.

ثـانياً: إنّ نسبة الكلام غير العلمي إلى الله حرام؛ للنهي عن ذلك في القرآن كما في الآيتين المتقدمتين؛ فالنتيجة هي حرمة التفسير بالرأي.[1][2]

الجواب: ردَّ الطرف الآخر على هذا الاستدلال بما يلي: إنّ صغرى القياس غـير تامّة؛ لأنّ الظن الراجح يعتبر نوعاً من أنواع العلم، وكذلك الكبرى؛ لان حرمة الظـن ومنعه تكون بحيث يمكن الوصول إلى القطع العقلي والنقلي؛ أمّا في حالة عدم الوصول إلى القطع فإنّ الظنّ يقوم مقامه؛ بل ان هناك دليل قطعي على العمل بالظنّ [3] وهو الآية ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾.[4]

المناقشة

يبدو أنّ أدلّة الموافقين غير كافية؛ لأنّ الظن علىٰ نوعين:

الأوّل: الظن المعتبر كالخبر الواحد الموثق الذي يقوم مقام العلم (هُناك من اعتبرهُ من العلم العادي).

الثاني: الظنّ غير المعتبر كالخبر الضعيف المشمول بالنهي عن العـمل بـغير العـلم والظن؛ أما التفسير بالرأي فهو من موارد الظن غير المعتبر؛ لانّ المفسِّر الذي لا يرجع إلى القرائن النقليّة أو العقليّة، أو يقوم بتحميل رأيه على القرآن، فهو في الحقيقة يقوم ببيان ظنّه ورأيه الشخصي ولا يعتبر علماً، والشارع لم يعتبره كذلك، ولا تشمله الآية (٢٨٦) من سورة البقرة؛ لأنّ الشخص الذي يستخدم هذا المنهج لم يبذل جهده، ولم يقوم بمراجعة القرائن العقلية والنقلية.

ثانياً: روايات المنع من التفسير بالرأي

ثمّة روايات متعددة في مصادر الشيعة والسنّة يمكن تقسيمها إلى عدة مجموعات:

١. يعتبر هذا الدليل من القياس المنطقي يتكون من صغرىٰ وكبرى.
٢. أنظر: السيوطي، الاتقان، ج ٤، ص ٢١٠؛ الزرقاني، مناهل العرفان، ج ٢، ص ٦١؛ خـالد عـبد الرحمن العك، أصول التفسير وقواعده، ص ١٦٨.
٣. أُنظر: مناهل العرفان؛ أصول التفسير وقواعده، البحث المتقدم.
٤. البقرة، ٢٨٦

أ) الروايات الّتي تدين وتذم التفسير بالرأي فقط وتذكر مجازاتهم وهي:

١. عن النبي ﷺ أنّه قال: «من فسّر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار».[1]

٢. عن النبي ﷺ قال: «من قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار».[2]

ملاحظة: لقد ورد الذم في هذه الروايات بصورة مطلقة.

٣. عن الصادق عليه السلام أنّه قال: «من فسّر برأيه آية من كتاب الله فقد كفر».[3]

٤. في عيون أخبار الرضا عليه السلام للصدوق عن ابن المتوكل (محمد بن موسى بن المتوكل)، عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن الريّان بن‌الصلت، عن علي بن موسىٰ الرضا عليه السلام، عن أبيه، عن آبائه، عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «قال رسول الله ﷺ، قال الله جلّ جلاله: ما آمن بي مَنْ فسّر برأيه كلامي».[4]

ملاحظة: سند هذه الرواية صحيح ومعتبر.[5]

ب) الروايات الّتي تعتبر التفسير بالرأي نوعاً من أنواع الكذب والقول بغير علم:

١. عن النبي ﷺ قال: «من فسّر القرآن برأيه فقد افترى على الله الكذب».[6]

٢. عن النبي ﷺ قال: «من قال في القرآن بغير علمٍ فليتبوأ مقعده من النار».[7]

ملاحظة: المقصود من هذا النوع من الأحاديث هو أن التفسير بالرأي هو قول بغير علم، ونسبة شيء إلى الله بغير علم يعتبر نوعاً من أنواع الافتراء والكذب على الله.

٣. عن أمير المؤمنين عليه السلام قال لمدّعي التناقض في القرآن: «إيّاك أن تفسّر القرآن برأيك حتى تفقهه عن العلماء فانه ربّ تنزيل يشبه كلام البشر، وهو كلام الله، وتأويله لا يشبه كلام البشر».[8]

---

١. مقدمة تفسير البرهان (مرآة الأنوار)، ص ١٦؛ الميزان، ج ٣، ص ٧٥

٢. سنن الترمذي، ج ٥، ص ١٩٩؛ تفسير القرطبي، ج ١، ص ٢٧؛ كنز العمال، ج ٢، ص ١٠، والحديث حسن في سنن الترمذي.

٣. تفسير البرهان، ج ١، ص ١٩

٤. الصدوق، عيون اخبار الرضا عليه السلام، ج ١، ص ١١٦؛ بحار الأنوار: ج ٨٩، ص ١٠٧؛ أمالي الصدوق، ص ٦، الحديث ٣.

٥. محمد بن موسى بن المتوكل ثقة (الخوئي، معجم رجال الحديث، ج ١٧، ص ٢٨٤ ـ ٢٨٥)، وعلي ابن إبراهيم وأبيه وثاقتهم مشهورة عند رجال الحديث، والريّان بن الصلت، ثقة أيضاً (المصدر السابق: ج ٧، ص ٢٠٩، ٢١٠).

٦. مقدمة تفسير البرهان (مرآة الانوار)، ص ١٦

٧. الميزان، ج ٣، ص ٧٥، نقلاً عن منية المريد

٨. الصدوق، التوحيد، الباب ٣٦، ص ٢٦٤ (طبعة بيروت)

ج) الروايات الّتي تدين التفسير بالرأي من جهة كونه ضلالاً: عن الباقر عليه السلام قال: «ويحك ياقتادة ان كنت انما فسّرت القرآن من تلقاء نفسك فقد هلكت وأهلكت».[١]

ملاحظة: الهلاك في هذه الأحاديث ليس بمعنى العذاب الأُخروي فقط، بل الهلاك الدنيوي أيضاً؛ أي الضلال، لأنّ الهلاك يشمل السامع أيضاً، ولذلك فإنّ هذا النوع من الأحاديث ـ التفسير بالرأي دون الاستفادة من القرائن العقلية والنقلية (أحاديث المعصومين عليهم السلام) ـ يؤدي إلى هلاك وضلال المفسّر والآخرين معاً، وقد ذُمّ من هذه الناحية.

د) الأحاديث الّتي تدين التفسير بالرأي وان كانت نتيجته صحيحة:

١. عن الصادق عليه السلام انّه قال: «من فسّر القرآن برأيه إن أصاب لم يؤجر، وان أخطأ فهو أبعد من السماء».[٢]

٢. عن النبي صلى الله عليه وآله قال: «من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ».[٣]

مناقشة الأحاديث

يمكن مناقشة أحاديث ذم التفسير بالرأي من جهتين:

الأُولىٰ: من جهة السند

كثير من هذه الأحاديث اما ضعيفة أو مرسلة إلا الحديث الوارد عن الشيعة في الفقرة (أ / ٤)، فهو صحيح، والحديث في الفقرة (أ / ٢) عند أهل السنّة فهو حسن. وبسبب كثرة هذه الأحاديث في مصادر الفريقين، بل تواترها كما يرىٰ بعض المحقّقين الكبار،[٤] والمتخصّصين في علوم القرآن،[٥] والظاهر ان المقصود هو التواتر المعنوي ولهذا السبب سوف نغض النظر عن البحث السندي.

١. مقدمة تفسير البرهان، ١٦

٢. مقدمة تفسير البرهان، ١٦، ويشبه هذا الحديث في ص ٢٨؛ بحار الأنوار: ج ٨٩، ص ١١٠

٣. أبو داود السجستاني، سنن الترمذي، ٤، كتاب تفسير القرآن، الحديث ٢٩٦١

٤. السيد الخوئي، البيان في تفسير القرآن، ٢٦٩؛ الشيخ الانصاري، فرائد الأُصول، ج ١، ص ١٣٩.

٥. عميد الزنجاني، مبانى وروشهاى تفسير قرآن، ص ٢٢١

الثانية: من جهة المتن

يمكن الحصول من مجموع هذه الأحاديث على النقاط التالية:

١. ان التفسير بالرأي يعتبر من الذنوب الكبيرة؛ لأنّه قد ورد الوعد عليه بالنار، ولهذا يعتبر من الأخطار الكبيرة.

٢. إنّ التفسير بالرأي هو «منهج خاطئ» في التفسير، وإنّ ذمّه وإدانته ليس من جهة النتائج الخاطئة المترتبة عليه، لأنّه حتىٰ مع صحة النتائج فهو مذموم وخاطئ أيضاً كما ورد في الروايات. وبعبارة أُخرىٰ: إنّ المنهج نفسه له موضوعيّة في الحكم، وإذا كان المنهج خاطئاً (حتى وإنْ أدّىٰ إلى نتائج صحيحة في بعض الأحيان) فهو مُدان ومذموم.[1] لأنّه في هذهِ الحالة يكون قد نسب شيئاً إلى الله سبحانه وتعالى دون أيّ حجّة ودليل؛ ولهذا السبب يكون المفسّر قد ارتكب خطأً (مفاد الأحاديث ب، د).

إنّ هذه المسألة هي من المسائل العقلائية فإذا ما زعم أحد الأشخاص بأنّه طبيب وعالج أحد المرضى على هذا الاساس، وشُفي هذا المريض عن طريق الصدفة فسوف يلام من قِبَل العقلاء على هذا الفعل أيضاً، ولا يكافَأ على هذا العمل طبقاً للقوانين العقلائية للبشر، بل يُحكم عليه بالسّجن بدلاً عن ذلك لأنّه قد ارتكب جريمة باستخدامه المنهج الخاطئ (وإنْ وصل إلى الواقع عن طريق المصادفة).

ملاحظة: وعكس هذه الحالة صحيح أيضاً طبقا لرأي العقلاء؛ فإذا ما قام أحد الاطباء بعملية جراحية خاطئة وفق المنهج العلمي الصحيح فإنّ هذا الخطأ يُغفر له ويُتجاوز عنه ولا يُلام عليه من قبل الآخرين؛ لأنّه أجرىٰ هذه العملية وفقاً للطريقة العلمية الصحيحة وإنْ وقع هذا الخطأ اشتباهاً. وهذا خلاف ما إذا سلك منهجاً خاطئاً أو لم يكن لديه التخصّص الكافي، وهذا ما تشير إليه الفقرة (د) من أحاديث التفسير بالرأي.

٣. إنّ المنع عن التفسير بالرأي يعتبر حكماً إرشادياً،[2] أي أنّه غير مقبول عند

١. أشار العلّامة الطباطبائي إلى هذه النقطة في مورد روايات التفسير بالرأي فقال: «فالتفسير المنهي عنه أمر راجع إلى طريق الكشف دون المكشوف». (الميزان، ج ٣، ص ٧٦)

٢. اعتبر الاستاذ عميد الزنجاني في كتابه مبانى و روشهاى تفسر قرآن، ص ٢٢٩، ٢٣٠ أن المنع عن التفسير بالرأي يعتبر حكماً إرشادياً، وإنْ كنّا نختلف معه في توضيح هذه المسألة، وسوف نقوم ببيان هذا المطلب في بحث الآراء.

العقلاء؛ لأنّه لا يحق للإنسان أنْ يُبدي رأيه في إحدى المسائل العلمية دون وجود التّخصص الكافي فيه، كما هو الحال بالنسبة إلى المثال السابق (الطبيب).ومثل هذه المسألة تجري في التخصّصات الأُخرىٰ فلا يُقبل فيها آراء غير المتخصّصين في ذلك المجال، بل يلامون على ذلك؛ لأنّ رواج مثل هذه الأُمور في المجتمع يؤدي إلى نتائج خاطئة، وعواقب وخيمة.

ولعل بعض أحاديث التفسير بالرأي تشير إلى هذه المسألة أيضاً، كما جاء في أحاديث الفقرة (ج) أن هذا المنهج يؤدي إلى الهلاك. وفي أحاديث الفقرة (ب) الّتي اعتبرت التفسير بالرأي نوعاً من أنواع الكذب على الله سبحانه وتعالى؛ لأنّ القول بغير علم بالنسبة للآيات ونسبة ذلك إلى الله (المُراد من الآية هو المطلب الفلاني) يعتبر نوعاً من الكذب، فتفسير القرآن عن طريق أفراد غير متخصّصين يفتقدون إلى المعرفة يعتبر نوعاً من التفسير بالرأي.

٤. لقد أُضيف الضمير إلى الرأي «برأيه»، وهذا يعني أنّ كل شخص يقوم بتفسير القرآن على أساس الرأي الشخصي فإنّ مصيره جهنّم، وليس التفسير بمطلق الرأي؛ أي إذا فسَّر الشخص القرآن على أساس رأيه الشخصي فإنّ مصيرهُ جهنم، وهذا في الواقع يقوّي الرأي القائل بأن «الباء» في كلمة «برأيه» هي باء السببيّة، أيّ أن الباعث على تفسير القرآن هو النظر الشخصي.

٥. كما بيّنّا في البحوث السابقة في معنى «الباء» فإنها قد تكون بمعنى الاستعانة (الاستعانة بالرأي في تفسير القرآن) أو بمعنى السببّية (القيام بالتفسير بسبب الرأي)، ولكن بالتدقيق في هذه الأحاديث يتضح أن معنى الاستعانة هو أكثر تناسباً مع ظاهر الروايات؛ لأنّ لسان الروايات لا يشير إلى أنّ الشخص قام بالتفسير من أجل أسباب شخصية، بل إنّ لسانها يشير إلى قيام الشخص بتفسير القرآن بالاستعانة برأيه الخاص وإنْ وصل إلى الواقع مصادفةً (ولكن منهجه خاطئ لأنّه لم يستفد من القرائن العقلية والنقلية في التفسير). ويمكن أنْ يُستَشم معنى السببيّة من بعض الأحاديث (أمثال الروايات في الفقرة «ب»)؛ وذلك لأنّه لا يوجد كذب وافتراء دون قصد قبلي وبواعث سيئة، ولا يمكن نفي ذلك بصورة تامّة.

٦. وهناك نقطة مهمة لابدّ من الالتفات إليها وهي أنّ القرآن قد أمرنا بالتدبّر والتعقّل من جانب، ومن جانب آخر جاء النهي عن التفسير بالرأي في روايات أُخرى، وعند مقارنة هذه الروايات مع آيات القرآن يتضّح أنّه ليس المقصود بالرأي هنا هو التـفكر والتدبر في القرآن، بل هو إعمال النظر والأذواق الشخصية بالإضافة إلى الترويج لهذه الآراء وعرضها على شكل تفسير؛ ولذلك جاء التأكيد في بعض الأحاديث على كلمة «التفسير، قال»، وبعبارة أُخرى: إذا توصل المفسِّر إلى نتائج شخصية معيّنة عن طريق التفكر في آيات القرآن، ولم يعرض هذه النتائج على الآخرين ولم ينسب ذلك إلى الله والقرآن، فإنّه لا يكون مصداقاً للتفسير بالرأي؛ وذلك لاحتفاظه بآرائه الشخصية إلى حين دراسة القرائن العقلية والنقلية ومراجعة مصادر التفسير وآراء الآخرين والاستفادة من القنوات الصحيحة للتفسير، وفي هذه الحالة يكون تفسيره تفسيراً صحيحاً. أمّا إذا نسب رأيه الشخصي الابتدائي إلى القرآن دون مراجعة القرائن العقلية والنقلية ومصادر التفسير، ثم يقوم بعرض ذلك على انّه تفسير للقرآن فإنّه يكون مشمولاً بهذه الروايات. وبعبارة أوضح: إنّ مفاد روايات المنع من التفسير بالرأي هو عدم جواز التـعامل مـع القرآن على أنّه كلام عادي[1] كما نتعامل مـع كـتب اللـغة فـيتفسير الشـعر والمـتون الأُخرى، بل لابدّ من الاستفادة من المناهج والقنوات الخاصة والالتفات إلى القرائـن العقلية والنقلية في التفسير.

أدلة الموافقين على التفسير بالرأي

استدل الموافقون على التفسير بالرأي بالأدلة التالية:

أ) الآيات القرآنية الّتي تحثّ الإنسان على التفكير والتدبّر، كالآية ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾،[2] والآية الّتي تشير إلى مسألة الاستنباط من القرآن وهـي: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ﴾.[3]

التوضيح: ورد الحثّ في هذه الآيات عـلى التـفكير والتـدبّر فـي آيـات القـرآن،

١. أشار العلّامة الطباطبائي إلى هذه المسألة فقال: إنما نهىٰ عن تفهم كلامه على نحو ما يتفهم كلام غيره. (الميزان، ج ٣، ص ٧٦)

٢. النساء، ٨٢. ورد نفس هذا المضمون في سورة ص، ٢٩. ٣. النساء، ٨٣

وأشارت الآية السابقة إلى أنّ أصحاب العقول والفهم يمكنهم الاستنباط من القرآن والوصول إلى المطالب القرآنية عن طريق الاجتهاد والعقل.[١] نعم، فإنّه لا توجد موضوعية لنفس التدبّر والتفكّر، بل الهدف من ذلك هو الفهم والاستنباط والإدراك.

ولا معنى لأنّ يحثنا الله سبحانه وتعالى على استخدام العقل والتدبّر ثم يقف حائلاً دون استعمال الاجتهاد والنظر والرأي.

المناقشة

أ) لقد خلط بين مورد التفسير بالرأي مع التفسير العقلي والتدبّر وفهم القرآن، فما ورد في هذهِ الآيات هو الترغيب والحث على التدبّر في فهم القرآن، وأنّه يجوز الاجتهاد والاستنباط من الآيات بعد مراجعة القرائن العقلية والنقلية والتدبّر فيها. أمّا بالنسبة إلى المفسّر بالرأي فإنّه يعلن رأيه الشخصي قبل الرجوع إلى هذه القرائن ويقوم بتحميل نظره الشخصي على الآيات. وكما مرّ سابقاً في روايات التفسير بالرأي، فإنّ المنع من التفسير بالرأي لا يعني المنع من التدّبر والتفكّر في آيات القرآن.

ب) إنّ المنع من التفسير بالرأي يعني عدم جواز الاجتهاد في التفسير؛ مما يؤدّي إلى تعطيل الكثير من الأحكام، وهذا الأمر باطل بالضرورة؛ لأنّ النبيﷺ لم يُفسِّر جميع الآيات، فلابدّ للمجتهد من استنباط الأحكام من القرآن وإذا ما أخطأ في ذلك فهو مأجور أيضاً.[٢]

المناقشة

إنّ الاجتهاد في الأحكام على قسمين: الاجتهاد قبل مراجعة القرائن العقلية والنقلية. والثاني: الاجتهاد بعد مراجعة القرائن العقلية والنقلية، والأوّل ممنوع؛ لأنّه اجتهاد وفتوى بغير دليل، والآخر جائز لأنّه اجتهاد صحيح.

وكذلك الاجتهاد في التفسير فإنّه ينقسم إلى هذين القسمين أيضاً، فيطلق على القسم الأوّل التفسير بالرأي، وعلى الثاني التفسير الاجتهادي الصحيح.

١. خالد عبد الرحمن العك، أُصول التفسير وقواعده، ص ١٦٩؛ الزرقاني، مناهل العرفان، ج ٢، ٦٥ (نقل بالمضمون مع التصرف بالعبارة).
٢. أُصول التفسير وقواعده، ص ١٦٩؛ مناهل العرفان، ج ٢، ص ٦٦

ج) لقد قرأ أصحاب النبيﷺ القرآن واختلفوا في تفسيره، ولأن جميع أقوالهم الّتي اختلفوا فيها لم تؤخذ جميعها من النبيﷺ قطعاً، بل اعتمدوا فيها على آرائهم الشخصية، واجتهدوا في مقابل بعضهم البعض، فإنْ كان التفسير بالرأي حراماً فهذا يعني أنّ الصحابة قد ارتكبوا الحرام.[1]

المناقشة

لابد من الالتفات إلى عدة نقاط في مسألة اختلاف الصحابة في التفسير:

أوّلاً: يمكن أنْ يكون ذلك الاختلاف نتيجة لوصول أخبار مختلفة للصحابة عن الرسولﷺ، أو يكون ناشئاً عن اختلاف فهمهم لكلام رسول اللهﷺ.

ثانياً: يحتمل أنْ يكون تفسيرهم ناشئاً عن الاختلاف في فهم الآيات المتشابهة، أو الجمع بين الناسخ والمنسوخ أو العامّ والخاصّ وأمثال ذلك، وهذا أمر طبيعي ولا يعتبر من التفسير بالرأي.

ثالثاً: لم يثبت أنّ الصحابة قاموا بتفسير القرآن في كل الموارد دون مراجعة المعايير المعتبرة في التفسير، أو دون مراعاة القرائن العقلية والنقلية والالتفات إلى الآيات المُحكمة حتى يصبح موجباً للتفسير بالرأي.

رابعاً: على فرض أنّ بعض الصحابة قد تورّط في التفسير بالرأي عن طريق الغفلة أو السهو أو... فلا يوجد دليل على عصمتهم لكي يكون عملهم دليلاً على جواز التفسير بالرأي.

د) لقد دعا النبيﷺ لابن عباس فقال: «اللهم فقّهه في الدين وعلّمه التأويل». فإذا كان مقصود النبيﷺ من التأويل هو رواية المسائل النقليّة والسمعيّة، فإنّ مثل هذا الأمر لا يختص بابن عباس، فيُعلم من ذلك أنّ التأويل يقع في مقابل الرواية والنقل وهو التفسير الاجتهادي والتفسير بالرأي.[2]

المناقشة

هناك عدة نقاط جديرة بالملاحظة بالنسبة إلى هذا الحديث علىٰ فرض صحته:

أوّلاً: ان التأويل ينقسم إلى عدة أقسام كما هو الحال في التفسير، فأحياناً يكون

---

١. الميزان، ج ٣، ص ٧٦ وما بعدها. (بتلخيص مع التصرف قليلاً بالعبارة).
٢. أصول التفسير وقواعده، ص ١٧٠؛ مناهل العرفان، ج ٢، ص ٦٥، ٦٦

مصحوباً بالقرائن العقلية والنقلية القطعية، وفي هذه الحالة يكـون صـحيحاً ومـعتبراً، وأُخرى غير معتبر إذا كان مجرداً عن الدليل.

ثانياً: لقد خلط هنا بين التفسير الاجتهادي (بعد مراجعة القرائن العـقلية والنـقلية) والتفسير بالرأي، وقد تبيّن فيما سبق أنّهما ليسا بمعنى واحد.

النتيجة

من مجموع أدلّة المخالفين لهذا المنهج في التفسير يتّضح أنّ هذه الأدلّة (المـنع مـن التفسير بالرأي) قويّة ومقبولة، وأنّ هذا المنهج يعتبر منهجاً خاطئاً، وأن أدلة الموافقين ضعيفة لا تنهض لأن تكون أساساً للعمل بهذا المنهج كما مرّ سابقاً.

الخلاصة

استفدنا من خلال المباحث السابقة ما يلي:

١. إنّ منهج التفسير بالرأي منهج مذموم، ولابدّ من معرفته والاطلاع عليه للاجتناب عنه.

٢. إنّ معنى «الرأي» في منهج «التفسير بالرأي» هو العقيدة والرأي والذوق الشخصي الذي ينبع من الظنّ، وإنّ هناك ثلاثة معانٍ للمراد من «الباء»، هي: باء السببية، والباء الزائدة، وباء الاستعانة، وإنّ المعنىٰ الثالث هو الظاهر من الحديث.

٣. من مجموع الأحاديث يتّضح أنّ بداية هذا المنهج كانت في زمن الرسولﷺ، واستمر في زمن الأئمةﷺ، واتسع وتطور في العصر الحاضر مع ظهور المدارس الإلحادية.

٤. استدلّ المخالفون للتفسير بالرأي بالآيات الّتي تدلّ على منع نسبة غير العلم إلى الله، وهو استدلال مقبول.

٥. استدلّ المخالفون للتفسير بالرأي بالروايات الّتي تدلّ على منع التفسير بالرأي والّتي تنقسم إلى أربعة أقسام.

٦. بعض روايات التفسير بالرأي تعتبر صحيحة عند علماء الرجال من الشيعة والسنّة؛ بل هناك من ذهب إلى تواتر هذه الروايات.

٧. يستفاد من روايات التفسير بالرأي ما يلي:

أ) إنّ التفسير بالرأي من الذنوب الكبيرة.

ب) إنّ التفسير بالرأي هو منهج خاطئ في التفسير.

ج) إنّ المنع من التفسير بالرأي يكون في موارد إبراز النظر الشخصي للمفسّر وليس مطلق النظر، ولهذا لا يُعتبر التدبّر والتفكّر في الآيات مصداقاً من مصاديق التفسير بالرأي.

د) إنّ المنع من التفسير بالرأي يعتبر حكماً إرشادياً، وهو مذموم وممنوع عند العقلاء.

٨. أدلة الموافقين ليست تامّة، ولا تثبت هذا المنهج في التفسير.

۱۳
منهج التفسير الإشاري ۲

الآراء حول التفسير بالرأي

لقد ذكر العلماء والمفسّرون آراء متباينة حول مفاد روايات التفسير بالرأي، وسنعرض لأهمها مع النقد والتحليل:

۱. العلّامة الطباطبائي

قال في هذا المورد: «والحاصل أنّ المنهي عنه إنّما هو الاستقلال في تفسير القرآن واعتماد المفسّر على نفسه من غير رجوع إلى غيره، ولازمه وجوب الاستمداد من الغير بالرجوع إليه».[۱] ثم خَلُص إلى القول بأنّه لابدّ من الاستعانة بنفس القرآن في مجال التفسير؛ لأنّ هذا الغير لا محالة إمّا هو الكتاب أو السنّة، وكونه السنّة ينافي القرآن ونفس السنّة الآمرة بالرجوع إليه وعرض الأخبار عليه، فلا يبقىٰ للرجوع إليه والاستمداد منه في تفسير القرآن إلّا نفس القرآن.[۲]

وذكر في مكان آخر أنّ المقصود من روايات المنع من التفسير بالرأي هو النهي عن المنهج والطريق وليس المنع عن المكشوف. وبعبارة أُخرىٰ إنمّا نهىٰ عليه السلام عن تفهّم لكلامه على نحو ما يتفهم به كلام غيره.[۳] ورغم أنّ ألفاظ القرآن عربية، رُوعي فيها جميع ما يُراعىٰ في الكلام العربي، ولكن الاختلاف جاء من جهة المراد والمصداق

---

۱. الميزان، ج ۳، ص ۷۷ ۲. المصدر السابق ۳. الميزان، ج ۳، ص ۷٦

الذي ينطبق عليه مفهوم الكلام، ثم ضرب مثلاً لذلك بصفات وأسماء الله تعالى الّتي تختلف مصاديقها مع المصاديق العادية.[١]

المناقشة

أشار إلى أحد أقسام التفسير بالرأي (الاستقلال بالرأي دون مراجعة الآيات الأُخرىٰ في القرآن)، ولكن التفسير بالرأي لا ينحصر بهذا المعنىٰ فقط؛ فإذا ما قام أحد المفسّرين بتفسير آية دون مراجعة السنّة القطعية مثلاً؛ فإنّ مثل هذا التفسير سوف يكون داخلاً في مصاديق التفسير بالرأي أيضاً. وكذلك إذا أقدم أحد الاشخاص على التفسير دون وجود التخصص الكافي. ويمكن استفادة هذا المطلب من مجموع الأحاديث الواردة في الفقرة «ب» للتفسير بالرأي.

٢. الإمام الخميني وآية الله الخوئي

فسّر آية الله الخوئي أحاديث التفسير بالرأي فقال: «ويحتمل أنّ معنى التفسير بالرأي الاستقلال في الفتوى من غير مراجعة الأئمة عليهم السلام مع أنهم قرناء الكتاب في وجوب التمسّك ولزوم الانتهاء إليهم، فإذا عمل الإنسان بالعموم أو الإطلاق الوارد في الكتاب ولم يأخذ التخصيص أو التقييد الوارد عن الأئمة عليهم السلام كان هذا من التفسير بالرأي، وعلى الجملة حمل اللفظ على ظاهره بعد الفحص عن القرائن المتّصلة والمنفصلة من الكتاب والسنّة أو الدليل العقلي لا يعدّ من التفسير بالرأي.[٢]

وكذلك نُقل عن الإمام الخميني أنّه قال:

«فإنّ من المحتمل، بل من المظنون أنّ التفسير بالرأي يتعلق بآيات الأحكام الّتي لا تصلها الآراء والعقول، والّتي يجب أخذها بحالة التعبّد الصرف والانقياد التامّ من خزّان الوحي ومهابط ملائكة الله، كما هو الحال مع أكثر الروايات الشريفة الواردة في هذا الباب والّتي وردت لمواجهة فقهاء العامّة الذين أرادوا أنْ يفهموا دين الله بعقولهم وبالقياس».[٣]

١. المصدر السابق، ج ٣، ص ٧٨ ـ ٨٠ ٢. البيان، ص ٢٨٧، ٢٨٨

٣. الامام الخميني، پرواز در ملكوت مشتمل بر آداب الصلاة، ج ٢، ص ١١٥؛ أحمد الفهري، نهضت زنان مسلمان، ١٣٥٩ش

المناقشة

لقد جاء في هذين الرأيين الرؤيتين أنّ أحاديث التفسير بالرأي وردت في المجال الفقهي (الآيات الفقهية في القرآن)، في حين ان التفسير بالرأي لا ينحصر في هذه الموارد فقط؛ لأن لفظ القرآن والكتاب جاء في الروايات بصورة مطلقة يشمل آيات الأحكام وغيرها. فإذا ما أقدم أحد الاشخاص على تفسير آية من الآيات المتعلقة بالعقائد دون مراجعة القرائن النقلية والعقلية (أعم من الآيات وروايات أهل البيت عليهم السلام) فسوف يكون مشمولاً بحرمة التفسير بالرأي.

ملاحظة: من الأُمور اللافتة للنظر هو أنّ العلّامة الطباطبائي اعتبر معنى التفسير بالرأي هو الاستمداد من غير القرآن في التفسير (وإنْ كان هذا الغير هو الروايات)، في حين اعتبر آية الله الخوئي أنّ معنى التفسير بالرأي هو عدم الاستفادة من الروايات في التفسير. وقد تناولنا هذه الآراء في مبحث تفسير المرآن بالقرآن والتفسير الروائي.

٣. الشيخ الانصاري

قال في مورد التفسير بالرأي:

«إنّ من المعلوم أنّ هذا لا يسمّىٰ تفسيراً، إذ التفسير هو كشف القناع، ولو سلّمنا كون مطلق حمل اللفظ على معناه تفسيراً، ولكن الظاهر أن المراد بالرأي هو الاعتبار العقلي الظنّي الراجع إلى الاستحسان، فلا يشمل حمل ظواهر الكتاب على معانيها اللغوية والعرفية. وعلى هذا فالمراد بالتفسير بالرأي: إمّا حمل اللفظ على خلاف ظاهره، أو أحد احتماليه (إذا كان هناك احتمالين أو أكثر) بدون دليل لرجحان ذلك في نظره أو حمل اللفظ على المعنى اللغوي والعرفي في بادئ الرأي دون الأخذ بنظر الاعتبار القرائن النقلية والعقليّة».[١]

المناقشة

في الحقيقة لا يعتبر كل حمل للفظ على خلاف ظاهر الآية من التفسير بالرأي. فقد يكون مقصود الشيخ هو فعل ذلك دون دليل، أو على أساس النظر الشخصي.

---

١. الأنصاري، فرائد الأُصول، ج ١، ص ١٤٢، ١٤٣

٤. آية الله معرفة

قسّم مفاد أحاديث التفسير بالرأي إلى نوعين، وهما:

أ) أنْ يعمد قوم إلى آية قرآنية فيحاولوا تطبيقها على ما قصدوه من رأي أو عقيدة أو مذهب أو مسلك، تبريراً لما اختاروا في هذا السبيل ولم يقصد تفسير القرآن، وهذا هو المراد بقوله ﷺ: «فقد خرّ بوجهه أبعد من السماء» أو «فليتبوأ مقعده من النار».

ب) الاستبداد بالرأي في تفسير القرآن مجانباً طريقة العقلاء في فهم معاني الكلام ولاسيّما كلامه تعالى، فإنّ للوصول إلى مراده تعالى من كلامه وسائل وطرقاً منها: مراجعة كلام السلف، الوقوف على الآثار الواردة حول الآيات وملاحظة أسباب النزول، إلى غير ذلك من الشرائط الّتي يجب توفرها في المفسّر؛ فالغفلة عن هذه الأُمور والاعتماد على الفهم الخاص مخالف لطريقة السلف والخلف في التفسير، ومن استبدّ برأيه هلك، ومن قال على الله بغير علم فقد ضلّ سواء السبيل، ولهذا فإنّه قد أخطأ وان أصاب الواقع، لأنّه أخطأ الطريق».[١]

٥. قال القرطبي

إنّ أحاديث المنع من التفسير بالرأي يمكن ان تكون على معنيين:

أ) أنْ يكون له في الشيء رأي، وإليه ميل من طبعه وهواه، ويفسّر القرآن طبقاً لهواه، ويستدلّ على رأيه بهذه الوسيلة، بحيث لو لم يكن عنده ذلك الرأي لما لاح له ذلك المعنى من القرآن.

ويمكن تصور هذا المعنى على صورتين: فتارة يكون مع العلم وذلك عندما يحتج على تصحيح بدعته ببعض آيات القرآن، وأُخرى يكون مع الجهل فيما إذا كانت الآية محتملة لاحتمالين فيميل برأيه إلى الوجه الذي يوافق غرضه.

ب) أنْ يسارع إلى تفسير القرآن بظاهر العربية دون الأخذ بنظر الاعتبار القرائن النقلية والأدبية.[٢]

---

١. التفسير والمفسّرون في ثوبه القشيب، ج ١، ص ٦٩، ٧٠
٢. تفسير القرطبي، ج ١، ص ٣٢ـ٣٤

٦. الذهبي

ذكر الصورتين (أ) و (ب) في كلام القرطبي وقسّمها إلى ستة أقسام، أربعة منها متعلقة بالصورة (أ) واثنين منها تابعة إلى (ب) وهي:

١ / الف) أنْ يكون المعنى الذي يقصده المفسّر صحيحاً فيحاول ان يحمل عليه لفظ القرآن دون وجود أيّ دلالة.

٢ / الف) أنْ يكون المعنى الذي يقصده المفسّر صحيحاً؛ فيحاول سلب لفظ القرآن عن دلالته ويحمله على ما يريده.

٣ / الف) أنْ يكون المعنى الذي يقصده المفسّر خاطئاً؛ فيحمل لفظ القرآن على هذا المعنى.

٤ / الف) أنْ يكون المعنى الذي يقصده المفسّر خاطئاً؛ فيحاول أن يسلب لفظ القرآن عن معناه الأصلي ويحمله على المعنى المقصود.

أما بالنسبة للجهة الثانية فهي تقع على صورتين أيضاً:

١ / ب) أن يكون للآية معنيان أو أكثر، وإنّ ألفاظ الآية تحتمل للمعنى الذي ذكره المفسّر لغةً ولكنه غير مراد.

٢ / ب) أنْ يكون اللفظ موضوعاً لمعنى بعينه، ولكن المقصود معنى آخر (غير ما وضع له اللفظ ويمكن فهمه من خلال القرينة).[1]

ثم قسّم التفسير بالرأي إلى قسمين: ممدوح ومذموم، واعتبر الممدوح مرادفاً للتفسير العقلي الذي يقع في قبال التفسير النقلي.[2]

المناقشة

اتّضح لنا فيما سبق أنّ منهج التفسير بالرأي يختلف عن التفسير العقلي، وسوف نقوم بمناقشة هذه المسألة عندما نتناول كلام الزرقاني.

٧. آية الله مكارم الشيرازي

قال في مورد التفسير بالرأي: «ففي كل مورد يتّخذ الإنسان عقيدة من العقائد ويسعى بتلفيق الشواهد من القرآن وأحاديث النبي صلى الله عليه وآله وأهل البيت عليهم السلام، وعندما لا يجد فيهما

---

١. الذهبي، التفسير والمفسّرون، ج ١، ص ٢٨١ ـ ٢٨٤
٢. المصدر السابق، ٢٨٤، ٢٨٥

ما يؤيد عقيدته يقوم بانتخاب بعض الآيات والروايات ويفسّرها خلاف ظاهرها دون وجود أي قرينة على ذلك لكي توافق عقيدته ورأيه الشخصي».[١]

وقال في مكان آخر: إنّ أحد معاني التفسير بالرأي هو التسليم والقبول بالقواعد الأدبية واللغوية في فهم الجمل والكلمات القرآنية، ولكن يقع التحريف عند تطبيق الآية على مصاديقها، فيقوم باختيار بعض الموارد الّتي ليست من مصاديق الآية على أساس الذوق والرأي الشخصي.[٢]

٨. الاستاذ عميد الزنجاني

قال في معنى التفسير بالرأي: «إنّ التفسير بالرأي هو أن يكون محور الاستنباط فيه هو نظر ورأي المفسّر حيث يكون حراً في فهم معاني ومقاصد الآيات، وليس مقيّداً في حدود معيّنة، وهذه النظرية تقع مقابل التفسير النقلي تماماً».[٣]

ثم ذكر روايات التفسير بالرأي والمعاني الثلاثة للباء في «برأيه» واختار معنى الاستعانة، فقال: «إنّ المفسّر بالرأي يستعين برأيه الشخصي فقط في استخراج مقاصد القرآن دون الالتفات إلى الطريق الطبيعي والجهات اللازمة، والاستمداد من المبادئ والمقدمات المقررة في التفسير».[٤]

وفي الختام خلص إلى القول: إنّه بالرغم من أنّ احاديث التفسير بالرأي ممنوعة شرعاً وعقلاً على جميع معاني «الباء» (الاستعانة، زائدة [جعل الرأي مصداقاً للتفسير]، السببيّة) الا ان المعنى الثاني هو المقصود من روايات التفسير بالرأي.[٥]

٩. عبد الرحمن العك

بدأ البحث تحت عنوان «المنهج العقلي» ثم قال: وللعلماء تسمية للتفسير العقلي هي «التفسير بالرأي».

ويطلق الرأي في اللغة على الاعتقاد، العقل، التدبير، كما يطلق الرأي في الاصطلاح

---

١. آية الله مكارم الشيرازي، تفسير به رأى، ص ٢٣

٢. المصدر السابق، ص ٢٧

٣. مبانى و روشهاى تفسيرى، ص ٢٤٩ (الطبعة الرابعة)

٤. المصدر السابق، ص ٢٥٧

٥. المصدر السابق، ص ٢٥٧، ٢٥٨

على الاجتهاد، ومنه أُطلق على «أهل الفقه» أصحاب الرأي. وعلى ما تقدم فإنّ التفسير بالرأي: هو التفسير بالعقل والاجتهاد.[١] ثم ذكرأدلّة الموافقين والمخالفين ثم خلص إلى القول بإنّ: «الرأي قسمان: قسم جارٍ على موافقة كلام العرب ومناحيهم في القول، مع موافقة الكتاب والسنّة، ومراعاة سائر شروط التفسير، فهذا القسم جائز، لاشكّ فيه وعليه يحمل كلام المجيزين للتفسير بالرأي. وقسم غير جارٍ على قوانين العربية، ولكن ليس موافقاً للأدلة الشرعية ولا مستوفياً لشروط التفسير وهذا هو مورد النهي ومحطّ الذمّ».[٢]

المناقشة

ذهب الشيخ العك إلى أنّ التفسير بالرأي ينقسم إلى قسمين، وقد بحثنا هذا الرأي عند تناولنا لكلام الزرقاني. وهناك عدة نقاط في هذا الكلام جديرة بالتأمل:

أوّلاً: اعتبر التفسير بالرأي مرادفاً للتفسير العقلي، في حين أنّ هناك اختلافاً كبيراً بين التفسير بالرأي والتفسير العقلي الذي يستفيد من القرائن العقلية في فهم وتوضيح آيات القرآن (ذكرنا ذلك في مبحث التفسير العقلي)، بينما التفسير بالرأي هو الاستفادة من النظر والرأي الشخصي (وليس الدليل العقلي القطعي) في تفسير القرآن.

ثانياً: لم نجد في كتب اللغة أنّ معنى الرأي هو العقل والتدبير، وكذلك لم يذكر المصدر الذي استند إليه في ذلك، وكما مرّ سابقاً فإنّ بعض المفسّرين المعاصرين انكروا استخدام الرأي في معنى الادراك العقلي.

١٠. توصل الزرقاني بعد دراسة أدلة الموافقين والمخالفين للتفسير بالرأي إلى أنّ الاختلاف لفظي وليس حقيقياً؛ أي أنّ الرأي علىٰ قسمين:

القسم الأوّل: هو التفسير بالرأي الجائز الموافق للكتاب والسنّة وكلام العرب، والذي يكون في ظل توفر شروط المفسّر، ولابدّ أن نحمل كلام الموافقين على هذا القسم من التفسير بالرأي.

١. خالد عبد الرحمن العك، أُصول التفسير وقواعده، ص ١٦٧، وقد ذكر الدكتور محمد حمد زغلول رأياً مشابهاً في كتابه التفسير بالرأي، ص ١٠٧.
٢. المصدر السابق، ١٧١

القسم الثاني: هو النظر والرأي الشخصي الذي لا يقوم على أساس قوانين اللغة العربية ولا يوافق الأدلّة الشرعية، ولا تتوفر في المفسّر شرائط التفسير، وهذا هو القسم الممنوع من التفسير، والذي يجب أنْ نحمل كلام المخالفين عليه، ثم قسّم التفسير بالرأي إلىٰ قسمين: ممدوح ومذموم، واعتبر التفسير بالرأي الممدوح هو التفسير العقلي.[١]

وكما مرّ سابقاً فإنّ الدكتور الذهبي قد قسّم التفسير بالرأي إلى قسمين: ممدوح ومذموم، وإنّ الممدوح هو التفسير العقلي الذي يقع في قبال التفسير النقلي،[٢] وكما أنّ الشيخ عبد الرحمن العك له رأي مشابه لرأي الزرقاني.[٣]

المناقشة

يظهر أنّ الرأي الذي يذهب إلى تقسيم التفسير بالرأي إلى قسمين: ممدوح ومذموم، ثم الحكم بجواز الأوّل، والمنع من الثاني، غير صحيح أساساً؛ لأنّ التفسير بالرأي ـ كما بيّنّاه سابقاً ـ هو تفسير القرآن دون مراجعة القرائن العقلية والنقلية، وعلى أساس النظر الشخصي؛ في حين أن التفسير العقلي هو التفسير على أساس القرائن العقلية القطعية (كما ذكرنا سابقاً في بحث المنهج العقلي)؛ أيّ أنّ الذمّ والمنع عن التفسير بالرأي ورد مطلقاً بالروايات وأنّ التفسير العقلي خارج عن موضوع هذا البحث، ولا يعتبر من التفسير بالرأي، وهو ممدوح دائماً. بالإضافة إلى ذلك فإنّ «الرأي» لا يأتي بمعنىٰ الادراك العقلي في اللغة كما مرّ سابقاً. وقد ردّ الاستاذ عميد الزنجاني هذا الرأي فقال: «هناك من قسّم التفسير بالرأي إلىٰ قسمين: ممدوح ومذموم وأرجع الروايات الّتي تنهى عن التفسير بالرأي إلى النوع المذموم، وإنّ هذا التقسيم بالاضافة إلى أنّه لا يتّفق مع ظاهر الروايات المذكورة واطلاقها، يقوم أساساً على فكرة غير صحيحة في أصالة الرأي».[٤]

ملاحظة: بالنسبة إلى كلام الشيخ خالد عبد الرحمن العك والزرقاني نقول: رغم أنّه لا مانع من استحداث بعض الاصطلاحات الجديدة، ولكن ينبغي التأملُّ في تقسيم التفسير بالرأي إلى ممنوع وجائز، فإنْ كان المقصود من النوع الجائز، هو النظر

---

١. مناهل العرفان، ج ٢، ص ٦٦، ٧١

٢. التفسير والمفسرون، ج ١، ص ٢٨٤، ٢٨٥

٣. أصول التفسير وقواعده، ١٧١

٤. مباني و روشهاى تفسير قرآن، ٢٣٠ (الطبعة الثالثة)

الاستنباطي الاجتهادي للمفسّر بعد مراجعة اللغة والكتاب والسنّة، فإن هذا لا يعتبر من أقسام التفسير بالرأي كما سبق أنْ ذكرنا، بل هو من التفسير الاجتهادي الصحيح؛ لأنّ المقصود من التفسير بالرأي هو النظر الشخصي دون مراجعة القرائن العقلية والنقلية.

١١. يعتقد الطبري أنّ أحاديث التفسير بالرأي وردت في خصوص الآيات الّتي تفتقر إلى بيان النبيﷺ مثل آيات الأحكام.[١]

المناقشة

ان العمل بعمومات ومطلقات آيات الأحكام دون مراجعة المخصّصات والمقيّدات غير صحيح، ويعتبر أحد أنواع التفسير بالرأي، ولكن المنع من التفسير بالرأي ورد مطلقاً في الروايات ولا يقتصر على هذا النوع فقط.

١٢. نُقِل عن ابن الانباري أنّه قال بخصوص أحاديث التفسير بالرأي: «من قال في مشكل القرآن بما لا يعرف من مذهب الأوائل من الصحابة والتابعين فهو متعرض لسخط الله».[٢]

المناقشة

لا يوجد دليل على حصر التفسير بالصحابة والتابعين وإنْ ثبتتِ لحُجيَّة أقوالهم في خصوص اللغة وشأن النزول والرواية عن الرسولﷺ (إذا كان الطريق موثوقاً ومعتمداً)، وفي غير تلك الصورة لا يعتبر حجة؛ ولهذا فإنّ تفسير القرآن دون الالتفات إلىٰ أقوال الصحابة والتابعين لا يعتبر تفسيراً بالرأي؛ إلّا إذا كان الصحابي معصوماً «الإمام علي مثلاً» فإن أقواله تعتبر حجة مطلقاً،[٣] ولابد من الأخذ بقوله على أنّه من القرائن النقلية.

١٣. نقل ابن الانباري عن بعض أهل العلم في خصوص الرواية: «من قال في

---

١. تفسير الطبري، ج ١، ص ٢٥ ـ ٢٧ (بتصرف)
٢. آية الله معرفة، التفسير والمفسّرون في ثوبه القشيب، ج ١، ص ٦٣
٣. أُنظر: الكاتب السطور، درآمدى بر تفسير علمى قرآن، ص ٨٨

القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ» قال: «إنّ الرأي هُنا بمعنى الهوىٰ فمن قال في القرآن ما يوافق هواه، ولم يأخذهُ عن أئمة السلف، فأصاب فقد أخطأ، لحكمه على القرآن بما لا يعرف أصله»[١] ونُقل عن السيوطي أيضاً أنّ معنىٰ التفسير بالرأي هو: «التفسير بالاستحسان والهوىٰ».[٢]

المناقشة

أوّلاً: لقد اتّضح فيما سبق ـ في تحليل روايات التفسير بالرأي ـ أنّ إضافة كلمة «الرأي» إلى الضمير يشير إلى أنّ المراد هو الرأي الشخصي، وهذا لا يعني أنّ الرأي الشخصي يتفق دائماً مع هوىٰ النفس؛ فإذا أقدم أحد الأشخاص على تفسير القرآن دون الالتفات للقرائن العقلية والنقلية فسوف يكون متورطاً بالتفسير بالرأي، سواءً كان هذا التفسير منطلقاً من هوى النفس أو لا، أي أنّ هذا المنهج هو منهج خاطئ، ولذلك فإنّ أحد مصاديقالتفسير بالرأي هو التفسير على أساس الهوى النفسي، ولكنه لا ينحصر بهذا المصداق. ومن المؤكد أن التفسير بالرأي على أساس الهوىٰ ممنوع في نفسه أيضاً.

ثانياً: إنّ تفسير القرآن على أساس الاستحسان هو تفسير غير معتبر ومردود، وليس هناك ما يدلّ على اعتباره، ويمكن أن يكون أحد مصاديق التفسير بالرأي ومشمولاً بروايات المجموعة «ب» الّتي تدلّ على أنّ تفسير القرآن دون علم هو نوع من أنواع التفسير بالرأي.

١٤. نقل السيوطي عن ابن النقيب محمد بن سليمان البلخي خمسة أقوال في مورد حديث التفسير بالرأي منها: «التفسير من غير حصول العلوم الّتي يجوز معها التفسير».[٣]

المناقشة

قلنا في تحليل الروايات إنّ إقدام أيّ شخص على التفسير دونامتلاك التخصّص الكافي، يعتبر من التفسير بالرأي. وهذه المسألة يمكن استفادتها من أحاديث

---

١. المصدر السابق ٢. الاتقان في علوم القرآن، ج ٤، ص ١٩١

٣. الاتقان في علوم القرآن، ج ٤، ص ١٩١

المجموعة «ب» و «د»؛ لأن تفسير غير المتخصص يعتبر نوعاً من القول بغير علم وخطأ في المنهج، وافتراءً على الله سبحانه وتعالى، وهو مذموم من قبل العقلاء أيضاً، ولكن التفسير بالرأي لا ينحصر بهذه الموارد ـ كما ذكرنا سابقاً ـ فالتفسير دون مراجعة القرائن العقلية والنقلية يعتبر من أنواع التفسير بالرأي وإنْ كان من قبل أفراد متخصّصين في التفسير.

١٥. روى السيوطي أيضاً: «إنّ التفسير بالرأي هو تفسير المتشابه الذي لا يعلمه الا الله».[١]

المناقشة

توجد هنا عدة نقاط جديرة بالملاحظة:

أوّلاً: يبتني هذا الكلام على أنّ الواو في الآية ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾،[٢] ليست عاطفة وأنّه لا يعلم المتشابه الا الله. وهذه المسألة ليست مورد اتفاق بين علماء المسلمين؛ لأنّ هناك من ذهب إلى أن «الواو هي واو العطف، وأنّ الراسخين في العلم (الأئمة ﵈ والعلماء) يعلمون تأويل المتشابهات أيضاً.[٣]

ثانياً: إن التأويل يختلف عن التفسير، وما جاء في هذه الآية هو تأويل الآيات المتشابهة وليس تفسيرها، إلّا أن يقال أنّ المقصود من التأويل هنا هو التفسير.

ثالثاً: لقد جاء تعريف المحكمات في هذه الآية بأنّها أم الكتاب ومحل رجوع المتشابهات، وعلى هذا فيمكن تفسير الآيات المتشابهة بإرجاعها إلى المحكمات ولا يعتبر التفسير حينئذ من التفسير بالرأي.

١٦. نقل السيوطي أيضاً: «إنّ التفسير بالرأي هو التفسير المقرّر للمذهب الفاسد بأن يجعل المذهب أصلاً والتفسير تابعاً، فيُرجع التفسير إلىٰ ذلك المذهب بأي طريقٍ وإن كان ضعيفاً».[٤]

المناقشة

ما ذكره السيوطي هو أحد مصاديق التفسير بالرأي، فإذا كان للمفسّر عقيدة صحيحة وفسّر القرآن طبقاً لعقيدته دون ان يكون هناك دلالة من الآية على ذلك، ودون وجود

١. الاتقان في علوم القرآن، ج ٤، ص ١٩١
٢. آل عمران، ٧
٣. أنظر: الميزان، ج ٣، ص ٢٧، ٢٨، حيث اعتبر الواو استئنافية؛ تفسير نمونه، ج ٢، ص ٤٤١، اعتبر الواو في الآية هي واو العطف.
٤. الاتقان، ج ٤، ص ١٩١

القرائن، فانّه يكون من التفسير بالرأي أيضاً.

١٧. نقل السيوطي أيضاً.

«التفسير بالرأي هو القول بأن مراد الله كذا على القطع من غير دليل».[١]

المناقشة

هذه المسألة هي إحدى مصاديق التفسير بالرأي ويمكن استفادتها من مجموع الروايات «ب»؛ لأنّه قول بغير علم وافتراء على الله.

١٨. روى العلّامة الطباطبائي وجهين آخرين عن ابن الأنباري حول التفسير بالرأي:

الأوّل: هو القول في القرآن بما يعلم ان الحق غيره.[٢]

الثاني: ان المراد به هو القول في القرآن بغير علم وتثبّت، سواءً علم أنّ الحق خلافه أم لا.[٣]

المناقشة

يرجع الوجه الأوّل لابن الانباري إلى الرأي المذكور في المجموعتين «١١» و «١٤»، أمّا الوجه الثاني فيرجع إلى الوجه الثاني عشر، وقد مرّت مناقشة هذه الآراء.

١٩. نقل العلّامة الطباطبائي عن بعض الاشخاص قوله: «ان التفسير بالرأي حسب المبنى الذي نتّخذه هو أنّ القرآن ليس له ظهور بغير الروايات الواردة عن المعصومين أو أن له ظهوراً لا نفهمه دون النصّ من المعصوم، ومع حفظ هذا المبنى نأخذ ظاهر القرآن ونفسّره دون الاعتماد على الروايات».[٤]

المناقشة

إنّ بناء العقلاء على أن ظاهر كلام المتكلم حجّة ومنها ظواهر القرآن، فهي قابلة للفهم وحجّة في المقام، فلا إشكال على الأخذ بظواهر الآيات، وقد خالف الأخباريون في

---

١. الاتقان، ج ٤، ص ١٩١؛ وقد نقل ذلك آية الله معرفة في كتابه التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب، ج ١، ص ٦٩؛ الميزان، ج ٣، ص ٧٧، ٧٨.

٢. الميزان، ج ٣، ص ٧٨

٣. المصدر السابق

٤. الميزان، ج ٣، ص ٧٨. اعتبر العلّامة الرأي (التاسع والعاشر) وجهين مستقلين في التفسير بالرأي، وقد أدغمنا هذين الرأيين لتشابههما.

هذا الأمر. كما ان هذه المسألة بُحثت في علم أصول الفقه، وأُجيب عن الإشكالات الّتي طرحها الاخباريون،[1] كما سبق أنْ أشرنا إلى ذلك في بحث التفسير الروائي.

ملاحظة: اعتبر بعض العلماء التعريف المذكور من انواع التفسير بالمصداق للتفسير بالرأي،[2] ولعله يمكن ادغام بعض هذهِ الموارد مع البعِض الآخر، وقد ذكرناها بصورة مستقلّة لإيضاح المطلب.

الخلاصة والنتيجة

في ضوء مفاد روايات المنع عن التفسير بالرأي وما بيّنّاه من نقاط، ومع أخذ آراء العلماء والمفسّرين بنظر الاعتبار يمكن أن يقال: «إنّ معنى التفسير بالرأي هو قيام المفسّر بالتفسير دون مراعاة القرائن العقلية والنقلية، أو تحميل المفسّر رأيه الشخصي على القرآن، أو عدم توفر الشرائط اللازمة لدى المفسّر، وهذا العمل بالإضافة إلى أنّه محرم في نظر الشارع فهو مُدان عند العقلاء أيضاً» وسوف نذكر بعض الموارد والمصاديق للتفسير بالرأي في المباحث الآتية.

نماذج من التفسير بالرأي

هناك نماذج كثيرة من التفسير بالرأي في كتابات القدماء والمتأخرين، سنشير إلى بعضها:

١. التفسير بالرأي عند بعض التيارات المنحرفة؛ أي اختيار عقيدة منحرفة والسعي لتلفيق بعض الشواهد من آيات القرآن من أجل تأييدها، دون التورّع عن تحميل القرآن مثل هذه المطالب.

مثال: نقل الشهيد المطهري‌ؒ في كتابه علل گرايش به ماديگرى[3] نماذج من التفسير بالرأي، فقال: إنكم تفسّرون [أصحاب النزعة المادية في التفسير] الآية الكريمة ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾،[4] فتقولون حول الإيمان

---

١. أُنظر: الآخوند الخراساني، مبحث حجية الظواهر في كفاية الأُصول؛ الشهيد الصدر، حلقات و....

٢. أي ليس حّداً تامّاً بل هو تعريف بالرسم التام أو الناقص.

٣. تُرجم هذا الكتاب تحت عنوان الدوافع نحو المادية [المترجم].

٤. البقرة، ٣

بالغيب: يعتقد المفسّرون أنّ الغيب هو ما لا يمكن رؤيته، أعم من الله، الملائكة و...، في حين أنّ الله والملائكة و... ليسوا غيباً، هذا أولاً، وثانياً: لقد مرّ ذكر قضيّة الإيمان بالله سابقاً عندما تطرقنا إلى مسألة «المتّقين»، فالمقصود من الغيب المعهود والمعروف هو المراحل الأولية لنضج الثورة التوحيديّة، وزمن حصول التّحولات الكميّة.[١]

ونقل أيضاً: إنكم تفسّرون: «يقيمون الصلاة» هكذا: إنّهم ومن أجل تحقق إيمانهم يقيمون تلك العلامة الّتي تسمّىٰ في لسان الأديان بالصلاة.[٢]

وقال أيضاً: أينما وجدتم لفظ الدنيا فسّرتموه بالحياة الدنيّة، وهذا المعنى صحيح، ولكنكم حصرتموها بالحياة الرأسمالية، وقلتم إنّ معنى الآخرة هي الحياة العليا، أيّ النظام الاشتراكي الذي يأتي بعد هذا النظام.[٣] ثم أشكل على هذا المنهج في التفسير وأطلق عليها الماديَّة المُغفَّلة أو المادية المُنافقة.

مثال آخر: في تفسير غرائب القرآن لنظام الدين النيشابوري؛ هناك بحوث تُذكر تحت عنوان «التأويل» بعد تناول كل مجموعة من تفسير الآيات، وهي من أوضح مصاديق التفسير بالرأي؛ فمثلاً في تفسير الآيات المتعلقة بتحدّي موسى للسحرة، قال: فالمقصود من الثعبان [٤] في هذه القصة هو ثعبان النفس؛ لأنّه أضاف العصا إلى نفسه في قوله «هي عصاي»،[٥] ويُعلم منه أنّ كلّ شيء أضفته إلى نفسك وجعلته محل حاجاتك فإنّه ثعبان يبتلعك، ولذلك قال له: «ألقها يا موسى»،[٦] أيّ ألقِ عصا النفس، والمقصود من «اليد البيضاء» هي أنّ الأيدي قبل تعلقها بالأشياء كانت بيضاء نقيّة نورانية روحانية.[٧]

ملاحظة: لقد ذكرنا بعض النماذج من تحميل النظريات العلمية على القرآن، والّتي تنتهي إلى التفسير بالرأي في مبحث منهج التفسير العلمي (كالنماذج الّتي ذكرها عبد الرزاق نوفل و...).

٢. تفسير القرآن عن طريق غير المتخصّصين من الذين لا يراعون القواعد اللغوية والأدبية في التفسير.

١. الشهيد المطهري، مجموعة آثار، ج ١، ص ٤٦٥
٢. المصدر السابق، ص ٤٦٦
٣. المصدر السابق
٤. الأعراف، ١٠٧
٥. طه، ١٨
٦. طه، ١٩
٧. غرائب القرآن المذكور في حاشية تفسير الطبري، ج ٩، ص ٢٤، ٢٥

مثال: أشار آية الله مكارم الشيرازي إلىٰ رأي الذين يذهبون إلىٰ أنّ قصة آدم هي قصة رمزية، فنقل قولهم: إن لسان القرآن في خلق آدم لسان مُتشابه رمزي، فلسفي وعميق المعنىٰ، فحقيقة الإنسان ومصيرهُ المعنوي وصفاته النوعية لها قانون خاص في هذهِ القصة، فالطين المتعفّن والروح الإلٰهية هما إشارتان رمزيتان، فالإنسان واقعاً لم يخلق من (حمأ مسنون)، ولا من الروح، بل إنّ الأوّل يشير إلى الحقارة والركود والتوقف المطلق، والأُخرى إلى التكامل المطلق والتفوق غير المتناهي.

ثم أشكل عليهم فقال: مع عدم وجود أيّ قرينة على خلاف المفهوم الظاهري في اللغة، قاموا بتفسير ذلك بصورة رمزية، على أنّ أحدهما يشير إلى الحقارة المطلقة والآخر إلى التفوق المطلق طبقاً لأذواقهم الشخصية، وذكروا شاهداً على رأيهم من أقوال باسكال، وهذا ليس إلّا التفسير بالرأي. وأضاف قائلاً: كيف يمكن التورط بمثل هذه التفاسير الّتي هي خلاف القواعد الأدبية، ونقوم بتحميل الأفكار الشخصية على المفاهيم الإسلامية.[١]

٣. تفسير القرآن على أساس القرائن العقلية والنقلية والّتي ربّما يقوم المفسّر بتحميل رأيه على القرآن.

مثال: كتب الاستاذ عميد الزنجاني عند تناوله مصاديق وموارد التفسير بالرأي فقال: «إنّ التفسير بالرأي عند الطنطاوي، والسيد هبةالدين الشهرستاني في «الهيئة والإسلام، والكواكبي في «طبائع الاستبداد»، بعيد عن الاغراض الفاسدة. ثم أشار إلى تفسير آيات الخلق في القرآن على أساس نظرية التطوّر،[٢] وتفسير آيات المعاد على أساسالأُصول المادية العلمية،[٣] وتفسير الآيات المتعلقة بمعجزات الأنبياء على أنّها أُمور عاديّة،[٤] وقال إنّها من نماذج التفسير بالرأي. ثم ذكر[٥] نماذج من التفسير بالرأي عند الفخر الرازي[٦] واخوان الصفا[٧] والصوفية[٨] في مكان آخر.

١. مكارم الشيرازي، تفسير به رأى، ٧٤ـ٧٧
٢. أُنظر: الدكتور يد الله سحابي، خلقت انسان.
٣. مبانى و روشهاى تفسير قرآن، ٢٣٣ـ٢٣٦
٤. أُنظر: المهندس بازرگان، راه طى شده
٥. أُنظر: التفسير والمفسرون، ج ٢، ص ٥٣٤.
٦. التفسير الكبير، ج ١، ص ٤٢
٧. علي اصغر حلبي، گزيده رسائل اخوان الصفا، ص ٧٨
٨. حاشية تفسير الطبري، ج ٩، ص ٢٤، ٢٥

معايير وضوابط التفسير بالرأي

المقصود من معايير التفسير بالرأي هي الشروط والضوابط الّتي ـبمراعـاتها ـ تـجنِّب المفسّر عن الوقوع في التفسير بالرأي، وتستفاد هذه المعايير والضوابـط مـن خـلال تحليل أدلة التفسير بالرأي والآراء الّتي قيلت حوله. وسوف تتّضح مصاديق التـفسير بالرأي، ومواقع الزلل عند المفسّرين ضمن بيان هذه المعايير والضوابط.

محاور هذه المعايير والضواب

أما أهم محاور هذه المعايير، فهي:

أوّلاً: عدم الالتفات إلى القرائن العقلية والنقلية في تفسير آيات القرآن: لابدّ من الالتفات إلى هذه القرائن في تفسير القرآن؛ أي أنّه لابُدَّ من التـنبّه إلى حكـم العـقل القـطعي، والآيات الأُخرى، والروايات المعتبرة وإلا فإن المفسّر سوف يقع في التفسير بالرأي المحظور.

ويمكن اعتبار الموارد التالية من مصاديق هذا البحث:

ألف) عدم الالتفات إلى المخصِّصات والمقيّدات الموجودة في الآيـات الأُخـرىٰ، وروايات النبيّ‌صلى‌الله‌عليه‌وآله وأهل البيت‌عليهم‌السلام في تفسير آيات الأحكام، والإفـتاء دون رعـاية هذه القرائن.

ب) تفسير القرآن على أساس الظهور الابتدائي دون مـراجـعة أقـوال المـفسّرين والقرائن العقلية والنقلية والمصادر التفسيرية الأُخرىٰ.

ج) الذهاب إلى أحد الاحتمالات المتساوية في تفسير الآية علىٰ أسـاس النـظر الشخصي دون وجود قرينة على هذا الاحتمال.

د) تفسير القرآن على أساس النظر الشخصي والميل إلى الاحتمال المرجوح فـي الآية دون وجود قرينة قطعية على ذلك.

وبعبارة أُخرى: تفسير القرآن على خلاف الظاهر من دون قرينة.

ه) الاستبداد والاستقلال بالرأي في تفسير القرآن.

ثانياً: تحميل الآراء الشخصية والمذهبية والجماعية على القرآن؛ فعلى المـفسّر أن يجعل تفسيره موافقاً لظاهر الآية ولا يُحمِّل القرآن ما لا تتحمله الآية، ولأن هذا العمل

سوف ينتهي به إلى التفسير بالرأي، وعادة ما يقع في هذا المحذور أصحاب التعصبات المذهبية والعقائدية.

ويمكن ان تكون الموارد التالية من مصاديق هذا البحث:

الف) تحميل النظريات غير الثابتة على القرآن.

ب) تحميل العقائد الشخصية على القرآن دون وجود أي مناسبة مع ظاهر الآية.

ج) تحميل العقائد المنحرفة للفرق والأحزاب على القرآن.

د) اختيار أحد الآراء السياسية والاقتصادية و... والبحث عن المؤيدات لهذه الآراء في القرآن، وعندما لا يجد آية تنطبق على هذه الآراء فإنّه يقوم بتأويل بعض الآيات على خلاف معناها ليثبت رأيه.

ه) فهم وتفسير الآية بصورة صحيحة وتطبيقها على مصاديق غير صحيحة، كما هو الحال في تطبيق الآيات على بعض العقائد المنحرفة عند الفرقة البهائية و....

و) إظهار الرأي الشخصي بدلاً عن التفسير ونسبته إلى الله تعالى.

ز) تفسير القرآن على أساس هوى النفس.

ثالثاً: تفسير القرآن بواسطة الشخص غير المتخصّص:

لابد أن يكون التفسير عن طريق أفراد متخصّصين في هذا المجال، (كما هو الحال في كل عمل تخصصي آخر)، بحيث يكون المفسِّر عارفاً بالمصادر والضوابط وشروط التفسير، وأن تتوفر فيه الشروط اللازمة للمفسّر حتى يمكن أنْ يكون تفسيره تفسيراً معتبراً.[١] فإذا فقد المفسّر هذه الشروط فإنّ منهجه يعتبر خاطئاً وتفسيراً بالرأي وإنْ كان صحيحاً.

والنماذج التالية يمكن أنْ تكون من مصاديق هذا البحث:

١. من شروط المفسرين: معرفة علوم اللغة العربية (الصرف، النحو، اللغة، الاشتقاق، المعاني، البيان، والبديع)، المعرفة التاريخية والجغرافية (شأن النزول، تاريخ القرآن، تاريخ العرب والمسلمين) والمناخ الجغرافي الذي نزلت فيه الآية، معرفة علوم القرآن (مثل الناسخ والمنسوخ، المحكم والمتشابه، و...) علم الفقه والأصول، الاطلاع على أحاديث النبيﷺ وأهل البيت والرجوع اليها، الاطلاع على القراءات القرآنية، المعرفة بعلم أصول الدين، الاطلاع على الآراء الفلسفية والعلمية والاجتماعية والاخلاقية، والاجتناب عن الآراء المسبقة، الاطلاع على التفاسير والممارسة لها، المنهج الصحيح في تفسير القرآن. أُنظر: الكاتب: درآمدى بر تفسير علمى قرآن، ص ٦١ ـ ٧٣؛ السيوطي، الاتقان في علوم القرآن، ج ٢، ص ٢٠٠ وما بعدها.

أ) تفسير القرآن بواسطة الأفراد غير المتخصّصين أمثال بعض الطلاب الذين لا يمتلكون الوسائل الكافية في التفسير.

ب) تفسير القرآن بواسطة بعض الأفراد الجهلة الذين لا يعرفون أنّ ما قالوه حقّاً أم باطلاً، ويفسّرون القرآن بغير علم وينسبون ذلك إلى الله بصورة قطعية.

ج) تفسير القرآن بواسطة افراد يجهلون مناهج التفسير الصحيح ولا يعملون على طبقها.

الفرق بين التفسير بالرأي والتفسير العقلي والاجتهادي

الاجتهاد ـ كما هو الحال في الفقه ـ على نوعين:

أ) الاجتهاد دون الأخذ بنظر الاعتبار بروايات النبي صلى الله عليه وآله وأهل البيت عليهم السلام.

ب) الاجتهاد مع الالتفات إلى القرائن العقلية والنقلية والآيات المحكمة؛ أي اجتهاد المفسّر بعد مراجعة مصادر التفسير، ومع توافر الشروط في المفسّر؛ فيقوم المفسّر بتفسير الآية بالرواية ـ فيما إذا وجدت رواية معتبرة ـ وفي ضوء القرائن العقلية والعلوم الأدبية وظواهر الآيات فيما إذا لم توجد رواية عن طريق الأئمة عليهم السلام. فالاجتهاد في القسم الأوّل غير صحيح ومرفوض، وهو نوع من أنواع التفسير بالرأي، وفي القسم الثاني صحيح ومقبول، وهو من لوازم التفسير المعتبر؛ لأنّه لا يمكن للمفسّر أن يقلّد الآخرين، ولابد أن يُبدي رأيه في التفسير. وهذا ما أشار إليه العلّامة الطباطبائي في تفسيره فقال: الرأي هو الاعتقاد عن اجتهاد... وكيف كان لما ورد قوله: برأيه، مع الإضافة إلى الضمير عُلم منه أن ليس المراد به النهي عن الاجتهاد المطلق في تفسير القرآن. نعم إذا جاءت كلمة «الرأي» بغير الضمير، يمكن أنْ يستفاد منه نفي الاجتهاد المطلق، وهنا يمكن ان نقول أنّ الاجتهاد ممنوع في التفسير، وأنّه لا يمكن أن نفسّر القرآن الّا عن طريق الروايات، بل الإضافة في قوله: «برأيه» تفيد معنى الاختصاص والانفراد والاستقلال، أيّ أنّ المفسّر لا يستطيع أنْ يفسّر القرآن ويفهم الآيات بصورة مستقلة بما عنده من الأدوات في فهم الكلام العربي؛ بل عليه أن يسعى في دراسة وفهم الآيات المناسبة الأُخرى.[1]

---

١. الميزان، ج ٣، ص ٧٦ وما بعدها، بتلخيص وتصرف.

تفاوت التفسير بالرأي مع التفسير العقلي

المقصود من تفسير القرآن بالعقل هو الاستمداد من القرائن الواضحة والمقبولة عند جميع العقلاء لفهم معاني الألفاظ والجمل ومن ضمنها القرآن والحديث.

فاذا قيل مثلاً إنّ الله «سميع» و «بصير»، فهنا يحكم العقل بأن المقصود من ذلك ليس هو ان الله سبحانه له حاسّة كحواسّنا مثل العين والأُذن؛ بل المقصود هو العلم الواسع المطلق لله، حيث يسمع جميع الأصوات ويعلم جميع الاشياء وأنّه حاضر في كل مكان.[١] وبعبارة أُخرى: ان الرأي هنا لا يعني العقل، وأن التفسير بالرأي لا يعني التفسير العقلي، وقد أشرنا إلى ذلك مفصّلاً في مبحث التفسير العقلي.

الآثار السلبية للتفسير بالرأي

١. ذم العقلاء لهذا النوع من التفسير.

٢. العذاب الالهي كما ورد في الروايات.

٣. شيوع الفوضىٰ في فهم معاني آيات القرآن لعدم وجود المعايير والضوابط، والغفلة عن المعاني الأصلية للآيات، فقد تُحمل الآية على معنيين متضادين من قبل بعض المدّعين؛ بل إنّ جميع القوانين والالفاظ سوف تفقد قيمتها بسبب هذه الطريقة في التفسير.

٤. بسبب هذا المنهج المنحرف في التفسير، يصبح القرآن ـ وهو القائد للفكر البشري، والهادي للمجتمع وعامل للوحدة ـ تابعاً لأفكار البشر، وسبباً في الانحراف الفكري والاخلاقي، ووسيلة للشنقاق والاختلاف، وسوف يتغيرالبرنامج الذي وضعه القرآن لسعادة البشر إلىٰ برنامج للمنفعة الشخصية.

٥. ضياع المحتوى الواقعي للقيم الأصلية في الكتاب والسنّة، واتخاذ هذهِ الطريقة وسيلة بيد الافراد الضالّين والمفسدين.

٦. تطبيق القوانين السماوية على المُتطلبات الانحرافية للبيئة الفاسدة وبالنتيجة تتغيّر هذهِ المفاهيم على ضوء تلك المتطلبات.

١. آية الله مكارم الشيرازي، تفسير به رأى، ٣٨، ٣٩

٧. سقوط المفاهيم المطلقة والأبديَّة وتبديلها إلى مفاهيم مبتذلة ومحدودة وغير كفوءة للفكر الإنساني القاصر، وإبعاد المسلمين عن نور هداية القرآن.

٨. إضعاف التعبد الديني الذاتي وتحكيم الأذواق الشخصية على أفكار المجتمع.

٩. فصل المسلمين عن أهل البيتعليهم السلام بالتغاضي عن الأحاديث والقرائن النقلية لأهل البيتعليهم السلام وما يتبع ذلك من ضلال.

١٠. الاستغراق في القياس والاستحسان ونفوذ الافكار الخاطئة في المعارف الإسلامية.[١] وعشرات النتائج السيّئة الأُخرى والّتي يمكن ان تتّضح بمرور الزمان.

---

١. أُنظر: حسن عاشوري اللنگرودي، تفسير به رأى.

الخلاصة

من مجموع المسائل الّتي ذكرناها سابقاً توصّلنا إلىٰ ما يلي:

١. ذكرنا تسعة عشر رأياً لبعض العلماء والمفسّرين في مورد التفسير بالرأي مع النقد والتحليل.

٢. منهج التفسير بالرأي قد يرجع إلى شخص المفسّر، وذلك لعدم توفّر الشروط فيه، وقد يرجع إلى المنهج الخاطئ الذي يتمثل بعدم مراجعة المفسّر للقرائن العقلية والنقلية، أو قد يرجع إلى تحميل رأي المفسّر على القرآن.

٣. ذكرنا نماذج من التفسير بالرأي عند المفسّرين وبعض التيارات المنحرفة، والأفراد غير المتخصصين.

٤. ذكرنا محاور وضوابط التفسير بالرأي وهي ثلاثة محاور: عدم الالتفات إلى القرائن، تحميل الآراء على القرآن، وعدم توفر الشروط عند المفسّر. وهذه المحاور تشمل خمسة عشر مصداقاً ومورداً.

٥. وضّحنا الفرق بين التفسير بالرأي والاجتهاد، وتبيّن أن الاجتهاد دون الرجوع إلى القرائن العقلية والنقلية يعتبر نوعاً من انواع التفسير بالرأي،

وأن الاجتهاد والاستنباط مع الرجوع إلى القرائن لا يعتبر من مصاديق التفسير بالرأي.

٦. التفسير بالرأي غير التفسير العقلي؛ لأنّ التفسير العقلي يعتمد على القرائن العقلية والنقلية خلاف التفسير بالرأي.

٧. ذكرنا الآثار السلبية للتفسير بالرأي في عشرة موارد أهمّها: الوعد بالعذاب الإلٰهي، شيوع الهرج والمرج في فهم الآيات.

الأسئلة

١. هل يعتبر التفسير بالرأي من مناهج التفسير واقعاً؟ وضّح ذلك؟

٢. ما هو المقصود من «الرأي» في «التفسير بالرأي»؟، وماذا يعني إضافته إلى الضمير «برأيه»؟

٣. ما هو معنى الباء في «التفسير بالرأي»؟، وما هو معنى الحديث «من فسّر القرآن

برأيه...» في ضوء هذه المعاني؟ وما هو المعنى الأكثر تناسباً مع ظاهر الروايات؟

٤. هل إنّ التفسير بالرأي كان موجوداً في زمان الرسولﷺ وبأي دليل؟

٥. كيف تدل الآية ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ على منع التفسير بالرأي مع النقد والتحليل؟

٦. اذكر رواية صحيحة السند تشير إلى التفسير بالرأي.

٧. ما هو المقصود من الحديث «من قال في القرآن فأصاب فقد أخطأ» وكيف تدل على أنّ المراد هو الخطأ في المنهج؟

٨. كيف يمكن الجمع بين الترغيب والحث في القرآن على التدبر والتفكر من جهة، والمنع من التفسير بالرأي من جهة أُخرى؟

٩. ما هو الفرق بين التفسير بالرأي والاجتهاد؟ وضّح ذلك.

١٠. اذكر دليلين من أدلّة جواز التفسير بالرأي مع ذكر الجواب.

١١. ما هو مقصود العلّامة الطباطبائي من الاستقلال في تفسير القرآن، وما هي علاقته بالتفسير بالرأي؟

١٢. اذكر رأي الإمام الخمينيﷺ، وآية الله الخوئي في خصوص التفسير بالرأي مع مقارنته مع رأي العلّامة الطباطبائي.

١٣. لمن يرجع تقسيم التفسير بالرأي إلى ممدوح ومذموم وما هو الإشكال الوارد عليه؟

١٤. ما هو المراد من الاستبداد في تفسير القرآن، ما هي علاقته بالتفسير بالرأي؟

١٥. اذكر رأي الشيخ عبد الرحمن العك بالنسبة إلى التفسير بالرأي، وكيف خلط بين التفسير العقلي والتفسير بالرأي؟

١٦. اذكر معيارين من معايير التفسير بالرأي مع التوضيح.

١٧. اذكر خمسة مصاديق من مصاديق التفسير بالرأي على الأقل مع ذكر مثالين.

١٨. اذكر خمسة آثار من الآثار السلبية للتفسير بالرأي.

بحوث جديدة

. اذكر جميع الروايات المتعلقة بالتفسير بالرأي في مصادر أهل السنّة، ومقدار صحّة سندها من خلال كتبهم الرجالية.

٢. اذكر جميع روايات التفسير بالرأي في مصادر الشيعة وناقش سند كل واحدة من هذه الروايات.

٣. ناقش رأي الاخباريين بالنسبة إلى عدم حجيّة ظواهر القرآن وبيّن علاقتها مع التفسير بالرأي.

٤. استدل بعض المخالفين للتفسير بالرأي بأقوال الصحابة أو بآيات أُخرى، ناقش ذلك.

٥. ابحث الاختلاف بين التفسبر العقلي والتفسير بالرأي، وما هو السبب في خلط بعض الأفراد بين هذين المنهجين؟

٦. اذكر الآثار السلبية للتفسير بالرأي من الناحية الاعتقادية، والاخلاقية والاجتماعية.

٧. ناقش أدلة الرأي القائل باستقلال القرآن (العلّامة الطباطبائي) ورأي آية الله الخوئي (عدم الاستقلال عن أهل البيت عليهم السلام) مع النقد.

٨. ناقش رأي الذهبي في تقسيم التفسير بالرأي إلى قسمين ممدوح ومذموم والمصاديق الّتي ذكرها للشيعة مع النقد.

٩. ناقش نماذج التفسير بالرأي في رسائل اخوان الصفا مع النقد.

١٠. ناقش نماذج التفسير بالرأي في آثار الصوفية مع النقد.

١١. ناقش نماذج التفسير بالرأي في مورد التفسير العلمي غير المعتبر (استخراج العلوم من القرآن) و (تحميل النظريات العلمية على القرآن) مع النقد.

١٢. ناقش معايير التفسير بالرأي الّتي ذكرها بعض العلماء مع النقد.

مصادر إضافية للمطالعة

١. التفسير بالرأي، الدكتور محمد حمد زغلول، مكتبة الفارابي، ١٤٢٠هـ

٢. مبانى و روشهاى تفسير قرآن، عميد الزنجاني، مبحث التفسير بالرأي.

٣. درآمدى تفسير علمى قرآن، محمد علي رضائي الأصفهاني، مبحث التفسير بالرأي.

٤. التفسير والمفسّرون في ثوبه القشيب، آية الله معرفة، ج ٢.

٥. التفسير والمفسّرون، الذهبي، ج ١.

٦. الميزان، ج ٣، ص ٧٥ وما بعدها.

٧. أُصول التفسير وقواعده، عبد الرحمن العك.

٨. مناهل العرفان، الزرقاني، ج ٢.

٩. تفسير به رأى، حسن عاشوري اللنگرودي (رسالة ماجستير، تربيت مدرس، قم).

١٠. روش‌شناسى تفسير قرآن، مجموعة من الكتاب، سنة ١٣٧٩ش.

١٤
منهج التفسير الكامل والجامع

الهدف التعليمي

معرفة منهج التفسير الكامل والجامع للقرآن

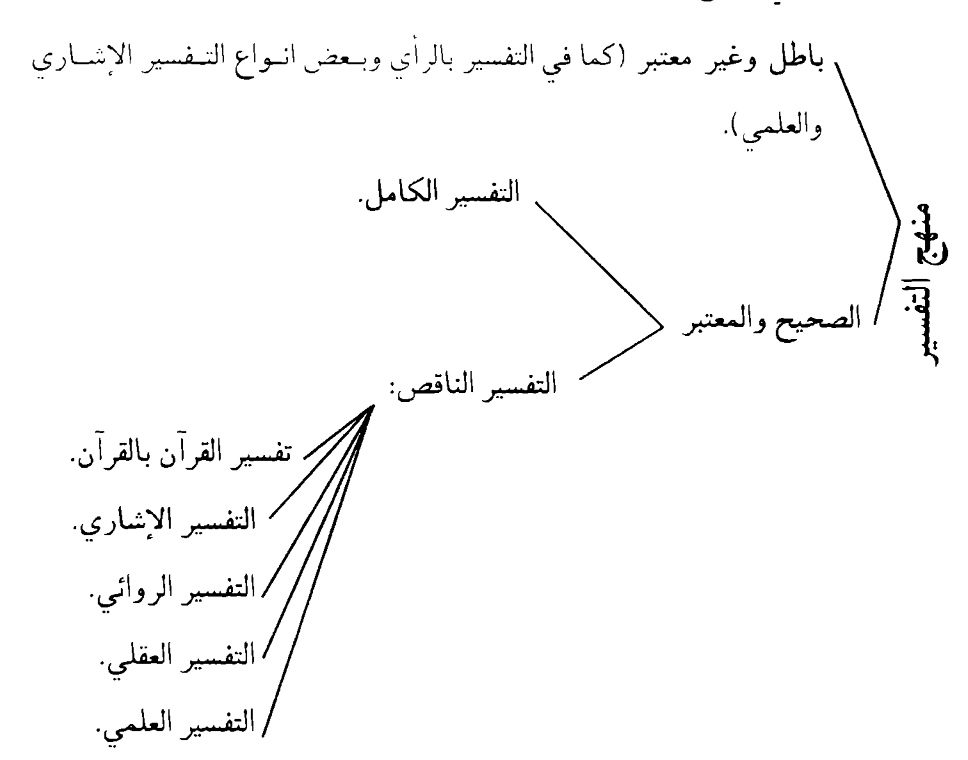
مقدمة

سبق أن تعرضنا إلى المناهج الصحيحة في تفسير القرآن، مع النقد والتحليل، وفي هذا المبحث سوف نقوم ببيان المنهج الكامل والجامع في التـفسير؛ أي المـناهج الواجب اتّباعها من قبل المفسّر حتى يطمئن إلى أنّه أدّىٰ جميع الأبعاد اللازمة في تفسير الآية، وأنّه أعطى المطلب حقّه.

ما هو المنهج الكامل والجامع؟

تقدم معنى المنهج والتفسير فيما سبق، أمّا المنهج الكامل والجامع هنا فـهو اسـتفادة المفسّر من جميع الأدوات والمصادر اللازمة في تفسير القرآن، بحيث تتعيّن وبصـورة كاملة جميع أبعاد ومعاني الآية.

فإذن يمكن أنْ يقال ـ كما سبق أنْ أوضحنا ذلك في الفصل الأوّل ـ إنّه لابدّ مـن الاستفادة من الموارد التالية في منهج التفسير الكامل:



أ) في مبحث المناهج

١. نحصل على القرائن النقلية في تفسير الآية من خلال منهج تفسير القرآن بالقرآن.

٢. من خلال منهج التفسير الروائي نحصل على القرائن النقلية من الأحاديث لتفسير الآية.

٣. من خلال منهج التفسير العلمي نحصل على القرائن العلمية القطعية لتفسير الآية.

٤. من خلال منهج التفسير العقلي نحصل على القرائن العقلية لتفسير الآية.

٥. الاستفادة من منهج التفسير الإشاري الصحيح للحصول على بطن وتأويل الآية.

ومن الطبيعي فإنّه لابد من اجتناب المناهج الباطلة وغير المعتبرة في منهج التفسير الكامل (مثل التفسير بالرأي).

ب) في مبحث الاتجاهات

في هذا المنهج نحتاج إلى الاستفادة من الاتّجاهات التفسيرية أيضاً؛ أيّ أنّه لابدّ للمفسّر أنْ يرجع إلىٰ:

١. الكتب والتفاسير ذات الاتّجاه اللغوي والأدبي لكي تتّضح بعض النقاط الأدبية واللغوية للآيات.

٢. الرجوع إلى التفاسير ذات الاتّجاه الفقهي لكي تتّضح بعض النقاط الفقهيّة للآية.

٣. الرجوع إلى التفاسير ذات الاتّجاه الكلامي لكي تتّضح الإشارات الكلامية والاعتقادية للآيات، على أنْ لا يكون المفسّر تابعاً لهذه الاتّجاهات الكلامية؛ بل لابدّ أن يأخذ عقائده الكلامية من القرآن. وبعبارة أُخرىٰ يجب عليه أن يقوم بعرض عقائده على القرآن وليس العكس.

٤. الرجوع إلى التفاسير ذات الاتّجاهات الاجتماعية لكي تتّضح بعض الإشارات الاجتماعية في القرآن.

ج) الاستفادة من علوم القرآن، ومراجعة التفاسير السابقة وتاريخ الاسلام، ليجعل التفسير أكثر تكاملاً وغنىً.

النتيجة

إنّ كل منهج من المناهج والاتّجاهات التفسيرية الصحيحة لا يمكن أنْ يحقّق لوحده تفسيراً متكاملاً لجميع الآيات؛ بل لابدّ من ضمّ بعضها إلىٰ بعض، فالاستفادة منها جميعاً (وبشكل يتناسب مع الآية مورد البحث) قد يُفضي إلىٰ تحقيق منهج تفسيري معتبر ومتكامل.

١٥
الاتّجاهات التفسيريّة: الفقهية، الكلاميّة

الهدف التعليمي

الهدف الأساسي

الاطلاع على الاتّجاهات التفسيرية للقرآن.

الأهداف الفرعية

١. الاطلاع على تاريخ كل اتّجاه من الاتّجاهات؛

٢. الاطلاع على خصائص كل اتّجاه؛

٣. معرفة أقسام وانواع الاتّجاهات؛

٤. الاطّلاع على أهم كتب التفسير في كل اتّجاه.

المقدمة

لقد طرح موضوع الاتّجاهات التفسيرية منذ فترة طويلة في عرض المناهج التفسيرية، وهو يشكّل أهمية كبيرة في تاريخ التفسير. وقد ذكرنا في القسم الأوّل من هذا الكتاب بعض المقدمات حول المناهج والاتّجاهات وتأريخها، فلا حاجة بنا إلىٰ تكرار هذه المباحث مرة أُخرى، ولا نقصد في هذه العجالة دراسة كل اتّجاه من هذه الاتجاهات بصورة مفصلة؛ لأنّ ذلك يحتاج إلى كتاب مستقل، ومثل هذه المباحث تدرس في المراكز التخصّصّية للتفسير وعلوم القرآن تحت عناوين منها:

القرآن والعلوم الأدبية، فقه القرآن وآيات الأحكام، منتخب التفاسير الكلامية والعرفانية و.... وقد أُلِّفت حول ذلك كتب عديدة، ونودُّ هنا أن نُعطي فكرة إجمالية حول هذه الاتّجاهات التفسيرية، ويمكن للطلاب ان يتوسّعوا في دراستها عن طريق كتابة البحوث في أحد الاتجاهات، أو أحد فروعها بصورة مستقلة، بالاستفادة من الكتب المتخصّصة.

الاصطلاحات

يوجد في هذا المبحث عدة مصطلحات أساسية وهي:

أ) الاتّجاه: يقصد من «الاتجاه» هنا هو تأثير الاعتقادات الدينية، المذهبية، الكلامية، الاتجاهات العصرية، اسلوب كتابة تفسير القرآن والّتي تتكوَّن على أساس العقائد، الاحتياجات، الذوق، والتخصص العلمي للمفسّر.

ب) التفسير: هو بيان معاني الآيات القرآنية والكشف عن مقاصدها وأهدافها. وبعبارة أُخرى: بيان المراد الاستعمالي لآيات القرآن وتوضيح المراد الجدّي على أساس قواعد الآداب العربية والأُصول العقلائية للمحاورة.[1]

ملاحظة: ذكرنا الاختلاف بين الاتجاهات والمناهج في الفصل الأوّل.

تاريخ وأسباب نشوء الاتّجاهات وأقسامها

لقد تناولنا ذلك في الفصل الأوّل أيضاً فلا نكرر ذلك مرة أُخرىٰ وسوف نقتصر هنا على ذكر أقسام الاتّجاهات:

أ) المذاهب التفسيرية: مثل تفاسير الاثني عشرية، الاسماعيلية،...

ب) المدارس التفسيرية (الكلامية): مثل تفسير المعتزلة والاشاعرة.

ج) الألوان التفسيرية، مثل: التفسير الأدبي، الفلسفي، الفقهي، الاجتماعي، الاخلاقي، التأريخي، والعلمي.

---

١. ذُكر تعريف التفسير في مباني مناهج التفسير، وذكرنا هنا خلاصة كلام صاحب المفردات (الراغب الاصفهاني)؛ تاج العروس؛ قاموس القرآن؛ العلّامة الطباطبائي، الميزان، ج ١، ص ٤؛ السيوطي، الاتقان، ج ٢، ص ١٩٢؛ الطبرسي، مجمع البيان، ج ١، ص ١٣ وقد استعرضنا آراءهم في كتاب، در آمدى بر تفسير قرآن، ص ٣٥ ـ ٣٩.

د) الاتّجاهات العصرية في التفسير: كالتفسير المعنوي، الجهادي، التقريبي، السياسي.

ملاحظة: لقد أوضحنا بعض الاتّجاهات في الفصل الأوّل بصورة مختصرة وسوف نكتفي هُنا بهذا القدر، ولا نعيدها مرة أُخرى، وسنتناول اتجاهات أُخرىٰ بالبحث والدراسة لأهميّتها.

القسم الأول: الاتّجاه الفقهي

لابد من الاشارة هُنا إلى بعض النقاط المهمة:

أ) نبذة تأريخية

أشار القرآن في آيات متعددة إلى الأحكام التكليفية للانسان والّتي قيل إنّها تتراوح ما بين الخمسمائة إلى الألفي آية.[١] وكان العمل بهذه الآيات قائماً في زمن الرسولﷺ، وكان الصحابة يسألون النبيﷺ عن أيّ إبهام حولها. ولمّا توفّي النبيﷺ أخذ الصحابة يستنبطون الأحكام من هذه الآيات ويعملون بها، وقد يختلفون حولها كما هو الحال في الاختلافالمشهور بين الإمام عليؑ وعمر حول مسألة أقل مدة الحمل، واستدلال الإمام عليؑ ببعض الآيات[٢] على تعيين هذه المدة في ستة أشهر.[٣] وخلال ذلك أصبحت روايات النبيﷺ وأهل البيتؑ هي دليل الفقهاء والصحابة والتابعين. وفي الحقيقة فان الروايات الفقهية هي نوع من أنواع التفسير الموضوعي للقرآن، وقد نضج علم الفقه وفقه القرآن في أحضان تلك الروايات على شكل اتجاه تفسيري بدأ في صدر الإسلام واستمر حتى الوقت الحاضر، وقد دوّنت عشرات الكتـ ، في هذا المجال. وبعد نشوء المذاهب الفقهية في القرن الثاني الهجري فما بعد، قام أتباع وعلماء المذاهب كالشيعة، والحنفية، والمالكية، والحنابلة، و... بتفسير آيات الأحكام وتأليف الكتب في هذا المجال. وقد أفرط بعضهم بتأويل الآيات المخالفة لآرائهم إلى حدّ ان عبد الله الكرخي (ت ٣٤٠هـ) ـ أحد متعصبي المذهب الحنفي ـ قال: «كل آية أو

١. أُنظر: الفاضل المقداد، كنز العرفان، ج ١، ص ٥؛ ابن العربي، آيات الأحكام، ج ٤، ص ٢٠٩٨.
٢. البقرة، ٢٣٣ (حولين كاملين)؛ الاحقاف، ١٥ (حمله وفصاله ثلاثون شهراً)
٣. الخضري، تاريخ التشريع، ص ١١٣ ؛ الذهبي، التفسير والمفسّرون، ج ٢، ص ٤٣٣

حديث يخالف ما عليه أصحابنا فهو مؤول أو منسوخ».[١] ومن الطبيعي فان الكثير من المفسّرين الذين كتبوا في هذا الاتجاه لزموا طريق الانصاف. واليوم نحن بأشدّ الحاجة إلى كتب في تفسير آيات الأحكام تضم أدلة جميع المذاهب بصورة مقارنة.

ب) الخصاص

ان المفسّر في الاتجاه الفقهي غالباً مايهتم بالعناصر التالية:

١. تفسير الآيات الّتي تتضمن أحكاماً فقهية تخصّ حياة الإنسان، وتبيّن تكليفه عن طريق الواجب، المستحب، الحرام، المكروه، والمباح، في أبواب العبادات والمعاملات.

٢. اهتمام المفسّر يكمن في استنباط الأحكام الشرعية الفرعية عن طريق آيات القرآن.

٣. عادة ما يكون المفسّر لآيات الأحكام مجتهداً في الفقه، حيث يقوم ببيان رأيه في نهاية المطاف.

٤. عادة ما يستخدم المفسّر في هذا الاتّجاه المنهج الفقهي في التحليل ويستفيد من الكتاب والسنة والاجماع والعقل.

٥. يتنوع التفسير الفقهي تبعاً للمباني الّتي يختارها المفسّر في الفقه والأُصول، فإذا ما ذهب المفسّر الفقيه إلى حجّية الكتاب، أو الخبر الواحد، أو الإجماع، فإن نتائج التفسير سوف تختلف عن المفسّر الذي لا يعتقد بحجّيّتها.

ج) الانواع والمصادر

ان الاتجاه الفقهي للتفسير يختلف تبعاً لاختلاف المذاهب الفقهية، والآن نشير إلى أهم هذه الاتجاهات:

١. الاتجاه الفقهي الشيعي

يتحرك فقهاء الشيعة على أساس مذهب أهل البيت عليهم السلام، ويفسّرون آيات الأحكام بالاستفادة من الروايات الواردة عن النبي صلى الله عليه وآله وأهل البيت عليهم السلام، بالاضافة إلى القرائن

---

١. تاريخ التشريع الإسلامي، السبكي والسايس والبربري، ص ٢٨١؛ الذهبي، التفسير والمفسرون، ج ٢، ص ٤٣٤

العقلية والنقلية الأُخرىٰ، ويمكن ذكر بعض التفاسير الفقهية للشيعة:

١ / ١. أحكام القرآن (فقه القرآن)، الراوندي (ت ٥٧٣هـ).

٢ / ١. زبدة البيان في أحكام القرآن، المقدس الأردبيلي (ت ٩٩٣هـ).

٣ / ١. كنز العرفان في فقه القرآن، السيوري، المشهور بالفاضل المقداد (ت ٨٢٦ هـ).

٤ / ١. تفسير آيات الأحكام، السيد محمد حسين الطباطبائي اليزدي (ت ١٣٨٦ هـ).

٥ / ١. تفسير شاهي، السيد أمير أبو الفتوح الحسيني الجرجاني (ت ٩٧٦هـ) باللغة الفارسية.

٦ / ١. مسالك الأفهام إلى آيات الأحكام، جواد الكاظمي (توفي في القرن الحادي عشر الهجري).

٢. الاتجاه الفقهي الشافعي

يطلق على أتباع محمد بن ادريس الشافعي (ت ٢٠٤هـ) في الفقه لقب الشافعية، حيث ذهبوا في تفسير آيات الأحكام طبقاً لآرائه الفقهية. ومن كتبهم في التفسير الفقهي:

١ / ٢. أحكام القرآن، المنسوب إلى الشافعي.

٢ / ٢. أحكام القرآن، الكياهراسي (ت ٥٠٤هـ).

٣ / ٢. نيل المرام من تفسير آيات الأحكام، أبو الطيب سيد محمد صديق بن حسن خان القنوجي البخاري (ت ١٣٠٧هـ).

٣. الاتجاه الفقهي المالكي

يطلق على أتباع مالك بن أنس (٩٠ ـ ١٧٩هـ) لقب المالكية، حيث فسّروا آيات الأحكام طبقاً لآرائه الفقهية. ومن كتبهم في التفسير الفقهي:

١ / ٣. أحكام القرآن، أبي بكر ابن العربي (ت ٥٤٣هـ).

٢ / ٣. الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (ت ٦٧١هـ).

٤. الاتجاه الفقهي الحنفي

يطلق على أتباع أبو حنيفة النعمان بن ثابت (٨٠ـ١٥٣هـ) في الفقه لقب الحنفية، حيث كتبوا وفسّروا آيات الأحكام على أساس آراء أبي حنيفة الفقهية. ومن كتبهم في التفسير الفقهي:

١ / ٤. أحكام القرآن، الجصّاص (ت ٣٧٠هـ).

٢ / ٤. التفسيرات الأحمدية، أحمد بن أبي سعيد بن عبد الله (ت ١١٣٠هـ)، المعروف باسم «ملاجيون» الحنفي.[١]

٥. الاتجاه الفقهي الحنبلي

يطلق على أتباع أحمد بن حنبل (١٦٤ ـ ٢٤١هـ) في الفقه لقب الحنابلة، حيث ذهبوا في تفسير آيات الأحكام طبقاً لآراء أحمد الفقهية. ومن كتبهم في التفسير الفقهي:

١ / ٥. آيات الأحكام، محمد بن الحسين بن محمد بن الفرّاء (ت ٤٥٨هـ).

٢ / ٥. تفسير آيات الأحكام، شمس الدين محمد أبي بكر الدمشقي المشهور بابن قيّم الجوزية (ت ٧٥١هـ).

٣ / ٥. أحكام الرأي من أحكام الآلاء، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن ابن الصايغ (ت ٧٧٦هـ).

ملاحظة (١): هناك بعض الكتب تناولت تفسير آيات الأحكام بطريقة مقارنة مثل تفسير آيات الأحكام، محمد علي السايس (ت ١٣٩٦هـ)؛ روائع البيان في تفسير آيات الأحكام، محمد علي الصابوني؛ وتفسير آيات الأحكام، الطباطبائي اليزدي (ت ١٣٨٦ هـ).

ملاحظة (٢): تناولت بعض الكتب آيات الأحكام على الطريقة الموضوعية مثل: أحكام القرآن، الدكتور محمد الخزائلي؛ آيات الأحكام، زين العابدين القرباني.

وهناك من دوَّن آيات ا لأحكام على الطريقة الترتيبية مثل آيات الأحكام، الميرخاني؛ آيات الأحكام، السيد محمد حسين الطباطبائي اليزدي.

د) نماذج وموضوعات

ثمّة آيات مختلف فيها في الاتجاه الفقهي، من أهمّها:

١. آية المتعة (النساء: ٢٤).

٢. آية الوضوء (المائدة: ٢٠).

١. أُنظر: الذهبي، التفسير والمفسرون، ج ٢، ص ٤٣٥ وما بعدها؛ آية الله معرفة، التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب، ج ٢، ص ٣٥٥ وما بعدها؛ الدكتور مؤدب، روشهاى تفسير قرآن، ص ٢٣٢ وما بعدها.

٣. آية الخمس (الانفال: ٤١).

٤. حج التمتع و....

وقد صُنِّفت آيات الأحكام على أساس التقسيم الفقهي إلى العبادات (الصلاة، الصوم و...)، العقود (النكاح و...)، الإيقاعات (الطلاق و...)، الأحكام القضائية (القصاص و...) وهناك من أضاف إليها الأحكام الحكوميَّة (الولاية، الجهاد و...)، والأحكام الاجتماعية (الإرث، الوصية و...).

مثال: تعتبر آية الوضوء (المائدة: ٢٠) من أهم وأفضل النماذج الّتي يمكن ذكرها في مجال الأحكام المقارنة الّتي بحثت من قبل الفقهاء والكُتَّاب.

القسم الثاني: الاتجاه الكلامي

أ) نبذة تاريخية

«الكلام» في اللغة بمعنى الحديث، أما في الاصطلاح فيطلق على علم العقائد. ولم يكن هناك اختلاف ملحوظ في المسائل العقائدية في زمن النبيﷺ وإنمّا حدث ذلك بعد وفاتهِﷺ وخصوصاً في مسألة الإمامة. واتّسعت دائرة هذه الخلافات تدريجياً إلى مسائل صفات الله والنبيﷺ ثم تكوَّن علم الكلام في أواخر القرن الأوّل الهجري وبداية القرن الثاني، وظهرت المدرسة الاعتزالية في الكلام بواسطة واصل بن عطاء (٨٠ ـ ١٣١هـ)، ثم الأشاعرة عن طريق أبي الحسن الأشعري (ت ٣٣٠هـ تقريباً) في أواخر القرن الثالث الهجري واوائل القرن الرابع الهجري، ثم بعد ذلك ظهرت الفرقة الماتريدية. وقد تكوّنت المدرسة الكلامية للشيعة عن طريق أهل البيتعليهم السلام في بداية ظهور الإسلام والّتي لها عقائد خاصة في مسألة الإمامة والعصمة، ثم اصبحت أكثر ترتيباً وتنظيماً على يد بعض العلماء أمثال الشيخ المفيد [١] (٣٣٦ ـ ٤١٣هـ). وقد مارست هذه المدارس الكلامية التفسير أيضاً، فكانت تأخذ من الآيات ما يوافق آراءها وتؤوّل الآيات المخالفة أو تقوم بتوجيهها بحق أو بغير حقٍ؛ ومن هنا ظهرت

١. أشرنا إلى الاتجاه التفسيري للشيعة في مبحث المذاهب التفسيرية.

الاتجاهات الكلامية في التفسير بأنواع مختلفة، وسوف نذكر بصورة مختصرة أهم هذه الاتجاهات مع ذكر كتبهم التفسيرية.

ب) الخصائص

اكثر ما يهتم به المفسِّر في هذا الاتجاه هو:

١. الاهتمام بتفسير آيات العقائد (التوحيد ـ النبوة ـ العدل ـ الإمامة ـ المعاد).

٢. الاهتمام بالآيات المتشابهة في القرآن.

٣. اثبات عقائده ونفي عقائد الآخرين عن طريق تفسير الآيات.

٤. ان بواعث المفسّر هو الدفاع عن عقائد المسلمين أو الدفاع عن المدرسة الكلامية الّتي يتبنّاها.

٥. الاستفادة من المنهج الاجتهادي والعقلي في التفسير، واتّباع الطريقة الاستدلالية، إضافة إلى استخدام الروايات والآيات أيضاً، ولهذا فقد تشتمل التفاسير الكلامية على مناهج واتجاهات متعددة.

ج) الأنواع

أشهر المدارس الكلامية في التفسير عبارة عن:

١. الاتجاه الكلامي الاعتزالي في التفسير

المعتزلة هم اتباع واصل بن عطاء (٨٠ ـ ١٣١هـ)، ومن أهم الشخصيات البارزة في هذه المدرسة هم: عمرو بن عبيد (ت ١٤٣هـ)، ابو الهذيل العلاف (ت ٢٣٥هـ)، إبراهيم النظام (ت ٢٣١هـ)، الجاحظ (ت ٢٥٥هـ)، القاضي عبد الجبار المعتزلي (ت ٤١٥هـ) والزمخشري (ت ٥٣٨هـ).

يعتقد المعتزلة أنّ الإنسان حر ومختار، وأنّ القرآن يمكن تفسيره عن طريق العقل، وأنّه يمكن إدراك كثير من الحقائق بواسطة العقل (دون هداية الشرع)، وفي حالة تعارض الحديث مع العقل فإنهم يقدّمون العقل. وكذلك يعتقدون أنّ الفاسق ليس بمؤمن ولا كافر (المنزلة بين المنزلتين)، وأنّه لا يمكن للإنسان الحصول على المغفرة دون توبة.

وكذلك يعتقدون بالتوحيد الصفاتي، وينكرون التوحيد الأفعالي فهم من العدلية، حيث يعتقدون بعدالة الله وأنّ أفعاله لها غاية وهدف، وكلامه مخلوق، ويحصرون القدم بالله سبحانه وتعالى.[١] وذهب الدكتور الذهبي إلى أنّ أصول المعتزلة خمسة: التوحيد، العدل، الوعد والوعيد، المنزلة بين المنزلتين، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.[٢] ثم انتقدهم وانتقد تفاسيرهم بشدة.[٣]

وقد استمرت عقائد المعتزلة في الازدهار إلى زمن المتوكل، حيث نُكِّل بهم في زمانه بشدة، ثم انتشر المذهب الأشعري من ذلك الزمان.[٤]

ومن أهم التفاسير الكلامية للمعتزلة هي:

١ / ١. متشابه القرآن، القاضي عبد الجبار الهمداني (ت ٤١٥هـ)، وهو شافعي في المذهب الفقهي، ومعتزلي في الكلام.

٢ / ١. تنزيه القرآن عن المطاعن، عبد الجبار المعتزلي.

٣ / ١. الكشّاف، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) وقد تعرض إلى المسائل الأدبية واللغوية أيضاً.

٤ / ١. انوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي) القاضي ناصر الدين أبو الخير عبد الله بن عمر بن محمد بن علي البيضاوي الشافعي (ت ٦٨٥هـ)، وقد كتب هذا التفسير بالاعتماد على تفسير الكشّاف للزمخشري، والمشهور أن البيضاوي أشعريُّ المذهب، ولكن بعض المحققين يعتقدون أنّه معتزلي؛ لأنّه اعطى أهمية كبيرة للعقل والعدل في تفسيره.[٥]

٥ / ١. جامع التأويل لمحكم التنزيل، أبو مسلم الأصفهاني (ت ٣٢٢هـ)، ولا يوجد أصل هذا التفسير ولكن الفخر الرازي نقل عنه في تفسيره، وكذلك الطبرسي في مجمع البيان، وقد طُبعت آراء أبي مسلم الاصفهاني التفسيرية في مصر [٦] وايران بصورة

١. أُنظر: الشهيد المطهري، آشنائى باعلوم اسلامى، مجلد الكلام والعرفان، ص ٢٧ ـ ٤٢.
٢. الذهبي، التفسير والمفسّرون، ج ١، ص ٣٦٩، ٣٧٠ ٣. المصدر السابق، ص ٣٨٥
٤. الدكتور عبد الوهاب الطالقاني، تاريخ تفسير، ص ٢٥٨
٥. التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب، ج ٢، ص ٤٣٠
٦. الذهبي، التفسير والمفسرون، ج ١، ص ٣٨٩

مستقلة، ويتميز أبو مسلم بمنهجه العقلي في التفسير.

٦ / ١. وهناك تفاسير أُخرى للمعتزلة ليست في متناول اليد الآن، مثل: تفسير أبي بكر عبد الرحمن بن كيان الأصم (ت ٢٤٠هـ)، محمد بن عبد الوهاب بن سلام (أبـو علي الجبائي ت ٣٠٣هـ)، تفسير الكعبي المعتزلي (ت ٣١٩هـ)، تفسير أبي الحسن علي بن عيسى الرماني (ت ٣٨٤هـ).[١] وهناك تفسير كبير لعبد السلام بن محمد بن يوسف (ت ٤٨٣هـ) شيخ المعتزلة.[٢]

٢. الاتجاه الكلامي الاشعري في التفسير

الأشاعرة هم أتباع أبي الحسن الأشعري (ت ٣٣٠هـ تقريباً)، ومن أهم الشـخصيات البارزة عندهم: القاضي أبو بكر الباقلاني (ت ٤٠٣هـ)، أبو اسحاق الأسفرايـني، إمـام الحرمين الجويني، الإمام محمد الغزالي (ت ٥٠٥هـ)، والإمام الفخر الرازي.

الأشاعرة لا يعتقدون بحرية واختيار الإنسان، ويقولون بأن أعماله مخلوقة من قبل الله سبحانه وتعالى، ولا يذهبون إلى ان الإنسان خالقاً لأفعاله، بل يقولون بالكسب، ولا يعتقدون بالحسن والقبح الذاتي للأفعال، بل أنّ الحسن والقبح عندهم هو ما حسّنه أو قبّحه الشارع، وكذلك يعتقدون بأنّ العدل شرعي وليس عقلياً (ولهذا السبب اعتُبروا من منكري العدل)، ويذهبون إلى أنّ الإنسان الفاسق يعتبر مؤمناً، وأنّه يمكن أنْ تشـمل المغفرة العصاة دون توبة، ويعتقدون بالشفاعة ويرفضون التوحيد الصفاتي، ويؤكدون على التوحيد الأفعالي، وان القضاء والقدر الالهي وارادته عامة في جميع الحوادث، وان الشر والخير من الله سبحانه وتعالى، وكلام الله قديم (الكـلام النـفسي وليس الكـلام اللفظي)، وان أفعال الله ليست معللة وليس لها غاية، وان الله سوف يُرى يوم القيامة بالعين المادية، وان العالَم حادث زماني، وانّه يجوز التكليف بما لا يطاق.[٣] إنّ مـنهج الأشاعرة في التفسير هو الاهتمام بظواهر الآيات والاجتناب عن العقل في التفسير. ومن أهم التفاسير الكلامية المدونة للأشاعرة هي:

---

١. الذهبي، التفسير والمفسترون، ج ١، ص ٣٨٨، ٣٨٩

٢. السيوطي، طبقات المفسرين، ص ١٩

٣. الشهيد المطهري، آشنائى باعلوم اسلامى، مجلد الكلام والعرفان، ص ٢٧ ـ ٥٠

١ / ٢. تأويلات القرآن، أبو منصور محمود الماتريدي (ت ٣٣٣ﻫ)، فهو في الفقه من اتباع مذهب أبي حنيفة، ويميل إلى المدرسة الكلامية الأشعرية.

٢ / ٢. تأويلات أهل السنة (تفسير الماتريدي)، أبو منصور محمود الماتريدي.

٣ / ٢. مدارك التنزيل وحقائق التأويل (تفسير النسفي)، عبد الله بن أحمد بن محمود بن محمد النسفي (القرن السابع). وقد دوِّن هذا الكتاب من أجل نقد آراء الزمخشري في الكشاف، والنسفي من أئمة المذهب الحنفي في زمانه.

٤ / ٢. بيان المعاني، عبد القادر الملّا حويش آل غاري، حنفي المذهب، ومن اتباع المذهب الاشعري في الكلام.

٥ / ٢. مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) للفخر الرازي (ت ٦٠٢ﻫ) [١] ويطلق عليه إمام المشككين، وقد أسرف في ذكر المباحث الكلامية حتى قيل في تفسيره: فيه كل شيء الا التفسير.

وهناك من قال بأنه يميل إلى مذهب الشيعة، ورغم كونه اشعري في الكلام، ولكنه قد يتكلم خلاف العقيدة الأشعرية في بعض الأحيان.[٢]

٣. الاتجاه الكلامي للشيعة في التفسير

الشيعة هم اتباع الأئمة الاثني عشر (من الإمام علي عليه السلام إلى الإمام المهدي عليه السلام)، وقد استفاد الشيعة من أئمة أهل البيت عليهم السلام في القرون الثلاثة الأولى، وأخذوا عنهم أهم المسائل الكلامية، وقد نضج المذهب الكلامي للشيعة بعد غيبة إمام العصر عليه السلام سنة (٣٢٩ﻫ)، بواسطة علماء الشيعة الكبار أمثال: الشيخ المفيد، والمرتضى، والشيخ الطوسي، والخواجة نصير الدين الطوسي، و...

تعتقد الشيعة بالتوحيد الصفاتي والأفعالي، والعدل الإلهي وقد أعطوا أهمية لكل من العقل والنقل، وذهبوا إلى أن الإنسان حرّ في أفعاله (ليس بصورة مطلقة ولكن أمر بين أمرين)، وينكرون التكليف بما لا يطاق، ويعتقدون بأن الله لا يُرى بالعين المادّية لا بالدنيا ولا بالآخرة. ومن أهم المسائل الكلامية للشيعة هو الاعتقاد بإمامة أمير

١. وهناك من قال ان سنة وفاته (٦٠٦ﻫ)، انظر: التفسير والمفسّرون في ثوبه القشيب، ج ٢، ص ٤٠٦.
٢. المصدر السابق، ص ٤١٤، ٤١٥

المؤمنين، والأئمة الاثني عشر، وكذلك الاعتقاد بعصمة الأنبياء والأئمة.

واما الاتجاه التفسيري للشيعة فهو الالتفات إلى كل من الظاهر والباطن للقرآن، ومن أهم التفاسير الكلامية للشيعة هي:

١ / ٣. غرر الفوائد ودرر القلائد (أمالي السيد المرتضى)، الشريف المرتضى (ت ٤٣٦هـ)، والذي جمع بين الظاهر والباطن.

٢ / ٣. تفسير التبيان، الشيخ أبو جعفر الطوسي (ت ٤٦٠هـ).

٣ / ٣. تفسير مجمع البيان، أبو علي الطبرسي (ت ٥٤٨هـ) ـ رغم كون التفسيران المذكوران من التفاسير الجامعة ولكنهما كثيراً ما تهتمان بالمباحث الكلامية ـ

٤ / ٣. متشابه القرآن ومختلفه، ابن شهر آشوب المازندراني (ت ٥٨٨هـ)، وقد دوّن هذا التفسير بصورة موضوعية.

٥ / ٣. حدائق ذات بهجة، أبو يوسف عبد السلام القزويني (ت ٤٨٨هـ) باللغة العربية، ويشمل جميع آيات القرآن وهذا التفسير كان موجوداً حتى زمان الصفويين.[1]

٦ / ٣. بلابل القلاقل، أبو المكارم محمد بن محمد الحسني (القرن السابع) باللغة الفارسية. وقد بدأ بالآيات الّتي تبدأ بلفظ «قل».

٧ / ٣. دقائق التأويل وحقائق التنزيل، أبو المكارم محمد بن محمد الحسني، وقد فسّر الآيات الّتي تشتمل على العبارات التالية: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾، ﴿أَلَمْ تَرَ﴾.

٨ / ٣. جلاء الأذهان وجلاء الاحزان، أبو المحاسن حسين بن الحسن الجرجاني (القرن الثامن) باللغة الفارسيَّة، وهو مأخوذ من تفسير أبي الفتوح الرازي إلى حدّ ما.

٩ / ٣. لوامع التنزيل وسواطع التأويل، أبو القاسم الرضوي اللاهوري (ت ١٣٢٤ هـ)، باللغة الفارسية، والمؤلف من علماء الهند.

١٠ / ٣. آلاء الرحمن، محمد جواد البلاغي النجفي (١٢٨٢ ـ ١٣٥٢هـ)، وآخر هذا التفسير هو الآية (٥٧) من سورة النساء، وكثيراً ما يتعرض إلى المسائل الكلامية بين الأديان.

١١ / ٣. الميزان في تفسير القرآن، محمد حسين الطباطبائي (١٣٢١ ـ ١٤٠٢هـ)

---

١. الزركلي، الاعلام، ج ٤، ص ٧؛ كشف الظنون، ج ١، ص ٦٣٤

باللغة العربية، وهو يتعرض كثيراً إلى المباحث الاعتقادية (وخصوصاً في المجلدات الأُولى من تفسيره)، ورغم ان منهجه هو تفسير القرآن بالقرآن ولكنه يهتم كثيراً بالمباحث الكلامية والفلسفية.

١٢ / ٣. تفسير نمونه، ناصر مكارم الشيرازي ومعاونيه (معاصر)، فارسي.

١٣ / ٣. تفسير كلامى قرآن مجيد، محمد حسين الروحاني. تعرض فيه إلى المباحث الاعتقادية للشيعة والدفاع عنها، وإن كان تفسيره تفسيراً جامعاً ذا اتجاه اجتماعي.

د) النماذج

من أهم الموضوعات والآيات الّتي كانت مورد بحث ونقاش في التفاسير الكلامية هي:

١. التوحيد الصفاتي؛

٢. التوحيد الأفعالي؛

٣. عصمة الأنبياء؛

٤. العدل الإلٰهي؛

٥. الإمامة وخلافة الرسول ﷺ؛

٦. الهداية والضلال وعلاقتهما بحرية واختيار الإنسان؛

٧. رؤية الله بالعين المادية وعلاقة ذلك بمسألة التجسيم والتشبيه.

مثال: قال إسحاق المروزي، وهو من أتباع الحنابلة ـ أشعري الكلام ـ في الآية الكريمة ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾[1]: إن الله سبحانه يُقعِد النبيﷺ معه على العرش وذلك جزاءً لهُ على تهجده، في حين نفىٰ اتباع المعتزلة هذا المعنى وقالوا: إنّ حديث الجلوس على العرش محال، ووقعت الفتنة فقتل بينهم قتلى كثيرة، واضطر الجند إلى التدخل لإيقافها».[2]

وكذلك بالنسبة إلى الآية الشريفة ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾.[3] فقد ذهب بعض المفسرين إلى أنَّ الله سوف يُرىٰ في الآخرة، وهناك روايات في صحيح

---

١. الاسراء، ٧٩

٢. ابن الأثير، أحداث سنة ٣١٧؛ مذاهب التفسير الإسلامي، جواد زيهر، ص ١٢٣

٣. القيامة. ٢٢، ٢٣

البخاري تؤيد هذا المعنى أيضاً.[١] وأما المعتزلة فقالت: ان ظاهر الآية يتعارض مع الآية الكريمة ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَـٰرَ﴾،[٢] وان هذا المعنى ـ رؤية الله في الآخرة ـ هو من المعاني المجازية.[٣]

قال العلّامة الطباطبائي في الآية السابقة: «والمراد بالنظر إليه تعالى ليس هو النظر الحسّي المتعلق بالعين الجسمانية المادية الّتي قامت البراهين القاطعة على استحالته في حقّه تعالى، بل المراد النظر القلبي ورؤية القلب بحقيقة الإيمان على ما يسوق إليه البرهان ويدل عليه الاخبار المأثورة عن أهل العصمة.[٤]

---

١. صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ﴾.
٢. الانعام، ١٠٣
٣. مذاهب التفسير الإسلامي، ص ١٢٥ـ١٢٧
٤. الميزان، ج ٢٠، ص ١٩٨

١٦

الاتّجاهات التفسيريّة: الفلسفيّة، الاجتماعيّة، الادبيّة

الهدف التعليمي

الهدف الأساسي: الاطلاع على الاتّجاهات التفسيرية للقرآن.

الأهداف الفرعية: ١) الاطلاع على تاريخ كل اتّجاه من الاتّجاهات؛ ٢) الاطلاع على خصائص كل اتّجاه؛ ٣) معرفة أقسام وانواع الاتّجاهات؛ ٤) الاطّلاع على أهم كتب التفسير في كل اتّجاه.

القسم الثالث: الاتجاه الفلسفي

أ) نبذة تاريخية

تتناول الفلسفة مبحث الوجود ومتعلقاته.

ويعتمد الفلاسفة على العقل والاستدلال في تحليل الوجود، وكان الاستدلال العقلي موجوداً في صدر الإسلام، وقد استخدمه القرآن وشجع عليه.

اما المعنى الفلسفي والاصطلاحي لهذه الكلمة فقد بدأ في زمن العباسيّين وخصوصاً في زمن المنصور والمأمون، وذلك عندما تُرجمت آثار اليونان والهند وفارس إلى اللغة العربية، وعند ذلك تعرف المفكرون المسلمون على الكتب الفلسفية في ايران واليونان، واظهروا ردود فعل مختلفة تجاه هذه الفلسفات، فهناك من اعتبر هذه الأفكار مخالفة للإسلام وعارضوها، ودونوا الكتب في الرد عليها كالغزالي والفخر الرازي. أمّا في العصر الحاضر فقد انتقد الدكتور الذهبي في كتابه التفسير والمفسّرون هذا الاتجاه

بشدة، واعتبره نوعاً من انواع التأويل وتحميلاً للآراء على القرآن.[١]

اما الشيخ العك فقد وصف سعيهم لفهم صفات الله من الذنوب الكبيرة الّتي تخرجهم من دائرة الإسلام والإيمان.[٢]

وهناك من استقبل هذه الأفكار وقام بنشرها واعتبرها منسجمة مع آيات القرآن كالفارابي، والملّا صدرا الشيرازي وأبي علي بن سينا، وقالوا إنّ العقل لا يتعارض مع الدين، وإنّه يمكن الجمع بين الحكمة والعقيدة، وربما استخدموا طريقة التأويل للوصول إلى أهدافهم.[٣] وقد دونت تفاسير وكتب متعددة باسلوب فلسفي. ولابدّ من الالتفات إلى أنّ التفسير الفلسفي يرتبط ارتباطاً كبيراً في بعض فروعه وأنواعه مع التفسير الكلامي، أيّ أنّ بعض الفرق الكلامية كالمعتزلة والشيعة تقترب كثيراً من المباحث الفلسفية والعقلية وتشترك مع الاتجاه الفلسفي في بعض المسائل.

ب) الخصائص

غالباً ما يكون اهتمام أصحاب هذا الأتجاه بالمسائل التالية:

١. الالتفات إلى تفسير الآيات المتعلقة بوجود الله وصفاته.

٢. الالتفات إلى الآيات المتشابهة.

٣. تأويل ظواهر القرآن والتوفيق بينها وبين الآراء الفلسفية والآيات، واتخاذ الآيات شاهداً على الآراء الفلسفية.

ذكر الدكتور الذهبي في هذا المورد: أن الفلاسفة كانت لهم طريقتان للتوفيق بين الدين والفلسفة وهما:

أ) تأويل النصوص الدينية والحقائق الشرعية بما يتفق مع الآراء الفلسفية.

ب) شرح النصوص الدينية والحقائق الشرعية بما يتفق مع الآراء الفلسفية وتحميل هذه الآراء على النصوص، وهذه الطريقة أخطر من الأولى.[٤]

٤. الاستفادة من العقل والبرهان واعتماد المنهج الاجتهادي والعقلي في التفسير.

٥. إنّ الباعث على التفسير هو الدفاع عن الآراء والنظريات الفلسفية الخاصّة.

---

١. التفسير والمفسّرون، ج ٢، ص ٤١٨

٢. أُصول التفسير وقواعده، ص ٢٣٤

٣. أنظر: الذهبي، التفسير والمفسّرون، ج ٢، ص ٤١٧، ٤١٨؛ عبد الرحمن العك، أُصول التفسير وقواعده، ص ٢٣٢.

٤. أنظر: الذهبي، التفسير والمفسرون، ج ٢، ص ٤١٨

ج) الانواع وأهم المصادر

١. اتجاه الفلسفية المشّائية في التفسير

يطلق هذا الاصطلاح (الفلسفة المشائية) على المنهج الفلسفي الذي يرجع في جذوره إلى أفكار ارسطو، ويعتبر ابن سينا (ت ٤٢٨هـ) من أبرز فلاسفة هذه المدرسة بين المسلمين، فقد قام بتأليف كتاب الشفاء وضمّ فيه آراءه الفلسفية. ومن أهم الكتب التي تناولت المباحث التفسيرية للفلسفة المشائية هي:

١ / ١. تفسير ابن سينا، ابو علي حسين بن عبد الله بن حسين المشهور بابن سينا (٣٧٠ ـ ٤٢٨هـ)، وقد تناول فيه تفسير السور التالية: الأعلى، الاخلاص، الفلق، الناس، وآية النور، والآية (١١) من سورة فصلت و....

٢ / ١. كتاب النيروزية في معاني الحروف الهجائية لابن سينا أيضاً، تناول فيه تفسير الحروف المقطعة في بداية السور وبيان أسرارها، وكذلك كتاب التفسير القرآني واللغة الصوفية في فلسفة ابن سينا تأليف «حسن عاصي» والذي بيَّن فيه المباني التفسيرية لأبي علي بن سينا.

٢. اتجاه الفلسفة الإشراقية في التفسير

وهو الاتجاه الفلسفي الذي يرجع في جذوره إلى الأفكار الإفلاطونية الجديدة، وفلاسفة ايران القدماء، ومن أهم الشخصيات الإسلامية في هذه المدرسة الفلسفية هو الشيخ شهاب الدين السهروردي (٥٤٩ ـ ٥٨٧هـ) وهذا الاتجاه يعطي أهمية كبيرة لمسألة الإشراق والشهود في الفلسفة.

يُذكر أنّ الكثير من الأفكار الفلسفية لهذه الفرقة يوجد في آثار شيخ الاشراق السهروردي.

٣. اتجاه الحكمة المتعالية في التفسير

وهو منهج تلفيقي من الفلسفة المشائيّة والفلسفة الإشراقية.

ويعتبر الملا صدرا الشيرازي (ت ١٠٥٠هـ) من روّاد هذا الاتجاه، وإن كتابه الأسفار مشهور في هذا المجال.

ومن أهم الكتب الّتي تناولت المباحث التفسيرية الفلسفية للحكمة المتعالية هي:

١ / ٣. تفسير القرآن الكريم (تفسير صدر المتألهين)، محمد بن إبراهيم، صدر الدين الشيرازي المعروف بالملّا صدرا أو صدر المتألهين (ت ١٠٥٠هـ)، والذي يشتمل على السور التالية: الفاتحة، الواقعة، يس، الأعلى، الحديد، والجمعة.

٢ / ٣. أسرار الآيات، المؤلف السابق. وهناك تفاسير فلسفية أُخرى مثل: تحفة الأبرار في تفسير القرآن، الملّا محمد الملائكة (القرن الثاني عشر)؛ تفسير رضوان، الميرزا عبد الوهاب (ت ١٢٩٤هـ)،[١] وكذلك مخزن العرفان، السيدة الأصفهانية (ت ١٤٠٣هـ)؛ الميزان في تفسير القرآن، العلّامة الطباطبائي (ت ١٤٠٢هـ)، وهو من التفاسير الفلسفية، وقد استفاد من مناهج واتجاهات أُخرى في التفسير.[٢]

د) نماذج

من أهم المسائل والآيات الّتي كانت مورداً للبحث في هذا الاتجاه هي:

١. اثبات وجود الله والأدلة المختلفة على ذلك.

٢. حقيقة وجود الله وصفاته.

٣. التوحيد ومراتبه ومراحله.

٤. مسألة النفس.

٥ . مسألة العقل.

٦ . مسألة العليّة.

٧. مسألة الإعجاز.

مثال: كتب ابن سينا في تفسير الآية ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ... ﴾.[٣] فقال: «النور اسم مشترك لمعنيين: ذاتي ومستعار، والذاتي هو كمال المشف من حيث هو مشف كما ذكرها ارسطوطاليس، والمستعار على وجهين: اما الخير، وأما السبب الموصل إلى الخير، والمعنى هٰهنا هو القسم المستعار بكلا قسميه...،

---

١. دائرة معارف تشيع، ج ٣، ص ١٨٣، ١٨٥

٢. سيد رضا مؤدب، روشهاى تفسير قرآن، ص ٢٥٧، ٢٥٨ ٣. النور، ٣٥

وقوله «السموات والأرض» عبارة عن الكل، وقوله «مشكاة» فهو عبارة عن العقل الهيولاني والنفس الناطقة.... والمصباح هو عبارة عن العقل المستفاد بالفعل...».[١]

مثال آخر: كتب الفارابي (ت ٣٣٩هـ) في تفسير أوّل سورة الحديد ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ... ﴾، فقال: «الأوّل من جهته انّه منه ويصدر عنه كل موجود بغيره، وهو أول من جهته انّه بالوجود لغاية قربه منه و... فهو الآخر لأنّه الغاية الحقيقية في كل طلب».[٢]

مثال آخر: فسّر اخوان الصفا الجنّة بمعنى عالم الأفلاك، وجهنّم بمعنى عالم تحت فلك القمر، أي عالم الدنيا، وفسّروا الملائكة بمعنى كواكب الأفلاك.[٣]

مثال آخر: قد يستفيد الفلاسفة من المطالب الفلسفية لفهم آيات القرآن، ولهذا فهم يقتربون من الاتجاه الكلامي، أي الاستفادة من الفلسفة في الدفاع عن الدين، كما استفاد العلّامة الطباطبائي من البحث الفلسفي «العلّيّة»، وقال ان القرآن يقبل العليّة العامة، ولهذا فقد عرض تفسيراً خاصاً للمعجزة.[٤]

القسم الرابع: الاتجاه الاجتماعي

أ) نبذة تاريخية

كما تناول القرآن الكريم العقائد والأحكام التكليفية للإنسان فإنّه قام ببيان الكثير من المباحث المتعلقة بالحياة الاجتماعية والفردية للإنسان. وهذا البعد القرآني له ماضٍ بعيد، وكان مورد اهتمام المفسّرين، حيث تناولوا الآيات المُتعلقة بالجانب الاجتماعي بالبحث والتفسير.

وقد تكونت في القرون الاخيرة نظرة جديدة إلى تعاليم القرآن والإسلام مع ظهور الحركة الاجتماعية الّتي قام بها السيد جمال الدين الأسدآبادي (ت ١٣١٥هـ) في مصر، وتلميذه محمد عبده (ت ١٣٢٣هـ)، وقد تبلورت هذه الحركة في الاتجاه الاجتماعي

١. ابن سينا، رسائل، ص ١٢٥ـ١٢٨؛ التفسير والمفسّرون، ج ٢، ص ٤٢٩
٢. الفارابي، فصوص الحكم، ص ١٧٤، ١٧٥؛ التفسير والمفسرون، ج ٢، ص ٤٢٠
٣. رسائل اخوان الصفا، ج ١، ص ٩١، ٩٢، ٩٨، مطبعة العربية ١٩٢٨
٤. أنظر: الميزان، ج ١، ص ٧٣.

في التفسير،[١] وتجسدت في تفاسير عديدة مثل تفسير المنار لمحمد رشيد رضا ـ وان ابتعد مؤلفه في بعض الموارد عن اهداف الافغاني وعبده في المنار ـ[٢] وقد استمر التفسير الاجتماعي على هذا المنوال في جميع البلدان الإسلامية، فكان الشيخ أحمد مصطفى المراغي تفسير المراغي وسيد قطب في ظلال القرآن في مصر، والقاسمي محاسن التأويل في سورية، والعلّامة الطباطبائي الميزان وآية الله مكارم الشيرازي تفسير نمونه، وآية الله الطالقاني پرتوى از قرآن في ايران، ومحمد جواد مغنية الكاشف في لبنان. وقد يقترن الاتجاه الاجتماعي مع الاتجاهات العصرية الجهادي ـ التربوي، الارشادي ـ التقريبي مما قد يؤدي إلى ظهور الحركات الثورية والاصلاحات الاجتماعية.

وكان هذا الاتجاه (المقترن مع الاتجاهات العصرية) من أكثر الاتجاهات التفسيرية رواجاً في العصر الحاضر، ففي كل سنة يُعرَض تفسير جديد في هذا المنهج. وقد أشار الذهبي إلى الاتجاه الاجتماعي وامتيازاته، وأشكل عليه بأنّه يعطي مساحة كبيرة للعقل في التفسير ويقوم بتأويل بعض الحقائق الشرعية إلى المجاز أو التمثيل، ولهذا فهو يقترب من منهج المعتزلة.[٣] أمّا آية الله معرفة فقد اعتبر استخدام الحرية العقلية من امتيازات هذا الاتجاه لأنّه يقف بوجه الروايات الضعيفة والمجعولة في التفسير.[٤]

ب) الخصائص

ان أكثر اهتمامات المفسرين في هذا الاتجاه هي:

١. الآيات الّتي تبيّن المسائل الاجتماعية.

٢. الاهتمام بمشاكل المسلمين في العصر الحاضر، وتطبيق آيات القرآن على الحياة المعاصرة، واستخراج علاج المشاكل الاجتماعية من القرآن.

---

١. اعتبر آية الله معرفة ان الشيخ محمد عبده هو رائد هذه المدرسة التفسيرية (التفسير والمفسرون، ج ٢، ص ٤٥٣).

٢. لقد أفرط في بعض الأحيان في تطبيق القرآن على العلوم الجديدة، وقد اتخذ بعض المواقف ضد الشيعة تحت تأثير الوهابية. (أنظر: التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب، ج ٢، ص ٤٥٦ إلى ٤٦٥ ؛ الذهبي، التفسير والمفسرون، ج ٢، ص ٥٨٥ وما بعدها).

٣. الذهبي، التفسير والمفسرون، ج ٢، ص ٥٤٧ ـ ٥٥٠

٤. التفسير والمفسّرون في ثوبه القشيب، ج ٢، ص ٤٥٣

٣. عدم الاهتمام بالاتجاهات الفلسفية، والمذهبية، والاساليب الأدبية والفقهية والسعي إلى استخراج العقائد من القرآن وليس جعل القرآن تابعاً للعقائد.

٤. الاهتمام بالاتجاهات العصرية الجديدة في باب الجهاد مع أعداء الإسلام (وخصوصاً اسرائيل)، والاستعمار الغربي والاهتمام بمسألة التقارب بين المسلمين.

٥. الاهتمام بالتعاليم التربوية والارشادية في القرآن.

٦. إعطاء أهمية كبيرة للعقل والعلوم التجريبية القطعية، والاستفادة من المنهج العقلي والعلمي في التفسير.

٧. الابتعاد عن الروايات الاسرائيلية الموضوعة والضعيفة.

٨. الاستفادة من البيان الواضح والبسيط في التفسير والذي يلائم المستوى العام للجمهور.

٩. الاهتمام بالشبهات والإشكالات الّتي تثار حول القرآن والإسلام من المخالفين، والسعي لتقديم الاجوبة المناسبة لها.

١٠. تأويل الآيات والروايات المخالفة للحقائق الشرعية، والعلميَّة، والعقلية الثابتة، أو اعتبار ذلك من المجازات.

١١. يتمتع أصحاب هذا الاتجاه بروحية اجتماعية وينظرون إلى الآيات والأحكام الشرعية بنظرة اجتماعية وليس من زاوية فردية.

١٢. يحاول المفسّر في هذا الاتجاه ان يبتعد عن التقليد، ويسعىٰ إلىٰ تطبيق السنن الاجتماعية في القرآن على احتياجات العصر ببيان واسلوب يفهمه الجميع.

ج) أهم المصادر

١. تفسير جزء عمّ، محمد عبده (ت ١٣٢٣هـ)، وتفسير سورة العصر وسور وآيات قرآنية أُخرى منشورة للمؤلف أيضاً.

٢. المنار (تفسير القرآن الحكيم)، ويشتمل على آراء محمد عبده، وقد كتبه تلميذه محمد رشيد رضا (ت ١٣٥٤هـ)، ويبدأ من أول القرآن وينتهي عند الآية «٥٣» من سورة يوسف.

٣. تفسير القاسمي (محاسن التأويل) عربي، جمال الدين أبو الفرج محمد بن محمد

المعروف بالقاسمي (ت ١٣٣٢هـ)، وهو من تلاميذ محمد عبده، ومن علماء دمشق وقائد الحركة ضد الاستعمار.

٤. تفسير المراغي: الشيخ أحمد مصطفى المراغي (ت ١٣٧١هـ) وهو من تلاميذ الشيخ محمد عبده، وله اهتمام خاص بأسرار التشريع، وعلل انحطاط المسلمين.

٥. في ظلال القرآن، سيد بن قطب بن إبراهيم الشاذلي (ت ١٣٨٦هـ) استشهد في مصر، يتجلىٰ في تفسيره الاتجاه الجهادي والسياسي، وله اهتمام خاص بالمسائل الاجتماعية.

٦. الميزان في تفسير القرآن، العلّامة السيد محمد حسين الطباطبائي (ت ١٤٠٢ هـ) وهو تفسير جامع، ومنهجه تفسير القرآن بالقرآن، وقد كُتب باللغة العربية ثم ترجم إلى اللغة الفارسية.

٧. تفسير نمونه، آية الله مكارم الشيرازي مع معاونيه (معاصر ـ ايران) باللغة الفارسية، وهو تفسير جامع (في سبعة وعشرين مجلداً)، ذو اتجاه اجتماعي، وله اهتمام خاص بالاتجاه العلمي، وهو أول تفسير يكتب بصورة جماعية، أصل هذا التفسير باللغة الفارسية، وقد تُرجم إلى لغات أُخرى وإلى اللغة العربية تحت عنوان «الأمثل».

٨. پيام قرآن، الشيخ مكارم الشيرازي، وهو تفسير موضوعي باللغة الفارسية، وقد طبع منه لحد الآن عشرة مجلدات.

٩. من وحي القرآن، العلّامة السيد محمد حسين فضل الله (عالم معاصر ـ لبناني)، باللغة العربية.

١٠. الكاشف، العلّامة الشيخ محمد جواد مغنية (١٣٢٢ ـ ١٤٠٠هـ)، باللغة العربية، وهو من علماء لبنان، وله تفسير من مجلد واحد باسم «المبين» ويتميز بمشاعره القوية ضد الصهاينة.

١١. الفرقان في تفسير القرآن، الدكتور محمد الصادقي الطهراني (معاصر ـ ايران) باللغة العربية.

١٢. من هدى القرآن، السيد محمد تقي المدرسي، كُتب عام ١٤٠٥هـ في ١٨ مجلد.

١٣. مخزن العرفان، السيدة نصرة بنت محمد علي أمين، المشهورة باسم (السيدة الاصفهانية، ت ١٤٠٣هـ). باللغة الفارسية.

١٤. منشور جاويد، آية الله جعفر السبحاني (معاصر)، وهو تفسير موضوعي باللغة الفارسية نشر منه لحد الآن عشرة مجلدات، ونشر باللغة العربية باسم «مفاهيم القرآن».

١٥. تفسير نور، الاستاذ محسن قراءتي (معاصر).

١٦. تفسير كاشف، الدكتور بي آزار الشيرازي، والدكتور السيد محمد باقر حجّتي (معاصر).

١٧. ذكر بعض العلماء تفاسير اجتماعية أُخرى منها[1]:

تفسير العاملي ـ إبراهيم العاملي (ت ١٣٤٧هـ).

بدائع التفسير ـ شمس الدين ابن القيّم (ت ١٣٥٠هـ).

التحرير والتنوير ـ محمد طاهر بن عاشور.

الحديث ـ محمد عزة دروزة النابلسي (ت ١٤٠٠هـ)، و...

د) النماذج

ان أكثر ما يهتم به أصحاب هذا الاتجاه التفسيري، هو المواضيع التالية:

١. العلاقات الاجتماعية بين المسلمين (آل عمران: ٢٠٠ و...).

٢. مسألة الوحدة بين المسلمين (آل عمران: ١٠٣ و...).

٣. علاقات المسلمين مع الشعوب والبلدان الأُخرى، واعتبار قاعدة نفي السبيل هي القاعدة الحاكمة بين المسلمين وغيرهم في السياسة الخارجية (النساء: ١٠١).

٤. مسألة الحكومة الإسلامية والمسائل السياسية للمجتمع الإسلامي.

٥. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٦. المسائل الصحية الاجتماعية والفردية (الاسراف، الغذاء الصحي و...).

٧. التعاون الاجتماعي (في الأُمور الخيرية ومساعدة الفقراء و...).

٨. مسألة الجهاد في الإسلام ووجوب قتال الأعداء والاستعمار والصهيونية.

٩. مسألة حرية الإنسان والوقوف ضد الظلم والاستبداد.

١٠. الاهتمام بالتربية والتعليم وأهمية العلم في الإسلام.

١١. الاهتمام بالعلوم الطبيعية والإنسانية في تفسير القرآن.

---

١. الدكتور مؤدب، روشهاى تفسير قرآن، ص ٢٨٠

مثال: تناول العلّامة الطباطبائي عند تفسير الآية (٢٠٠) من سورة آل عمران بعض المباحث تحت عنوان «كلام في المرابطة في المجتمع الإسلامي»،[١] والّتي شملت العناوين التالية:

الإنسان والاجتماع ـ رابطة الفرد والمجتمع ـ الحرية في الإسلام ـ التكامل والتحول في المجتمع الإسلامي ـ الدين وسعادة الدنيا ـ الولاية في المجتمع الإسلامي ـ حدود البلدان الإسلامية و...

القسم الخامس: الاتجاه الأدبي واللغوي

أ) نبذة تاريخية

تعتبر اللغة والآداب العربية أحد المصادر المهمة في تفسير القرآن والّتي لا يمكن ان يستغني عنها أي مفسّر.

وكانت مسألة استخدام اللغة والآداب العربية في فهم القرآن مورد اهتمام الأدباء والمفسّرين منذ القدم، وقد سبق أن تعرضنا إلى ان أحد موارد الاستفادة من الروايات هو توضيح المفردات المبهمة والمشكلة في القرآن. فقد كان الصحابة ـ أحياناً ـ يسألون الرسولﷺ عن معاني بعض المفردات القرآنية، ويقوم الرسولﷺ بتوضيحها لهم، واستمر هذا الأمر حتى عصر التابعين. ويعتبر كتاب غريب القرآن من اوائل الكتب المؤلفة في ذلك الزمان، قام بتأليفه محمد بن السائب الكلبي الكوفي، وهو من أصحاب الإمامين الباقر والصادقعليهما السلام . ثمّ تطورت هذه الطريقة، وظهرت انواع متعددة، ودخلت في ميدان تفسير القرآن، وتكونت تفاسير لغوية وأدبية مثل تفسير الكشاف للزمخشري (٤٦٧ ـ ٥٣٨هـ)، وأحياناً يقوم بعض المفسّرين بتخصيص قسم من تفسيره للبحوث الأدبية واللغوية، كما فعل الطبرسي في مجمع البيان حيث تناول بحث اللغة والاعراب تحت عنوان مستقل. أما في العصر الحاضر فقد كثر الاهتمام بهذا الجانب إلى حدّ أنّ بعض المراكز خصصت له حصة دراسيَّة، لأنّه لا يمكن للمفسّر أن يفهم ويفسّر القرآن بصورة جيدة دون الالتفات إلى هذا الجانب.

---

١. الميزان، ج ٤، ص ٩٧ـ١٤٧

ب) الخصائص

ان أكثر ما يهتم به أصحاب هذا الاتجاه، هو المسائل التالية:

١. الاهتمام بالمسائل النحوية والصرفية للألفاظ وعبارات القرآن وفي بعض الأحيان يقوم المفسّر بإعراب الآيات ودراسة النواحي الصرفية فيها.

٢. الاهتمام ببيان المسائل واللّطائف البلاغية وفصاحة القرآن.

٣. الاهتمام بالاعجاز الأدبي والبلاغي أو إثبات ذلك.

٤. توضيح اللغات الغريبة والمشكلة في القرآن.

٥. الاهتمام بجذور الكلمات في اللغة العربية والثقافات غير العربية، أيّ تتبّع الكلمات الدخيلة من اللغة العبرية، والسريانية، والفارسية و....

٦. الاهتمام باختلاف القراءات وتأثير ذلك في معاني الآيات.

٧. الاستفادة من أشعار العرب وخصوصاً الجاهلي منها كمصدر للتعرف على معاني القرآن.

٨. الاهتمام بمباحث الوجوه والنظائر والحقيقة والمجاز.

ج) الانواع والمصادر

١. الاتجاه اللغوي في التفسير
(مفردات القرآن = غرائب القرآن = معاني القرآن)

ففي هذه الطريقة يتم التأكيد على معرفة اللغات الغريبة والمبهمة، والحصول على الجذر اللغوي واشتقاق الكلمة وشكلها والتغييرات الحاصلة عليها، والتطور التاريخي للغة والاستشهاد بأشعار العرب وكلام القبائل وبالاستخدامات المختلفة لاحدى اللغات في القرآن، والالتفات إلى الوجوه والنظائر والمترادفات والحقيقة والمجاز، ولابد من التفريق في هذه الموارد بين المعنى الموضوع له عن المستعمل فيه عن طريق الاجتهاد في اللغة.

أما أهم وأشهر الكتب في هذا المجال فهي:

١. تفسير غريب القرآن، المنسوب إلى الشهيد زيد بن علي بن الحسين. وطبع بتحقيق محمد جواد الجلالي على أساس ترتيب الآيات.

٢. تفسير معاني القرآن، يحيى بن زياد الديلمي المعروف بالفرّاء (ت ٢٠٧هـ)، باللغة العربية.

٣. تفسير غريب القرآن، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦ هـ)، باللغة العربية، على أساس ترتيب الآيات.

٤. تفسير مفردات الفاظ القرآن (مفردات الراغب)، أبو القاسم الحسين ابن محمد بن المفضل المعروف بالراغب الاصفهاني (ت ٥٠٣هـ). ذكر فيه لغات القرآن على أساس حروف (أ، ب،...).

٥. تفسير وجوه القرآن، أبو الفضل بن إبراهيم التفليسي (ت ٦٠٠هـ). قام بدراسة وبحث الاستخدامات القرآنية أعم من الحقيقة والمجاز (المعاني المستعمل فيها).

٦. تفسير الوجوه والنظائر في القرآن، أبو عبد الله الحسين بن محمد الدامغاني (القرن الثامن). رتّبه على شكل معجم وهو من أفضل الكتب في نوعه.

٧. تفسير مبهمات القرآن، أبو عبد الله محمد بن علي البلنسي (ت ٧٨٢هـ). قام ببحث اللغات المبهمة في القرآن.

٨. تفسير غريب القرآن، سراج الدين أبو حفص عمر بن أبي الحسن (ت ٨٠٤هـ).

٩. تفسير غريب القرآن الكريم، فخر الدين الطريحي (ت ١٠٨٧هـ)، صاحب كتاب مجمع البحرين.

ملاحظة: تناولت بعض التفاسير وبصورة ضمنية بعض البحوث اللغوية منها: تفسير شبّر، عبد الله بن شبّر الكاظمي النجفي (ت ١٢٤٢هـ)، تفسير الجلالين، جلال الدين المحلّي (ت ٨٦٤هـ) وجلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، تفسير مجمع البيان وجوامع الجامع، للشيخ الطبرسي (ت ٥٤٨هـ)، وكذلك كتاب التحقيق في كلمات القرآن الكريم، المصطفوي، كتاب قاموس القرآن، السيد علي أكبر القرشي، وهما من الكتب القيّمة في هذا المجال. وقد اهتم المصطفوي و «آرثر جفري» في كتابه اللغات الدخيلة في القرآن بالبحث عن جذور واشتقاق الكلمات غير العربية أيضاً.

٢. الاتجاه الادبي (البلاغي والبياني)

يؤكد هذا الاتجاه على البحوث اللفظية والمعاني المتشابهة للآيات عن طريق الاهتمام بالنواحي الصرفية والنحوية للآيات، والاستفادة بصورة كاملة من الآداب العربية

(الصرف، النحو، البلاغة، البديع، و...)؛ لأنّ القرآن نزل بلسان عربيٍّ ولابدّ من الاهتمام بهذه البحوث من أجل فهمه والتعرف على معانيه، وهناك بعض الكتب المدونة في هذا الاتجاه وهي:

١. تفسير مجمع البيان وكذلك تفسير جوامع الجامع، أمين الاسلام أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي (ت ٥٤٨هـ) باللغة العربية، والمؤلف شيعي المذهب، وقد تناول في تفسيره بحوثاً مفصلة مستقلة حول إعراب القرآن واللغات وهو من الكتب القيّمة في هذا المجال.

٢. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، جار الله الزمخشري (٤٦٧ ـ ٥٣٨هـ) باللغة العربية، وهو معتزلي المذهب، وكان له اهتمام واسع بالبحوث الأدبية، وهو من أفضل الكتب في هذا المجال.

٣. املاء ما مَنّ به الرحمن من وجوه الاعراب والقراءات في جميع القرآن، أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري (ت ٦١٦هـ).

٤. البحر المحيط، أثير الدين محمد بن يوسف بن علي الحياني الاندلسي النحوي، المالكي المذهب (ت ٧٤٥هـ).

٥. التحصيل في مختصر التفصيل، أبو العباس أحمد التميمي الاندلسي (ت ٤٤٠ هـ).

٦. عناية الله القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي (حاشية الخفاجي) أحمد بن محمد بن عمر شهاب الدين الخفاجي المصري (ت ١٠٦٩هـ). باللغة العربية، وهو من الحواشي على تفسير البيضاوي.

٧. تفسير القرآن واعرابه وبيانه، الشيخ محمد علي طه دره (معاصر من أهل السنة).

٨. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (تفسير البقاعي)، برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي (ت ٨٨٥هـ)، باللغة العربية، وقد اهتم بمناسبات الآيات ونظمها واللطائف البلاغية، وكان يرى أنّ إعجاز القرآن يكمن في هذه الموارد.

٩. إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (تفسير أبي السعود) أبو السعود محمد بن محمد بن مصطفى العمادي، حنفي المذهب (ت ٩٨٢هـ) باللغة العربية، وقد بيّن أسرار بلاغة القرآن والاستعارات والتشبيهات، وأثبت إعجاز القرآن عن هذا الطريق.

ملاحظة: اهتمَ الكثير من التفاسير بهذه المباحث أيضاً منها: تفسير شُبَّر، والجلالين، والتبيان.

النماذج والموضوعات

عادة ما يكون اهتمام هذا الاتجاه بالمباحث التالية:

١.الصرف.

٢. النحو.

٣. معاني اللغات واشتقاقها.

٤. اللغات الدخيلة في القرآن (المفردات الّتي لها جذور غير عربية) مثل كلمة «الفردوس»، وهي كلمة فارسية، وإبراهيم و....

٥. الاهتمام بفصاحة وبلاغة الآيات.

٦. الاهتمام بالمترادفات والمشتركات اللفظية (الوجوه والنظائر).[١]

مثال: استفاد الزمخشري من تفسير الآية ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾،[٢] معنى الاختصاص؛ أيّ أنّ النظر يكون يوم القيامة منحصراً ومختصاً بالله فقط وذلك عن طريق تقديم المفعول به «إلى ربّها»، ثم أشكل على هذا المعنى بانّه كيف دلّ التقديم على معنى الاختصاص مع العلم انهم ينظرون إلى أشياء كثيرة أُخرى، ثم ان النظر إلى الله من المحالات (لانّه ليس جسماً) فلابد من حمله على معنى يصح معه الاختصاص كقول القائل: انا إلى فلان ما يصنع بي، تريد معنى التوقع والرجاء.

وسُمعت سروية مُستجدية بمكة وقت الظهر حين يغلق الناس ابوابهم، ويأوون إلى مقائلهم، تقول عيينتي نويظرة إلى الله وإليكم، والمعنى: انهم لا يتوقعون النعمة والكرامة الا من ربهم كما كانوا في الدُنيا لا يخشون ولا يرجون الا اياه.[٣]

---

١. هناك لون آخر من ألوان التفسير الأدبي يتجاوز دراسة النص بصورة جزئية من خلال الاهتمام بالخصائص الجماليّة والبلاغية للجملة والمفردة القرآنية إلى الاهتمام بدراسة النص القرآني بتمامه واكتشاف خصائصه الفنية والبيانية من خلال الوحدة الموضوعية الّتي تربط بين الآيات والسور القرآنية، وكان رائد هذه المحاولة الشيخ أمين الخولي وتلمبذته بنت الشاطي في كتابها «التفسير البياني للقرآن الكريم» [المترجم].

٢. القيامة، ٢٢، ٢٣

٣. الزمخشري، الكشاف، ج ٤، ص ٦٢

الخلاصة

١. بيّنّا معنى الاتجاه والتفسير في هذا الدرس، وأشرنا إلى أقسام الاتّجاهات؛ أي المذاهب، المدارس (الكلامية)، الألوان، الاتجاهات، وأسلوب ترتيب وكتابة التفسير.

٢. اتضح معنى الاتجاه الفقهي في التفسير والذي بدأ في زمن النبي ﷺ ثم ظهر على شكل تفسير موضوعي.

٣. ذكرنا خصائص الاتجاه الفقهي وانواعه الفرعية (الشيعي، الشافعي، المالكي، الحنبلي، الحنفي) مع ذكر بعض النماذج والمصادر.

٤. تابعنا الاتجاه الكلامي في التفسير من صدر الإسلام حتى ظهور المعتزلة والأشاعرة والماتريدية، والخصائص الخمسة الّتي يتميز بها هذا الاتجاه وأنواعه الفرعية (المعتزلة ـ الأشاعرة ـ الشيعة) مع ذكر مصادرهم وبعض النماذج.

٥. تابعنا الاتجاه الفلسفي في التفسير منذ زمن الخلفاء العباسيّين، ووضّحنا الآراء الموافقة والمخالفة ثم ذكرنا خمساً من المميزات الّتي يتميّز بها هذا الاتجاه وانواعه الفرعية (المشّاء ـ الإشراق ـ الحكمة المتعاليّة) مع ذكر المصادر المهمة وبعض النماذج.

٦. بحثنا الاتجاه الاجتماعي منذ زمن السيد جمال الدين الأسدآبادي ومحمد عبده، وذكرنا علاقته بالاتجاهات التفسيرية وخصائصه وأهم مصادره مع ذكر بعض النماذج.

٧. بحثنا الاتجاه الأدبي واللغوي في التفسير من صدر الإسلام، وذكرنا خصائصه الثمانية وأنواعه المهمة (اللغوي، الادبي، البلاغي والبياني) وذكرنا مصادره مع ذكر بعض النماذج.

الأسئلة

١. عرّف الاتجاه التفسيري، واذكر اقسام الاتجاهات التفسيرية.

٢. اذكر أربع خصائص فقهيّة للاتجاه الفقهي.

٣. وضّح الاتجاه الفقهي الشافعي والشيعي مع ذكر مصدرين لكل منهما.

٤. وضّح الاتجاه الفقهي المالكي والحنبلي، واذكر مصدرين لكل منهما.

٥. بيّن الاتجاه الكلامي للتفسير عند المعتزلة واذكر مصدرين في التفسير عندهم.

٦. وضّح الاتجاه الكلامي في التفسير عند الشيعة مع ذكر أهم المصادر والشخصيات.
٧. ماهو الاتجاه الكلامي للتفسير عند الاشاعرة مع ذكر أهم تفسيرين عندهم.
٨. بيّن الاتجاه الفلسفي المشّائي مع ذكر مصدرين تفسيريين.
٩. وضّح الاتجاه الفلسفي للحكمة المتعالية مع ذكر مصدرين تفسيريين.
١٠. وضّح الاتجاه الاجتماعي في التفسير، واذكر علاقته بالاتجاهات التفسيرية.
١١. اذكر خمس خصائص للتفسير الاجتماعي.
١٢. اذكر بعض النماذج للتفسير الاجتماعي مع ذكر ثلاثة مصادر لهذا الاتجاه.
١٣. ما هو أول كتاب في غريب القرآن؟ مع ذكر المؤلف.
١٤. وضّح الاتجاه الأدبي (البلاغي والبياني) في التفسير مع ذكر مصدرين له.
١٥. اذكر خمس خصائص للاتجاه اللغوي والأدبي.

بحوث جديدة

١. ناقش آية المتعة على رأي الاتجاهات الفقهية في التفسير مع النقد.
٢. ابحث الاتجاه الكلامي للماتريدية مع ذكر مصادرهم التفسيرية المهمّة.
٣. ناقش مسألة العدل الإلٰهي والتوحيد الصفاتي والافعالي في الآيات القرآنية على رأي الاتجاهات الكلامية في التفسير.
٤. ابحث مسألة الإمامة على رأي الاتجاه الكلامي في التفسير عند الشيعة.
٥. ابحث مسألة الهداية والضلال وعلاقتها باختيار الإنسان على رأي الاتجاهات الكلامية.
٦. ابحث الاتجاه الفلسفي في تفسير الميزان ومقدار تأثير العقائد الفلسفية للعلّامة في هذا التفسير، مع ذكر بعض النماذج.
٧. ناقش كتاب أسرار الآيات للملّا صدرا مع الأخذ بنظر الاعتبار المعايير التفسيرية مع النقد.
٨. ناقش مسألة النفس والعقل من زاوية الاتجاهات الفلسفية في التفسير مع النقد.
٩. ابحث الاتجاه الاجتماعي في تفسير نمونه مع توضيح خصائصه في ضوء بعض النماذج.

١٠. ابحث الاتجاه الاجتماعي في تفسير المنار، مع النقد.

١١. قارن بين الاتجاه الأدبي واللغوي في مجمع البيان والكشّاف.

١٢. ناقش مقدار اعتبار مصادر الاتجاه اللغوي، واذكر ثلاثة مصادر معتبرة في اللغة (مع ذكر الأدلة).

١٣. ناقش مسألة اعتبار قول اللغوي في التفسير.

مصادر إضافية للمطالعة

١. التفسير والمفسّرون في ثوبه القشيب، آية الله معرفة (الجزء الثاني).

٢. التفسير والمفسّرون، الذهبي.

٣. أُصول التفسير وقواعده، الشيخ خالد عبد الرحمن العك.

٤. المفسّرون حياتهم ومنهجهم، الأيازي.

٥. مذاهب التفسير الإسلامي، جولد زيهر، مُترجَم.

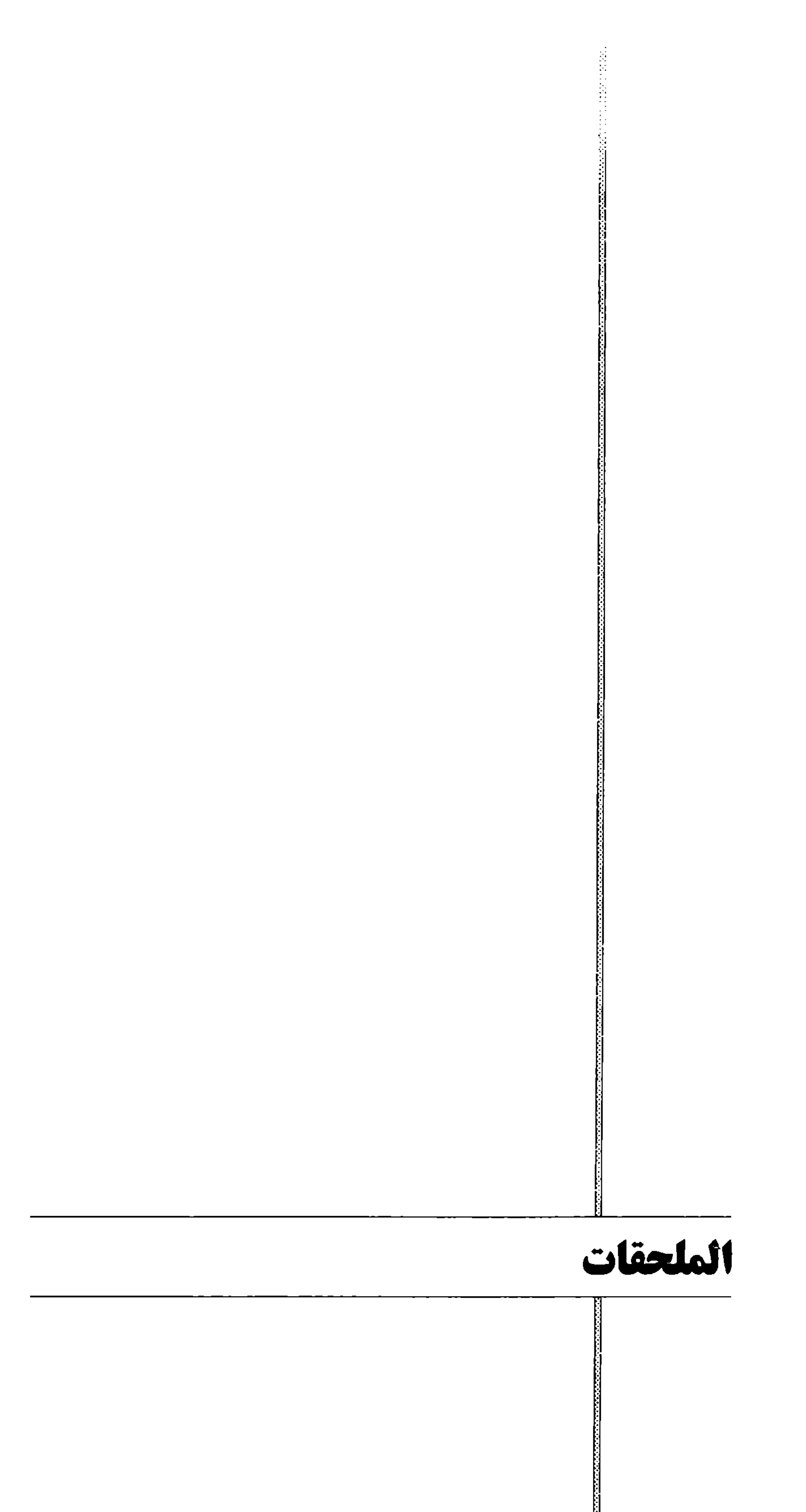
٦. روشهاى تفسير قرآن، الدكتور السيد رضا مؤدب.

٧. روشها و گرايشهاى تفسيرى، حسين علوى مهر.

٨. فلسفة وقرآن، مخبر الدزفولي، منشورات اسلامى، ١٣٦٨.

٩. مكاتب تفسيرى، علي اكبر البابائي، دفتر همكارى حوزه ودانشگاه (مكتب التنسيق بين الحوزة والجامعة).





الملحقات

١
تفسير القرآن والهرمنيوطيقا

طرح هذا البحث (الهرمنيوطيقا) في المباحث القرآنية منذ عهد قريب. وقد جعله بعض الكتاب في صف المناهج التفسيرية للقرآن تحت عنوان منهج تفسير الهرمنيوطيقا[١] وآخرين تحت مجموعة الاتجاهات الأدبية في تفسير القرآن.[٢] وبِغض النظر عن صحة هذا الرأي أو عدم صحته فإنّ هذا البحث وعلاقته بتفسير القرآن ومناهج التفسير يحتاج إلى مزيد من البحث والدراسة. وقد اختلفت الآراء حول هذا الموضوع علماً أنّ الالتزام بأحد هذه الآراء سوف يؤدي إلى نتائج خاصة، وقد تكون متناقضة فيما بينها؛ ولهذا فإنّ دراسة هذا الموضوع يحتاج إلى تأليف مستقل ومن الأفضل تناوله في مرحلة «دراسة الدكتوراه». ونحاول هنا بحث هذا الموضوع بصورة مختصرة، ونشير إلى نتائجه الايجابية والسلبية تحت العناوين التالية:

أوّلاً: الجذور التاريخية لبحث الهرمنيوطيقا.

ثانياً: التعاريف المهمة للهرمينوطيقا.

ثالثاً: علاقة الهرمنيوطيقا بتفسير القرآن واللوازم الاحتمالية المترتبة على القبول ببعض الآراء.

رابعاً: بحث نتائج موضوع الهرمنيوطيقا في تفسير القرآن.

---

١. عباس علي عميد الزنجاني، مبانى و روشهاى تفسير قرآن، ص ٢٦٧ ـ ٣١٢

٢. حسين علوى مهر، روشها وگرايشهاى تفسيرى، ص ٢٦٩

وهناك محاولات لدراسة هذا الموضوع، وهي بحاجة إلى نقد وتطوير، وهذا ما سنشير إليه في نهاية الفصل.

نبذة تاريخية حول «الهرمنيوطيقا»

معنى الهرمنيوطيقا

لفظ الهرمنيوطيقا HERMENEUITICE مأخوذ من المعنى اليوناني «HERMENEUIN» بمعنى «تفسير» وقد استخدمت هذه الكلمة منذزمن افلاطون بمعنىٰ التوضيح وإزالة الغموض عن الموضوع، وقد أطلق ارسطو هذا اللفظ على قسم من أقسام كتاب أرغنون (حول منطق القضايا) وعادة ما توجد هناك علاقة واضحة بين الاشتقاق اللغوي لهذا الاصطلاح (الهرمنيوطيقا) وكلمة «هرمس»، وهو الملاك الذي ينقل رسائل الآلهة ودساتيرها إلى الأرض، وحتى القرن السابع عشر الميلادي لا يوجد فرع للعلوم بهذا الاسم، وإنما حدث ذلك بعد القرن السابع عشر الميلادي فما بعد.[١]

الهرمنيوطيقا في التاريخ

بدأ علم الهرمنيوطيقا بصورة رسمية في القرن السابع عشر الميلادي ويعتبر «دان هافر»[٢] أول من استعمل لفظ «الهرمنيوطيقا» عندما أطلق هذا اللفظ على كتابه «الهرمنيوطيقا المقدّسَة أو منهج تفسير النصوص المقدسة».[٣] وقد اعتبر بعض المتخصصين أن نهضة الاصلاح الديني هينقطة البداية لهذا العلم، وأن شلايرماخر[٤] (١٧٦٨ ـ ١٨٣٤م) هو المؤسس الحقيقي للهرمينوطيقا الجديدة.[5] ولأول مرة قبل مئة سنة تقريباً قام ويلهلم ديلثي[٦] بتدوين الهرمنيوطيقا بعنوان أحد المناهج الفكرية وذلك من أجل رفع قيمة العلوم الإنسانية وجعلها في رتبة مساوية مع العلوم التجريبية، حتى

---

١. أُنظر: أحمد واعظي، در آمدى بر هرمنوتيك، ص ٢٢ ـ ٢٤.

2 . Dann Haver..

٣. در آمدى بر هرمنوتيك، ص ٧٥

4 . Friedrich Schleir Macher..

٥. در آمدى بر هرمنوتيك، ص ٧٢

6 . Wilhelm Dilthey..

ذلك التاريخ كان المفكرون يؤكدون على نيَّة وقصد المؤلف في فهم المتن، ثم ظهرت آراء أُخرى في هذا الموضوع تؤكد على البحث الفلسفي في موضوع الفهم وتقلل من دور نيَّة وقصد المؤلف في فهم المتون، ومن روّاد هذا الاتجاه كُلّاً من: مارتن هيدجر (١٨٨٩ ـ ١٩٧٦م) وجادامر (١٩٠٠م).

ملاحظة: رغم ان علم الهرمنيوطيقا نشأ في القرن السابع عشر الميلادي بصورة رسمية باعتباره احد الفروع العلمية ولكن مباحثه ذكرت في بعض الكتب القديمة قبل هذا التاريخ «الهرمنيوطيقا المجهولة»[١] ومن جملتهم «سنت اوغسطين» الفيلسوف والمتكلم المسيحي (٤٣٠ ـ ٤٥٤م)، والذي اعتبر ان علّة ابهام الكتاب المقدس هو الخلط بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي والاستعمالي.[٢] وقد طرح علماء المسلمين مباحث مشابهة للنظريات الهرمنيوطيقية ذُكرت في علم أُصول الفقه والتفسير، وذلك لأنّ مباحث علم الأُصول والتفسير تختص بقواعد فهم المتن، بالاضافة إلى أنّ المباحث المختصة في مناهج التفسير تعتبر من المواضيع الهرمنيوطيقية، ومن جملتها التفسير الإشاري (الرمزي، والكنائي، والتمثيلي و...)».[٣]

الآراء حول الهرمنيوطيقا

طرحت تعاريف كثيرة حول الهرمنيوطيقا منها:

١. اعتبر جان مارتن كلادينوس (١٧١٠ ـ ١٧٥٩م) أنّ العلوم الإنسانية تعتمد على «فنّ التفسير» وأنّ الهرمنيوطيقا هو الاصطلاح المرادف له؛ فالهرمنيوطيقا هو فنّ الحصول على الفهم الكامل والتامّ للعبارات المكتوبة والشفاهية ولكن في الموارد الّتي يوجد فيها غموض.

٢. فردريك أُغوست ولف (في خطاباته وكلامه ١٧٨٥ ـ ١٨٠٧م): عرّف موضوع الهرمنيوطيقا بأنّهُ هو العلم بالقواعد الّتي تساعد على إدراك وفهم معاني العلامات

١. «هرمنوتيك بى نام» تعبير اطلقهُ الاستاذ واعظي على الآراء والمباحث الهرمنيوطيقية الّتي كانت موجودة قبل وبعد القرن السابع عشر الميلادي ولم تدخل تحت مباحث الهرمنيوطيقا بصورة رسمية. أُنظر: أحمد واعظى، در آمدى بر هرمنوتيك، ص٤٦ [المترجم].

٢. در آمدى بر هرمنوتيك، ص ٧٢

٣. المصدر السابق، ص ٥٢ ـ ٥٤

والرموز، وإنّ الهدف منه هو فهم الأفكار المكتوبة والشفاهية لشخص المؤلف أو المتكلم تماماً كما كان يفكر به.

٣. شلاير ماخر (١٧٦٧ ـ ١٨٣٤م): نظر إلى الهرمنيوطيقا بمثابة «فنّ الفهم»، وقد التفت إلى مسألة سوء الفهم، وقال: ان تفسير المتن معرَّض دائماً إلى خطر سوء الفهم؛ ولهذا فهو يرى أنّ الهرمنيوطيقا هي مجموعة القواعد المنهجيّة المستخدمة لرفع هذا الخطر. فقد اعتبر ان هدف التفسير هو الكشف عن نيّة المؤلف [١] وذلك بالتأكيد على محورين:

الأوّل: هرمنيوطيقا لغوية: وهو فهم القواعد والقوانين لانواع العبارات والصور اللغوية والوسط الثقافي الذي يعيش فيه المؤلف، والذي يُعيِّن ويُحدِّد تفكيره.

الثاني: هرمنيوطيقا نفسية: وهو الفهم الفني والنفسي للذهنية الخاصة للمؤلف ونبوغه الخلَّاق.

٤. ويلهلم ديلثي (١٨٣٣ ـ ١٩١١م): اعتبر الهرمنيوطيقا علماً يتكفّل بعرض مناهج العلوم الإنسانية وأنّ الهدف الأساسي منها هو الارتقاء برتبة وقيمة العلوم الإنسانية، والارتفاع بها إلى رتبة العلوم التجريبية، فهو يعتمد على التفريق بين «الفهم» و «التبيين»، فان تبيين الحوادث الطبيعية يعتمد على استخدام القوانين الكلّية، أما المؤرخ فهو يسعى إلى فهم أعمال المسبّبين للحوادث التاريخية عن طريق الكشف عن نواياهم وأهدافهم وآمالهم وطبيعة شخصياتهم، فالفهم يعني إعادة اكتشاف «الأنا» في «الأنت»، ويمكن أنْ يحدث هذا بدليل وحدة الطبيعة البشرية، ومن أصحاب هذا الرأي ماكس ويبر (١٨٦٤ ـ ١٩٢٠م)، ويواخيم واخ.[٢]

٥. بابنر، وهو من الكتّاب المعاصرين الألمان: عرَّف الهرمنيوطيقا بانها «علم الفهم»، وهذا التعريف يتناسب مع الهرمنيوطيقا الفلسفية لكل من هيدجر وهانس جادامر؛ حيث ينظرون إلى مطلق الفهم وتحليل طبيعته وتبيين شرائط حصوله، ولا يحصرونه في حدود فهم العلوم الإنسانية، أمّا هيدجر فهو يعتقد أنّ المجتمع البشري يفهم العالم عن طريق ذهنية مسبقة (المفروضات، التوقعّات والمفاهيم)، وقد أيد جادامر هذه

---

١. الدكتور أحمد بهشتي، هرمنوتيك لوازم وآثار، كتاب نقد العدد ٥، ٦، ص ٥٩
٢. المصدر السابق، ص ٦٠

المعتقدات (آراء هيدجر) وذهب إلى أنّ كلّ متن أو شيء يمكن تفسيره من منظور خاص ويتعلق بسنّة خاصة ويصنع تحت أُفق خاص، حيث يمكن فهم كل شيء في إطاره، وهذا الافق في حالة تغير دائم عن طريق مواجهته مع الاشياء؛ فلا يوجد تفسير نهائي وعيني.[١]

إنّ تعدد هذه التعاريف يشير إلى اتساع هذا البحث واختلاف وجهات النظر حوله، وقد حصلت تطوّرات كثيرة على هذا الاصطلاح بمرور الزمن فانتقل من مجرد كونه أداة في فهم وتفسير المتون الدينية والحقوقية إلى التأمّل الفلسفي في باب ماهيّة الفهم وشرائط حصوله.[٢]

علاقة الهرمنيوطيقا بتفسير القرآن

اهتم بعض المفكّرين في مصر باستخدام علم الهرمنيوطيقا في تفسير القرآن، أمثال: محمد إبراهيم شريف في كتابه اتجاهات التجديد في تفسير القرآن، وعفّت محمد الشرقاوي في كتاب الفكر الديني في مواجهة العصر، ونصر حامد ابو زيد في كتاب نقدالخطاب الديني؛ أمّا في إيران فقد كتب محمد مجتهد شبستري هرمنوتيك كتاب‌وسنّت وقد ذهب بعض الكتاب إلى أنّ المفكرين المسلمين قد أخذوا مناهجهم في تفسير المتون من عالم اللّسانيات السويسري فرديناند سوسير (١٨٥٧ ـ ١٩٣١م).[٣]

ولابدّ من ذكر أهمّ مميزات وخصائص تفسير القرآن على أساس التفسير المشهور في مقابل التفسير بالمنهج الهرمنيوطيقي لكي تتضّح دعاوى الطرفين ويسهل الحكم على الآراء المطروحة في هذا المجال.

أ) خصائص ومميزات التفسير بالمشهور

١. يسعى المفسّر في الحصول على معنى المتن وهو المراد الجدّي للمتكلم والمؤلف، والنصوص المقدّسة هي رسائل وتعاليم إلهية للبشر، وإنّ هدف المفسّر هو إدراك

---

١. المصدر السابق، ص ٦١؛ نامه فرهنك، العدد ١٤، ص ١٢٨
٢. در آمدى برهرمنوتيك، ص ٢٧ ـ ٣٠ (بتلخيص)
٣. عميد الزنجاني، مبانى وروشهاى تفسيرى، ص ٢٧٥

المعاني والتعاليم النهائية الّتي يتضمنها المتن.[١]

٢. إنّ الوصول إلى معاني المتن (مقصود المتكلم والمؤلف) يكمّن في سلوك المنهج المتعارف والعقلائي في فهم النصوص وذلك على أساس حجيّة ظواهر الألفاظ، وأنّ دلالة الألفاظ تتبع الوضع اللغوي والأُصول والقواعد العقلائية للمحاورة والّتي يستخدمها كل متكلم ومخاطب في جميع اللغات وعلى أساسها يتكلمون ويتفاهمون.

٣. قد يصل المفسّر إلى الفهم التعييني للمتن (فهم النصوص) وقد يتوصل إليه بصورة ظنّية (فهم الظواهر)، وأحياناً يخطأ في فهم المتون.

٤. هناك معايير لتشخيص أخطاء المفسّرين منها: قوانين المنطق، القواعد العقلائية للمحاورة (أُصول الفقه)، قواعد التفسير الّتي جاء بيان بعضها من قبل القدماء (مثل قاعدة التفسير بالرأي)، وبعضها الآخر دوّن من قبل بعض العلماء. وإنّ حجيّة واعتبار التفسير وفهم المتن يكمن في استخدام هذه القواعد، وعلى هذا الأساس لا يوجد معنى للنسبية في فهم المتن؛ لأنّه يمكن تشخيص الفهم الصحيح عن غير الصحيح بواسطة هذه القواعد.

٥. لا تعتبر الفاصلة الزمانية بين عصر المفسّر وزمن ظهور المتن مانعاً جدّياً دون الحصول على المقصود والمراد الجدّي لمتن القرآن.[٢] وذلك:

أوّلاً: بسبب وجود بعض القرائن الواردة عن طريق الأحاديث، شأن النزول والتاريخ والّتي يمكن من خلالها اكتشاف المعاني الأصليّة للنص إلى حد بعيد.

ثانياً: حجيّة ظواهر القرآن؛ فإذا ما انعقد هذا الظهور في زماننا فسوف يتحقق موضوع هذهِ الحجيّة.

٦. لا يحق للمفسِّر أنْ يحمِّل النص آراءهُ وأفكاره المسبقة وإلّا فسوف ينتهي به

---

١. لقد عرّف العلّامة الطباطبائي‌ؒ التفسير في مقدمة تفسيره الميزان فقال: «التفسير هو بيان معاني الآيات القرآنية والكشف عن مقاصدها ومداليلها».

٢. استدل الشهيد الصدرؒ على حجية الظهور في عصر السماع ومطابقته للظهور الموضوعي في عصر الكلام بأصل عقلائي أطلق عليه «أصالة عدم النقل» أو «أصالة الثبات في اللغة»، والذي يعني إلغاء احتمال التغيير في الظهور لأنها حالة استثنائية نادرة تنفى بالأصل (راجع: دروس في علم الأُصول، ح ٣، الظهور الموضوعي في عصر النص) [المترجم].

الأمر إلى الوقوع بالتفسير بالرأي المحرّم وغير المعتبر، ولا بدّ أن يكون ذهنه خالياً من أيّ رأي مسبق (وإن كان هذا غير ممكن بصورة كاملة).

٧. إنّ مصدر القرآن هو الله سبحانه وتعالى وليس للنبيﷺ أيّ دور في تعيين أو تغيير الفاظ ومحتوى الوحي، وهذا ما اشارت إليه الكثير من الآيات.[١]

ب) خصائص التفسير الهرمنيوطيقي للقرآن ونتائجه

١. ان فهم المتن هو حاصل تركيب وامتزاج أُفق المعنى للمفسّر مع افق المعنى للمتن، ولهذا فان دخول ذهن المفسّر وقبليّاته في التفسير ليس أمراً مذموماً، بل هو شرط في حصول الفهم ولا يمكن اجتنابه.

٢. ان الادراك العيني للمتن لا يعني امكان الحصول على الفهم المطابق للواقع؛ وذلك لأن عنصر الذاتية (أي ذهنية المفسّر وأفكاره المسبقة) هي شرط في حصول الفهم، ولا يمكن الاستغناء عنه في كل فهم.

٣. ان فهم المتن هو عمل لا نهاية له، ولذلك فإن هناك قراءات متعددة للنص؛ لأنّ فهم المتن هو امتزاج أُفق المعنى للمفسّر مع المتن ـ كما قلنا ـ وعن طريق تغيير أُفق المعنى للمفسّر يمكن الحصول على تراكيب غير محدودة وبالتالي تتعدد القراءات للنص.

٤. لا يوجد فهم ثابت ونهائي وغير قابل للتغيير للمتن.

٥. ان الهدف من تفسير المتن ليس فهم وادراك «مُراد المؤلف» فنحن نواجه المتن وليس المؤلف، والكاتب هو أحد قرّاء المتن ولا مرجّح له على غيره؛ فالمتن موجود مستقل، والمفسّر يحاول ان يحصل على فهم النص من خلال الحوار والجدل بينه وبين النص، فليس مهماً عندنا ماذا يقصد المؤلف وأيّ معنى يحاول إلقاءه.[٢]

٦. القرآن نص لغوي ومحصول ثقافي، ولسانه مختص بالمخاطبين ولا يمكن فصله عن بيئته وثقافته الّتي نزل فيها.[٣] وان نصّ القرآن تكوّن عن طريق الواقع

---

١. ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ۞ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ﴾ الحاقة، ٤٤، ٤٥

٢. أُنظر: أحمد الواعظي، در آمدى برهرمنوتيك، ص ٥٩ (فقد ذكر هذه النقاط الخمسة بعنوان النقاط الرئيسية لاختلاف الهرمنيوطيقا الفلسفية عن طرق التفسير الرائجة عند المفسّرين).

٣. أُنظر: الدكتور نصر حامد أبوزيد، مفهوم النص، دراسة في علوم القرآن، ص ٢٤، طبعة بيروت، ١٩٩٠م.

التاريخي وثقافة عصره.[١]

ملاحظة: لقد طُرحت بعض المطالب تحت عنوان «القرآن وثقافة العصر» وقد نسب البعض إلى القرآن اقتباس عناصر الثقافة الجاهلية، وهذهِ المسائل هي من نتائج هذا الموضوع.

٧. ان بعض نصوص القرآن تعتبر شواهد تاريخية صدرت تحت شرائط خاصة امثال: الجن، الشيطان،[٢] الحسد، الربا، الدعاء، التعويذ والأحكام المتعلقة بالرّق، ولا يمكن سرايتها إلى أزمنة أُخرى.[٣]

ملاحظة: يرتبط هذا البحث (الهرمنيوطيقا) ببعض الموضوعات الأُخرى مثل التأويل، التعددية الدينية وامثال ذلك، وسوف نغض النظر عن التطرق إلى مثل هذه الابحاث.

مناقشة نتائج بحث الهرمنيوطيقا في تفسير القرآن

ان دراسة هذا الموضوع وذكر آثاره الايجابية والسلبية في التفسير يحتاج إلى تأليف مستقل، ولا يمكن التطرق إلى جميع جوانب هذا الموضوع في هذا المختصر؛ ولذلك نكتفي بذكر عدة نقاط ونترك تفصيل هذا البحث إلى فرصة أُخرى:

١. أحد المسائل الّتي غفل عنها أصحاب هذه الرؤية ولها دور مهم في تعيين الموضوع هو اختلاف القرآن الكريم عن المتون التاريخية وحتى المتون المقدسة الأُخرى (التوراة والانجيل وملحقاتها).

فالقرآن نص مقدس من عند الله سبحانه في جميع كلماته وحروفه، ومؤلفه ليس انساناً عادياً، أي انّه ليس كلاماً بشرياً؛ فالنبيﷺ يعتبر ناقلاً للقرآن فقط وليس له الحق في تغيير الوحي بالزيادة أو النقصان وهذا ما اشارت إليه الكثير من الآيات القرآنية.[٤] وقد كان النبيﷺ أميناً في نقل كلام الله سبحانه وتعالى إلى حد نقله كلمة «قل» الّتي وردت في بعض السور. فاذا ما قيل لأحد الاشخاص «قل لأبيك ان يقوم

---

١. المصدر السابق، ص ٢٠١

٢. يعتقد ابو زيد ان ذكر القرآن لبعض الموجودات كالجن والشيطان ليس بسبب الاعتقاد بوجودها الخارجي، بل ان القرآن استعار هذه التعابير من البيئة الجاهلية مجاراةً لهم، وان الإيمان بالوحي مديون لهذا الاعتقاد الخرافي عند العرب. أنظر: نقد الخطاب الديني، ص ١٤٤، وقد اجاب الشيخ محمد هادي معرفة على هذه الشبهة في كتاب: شبهات وردود، ص ١٨٧ [المترجم].

٣. نصر حامد ابو زيد، مفهوم النص، ص ٢١٥ ـ ٢٢٠

٤. الحاقة، ٤٦

بالعمل الفلاني»، فانّه لا يكرر هذه الجملة حرفياً عندما ينقلها إلى الآخرين، بل يقول «ان فلان يقول لك ان تقوم بالعمل الفلاني»، في حين كان النبي ﷺ حريصاً ودقيقاً في نقل الكلام كما هو، في حين نجد ان المسيحيّين لا يدّعون هذا الادّعاء في نصوص التوراة والانجيل، فان الذين قاموا بتدوين الاناجيل (لوقا ـ متّى ـ يوحنّا ـ مرقس) جاءوا بعد زمان عيسى عليه السلام وعاشوا في أزمنة مختلفة تقريباً؛ ولهذا فقد دُوّنت الأناجيل بأربعة صور، وعلى هذا الأساس فإنّ هُناك من اعتبر هذه الاناجيل انعكاس وصدى لثقافة ذلك الزمان. اما التوراة فقد دُونّت بعد وفاة موسى عليه السلام؛[1] ولهذا يمكن ان نجد فيها اثر البيئة الثقافية وحتى بعض المسائل الخرافية. أما القرآن فهو يختلف تماماً عن الكتب الأُخرى، فهو ليس كتاباً بشرياً ولم يتعرض للتحريف، ولا يمكن ان يكون انعكاساً لثقافة عصره.

٢. توجد في بعض المتون التأريخية ومن جملتها التوراة المحرّفة بعض المسائل الخرافية وغير الاخلاقية (زنا لوط مع ابنتيه) ومسائل ضد العلم (منع آدم من الاقتراب من شجرة العلم) و... في حين نجد ان القرآن خالف كثيراً من الخرافات والانحرافات في المجتمع الجاهلي (الشرك، شرب الخمر، الزنا، بعض أقسام الطلاق، وأد البنات، و...). وإذا ما أيّدَ بعض المطالب (الحج و...) التي كانت موجودة في ذلك الزمان ـ وقام بتصحيحهاأيضاً ـ لان جذور وأصل هذه المسائل كانت إلٰهية؛ أي تأييد الحج الابراهيمي الذي يذكِّر بالنبي إبراهيم عليه السلام. ولذلك فإنّ القرآن لا يمكن أنْ يقوم بتأييد وذكر هذه المواضيع (الجن، الشيطان) دون ان تكون لها واقعية وموضوعية؛ فالقرآن مثلاً لم يذكر مسألة «الغول» الموجود في الثقافة الجاهلية ولم يشر اليها، ولهذا يمكن القول بان القرآن قام بتصحيح وتأييد العناصر الايجابية في المجتمع الجاهلي ورفض العناصر والعادات السلبية.[2]

٣. ذكرنا سابقاً انّه لا يمكن التغاضي عن تأثير القبْليّات والأفكار المسبقة للمفسّر

١. ايان بار بور، علم ودين، ترجمه: خرمشاهي، ص ١٣٠

٢. راجع ما كتبناه في هذا المجال في مجلة «معرفة»، العدد ٢٦، تحت عنوان «رابطه ى قرآن و فرهنگ زمانه».

(وكل محقّق في العلوم التجريبية والإنسانية) وهو من الأُمور المسلّمة بالمقدار الطبيعي؛ أما إذا ازداد هذا التأثير فسوف ينتهي بالمفسّر إلى التفسير بالرأي الممنوع.[١]

ومن هنا فانّه من اللازم على المفسّر أن يقلل من تأثير هذا العامل قدرالامكـان، وان هذا القدر من التأثير لا يقلل من قيمة التحقيق والتفسير، كما هو الحال في العلوم الطبيعيّة فإنّ لشخص المحقّق والمحيط والاجـهزة المُسـتخدمة، تأثـير عـلى حـركة الالكترون في المختبر، ولكن هذا الأمر لا يؤثر على قيمة النتائج والأرقام الّتي توصل اليها هذا المحقّق، اضافة إلى ذلك فان الافكار المسبقة للمحقّق تـقوم بـتوجيه ذهـن المحقّق إلى حدّ ما. ونفس هذا الحكم يجري في البحوث الإنسانية وتفسير الكـتب المقدّسة أي أنّ هُناك درجة من الخطأ في جميع العلوم، وهذا لا يوجب ان يكون فهمنا غير مُعتبر وغير مطابق للواقع، وإلّا فسوف تكون جميع العلوم باطلة وغير معتبرة. وقد تناولنا تأثير العقائد والأفكـار المسـبقة للـمفسرين مـفصلاً فـي بـحث الاتـجاهات (المدارس والمذاهب التفسيرية)، والطرق الّتي تحول دون تأثـيرها، أي يـجب عـلى المفسِّر أنْ لا ينظر إلى النص بمنظار خاص، ولا يقوم بتحميل آراءه على المتن، وفي غير هذهِ الصورة فان التفسير سيكون غير معتبر ونوعاً من التفسير بالرأي وهو ما يُعتبر من الذنوب الكبيرة كما ورد في الروايات.[٢]

٤. أمّا بالنسبة إلى القراءات المتعددة وغير المحدودة للنص فتوجد هنا عدة مُلاحظات:

---

١. هناك من قام بتقسيم قبليات المفسّر إلى ثلاثة اقسام:
أ) قبليات استنطاقية (استخراجية).
ب) قبلياث استفهامية.
وهذان النوعان من القبليات ليست غير ممنوعة فقط، بل لابد من وجودها في المفسّر للانطلاق منها للحصول على المعنى من المتن عن طريق كشف مراد المؤلف بواسطة استنطاق النـص وطـرح الأسئلة عليه.
ج) قبليات تطبيقية: وهنا يحاول المفسّر تحميل آراءه وأفكاره على النص وليس استكشاف المراد من النص، وهذا ما يطلق عليه في اصطلاح المفسّرين «التفسير بالرأي»، كلام جديد، عبد الحسين خسروپناه: ١٥٣ [المترجم].

٢. عن رسول الله ﷺ قال: «ما آمن بي من فسَّر برأيه كلامي» امالي الصدوق، ص ٦، طبعة النجف؛ محمد هادي معرفة، التفسير والمفسرون، ج ١، ص ٦٠. عن رسول الله ﷺ قال: «من قال في القرآن برأيه فليتبوّء مقعده من النار» (الطبري، ج ١، ص ٢٧).

أوّلاً: إنّ القرآن يشتمل على بطون وسطوح مختلفة للفهم (كماأشارت إلى ذلك الأحاديث المتعددة).[١]

فان كان المقصود من تعدد القراءات هذا المعنىٰ فهو يتفق مع طبيعة القرآن، ولا يوجد مانع من تعدد القراءات بهذا المعنى.

ثانياً: ان وجود التفاسير المتنوعة للقرآن يعتبر أمراً جيداً ومباركاً؛ لأنّه يؤدي إلى نضج فهمنا للقرآن؛ أي أنّه في كل يوم يزداد فهمنا عمقاً ودقة وتتضح بطون جديدة.

ثالثاً: ان تعدد الفهم والمعاني في التفاسير ليس بمعنى عدم وجود معيار نقيس به هذه المعاني، بل هناك قواعد وملاكات لتشخيص التفاسير الصحيحة من الباطلة (كما مرّ بيان ذلك سابقاً)؛ أي أنّه يمكن تشخيص الصحيح من غير الصحيح عن طريق الأُصول العقلائية للمحاورة (أُصول الفقه) والقواعد التفسيرية ـ خصوصاً قاعدة التفسير بالرأي ـ ولهذا فلا تكون هناك تفاسير وقراءات لا نهائية للمتن حسب الأهواء والرغبات؛ بل لابدّ أنْ تكون التفاسير المعُتبرة في ضوء القواعد والضوابط.

ولا يحق لأي شخص أن يفسّر القرآن على أساس الميول والرغبات الشخصية.

٥. اما بالنسبة إلى الفهم المتغيّر فهنا عدة ملاحظات:

أوّلاً: ان نضج وتطور الفهم البشري نتيجة لتطور العلوم البشرية صحيح بصورة الموجبة الجزئية، وهو أمر مستحسن ومبارك؛ لأنّه يعني نضج وتطور العلم والفهم البشري.

ثانياً: ذكرنا سابقاً أنّ هناك ثلاثة انواع من الفهم والتفسير، التفاسير القطعية (النصوص)، التفاسير الظنية (الظواهر)، والتفاسير الخاطئة لأسباب متعددة. فمثلاً هناك بعض القضايا التي تعتبر من الأُصول الثابتة للفكر البشري مثل «الكل أكبر من الجزء» أو «الجمع بين المتناقضين محال»، وأيضاً النصوص القرآنية مثل «وحدانية الله»؛ فإنّه لا يوجد اختلاف في تفسير هذه المسألة بين جميع المدارس والمذاهب. فإذن هناك فهم متحوّل ومتغيّر للنصوص، ووجود أحد التفاسير لا ينفي الآخر، ولكن هذا لا يعني ان

١. عن الصادق عليه السلام قال: «ان للقرآن ظاهراً وباطناً» وعن الباقر عليه السلام قال: «ان للقرآن بطناً وللبطن بطن» أُنظر: الكافي، ج ١، ص ٣٧٤؛ بحار الأنوار، ج ٨٩، ٩٠ ـ ٩١؛ تفسير الصافي، ج ١، ص ٢٨، ٢٩ وما يشابه هذا المعنى عند أهل السُنة في الاتقان، ج ٤، ص ٢٢٥، ٢٢٦.

فهمنا للنصوص نهائي ولا يقبل الخطأ، لأنّ العلوم البشرية وفهمنا للقرآن في حالة تطور وتكامل، ولكنه يكون معتبراً وحجة مادام قائماً على أساس المعايير الصحيحة.

ثالثاً: إذا بنينا على أنّ جميع التفاسير وتعدد الفهم البشري في حال تغيّر وتحول فإن نفس هذه القضية الهرمنيوطيقية (لا يوجد لدينا فهم ثابت وغير متغير قط) سوف تكون متغيرة أيضاً، وحينئذ تكون الجملة متناقضة، ولذلك فاذا ما قبلنا النسبية في الفهم البشري بصورة كلية فلا يكون عندنا حينئذ فهم ثابت، وسوف تتعرض جميع العلوم البشرية إلى التشكيك ومن جملتها هذا الادّعاء.

٦. ذكرنا ان هناك رأيين متضادين حول نيّة المؤلف في فهم النص:

أ) فقد أكّد بعض العلماء على نيّة المؤلف في فهم النص واعتبروا ان هدف التفسير هو فهم نيّة ومقصود المؤلف أمثال:

مارتين غلا دينوس، فردريك اغوستولف، وشلاير ماخر، وهذا الرأي يقترب مع وجهة نظر المفسّرين المسلمين كما ذكرنا سابقاً، وذلك لأن هدف التفسير هو فهم معنى المتن ومعرفة المراد الجدّي من كلام الله سبحانه وتعالى، ومن المؤكد ان القرآن ليس له مؤلِّفاً (بالمعنى البشري المتعارف)، وإن النبي ﷺ ليس الا واسطة في وصول البيان الإلهي؛ فالمقصود من نيّة المؤلِّف هو الكشف عن المقصود الإلهي من آيات القرآن.

ب) رفض علماء الهرمنيوطيقا الفلسفية امثال هايدجر، وجادامر دور نيّة المؤلِّف في فهم المتن، وقالوا بانّه ليس هناك أهمية بالنسبة للمفسّر في التعرف على نيّة المؤلف وقصده، وأي المعاني يريد إلقاءَها، وهذا الرأي قد يكون مفيداً في فهم بعض الموارد في المتون التاريخية والأدبية، ولكن لا يمكن قبول ذلك في فهم الكلام الإلهي؛ لأنّ هدف القرآن هو هداية البشر عن طريق الكلام الإلٰهي، فعلى المفسّر أن يحاول إدراك الهدف الالهي بصورة صحيحة ونقله إلى الآخرين، فاذا فرضنا ان الله سبحانه وتعالى يقصد القاء المطلب «أ»، وان المفسّر فهم المطلب «ب» فإنّه لا يعتبر موفقاً حينئذ في التفسير وفي فهم البيان الإلٰهي.

النتيجة والخلاصة

تبيّن ممّا تقدم ان بعض الآراء في هرمنيوطيقا المتون تتفق مع المباني المشهورة في تفسير القرآن، كالتأكيد على فهم نيّة ومقصود المتكلِّم والمؤلف (وقد أُكِّد على هذا المعنى في تفسير القرآن)، في حين أنّ بعض الآراء لا تتفق مع المباني المشهورة عند المسلمين في فهم وتفسير القرآن؛ لأنّها تؤدي إلى النسبية في الفهم وعدم الوصول إلى الواقع وعدم الاعتناء بنيّة المؤلف. واتضح أيضاً ان نتائج الهرمنيوطيقا في تفسير المتون الأدبية باعتبار النصوص انعكاساً لثقافة العصر بصورة مطلقة لا يصدق على القرآن ومن الطبيعي فان بحث (الهرمنيوطيقا) وارتباطه مع القرآن يحتاج إلى مزيد من البحث والتحقيق.

مصادر إضافية للمطالعة

١. اشكاليات التأويل وآليات القراءة، نصر حامد أبو زيد، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان.
٢. نص الخطاب الديني، نصر حامد أبو زيد.
٣. مجلة الحياة الطيبة، العدد الثامن، السنة الثالثة، شتاء ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠٢م.
٤. مجلة قضايا اسلامية معاصرة، العدد السادس (منهج التعامل مع القرآن)، ١٤٢٠ هـ) ١٩٩٩م.



طريقة التفسير الموضوعي وخصائصها

المدخل

ذكرنا في الفصل الأوّل (التمهيدي) ان التفسير دوِّن بأساليب وطرق مختلفة، ومن جملتها التفسير الموضوعي والترتيبي، وقلنا كذلك ان التفسير الموضوعي هو أحد الانواع الفرعية لتفسير القرآن بالقرآن، وسوف نتناول هنا تعريف وخصائص هذه الطريقة في التفسير.

أ) تعريف التفسير الموضوعي والترتيبي

يعمد المفسّر في طريقة التفسير الترتيبي إلى تفسير آيات القرآن بطريقة ترتيبية حسب وجودها في المصحف اوحسب نزولها، أمّا التفسير الموضوعي فيقوم المفسّر بجمع كل ما يتعلق بالموضوع من آيات ثم يستفيد من طريقة تفسير القرآن بالقرآن، بأن يجعل كل آية قرينة على فهم الآيات الأُخرى، ثم الخروج برأي نهائي حول هذا الموضوع القرآني. وهناك تعاريف متعددة أُخرى لهذه الطريقة تقترب من هذا التعريف.[1] وتسمىٰ هذه الطريقة «بالتفسير الموضوعي»؛ لأن المفسّر يبتدئ بموضوع معيّن في القرآن ثم يبحث عن رأي القرآن في هذا الموضوع، ويسمّى «التفسيرالتوحيدي» أيضاً؛ لأن

١. عرّف آية الله مكارم الشيرازي التفسير الموضوعي بانّه جمع الآيات المختلفة حول موضوع معين من جميع القرآن والّتي ورد ذكرها في حوادث مختلفة والخروج برأي القرآن حول هذا الموضوع من مجموع هذه الآيات (پيام قرآن، ج ١، ص ٢١).

المفسّر يحاول الجمع بين التجربة البشرية والقرآن وعرض نظرية واحدة في هذا الموضوع، وكذلك يسمّى «التفسير التقطيعي» أيضاً؛ لأنّ المفسّر يقتطع مجموعة من آيات القرآن ويفصلها عن الآيات الأُخرى في السورة ويبحثها بصورة مستقلة.

ب) السابقة التاريخية

يعتبر التفسير الموضوعي ظاهرة جديدة في عالم التفسير، فقد نضج وتطور في العقود الاخيرة، ولكن عند مراجعة كتب المفسّرين والمحدثين نلاحظ ان الرسولﷺ والأئمةعليهم السلام قد استفادوا من هذه الطريقة في أحاديثهم (والّتي هي نوع من انواع تفسير القرآن بالقرآن).[١]

ولم يلتفت السابقون إلى هذه الطريقة في التفسير بصورة كاملة. وتعتبر بعض الكتب امثال: احكام القرآن (محمد بن السائب الكلبي، ٦٤٦هـ)، زبدة البيان (المحقّق الأردبيلي)، كنز العرفان (الفاضل المقداد)، فقه القرآن (الراوندي) و...، من النماذج الرائدة في كتابة التفسير الموضوعي، بل ان الكتب الفقهية للشيعة والسنّة الّتي بُحثت فيها المواضيع القرآنية مثل (الصلاة، الصوم، الزكاة و...) في ضوء الآيات والروايات تُعتبر نوعاً من انواع التفسير الموضوعي. وقد تطورت هذه الطريقة في التفسير في العقدين الأخيرين، ودوّنت كتب متعددة في مواضع مختلفة، ويعتبر منشور جاويد لآية الله السبحاني، پيام قرآن لمكارم الشيرازي، وكذلك آية الله اليزدي و... من النماذج الجديدة لهذه الطريقة في التفسير.

ج) اقسام التفسير الموضوعي

قسّم بعض المفكرين والعلماء التفسير الموضوعي إلى قسمين:[٢]

١. التفسير الموضوعي الاتحادي: ويهتم ببحث ودراسة أحد المواضيع القرآنية مثل (المعاد، الإمامة، و...).

٢. التفسير الموضوعي الارتباطي: وهو الذي يهتم ببحث ودراسة الارتباط بين

---

١. أُنظر: بحار الأنوار، ج ٧٤، ص ٩٤ـ ١١٠؛ پيام قرآن، ج ١، ص ٢٣ـ ٢٧

٢. أُنظر: آية الله مكارم الشيرازي، پيام قرآن، ص ١٨؛ حسين علوي مهر: روشهاى تفسيرى، ص ٣٦٥.

المواضيع القرآنية (مثل علاقة الايمان والعمل)، كما هو الحال في كتاب (جامعة وتاريخ) لآية الله مصباح اليزدي.

د) خصائص التفسير الموضوعي

١. جمع ودراسة الآيات المتعلقة بموضوع واحد؛ فمثلاً نقوم باستخراج جميع الآيات المتعلقة بالتوحيد أو المعاد و... بالإستفادة من الفهارس الموضوعية أو المعاجم المفهرسة وتفسير بعضها بالبعض الآخر.

٢. ان الهدف النهائي لهذا التفسير هو الخروج برأي نهائي للقرآن حول موضوع معين.

٣. جعل الآيات المحكمة في القرآن هي المحور وارجاع الآيات المتشابهة اليها.

٤. عادة ما يكون التفسير الموضوعي تفسيراً عملياً يرتبط بالتجربة الحياتية للبشر حيث يسعى إلى حلّ المشكلات والأسئلة المطروحة.

٥. من خصائص التفسير الموضوعي هو الانسلاخ من قيود الزمان والمكان حيث يلغي الخصوصيات الزمانية والمكانية للآيات (كما هو الحال في قصص القرآن) ويستخرج لبّ المعنى من الآية ويستخدمها كقاعدة وقانون كلي للإجابة على الأسئله والمشاكل الّتي تواجه الفرد والمجتمع.

هـ) فوائد التفسير الموضوعي

١. الحصول على الرأي النهائي للقرآن حول موضوع معيّن.

٢. الاجابة على الأسئلة الجديدة للبشر بالاستفادة من آيات القرآن.

٣. رفع الابهام الابتدائي في آيات القرآن وتوضيح الآيات المتشابهة.

٤. الاطلاع على شرائط وأسباب ونتائج الموضوعات والمسائل المختلفة المطروحة في القرآن.

٥. الحصول على الأسرار والمعاني الجديدة للقرآن عن طريق ضم الآيات بعضها إلى البعض الآخر.

٦. الحصول على تفسير جامع حول الموضوعات المختلفة مثل التوحيد، وجود الله، المعاد و...[1]

---

١. من النقطة (٣ـ٦) نقلاً عن: مكارم الشيرازي، پيام قرآن، ج ١، ص ٢٢، ٢٣

و) الاختلاف بين التفسير الترتيبي والموضوعي

١. التفسير الترتيبي يبيّن مدلول الآية بصورة مستقلة عن الآيات الأُخرى، في حين ان التفسير الموضوعي ينظر إلى المدلول المركب وبالتالي الحصول على الرؤية القرآنية الكاملة.[١]

٣ ـ التفسير الترتيبي البحت ينظر إلى زاوية من زوايا الموضوع ويعطي رؤية ناقصة حول المواضيع القرآنية، في حين ان التفسير الموضوعي يعطي رؤية كاملة وجامعة حول الموضوع القرآني.

ملاحظة: قد تؤدي هذه المسألة بالأفراد إلى الخطأ في فهم آيات القرآن ـ النظر إلى القرآن بصورة جزئية ـ وبالتالي بروز الاختلافات المذهبية؛ فمثلاً يستند المجبّرة إلى الآيات الّتي يدل ظاهرها على الجبر ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ﴾،[٢] ﴿فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ...﴾،[٣] أمّا المفوّضة والذين يعتقدون بحريّة الإنسان فيستندون إلى آيات أُخرى توافق مذهبهم كالآية ﴿إِنَّا هَدَيْنَـٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾،[٤] في حين يمكن الحصول على رأي معتدل (الأمر بين الأمرين) فيما إذا أخذنا بجميع هذه الآيات؛ وهكذا في كثير من المسائل القرآنية كمسألة الشفاعة، الشرك، التوسل، وأمثالها.

٣. يعتبر التفسير الترتيبي مقدمة للتفسير الموضوعي، وان القيام بالتفسير الموضوعي دون الاحاطة والاطلاع على التفسير الترتيبي غير صحيح؛ لأنّه عن طريق ذلك يمكن الحصول على كثير من القرائن الموجودة في الآيات السابقة واللاحقة للآية (السياق)، ولا يحصل هذا الأمر إذا ما أخذنا التفسير الموضوعي لوحده.

٤. التفسير الترتيبي سلبي وعادة ما يكون بدون الالتفات إلى الآيات الأُخرى للقرآن، ودون طرح نظرية أو تناول موضوع سابق، أمّا التفسير الموضوعي فهو إيجابي، أي يقوم المفسّر بتفسير الآيات مع الالتفات إلى الآيات الأُخرى واعطاء الرأي النهائي للقرآن، وبعبارة أُخرى: التفسير الترتيبي لا يكشف عن الارتباط بين الآيات

---

١. لقد دشّن الشهيد الصدر الأسس النظرية لضوابط التفسير الموضوعي، وذكر خصائصه وصلته بالواقع، ودوره في اكتشاف النظريات الإسلامية في مختلف الحقول المعرفية، أُنظر: المدرسة القرآنيّة، الدرس الأوّل والثاني، [المترجم].

٢. الانفال، ١٧

٣. إبراهيم، ٤

٤. الإنسان، ٣

والمطالب والمفاهيم الموجودة في القرآن بخلاف التفسير الموضوعي.[1]

٥. يبدأ التفسير الترتيبي من النص، أمّا الموضوعي فيبدأ من واقع الحياة البشريه؛ أي أنّ التفسير الموضوعي يعالج الموضوعات الّتي تقع بالخارج والمشاكل والأسئلة الّتي تواجه الإنسان، وبعبارة أُخرى: التفسير الترتيبي هو توضيح لآيات القرآن دون الالتفات إلى الحاجات الفعلية للمجتمع، اما التفسير الموضوعي فهو جواب للحاجات البشرية الفعلية للمجتمع الإنساني، ولهذا اعتبر من التفسير العملي التطبيقي.

٦. التفسير الترتيبي يكون من طرف واحد، والمفسّر يأخذ دور المنفعل دائماً على عكس التفسير الموضوعي حيث يقوم المفسِّر بدور إيجابي وفعّال، وذلك لأنّهُ يطرح الأسئلة على القرآن ويسعى في الحصول على الإجابات منه.

٧. التفسير الموضوعي يؤدّي إلى النمو والنضج العلمي أكثر من التفسير الترتيبي كما حصل ذلك في مجال الحديث، حيث أنّ علماء الحديث على قسمين: محدّثون وفقهاء؛ فالمحدثون يقومون بنقل الحديث وشرحه بطريقة ترتيبية (مثل مرآة العقول للمجلسي و...)، في حين يقوم الفقهاء بشرح الأحاديث بصورة موضوعية كما هو الحال في علم الفقه؛ مما أدّىٰ إلى نمو واتّساع الحركة العلمية في الفقه على عكس الحالة الموجودة في مجال التفسير؛ حيث سيطر الاتجاه التجزيئي لمئات السنين، ولهذا لم يحدث نمو وتطور في مجال التفسير الا قليلاً.

ز) هل يقدّمْ التفسير الموضوعي أو الترتيبي؟

عادة ما يقدم التفسير الترتيبي على الموضوعي؛ لانّه لابد للمفسّر من التعرف على مفاهيم الآيات أوّلاً، والإطلاع على دورة في التفسير الترتيبي حتى يكون عنده هيمّنةً نسبية على التفسير، ثم يقوم بالخطوة الثانية وهي التفسير الموضوعي.

وهناك من ذهب إلى ان التفسير الموضوعي مقدم على الترتيبي؛ لأنّـه لا يـمكن الحصول على الرأي النهائي للقرآن من خلال التفسير الترتيبي؛ وذلك لانّه لا يعطي إلّا

---

١. أُنظر: مقالة «التفسير القرآني بين التجزيئي والموضوعي»، الشهيد الصدر، مجموعة آثار، ج ١٣، ص ٢٧ وما بعدها.

صورة ناقصة ومبتورة عن المواضيع القرآنية؛ فلابدّ اذن من الانطلاق من التفسير الموضوعي لفهم آيات القرآن.[١]

والذي نذهب إليه ان هناك طريقاً وسطاً ومعتدلاً أقرب إلى الصواب من هذين الرأيين وهو الجمع بين التفسير الترتيبي والموضوعي في آن واحد كما فعل ذلك العلّامة الطباطبائي في تفسير الميزان، أي تفسير آيات القرآن حسب ترتيبها في المصحف، وفي بعض الاحيان يتناول بعض الموضوعات القرآنية (المعجزة، الرؤيا و...) من جميع الجهات.

ح) سلبيات التفسير الموضوعي

يُعتبر التقطيع من سلبيات التفسير الموضوعي، والتقطيع هو فصل الآيات عن القرائن الموجودة ضمن السياق وإغفالها، وبعبارة أُخرى لابد أن يتقارن التفسير الموضوعي مع الترتيبي حتى يمكن تجاوز هذا الخلل في التفسير. فعندما نقوم بدراسة الآيات المتعلقة بالنبوة مثلاً فلابُدّ من مراجعة التفسير الترتيبي أوّلاً وملاحظة القرائن العقلية والنقلية والسياق ثم نقوم بالتفسير الموضوعي في الخطوة الثانية.

ومن السلبيات الأُخرى في هذه الطريقة هو اعتقاد المفسّر بأنّه يمكن القيام بعملية التفسير الموضوعي بمجرد ضم الآيات المتشابهة ثم الخروج بنتيجة نهائية دون وجود أيّ سابقة تفسيرية، في حين انّه لابد للمفسّر من ان تتوفر فيه جملة من الشرائط منها الممارسة في التفسير؛ أي يجب عليه أن يكون مطلّعاً على التفسير الترتيبي في الخطوة الأُولى، وفي غير هذه الصورة فإنّه قد ينتهي به الحال إلى التفسير بالرأي الممنوع.

ومن السلبيات الأُخرى في هذه الطريقة هو انتخاب المفسّر نظره ورأيه من خارج القرآن (قبل الورود في مجال التفسير) ويحمله على القرآن ؛ وهو ما يؤدّي به إلى التفسير بالرأي في حين أنّ الطريقة الصحيحة هي أن يقوم المفسِّر بجمع الآيات المتعلقة بالموضوع الواحد ومناقشتها ودراستها ثم اعلان الرأي النهائي الذي يرتضيه.

وهناك سلبيات أُخرى ذكرها بعض العلماء وهي:

---

١. أُنظر: دائرة المعارف الإسلامية، مقالة التفسير، أمين الخولي.

١. الاعتماد على الألفاظ الموجودة في المعجم المفهرس للقرآن والغفلة عن المفاهيم القرآنية الّتي وردت بألفاظ أُخرى في القرآن.

٢. عدم الدقة في جمع الآيات.

٣. اتساع الموضوعات والاحتياج إلى صبر وتحمّل في معالجتها ودراستها.[١]

ط) التفاسير الموضوعية المشهورة

١. منشور جاويد، آية الله سبحاني، اثنا عشر مجلداً، وقد تُرجم إلى اللغة العربية تحت عنوان مفاهيم القرآن.

٢. پيام قرآن، آية الله مكارم الشيرازي، طبع منه أكثر من عشرة مجلدات.

٣. تفسير موضوعي قرآن مجيد، آية الله جوادي الآملي، نشر منه لحد الآن أربعة عشر مجلداً.

٤. معارف القرآن، آية الله مصباح اليزدي.

٥. گامى به سوى تفسير موضوعى سورههاى قرآن كريم، محمد الغزالي، ترجمة علي أصغر محمدي، نشر فرهنك اسلامى منشورات (الثقافة الإسلامية).

٦. فرهنگ قرآنى، علي أكبر هاشمي الرفسنجاني، مركز فرهنك قرآن، قم.

٧. التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، اثنا عشر مجلداً، سميح عاطف الزين.

ي) مصادر للمطالعة

١. مباحث في التفسير الموضوعي، مصطفى مسلم، دار القلم، دمشق، ١٤١٠هـ

٢. مقالة «التفسير القرآني بين التجزيئي والتوحيدي» مجموعة آثار الشهيد الصدر، ج ١٣، دار التعارف، بيروت، ١٤١٠هـ

٣. المدرسة القرآنية، محمد باقر الصدر.

٤. بحوث وحوارات قرآنية (الاتجاه الموضوعي والتجزيئي في تفسير القرآن)، السيد محمد باقر الصدر، بيروت، الدار العالمية، ١٤١٤هـ

---

١. پيام قرآن، ج ١، ص ٣٠، ٣١

الكتب المدونة في موضوع المناهج واتجاهات التفسير

١. ابو مسلم الاصفهاني ومنهجه في التفسير، ابطحي كنيوبي إبراهيم، المدينة المنورة: رسالة ماجستير من الجامعة الإسلامية، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

٢. البغوي والفرّاء وتفسيره للقرآن الكريم، محمد إبراهيم شريف، القاهرة: مطبعة المدينة ودار الإسلام، ط ١، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م، ٥١٥ ص.

٣. البغوي ومنهجه في التفسير، عفاف عبد الغفور حميد، عمان: دار الفرقان، ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م، بغداد: مطبعة الارشاد، ١٩٨٣م، ٢٢٤ ص.

٤. اتجاهات التجديد في العصر الحديث، عبد المجيد عبد السلام المحتسب، بيروت: دار الفكر، ط ١، ١٣٩٣هـ ـ ١٩٧٣م، ٣٣٣ ص.

٥. اتجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم، محمد إبراهيم شريف القاهرة: دار التراث، ط ١، ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م، ٧٦٧ ص.

٦. اتجاهات التفسير في العصر الحديث في مصر وسورية، فضل حسن أحمد عباس، جامعة الأزهر، رسالة دكتوراه من كلية أُصول الدين، ١٣٩٢هـ ـ ١٩٧٣م.

٧. اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، المملكة العربية السعودية: بدون تاريخ، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٦م ثلاثة مجلدات، ١٢٣٨ ص.

٨. اتجاهات التفسير في مصر في العصر الحديث، عفة محمد الشرقاوي، القاهرة: رسالة ماجستير من كلية الآداب بعين شمس، ١٣٨٣هـ ـ ١٩٦٣م.

٩. اتجاهات فخر الدين الرازي في تفسير القرآن، فؤاد محمد فهمي، رسالة دكتوراه من كلية الآداب بجامعة الاسكندرية، ١٣٨٤هـ ـ ١٩٦٤م.

١٠. التفسير الصوفي للقرآن الكريم عند نجم الدين الداية، سيد عباس تواب هادي، رسالة دكتوراه من كلية أُصول الدين بجامعة أم القرى ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م.

١١. التفسير العلمي للقرآن في الميزان، أحمد عمر أبـو حـجر، بـيروت: دار قـتيبة، ط ١، ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م، ٥٦٣ ص.
١٢. التفسير العلمي للقرآن وتاريخ تطوره، محمد علـي سـلامة، القـاهرة: مكـتبة الأدب، ١٩٩١م، مجلد واحد، ١٧٠ ص.
١٣. التفسير القرآني، محمد رجب البيومي، القاهرة: المؤسسة العربية الحديثة، ١٩٨٨م، مجلد واحد، ٢٠٧ ص.
١٤. التفسير القرآني واللغة الصوفية في فلسفة ابن سينا، حسن عاصي، بـيروت: المـؤسسة الجامعية، ط ١، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م، ٣٩٠ ص.
١٥. التفسير الموضوعي والفلسفة الاجتماعية في المـدرسة القرآنـية، مـحمد بـاقر الصـدر، بيروت: الدار العالمية، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م، ١٩٢ ص.
١٦. التفسير النبوي، محمد عبد الرحيم محمد، القـاهرة: مكـتبة الزهـراء، ط ١، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م، ١٥٠ ص.
١٧. التفسير بالرأي، محمد حمد زغلول، دمشق: مكتبة الفارابي ومكـتبة الاسـد، ١٩٩٩م، مجلد واحد، ٤٨٠ ص.
١٨. التفسير عند أهل البيتعليهم السلام، محمد باقر الحكيم، ٥٨ ص.
١٩. التفسير: معالم حياته، منهجه اليوم، أمين الخولي، القاهرة: دار المعلمين، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م.
٢٠. التفسير: نشأتهُ، تدرجه، تطوره؛ كارادة قو، مترجم دائرة المعارف الإسـلامية: (إبـراهـيم خورشيد، عبدالحميد يونس، حسن عثمان)، بيروت: دارالكتب اللبناني، ط ١، ١٩٨٢م، ١٠٦ص.
٢١. التفسير والتفاسير الحديثة، بهاء الدين خرمشاهي، المترجم عصام حسن سالم، مجلدان، بيروت: دار قتيبة، ١٤١٣هـ ـ ١٩٨٣م.
٢٢. التفسير والمفسرون، محمد حسين الذهبي، القاهرة: مكتبة وهبة، ١٤٠٩هـ ثلاثة مجلدات.
٢٣. التفسير والمفسرون، محمد هادي معرفة، مشهد: الجامعة الرضوية للـعلوم الإسـلامية، ١٤٠٩هـ مجلدان.
٢٤. الاتجاهات المنحرفة في تفسير القرآن الكريم دوافعها ودفـعها، محمد حسـين الذهـبي، مصر: مكتبة وهبة، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م، دار الاعتصام، ١٣٩١هـ ١١٢ ص.
٢٥. اثر القرآن على نهج التفكير النقدي عند ابن تيمية، محمود سعيد الكردي، ليـبيا: الدار الجماهيرية، ط ١، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م، ٢٣٠ ص.
٢٦. اثر المترجمات في مناهج التفسير القرآني حتى نهاية الخامس الهجري، شحات السيد زغلول، رسالة دكتوراه من كلية الآداب بجامعة الاسكندرية، ١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٨م.

٢٧. أُصول التفسير بين شيخ الإسلام ابن تيمية وبين غيره من المفسرين، عبد الله ديرية، المدينة المنورة: رسالة ماجستير من الجامعة الإسلامية، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.
٢٨. أُصول التفسير لكتاب الله المنير، خالد عبد الرحمن العك، دمشق: مطبعة الفارابي، ١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٨م، بيروت؛ دار النفائس، ط ٢، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م، ٤٦٩ ص.
٢٩. أُصول التفسير، جلال الدين عبد الرحمن أبي بكر السيوطي، المحقّق: جلال الدين القاسمي، دمشق: بدون تاريخ، ١٣٣١هـ ـ ١٩١١م.
٣٠. أُصول التفسير وقواعده، خالد عبد الرحمن العك، بيروت: دار النفائس، ط ٣، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م.
٣١. اضواء على خواطر الشيخ الشعراوي ومنهجه في تفسير القرآن الكريم، التندي، القاهرة: مكتبة التراث الإسلامي، بدون تاريخ، ١٠٤ ص.
٣٢. اعلام الدراسات القرآنية في خمسة عشر قرناً مصطفى الصاوي الجويني، الاسكندرية: منشأة المعارف، ١٩٨٢م، ٣٨١ ص.
٣٣. الاسرائيليات في التفسير والحديث، محمد حسين الذهبي، دار القلم، بيروت.
٣٤. الاسرائيليات واثرها في كتب التفسير، رمزي نعناعة، دمشق: دار القلم، بيروت: دار الصياغة، ١٣٩٠هـ ـ ١٩٧١م، ٤٣٩ ص.
٣٥. الأضواء القرآنية في اكتساح الأحاديث الاسرائيلية وتطهير البخاري منها، السيد صالح ابو بكر، بدون تاريخ، مطابع محرم الصناعية، ١٣٣٤هـ ـ ١٩٧٤م.
٣٦. الاكسير في علم التفسير، أبو الطيب محمد صديق خان بن السيد حسن القنوجي الهندي.
٣٧. الاكسير في علم التفسير، الطوفي سليمان بن عبد القرى بن عبد الكريم الصرصري البغدادي، مصر: مكتبة الآداب، بدون تاريخ، ٣٧٦ ص.
٣٨. الواحدي ومنهجه في التفسير، جودة محمد مهدي، مصر: وزارة الأوقاف المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، بدون تاريخ: ٤٥٦ ص.

١٣٧٠ش، (كتاب خانه‌ى فرهنگ و معارف قرآن)، قم، مجلد واحد.
٤١. بحوث في أُصول التفسير ومناهجه، فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، الرياض: مكتبة التوبة، ط ١، ١٤١٣هـ ١٨٦ ص.
٤٢. بحوث في تفسير القرآن الكريم (تاريخه، اتجاهاته، مناهجه)، محمد إبراهيم شريف، القاهرة: مطبعة المدينة ودار السلام، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.
٤٣. بحوث في تفسير القرآن، جمال الدين عياد، القاهرة: دار الجمالي، ١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٧م، بيروت: دار الفكر، ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م.
٤٤. بحوث وحوارات قرآنية الاتجاه الموضوعي والتجزيئي في تفسير القرآن، محمد باقر الصدر، بيروت: الدار العالمية، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م، ٢٢٤ ص، من ص ٤٣ إلى ٦٦١.
٤٥. بين أبي حيان والزمخشري، يحيى الشاوي المغربي، مخطوط بالأزهر، رقم ١٢٥٤، رافعي ٢٦٦٤١.
٤٦. بين الشيعة والسُنّة دراسة مقارنة في التفسير وأُصوله، علي السالوس، القاهرة: مكتبة ابن تيمية ودار الاعتصام، بدون تاريخ، ٣١٦ ص.
٤٧. پيام قرآن، ناصر مكارم الشيرازي، قم: منشورات «نسل جوان»، ١٣٧٩ش، المجلد الأوّل (مقدمه‌اى در روش تفسير موضوعى وروشهاى تفسير قرآن).
٤٨. تاريخ التفسير، قاسم القيسي، بغداد: مكتبة المجمع العراقي، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦ م، ١٧٩ص.
٤٩. تاريخ القرآن والتفسير، عبد الله محمود شحاته، مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٢هـ ـ ١٩٧٢م، ١٩٨ ص.
٥٠. تاريخ تفسير القرآن الكريم، حبيب الله جلاليان، المصحّح محمد رضا الأشتياني، طهران: منشورات أُسوة، ١٣٧٢ش، مجلد واحد، ٢٣٦ ص.
٥١. تاريخ تفسير ومفسريّن (باللغة الأورديّة)، غلام أحمديري (باكستانى) لاهور: ملك سنز،

٥٣. تأملات قرآنية (بحث منهجي في علوم القرآن الكريم)، موسى إبراهيم الإبراهيم، عمان (الاردن): دار عمار، ط ١، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م، ٢٢٦ ص، من ص ٧٢ ـ ١٠٠.

٥٤. تحقيق حول ابن عباس ومكانته في التفسير والمعارف الأُخرى، محمد باقر حجتي، بيروت: دار الروضة، ط ١، ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م، ٢٢٢ ص.

٥٥. تحقيق درباره شخصيت ابن عباس وروش تفسير او، إبراهيم مير باقري، رسالة دكتوراه من جامعة طهران، كلية الالهيات و معارف القرآن، بدون تاريخ، ٣٧٩ ص.

٥٦. تحقيق در تفسير أبو الفتح رازي، عسكر حقوقي، طهران: منشورات جامعة طهران، ١٣٦٤ش، ٢٥٠ ص.

٥٧. ترجمه وتحقيق بخشى از كتاب مذاهب التفسير الإسلامي، جولدزيهر، المُترجم والمحقّق: اسماعيل نذريان، رسالة ماجستير من جامعة طهران، كلية الإلهيات، ١٣٥٤ش، ١٢٤ ص.

٥٨. ترجمه وتحقيق كتاب المبادئ العامة لتفسير القرآن، محمد حسين علي الصغير، المترجم محسن مشعل، رسالة ماجستير من جامعة طهران، بدون تاريخ، ١٥٣ ص.

٥٩. ترجمهى الفوز الكبير في اصول التفسير، أحمد شاه ولي الله الدهلوي، المترجم محمد مثير الدمشقي، دمشق: دار قتيبة، ١٤٠٩هـ ١٣٠ ص.

٦٠. تطور تفسير القرآن، محسن عبدالحميد، بغداد: جامعة بغداد؛ بيت الحكمة، بدون تاريخ، ٢٤٨ ص.

٦١. تفسيرات ابن عباس الصحيحة في الثلثين الأخيرين من القرآن الكريم، آدم محمد علي، رسالة دكتوراه من الجامعة الإسلامية في المدينة.

٦٢. تفسيرات حديثة لقرآن المسلمين، بيلجون ـ ج.م. س، ليدن بريل: ١٣٨١هـ ـ ١٩٦١م.

٦٣. تفسير الصحابة: مميزاته، خصائصه، مصادره، قيمته العملية؛ محمد عبد الرحيم، القاهرة: مكتبة التراث الإسلامى، بدون تاريخ، ١١٨ ص.

١٣٧٠ش، ٣٠ ص.

٦٦. تفسير القرآن بالقرآن عند العلّامة الطباطبائي، خضير جعفر، قم: دار القرآن الكريم، ١٤١١هـ ٤٠٠ ص.

٦٧. تفسير المعتزلة للقرآن الكريم، تاريخه ومنهجه؛ محمود كامل أحمد عبد المنعم، المدينة المنورة: رسالة ماجستير من كلية الآداب من جامعة عين شمس، ١٣٩٣هـ ـ ١٩٧٣م.

٦٨. تفسير به رأى وهرج و مرج ادبى، ناصر مكارم الشيرازي، قم: مؤسسهى مطبوعاتى هدف، بدون تاريخ، ٩٤ ص.

٦٩. تفسير روحانى، محمد علي لساني فشاركي، طهران: مؤسسهى چاپ ونشر عروج، ١٣٧٦ش، ٣٠٨ ص.

٧٠. تفسير علمى قرآن، ناصر رفيعي محمدي، منشورات «فرهنگ گستر»، ١٣٧٩ ش.

٧١. تفسير كلامى قرآن مجيد، محمد حسين روحاني، طهران: منشورات «طوس»، ط ١، ١٣٧٠ش، ٣٤٧ ص.

٧٢. تفسير وتفاسير جديد، بهاء الدين الخرمشاهي، طهران: منشورات «كيهان»، ط ١، ١٣٦٤ش، ٢٣٨ ص.

٧٣. تفسير به رأى، حسن عاشوري لنگرودي، رسالة ماجستير تربيت مدرس (اعداد المعلمين)، قم.

٧٤. تفسير قتادة، دراسة للمفسِّر ومنهج تفسيره، عبد الله أبو السعود بدر، القاهرة: عالم الكتب، ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م، ١٣٥ ص.

٧٥. جلوه تفسيرى باطنيه، علي اكبر اسماعيلي، اراك: جامعة «ازاد اسلامي»، ١٣٧٥ش، ١١٣ص.

٧٦. درآمدى بر تفسير قرآن، محمد علي رضائي الاصفهاني، قم: منشورات «أُسوة»، ١٣٧٥ش، مجلد واحد، ٥١٥ ص.

التنسيق بين الحوزة والجامعة).
٧٩. روشها وگرايشهاى تفسيرى، حسين علوي مهر، منشورات أُسوة، ١٣٨١ش.
٨٠. روشهاى تفسير قرآن، جعفر نكونام، بدون ذكر اسم الناشر ومكان النشر، ١٣٧٥ش، ١٣٥ص.
٨١. روشهاى تفسير قرآن، سيد جعفر سجادي، طهران: نشر تاريخ ايران، ١٤٠١هـ ١٢٥ص.
٨٢. روشهاى تفسير قرآن، سيد رضا مؤدب، قم: منشورات اشراق، ١٣٨٠ش.
٨٣. الراغب الاصفهاني وجهوده في اللغة والأدب، عمر عبد الرحمن الساريسي، الاردن (عمان): مكتبة الأقصى، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م، ٢٩٨ ص، من ص ٢٠٣ ـ ٢٢٦.
٨٤. شناخت جريان علمى نگرى به قرآن (روش تفسير علمى)، فروغ پارسا، طهران: جامعة «تربيت مدرس»، ١٣٧٢ش، ٣٤٩ ص.
٨٥. صوفيه: مكتب وروش آنها در تفسير، سيد نور الدين الأبطحي، بدون ذكر اسم الناشر وتاريخ ومكان النشر.
٨٦. ظاهرة التفسير العلمي للقرآن الكريم، خليل إبراهيم ابو ذياب، عمان: دار عمّار، ١٩٩٩م، ٣٧٦ ص.
٨٧. قانون تفسير، سيد علي كمالي الدزفولي، طهران: منشورات كتاب خانهٔ صدر، ١٣٩٦هـ ٤٩٥ ص.
٨٨. قرآن پژوهى (هفتاد بحث وتحقيق قرآنى)، بهاء الدين خرمشاهى، طهران: نشر «فرهنگ»، مشرق، ط ١، ١٣٧٢ش، ٨٢٦ ص من ص ١٣٩ ـ ٢٢٠.
٨٩. قصة التفسير، أحمد الشرباص، بيروت: دار الجيل، ١٩٨٨م، ١٢١ ص.
٩٠. قواعد التفسير، محمد بن إبراهيم بن علي المرتضى اليماني، مخطوط في التيمورية، رقم ٥٨٧.
٩١. القرآن والتفسير، عبد الله محمود شحاته، مصر: الهيئة المصرية العامة، ١٣٩٤ هـ

٩٣. القول المختصر المبين في مناهج المفسرين، ابو عبد الله محمود الحمود النجدي، الكويت: مكتبة دار الإمام الذهبي، ط ١، ١٤١٢هـ ١٠٩ ص.

٩٤. كيف نفهم القرآن، دراسة في مذاهب التفسير واتجاهاتها؛ كامل موسى ـ علي دحروج، بيروت: دار المحروسة، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م، ٣٣٤ ص.

٩٥. لمحات في علوم القرآن واتجاهات التفسير، محمد الصباغ، بيروت: المكتب الإسلامي، ١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٤م، ٢٤٠ ص.

٩٦. مباحث في التفسير الموضوعي، مصطفى مسلم، دمشق: دار القلم، ط ١، ١٤١٠هـ ـ ١٩٨٩م، ٣٧٣ ص.

٩٧. مبادىء التفسير، محمد الخضرمي الدمياطي، دمشق: دار البصائر، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م، بدون ذكر مكان النشر، مطبعة النيل، ١٣٢١هـ ـ ١٩٠٥م.

٩٨. مبانى و روشهاى تفسير قرآن، عباس عميد زنجاني، طهران: وزارة «فرهنگ وإرشاد اسلامى»، ط ١، ١٣٦٦ش، ٣٤٣ ص.

٩٩. مبانى وروشهاى تفسيرى، محمدكاظم شاكر، منشورات «مركز جهانى علوم اسلامى»، ١٣٨٢ش.

١٠٠. متد تفسير قرآن به قرآن ابو الفضل بهرامپور، طهران: منشورات اسلامى، ط ٢، ١٣٦٠ش، ٧٧ ص.

١٠١. مدارس التفسير القرآني، مصطفى الصاوي الجويني، الاسكندرية: دار المعرفة الجامعيّة، ١٩٩٢م، ٢٩٧ ص.

١٠٢. مقدمات تفسير القرآن، نهضت زنان مسلمان، طهران: ٦٨ ص.

١٠٣. مقدمة في أُصول التفسير، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، المحقّق: عدنان زرزور، بيروت: دار القرآن الكريم، ط ١، ١٣٩١هـ ـ ١٩٧١م، ١٣٧ ص.

١٠٤. مقدمة فى أُصول التفسير، تقى الدين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، المحقّق: محمود

١٠٦. مكاتب و روشهاى تفسيرى، واعظ زادة الخراساني، ٣٨ ص(كراس مختص بـجامعة الزهراء، قم).

١٠٧. مناهج المفسرين من العصر الأوّل إلى العصر الحديث، علي محمود النقراشي، الرياض: مكتبة النهضة، ط ١، ١٤٠٧هـ ٣٤/٣ ٢١٩ ص.

١٠٨. مناهج المفسرين، منيع عبد الحليم محمود، القاهرة: دار الكتاب المصري، بيروت: دار الكتاب اللبناني، ط ١، ١٩٩٧م، ٣٤/٣

١٠٩. مناهج في التفسير، مصطفى الصاوي الحموينى، الاسكندرية: منشأة المعارف، ط ١، ١٩٨٠م، ٣٤/٣ ٢٧٨ ص.

١١٠. مناهج في تحليل النظم القرآني، منير سلطان، الاسكندرية: منشأة المعارف، بدون تاريخ، ٣٤٧ ص.

١١١. منهج ابن عطية في تفسير القرآن الكريم، عبد الوهاب فايد، القاهرة: الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، ١٣٩٣هـ ـ ١٩٧٣م، ٤١١ ص.

١١٢. منهج الإمام الخميني في التفسير، عبد السلام زين العابدين، قم: مسجد أهل البيت (الشهيد الصدر)، بدون تاريخ، ١١١ ص.

١١٣. منهج الإمام محمد عبده في تفسير القرآن الكريم (دراسة موضوعية لجهود ابن القيم التفسيرية)، صبري المتولي، القاهرة: دار الثقافة والنشر والتوزيع، ١٩٨٦م، ٤٦٩ ص.

١١٤. منهج الزمخشري في تفسير القرآن وبيان اعجازه، مصطفى الصاوي الجويني، القاهرة: دار المعارف، ١٩٥٩م، ٣٠٥ ص.

١١٥. منهج الطبرسي في تفسيره مجمع البيان، عبد الزهرة كاظم سمحاق الحجاج، رسالة ماجستير من كلية الفقه في جامعة الكوفة، ١٤١٠هـ ـ ١٩٨٩م، ٤٤١ ص.

١١٦. منهج الطوسي في تفسير القرآن، محمد حسن آل ياسين، العراق الكاظمية: بدون تاريخ، ٤٢ ص.

١٣٧٣ش، ٢٦٨ ص.

١١٩. موقف الإمام ابن كثير من الاسرائيليات في موضوع التفسير، محمد إبراهيم تراوري، رسالة ماجستير من الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، بدون تاريخ.

١٢٠. موقف صاحب المنار من المفسرين، محسن عبد الحميد، بغداد: مطبعة المعارف.

١٢١. الإمام الشوكاني مفسراً، محمد حسن بن أحمد الغماري، السعودية: دار الشروق، ط ١، ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م، ٣٥٧ ص.

١٢٢. الإمام القرطبي شيخ أئمة التفسير، مشهور حسن محمود سلمان، دمشق: دار القلم، ط ١، ١٤١٣ ـ ١٩٩٣م، ٢٦١ ص.

١٢٣. الإمام محمد عبده ومنهجه في التفسير، عبد الغفار عبد الرحيم، القاهرة: المركز العربي للثقافة والعلوم، بدون تاريخ، القاهرة: دار الانصار، ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨١م، ٤٢٣ ص.

١٢٤. المبادئ العامة لتفسير القرآن الكريم، محمد حسين علي الصغير، بيروت: المؤسسة الجامعية للمدرسات، بدون تاريخ، ١٩٠ ص.

١٢٥. المحاكمة بين أبي حيّان والزمخشري وابن عطية، يحيى الشاوي الفاسي المغربي، مخطوط بالأزهر، رقم ١٢٥٤.

١٢٦. المذاهب الإسلامية في تفسير القرآن، جولد زيهر، المترجم: علي حسن عبد القهار، القاهرة: مطبعة العلوم، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م، ١٨٣ ص.

١٢٧. المفسرون حياتهم ومنهجهم، السيد محمد علي ايازي، طهران: نشر وزارة «فرهنگ وارشاد اسلامى»، ١٤١٤هـ

١٢٨. المنهج البياني في تفسير القرآن الكريم، كامل علي سعفان، مصر: مكتبة الانجلو، ط ١، ١٩٨١م، ٥٠٨ ص.

١٢٩. المنهج الحركي في «في ظلال القرآن»، صلاح عبد الفتاح الخالدي، جدّه: دار المنارة، ط ١، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م، ٤٧١ ص.

١٩٧٧م.
١٣٢. نخستين مفسران پارسی نويس، موسى درودي، طهران: منشورات نور فاطمة عليها السلام، ١٣٦٢ش، ٢٣١ ص.
١٣٣. نشأة التفسير واتجاه تطوره، أحمد خليل، رسالة ماجستير من كلية الآداب بجامعة القاهرة، ١٣٦٦هـ ـ ١٩٤٧م، ٣٦٧ ص.
١٣٤. نظرية تفسير النصوص المدنية، محمد شريف أحمد، بغداد: وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م، ٣٦٧ ص.
١٣٥. هزار سال تفسير فارسى (سيرى در متون كهن تفسيرى پارس)، سيد حسن سادات الناصري، منوچهر دانش پژوه، طهران: نشر البرز، ط ١، ١٣٦٩ش، ٨٨٠ ص.
١٣٦. المصدر السابق مُترجَم باللغة العربية، المترجم: عبد الحميد النجار، مصر: مكتبة الخانجي، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م، ٤١٨ ص.
١٣٧. يادنامه‌ى طبرى (بمناسبة مرور ١١٠٠ سنة على وفاة الطبري)، جمع من العلماء، طهران: وزارة «فرهنگ وارشاد اسلامى»، ط ١، ١٣٦٩ش، ٧٥٣ ص.

فهرس المصادر

١. المطهری، مرتضی،آشنائی با علوم اسلامی، المجلد الخاص بالكلام والعرفان، منشورات صدرا، قم، بدون تاريخ.

٢. مصباح اليزدي، محمد تقي، آموزش فلسفه ٢ ج، سازمان تبليغات اسلامى، طهران، ١٣٦٨ش.

٣. موحد الابطحي، سيد علي، آية التطهير، مطبعة سيد الشهداء، قم، ١٤٠٤هـ

٤. الرومي، فهد بن عبد الرحمن بن سليمان، اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر ٣ ج، بدون ذكر اسم الناشر، السعودية، ط ١، ١٤٠٧هـ

٥. الشرقاوي، عفة محمد، اتجاهات التفسير في مصر في العصر الحديث، بدون ذكر اسم الناشر وتاريخ النشر.

٦. الفارابي، احصاء العلوم.

٧. الغزالي، ابو حامد، احياء العلوم ٤ ج، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٢ق.

٨. الشهرستاني، السيد هبة الدين، اسلام وهيئت، مطبعة الغري، النجف، بدون تاريخ.

٩. العك، الشيخ خالد عبد الرحمن، أصول التفسير وقواعده، دارالنفائس، بيروت، ط ٣، ١٤١٤هـ

١٠. المظفر، محمد رضا، أُصول الفقه ٢ ج، منشورات المعارف الإسلامية، طهران، ١٣٦٨ش.

١١. الكليني، محمد بن يعقوب، اصول الكافي ٤ ج، مكتب نشر فرهنگ اهل‌بيت عليهم السلام، المطبعة الإسلامية، قم، ١٣٦١ش.

١٢. أبو رية، محمود، اضواء على السُنة المحمدية، نشر البطحاء، قم، ط ٥، بدون تاريخ.

١٣. السيوطي، جلال الدين، الاتقان في علوم القرآن، ٢ ج، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٧هـ

١٤. نعنانة، رمزي، الاسرائيليات واثرها في التفسير، دار القلم، دمشق، ١٣٩٠هـ

١٥. الصدر، الاسس المنطقية للاستقراء، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ط ٤، ١٤٠٢هـ

١٦. اسماعيل، عبد العزيز، الإسلام والطب الحديث، تقديم: محمد مصطفى المراغي.

١٧. الزركشي، بدر الدين، البرهان في علوم القرآن، دار المعرفة، بيروت، ١٣١٠هـ

٢١. زغلول، محمد حمد، التفسير بالرأي، مكتبة الفارابي، ١٤٢٠هـ
٢٢. الذهبي، محمد حسين، التفسير والمفسرون، دار الكتب الحديثة، ط ٢، ١٩٧٦م.
٢٣. معرفة، محمد هادي، التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب، ونفس الكتاب بالفارسي ترجمة: علي خياط، الجامعةالرضوية للعلوم الإسلامية، منشورات ذوي القربیٰ، مشهد، ١٤١٨هـ ١٣٨٠ش.
٢٤. معرفة، محمد هادي، التمهيد في علوم القرآن، ٦ ج، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ١٤١٧هـ
٢٥. الصدوق، التوحيد، بيروت، بدون تاريخ.
٢٦. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن بكر بن‌محمد، الدر المنثور في التفسير بالمأثور ٦ ج، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢١هـ
٢٧. الأمين النجفي، عبد الحسين أحمد، الغدير في الكتاب والسنة والأدب ١١، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٣٨٧هـ
٢٨. الطهراني، محمد الصادقي، الفرقان في تفسير القرآن ٣٠ ج، منشورات فرهنگ‌اسلامی، ط ٢، ١٤٠٨هـ
٢٩. الاسترآبادي، محمد أمين، الفوائد المدنية، بدون ذكر الناشر وتاريخ النشر.
٣٠. نوفل، عبد الرزاق، القرآن والعلم الحديث، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٧٣م.
٣١. الراغب الاصفهاني، المفردات في غريب القرآن، المكتبة المرتضوية، طهران، ١٣٣٢ش.
٣٢. الأيازي، سيد محمد علي، المفسرون حياتهم ومنهجهم، طهران، نشر وزارة فرهنگ و ارشاد اسلامی، ١٤١٤هـ
٣٣. أبو طبرة، محمد، المنهج الأثري.
٣٤. الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن ٢٠ ج، مؤسسه مطبوعاتی اسماعیلیان، قم، ١٣٩٣هـ
٣٥. المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار ١١٠ ج، المكتبة الإسلامية، طهران، ١٣٥٨ش.
٣٦. سبحاني، جعفر، برهان رسالت، منشورات کتابخانه صدر، طهران، ١٣٩٨هـ
٣٧. الصفار، بصائر الدرجات، بدون ذكر الناشر وتاريخ النشر.
٣٨. الصافي الگلپايگاني، لطف الله، به سوی افریدگار، قم، منشورات اسلامی، ١٣٧٠ش.

مبين، ١٣٨٠ش.
٤٢. مكارم الشيرازي، ناصر، پيام قرآن، منشورات نسل جوان، قم.
٤٣. زيدان، جرجي، تاريخ التمدن الإسلامي ٢ ج، دار مكتبة الحياة، بيروت.
٤٤. الطالقاني، عبد الوهاب، تاريخ تفسير، منشورات نبوي، طهران، ١٣٧٧ ش.
٤٥. الحلبي، علي‌اصغر، تاريخ نهضتهاى دينى سياسى معاصر، منشورات البهبهاني، طهران، ١٣٧١ش.
٤٦. الصدر، حسن، شيعه پايه گذار علوم اسلامى، ترجمة: مختاري، منشورات كتابخانه بزرگ اسلامى، ١٣٥٤ش.
٤٧. الاسترآبادي، شرف الدين، تأويل الآيات الظاهرة، بدون ذكر الناشر وتاريخ‌النشر.
٤٨. المختار، محمد امين بن محمد، تفسير اضواء البيان في ايضاح القرآن بالقرآن.
٤٩. الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن، تفسير البيان، ١٠ ج، المطبعة العلمية، النجف، ١٣٧٦هـ.
٥٠. الطنطاوي جوهري، تفسير الجواهر في تفسير القرآن، ١٣ ج، دار الفكر، بدون ذكر مكان النشر، بدون تاريخ.
٥١. الفيض الكاشاني، تفسير الصافي، مؤسسة الاعلمي‌للمطبوعات، بيروت، ط ٣، ١٤٠٢هـ
٥٢. صدر الدين الشيرازي (الملاصدرا)، محمد بن إبراهيم، تفسير القرآن الكريم، منشورات بيدار، قم، ط ٣، ١٣٦٦ش، ٧ مجلدات.
٥٣. الزمخشري، محمود بن عمر، تفسير الكشاف، دار الكتاب العربي، بيروت، بدون تاريخ.
٥٤. رشيد رضا، محمد، تفسير المنار (تفسير القرآن الحكيم)، دارالمعرفة، بيروت، ط ٣، بدون تاريخ، ١٢ مجلد.
٥٥. حسن عاشوري‌لنگرودي. تفسير به رأى، رسالة ماجستير «تربيت مدرس» قم.
٥٦. مكارم الشيرازي، ناصر، تفسير به رأى، مطبوعات هدف، قم، ط ٨، ١٣٦٧ش.
٥٧. جوادي آملي، عبد الله، تفسير تسنيم، مركز نشر اسراء، قم، ١٣٨٠ش.
٥٨. الطبري، ابوجعفر محمد بن جرير، جامع البيان في تفسير القرآن، دارالمعرفة، بيروت، ١٤٠٦هـ
٥٩. الآلوسي، أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم

٦٢. قطب، سيد، في ضلال القرآن، احياء التراث العربي، بيروت، ط ٥، ١٣٨٦هـ
٦٣. الفخر الرازي، التفسير الكبير (مفاتيح الغيب)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١هـ ٣٢ مجلد.
٦٤. كشف الاسرار وعدّة الابرار المعروف بتفسير (الخواجه عبد الله الانصاري).
٦٥. الكاشاني، الملا فتح الله، منهج الصادقين، كتاب فروشى اسلاميه، طهران، ١٣٤٦ش.
٦٦. مكارم الشيرازي، ناصر، وجمع من الكتاب، تفسير نمونه، دار الكتب الإسلامية، طهران، ١٣٦٤ش، ٢٧ مجلد.
٦٧. الخرمشاهي، بهاء الدين، تفسير وتفاسير جديد، منشورات كيهان، طهران، ١٣٦٤ش.
٦٨. الغزالي، جواهر القرآن، المركز العربي للكتاب، بيروت ـ دمشق، بدون تاريخ.
٦٩. بوبر، كارل، حدسها وابطالها، ترجمة: أحمد آرام.
٧٠. رضائي الاصفهاني، محمد علي، درآمدى بر تفسير علمى قرآن، منشورات اسوة، قم، ١٣٧٦ش، ٥١٧ ص.
٧١. واعظي، أحمد، درآمدى بر هرمنوتيک، مؤسسه فرهنگ دانش وانديشه‌ى معاصر، ١٣٨٠ش.
٧٢. الصغير، محمد حسين علي، دراسات قرآنية، المبادئ العامة لتفسير القرآن الكريم، المكتبة الإسلامية، طهران، ١٤١٢هـ
٧٣. ابن سينا، رسائل ابن سينا، طبعة الهند، ١٩٠٨م (توجد في مكتبة آية الله المرعشي النجفي).
٧٤. رسائل اخوان الصفا، مطبعة العربية، ١٩٢٨م (وأيضاً خلاصة الرسائل بقلم علي اصغر حلبي).
٧٥. الحر العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، دار احياء التراث العربي، بيروت، ط ٤، ١٣٩١هـ ٢٠ مجلد.
٧٦. روش‌شناسى تفسير قرآن، جمع من الكتاب، سمت (دفتر همكارى حوزه و دانشگاه، (مكتب التنسيق بين الحوزة والجامعة)، ١٣٧٩ش.
٧٧. الآلوسي، علي، روش علامه طباطبائى در تفسير الميزان، ترجمة: سيد حسن ميرجليلي، مركز چاپ ونشر سازمان تبليغات، طهران، ١٣٧٠ ش.

طهران، ١٣٧٩ش.
٨١. السبزواري، الملا هادي، شرح منظومة، منشورات علاّمة، قم، ط ٦، ١٣٦٩ش.
٨٢. النجفي، محمد صادق و هريسي، هاشم، شناخت قرآن، بدون ناشر، ١٣٦١ش.
٨٣. البخاري، أبو عبد الله محمد بن اسماعيل، صحيح البخاري، داراحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٠هـ ٤ مجلد.
٨٤. عقيقي، بخشايشي، طبقات مفسرين شيعه، دفتر نشر نويد اسلام، قم، ١٣٧١ش.
٨٥. مدير شانه‌چي، كاظم، علم حديث ودراية الحديث، دفتر انتشارات‌اسلامی، قم، ١٣٦٢ش.
٨٦. باربور، ايان، علم ودين، ترجمة: بهاء الدين خرمشاهی، مركز نشر دانشگاهی، طهران، ١٣٦٢ش.
٨٧. الانصاري، مرتضى، فرائد الأصول، مجمع الفكر الإسلامي، قم، ١٤١٩هـ، ٤مجلد.
٨٨. مشكور، محمد جواد، فرهنگ فرق اسلامی، بنياد پژوهشهای‌اسلامی آستان قدس رضوی، مشهد، ط ٣، ١٣٧٥ش.
٨٩. بدوي، عبد الرحمن، فرهنگ كامل خاورشناسان، ترجمة: شكرالله خاكرند، مركز انتشارات دفتر تبليغات اسلامی، قم، ١٣٧٥ش.
٩٠. اوبلاكر، اريك، فيزيك نوين، ترجمة: بهروز بيضائي، منشورات قديانی، طهران، ١٣٧٠ش.
٩١. الطباطبائي، محمد حسين، قرآن در اسلام، بنياد اسلامی، ١٣٦١ش.
٩٢. بی‌آزار الشيرازي، عبد الكريم، قرآن ناطق، دفتر نشر فرهنگ‌اسلامی، طهران، ١٣٧٦ش.
٩٣. مكارم الشيرازي، ناصر، قرآن وآخرين پيامبر، دار الكتب‌الاسلامية، طهران، ط ٢.
٩٤. الخراساني، الآخوند، كفاية الأصول، شرح: السيد محمد حسين الشيرازي، دار الايمان، قم، ١٤٠٦هـ ٥ مجلد.
٩٥. سياسی، علی اكبر، مبانی فلسفه، جامعة طهران، طهران.
٩٦. عميد زنجاني، عباس علي، مبانی و روشهای تفسيری، منشورات وزارة فرهنگ وارشاد اسلامی، طهران، ط ٤.
٩٧. مجلة علوم حديث التخصصية، العدد ٣، ٨، اسم المقالة: «دروغ پردازان درحوزه حديث

١٠٠. جولدزيهر، مذاهب التفسير الإسلامي، ترجمة: عبدالحليم النـجار، مكـتبةالخـانجي، مصر، ١٩٩٥م.
١٠١. الخوئي، أبو القاسم، مصباح الأُصول، مكتبة الداوري، قم، ط ٤، ١٤١٤هـ.
١٠٢. مصباح اليزدي، محمد تقي، معارف قرآن، منشورات در راه حق، قم، ١٣٦٧ش.
١٠٣. الصدوق، معاني الأخبار، بدون ذكر الناشر وتاريخ النشر.
١٠٤. الخوئي، ابو القاسم، معجم رجال الحديث.
١٠٥. مقايسه‌اى ميان تورات، انجيل، قرآن وعلم، ترجمة: المهندس ذبيح الله دبير، منشورات فرهنگ اسلامى، ١٣٦٥ش.
١٠٦. مقدمة في اصول التفسير، ابن تيميَّة، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم، دار القرآن الكريم، بيروت ١٩٧١م.
١٠٧. الصاوي الجويني المصري، مصطفى، مناهج في التفسير، منشأة المعارف، الاسكندرية، بدون تاريخ.
١٠٨.الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٦هـ
١٠٩. بوبر، كارل، منطق اكتشافات علمى، ترجمة: أحمد آرام.
١١٠. الرومي، فهد بن عبد الرحمن بن سليمان، منهج المدرسة العقلية الحديث في التفسير، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٣، ١٤٠٧ق.
١١١. شريفاني، محمد، منهج تفسيرى أهل بيت عليهم السلام، رسالة ماجستير تربيت‌مدرس، جامعة قم.
١١٢.محمدي‌الري‌شهري، محمد، ميزان الحكمة، دفتر تبليغات اسلامى، قم، ط ٣، ١٣٦٧ش، ١٠ مجلد.
١١٣. الحويزي العروسي، عبد علي بن جمعة، نور الثقلين، المطبعة العلمية، قم، ط ٢، ١٣٨٣هـ ٥ مجلد.
١١٤. نهج البلاغة، السيد الرضي، ترجمة: ناصر مكارم الشيرازي ومساعديه، منشورات هدف، قم، بدون تاريخ، ٣ مجلد.
١١٥. الفيض الكاشاني، محمد محسن، الوافي، مكتبة الإمام أميرالمؤمنين علي عليه السلام العـامة، اصفهان، ١٣٦٥ش، ١٧ مجلد.

فهرست انتشارات مرکز بین‌المللی ترجمه و نشر المصطفی صلی الله علیه و آله

ردیف	نام کتاب	نام مؤلف / مترجم	زبان	نوبت / سال
۱	آثار و برکات نماز	رجب‌علی حیدری مظفرنگری	اردو	اول، ۱۳۸۶
۲	آداب اسلامی، ج ۱ـ۲	محمد عندلیب	فارسی	سوم، ۱۳۸۵
۳	آداب اسلامی، ج ۱ـ۲	محمد عندلیب	اردو، انگلیسی	اول، ۱۳۸۴
۴	آداب اسلامی، ج ۲	محمد عندلیب	عربی	دوم، ۱۳۸۴
۵	آداب التلاوة	محمد غلامی	عربی، انگلیسی	۱۳۷۸
۶	آزادی اراده انسان در کلام اسلامی	طاهره روحانی، حلیمه حسینی	فارسی	اول، ۱۳۸۱
۷	آزادی در مکتب فکری عاشورا	علیرضا محمدی / اسماعیل دانش، علاء سحی حلیمی	فارسی	اول، ۱۳۸۸
۸	آسیب‌های درونی عزاداری	سید محمد علی موسوی	فارسی	اول، ۱۳۸۸
۹	آشنایی با ادیان بزرگ	حسین توفیقی	فارسی	دهم، ۱۳۸۶
۱۰	آشنایی با استشراق و اسلام‌شناسی غربیان	محمدحسن زمانی	فارسی	اول، ۱۳۸۸
۱۱	آشنایی با تاریخ تفسیر و مفسران	حسین علوی مهر	فارسی	سوم، ۱۳۸۱
۱۲	آشنایی با تاریخ و منابع حدیثی	دکتر علی نصیری	فارسی	اول، ۱۳۸۵
۱۳	آشنایی با جوامع حدیثی شیعه و اهل‌سنت	دکتر علی نصیری	فارسی	دوم، ۱۳۸۸
۱۴	آشنایی با رهبران سلفی وهابیت	الیاس قاسم اف	آذری	اول، ۱۳۸۸
۱۵	آشنایی با صحیفه سجادیه	محمد علی مجد فقیهی	فارسی	اول، ۱۳۸۵
۱۶	آشنایی با علوم قرآن	محمد باقر سعیدی روشن	فارسی	اول، ۱۳۸۸
۱۷	آشنایی با متون حدیث و نهج‌البلاغه	مهدی مهریزی	فارسی	چهارم، ۱۳۸۷
۱۸	آفتاب فقاهت(زندگی‌نامه مقام معظم رهبری)	محمدیعقوب بشوی	اردو	اول، ۱۳۸۲
۱۹	آموزش احکام(همراه با استفتائات مقام معظم رهبری)	محمدحسین فلاح‌زاده	فارسی	چهارم، ۱۳۸۷
۲۰	آموزش صرف	سید قاسم حسینی، غلامعلی صفایی و محمود ملکی	فارسی	سوم، ۱۳۸۸
۲۱	آموزش علوم قرآن	محمدباقر سعیدی‌روشن	فارسی	اول، ۱۳۸۸
۲۲	آموزش فارسی به فارسی(کتاب چهارم و پنجم)	مرکز آموزش زبان و معارف اسلامی	فارسی	سوم، ۱۳۸۴
۲۳	آموزش فارسی به فارسی(کتاب دوم و سوم)	مرکز آموزش زبان و معارف اسلامی	فارسی	سوم، ۱۳۸۴
۲۴	آموزش فارسی به فارسی(کتاب ششم)	مرکز آموزش زبان و معارف اسلامی	فارسی	اول، ۱۳۸۳
۲۵	آموزش فارسی به‌فارسی (کتاب کار ۴، ۵، ۶، ۷)	اصغرفردی، احمدزهرایی، جعفرمقیمی	فارسی	اول، ۱۳۸۸
۲۶	آموزش کلام اسلامی ۲(راهنماشناسی، معادشناسی)	محمد سعیدی مهر	فارسی	اول، ۱۳۷۸
۲۷	آموزش منطق	غرویان	فارسی	دوم، ۱۳۸۰
۲۸	آموزش نماز	کمیته فرهنگی نهضت اسلامی تاجیکستان	تاجیک	اول، ۱۳۷۷
۲۹	آموزش نماز	محمد زین العابدین ایوبی	بنگلا	اول، ۱۳۸۲
۳۰	آموزه‌های بنیادین علم اخلاق، ج ۱ـ۲	محمد فتحعلی خانی	فارسی	اول، ۱۳۷۹
۳۱	آموزه‌های گام به گام نستعلیق	حسن آهنگران	فارسی	اول، ۱۳۸۶
۳۲	آنچه یک زن مسلمان باید بداند	میراشرف العالم	بنگلا	اول، ۱۳۸۷
۳۳	آیات الاحکام تطبیقی	محمدفاکر میبدی	فارسی	اول، ۱۳۸۳
۳۴	ابن تیمیه منهجه فی الحدیث	ابومحمد العیسی	عربی	اول، ۱۳۸۸
۳۵	اتحاد الفریقین	سید شجاعت حسین رضوی	اردو	اول، ۱۳۸۸
۳۶	احکام اسلامی	الیاس قاسم‌اف	تاجیکی	اول، ۱۳۸۸
۳۷	احکام روزه	کمیته فرهنگی نهضت اسلامی تاجیکستان	تاجیک	اول، ۱۳۷۷
۳۸	احکام زکات	کمیته فرهنگی نهضت اسلامی تاجیکستان	تاجیک	اول، ۱۳۷۷
۳۹	احکام نکاح و طلاق	کمیته فرهنگی نهضت اسلامی تاجیکستان	تاجیک	اول، ۱۳۷۷
۴۰	احکام و مقررات شکار و صید	علی‌اکبر صادقی	فارسی	اول، ۱۳۸۵
۴۱	احوال الشخصیه شیعیان افغانستان	عبدالله شفاهی	فارسی	اول، ۱۳۸۷
۴۲	اخلاق تبلیغ در سیره رسول الله صلی الله علیه و آله	سید مرتضی حسینی	فارسی	دوم، ۱۳۸۵
۴۳	ادوار الاجتهاد عند الشیعة الامامیة	عدنان فرحان تنها	عربی	اول، ۱۳۸۶
۴۴	اسباب النزول القرآنی؛ تاریخ و حقائق	حسن محسن حیدر	عربی	اول، ۱۳۸۵
۴۵	اسرار نماز	رجبعلی حیدری مظفرنگری	اردو	اول، ۱۳۸۵
۴۶	اسراف و تبذیر، تباهی سرمایه‌ها	دکتر ناصر رفیعی محمدی	فارسی	اول، ۱۳۸۸